الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

تلمسان ونواحيها خلال الحكم العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16م و19م.

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

محمد بن عدي

تحت إشراف الأستاذ:

د.معمر لعايب

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د سعاد يمينة شبوط	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د معمر لعايب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د رحمونة بليل	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا مناقشا
أ.د محمد بوشنافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د بلبروات بن عتو	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د.أحمد بن داود	أستاذ محاضر –أ–	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1444هـ–1445هـ/2023م–2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

تلمسان ونواحيها خلال الحكم العثماني بالجزائر ما بين القرنين 16م و19م.

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: محمد بن عدي

تحت إشراف الأستاذ: د.معمر لعايب

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د سعاد يمينة شبوط	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د معمر لعايب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
أ.د رحمونة بليل	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا مناقشا
أ.د محمد بوشنافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د بلبروات بن عتو	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د.أحمد بن داود	أستاذ محاضر –أ–	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1444هـ–1445هـ/2023م–2024م

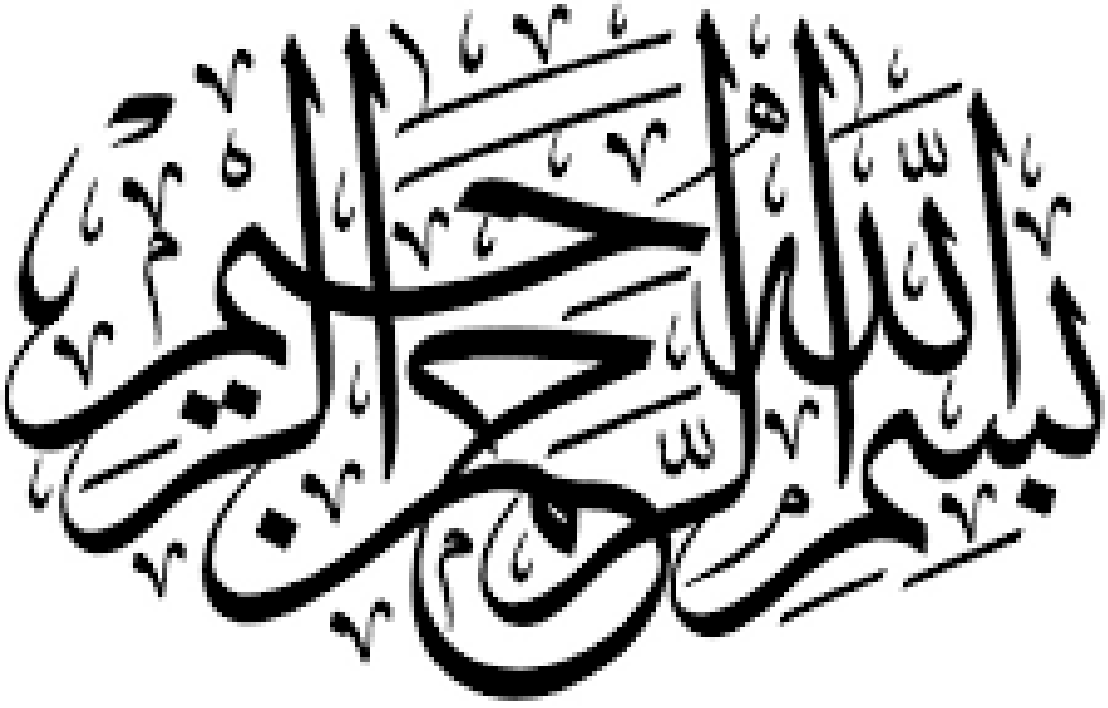
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرّحيم، الحمد لله ربّ العالمين الذي قال في مُحكم تنزيله:

{ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}

الحمد لله على أفضاله والشّكر له على تيسير سبيلي في شقّ طريق العلم. اهدي ثمرة جُهدي وعُصارةَ عَملي إلى الوالدين الكريمين

" عَبد الكَرِيم بَن عدّي " وَ " يَامنة بُونصار" رضي الله عنهما في الأولين والآخرين.

إلى جميع أفراد عائلتي صغيرًا و كبيرًا...

إلى جميع معلمي وأساتذتي من التعليم الإبتدائي إلى التعليم العالي، الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة . وأخصّ بالذّكر د. كلّة نصيرة، إلى حملة القلم في

سبيل نشر النّور رغم الصّعاب وما يحفّ الطّريق من مكاره.... إلى قداسة الحرف.

تشكّر

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين،

ثمّ أمّا بعد :

وإن كانت من كلمة أسوقها بين دفتي هذا البحث فهي الإقرار بِالشّكر والعرفان:

إلى أستاذي المشرف الدّكتور "معمر العايب " الذي تشجّم عناء الإشراف على هذا العمل، عرفانًا وتقديرًا لرحابة صدره، وجميل حِلمه وصبره في تتبّع خطوّات هذا العملِ، وبِما أسدلهُ من نصائح وتوجيهات قيّمة طوال مدّة البحث.

إلى الأستاذ الفاضل محمد بوشنافي الذي أهداني وأمدّني بمجموعة من الوثائق التي كانت في صميم هذه الدّراسة، عرفانا له.

كما يَسرّني أن أتوجّه بجزيل الشكر وخالص الإمتنان إلى أعضاء لجنة المُناقشة على تفضّلهم بتقييم هذا العمل، والذي سيكون رِحلة جديدة بِملاحظاتهم ونصائحهم السديدة.

محمّد بن عدّي ولد عبد الكريم

قائمة المختصرات

باللغة العربية

- أ.و.ت: الأرشيف الوطني التونسي.
- أ.و.ج: الأرشيف الوطني الجزائري.
-ف.م.د: فرمانات مهمة دفتري.
- س.ب: سجلات البايلك.
- س.م.ش: سجلات المحكمة الشرعية.
- ش. و . ن . ت: الشركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع
- د . م . ج: ديوان المطبوعات الجامعيّة
- ف: فيلم
- ع: علبة
- س: سجل.
- ص- ص: صفحات متتابعة.
- د.ط: دون طبعة.
- ط.خ: طبعة خاصة
- تح: تحقيق.
- تر: ترجمة.
- تع: تعريب
- تق: تقديم
- مر: مراجعة

En français

- C: carton

- F: feuille.
- T: tome.
- N: numéro.
- P: page.
- PP: pages contenus.
- Vol: volume.
- R.A: revue africaine.
- Op، Cit : ouvrage Précédemment cité.
- IBID: même ouvrage

مقدمة

تُعتبر مدينة تِلمسان ونواحيها من الحواضر الهّامة في منطقة المغرب الكبير وشمال إفريقيا، حيث عرفت هذه الحاضرة العديد من الحضارات المتعاقبة مُنذ العهد القديم، عُدّت مركزًا ومَوطنًا لإلتقاء الحضارات والدُويلات المزدهرة أنذاك، على غِرار المرابطين والموحدين والزيانين، فهي المدينة التي دخلها أبو المهاجر فاتحًا، بعد تغلّبه على جيوش كسيلة، ثمّ مرّ بها عقبة بن نافع في حملته لفتح ما تبقى من بلاد المغرب.

كما تأثّرت تلمسان كغيرها في الفترة الوسيطية (ضمن حواضر المغرب الإسلامي) من الضعف والإنقسام بعد سقوط الموحدين، حيث أخذت هذه الدّولة تضعف وتتقهقر، فكانت هزيمة حصن العقاب 609هـ -1212م وما تبعها من أحداث من عوامل السّقوط لهذه الدولة، فجاء على أنقاضهم بنو عبد الواد ابتداء من 627هـ -1230م، فاستمرت تلمسان عاصمة لهم لمدّة تفوق ثلاثة قرون.وانتهت أوضاعها المتدهورة إلى تفكيكها إلى إمارات ضعيفة مُتناحرة فيما بينها.

مع مجيء الأتراك العثمانيون وبطلب من سكانها، إستقبل عرّوج وفدًا من سكّان تلمسان يطلبون عونه ودعمه واستجاب لطلبهم فدخل تلمسان، ولم يستقر له المقام بها وخرج منها محاصرًا من قبل أخر ملوك بني زيان وحلفائهم الإسبان، وانتهى به الأمر باستشهاده في وادي المالح عام 1518م.

وبعد مرور فترة من الصّراع العسكري عليها، تمكّن بايلربيات الجزائر من إحكام سيطرتهم على تلمسان ونواحيها فأصبحت مركزًا للحامية العثمانية وألحقوها بأيّالة الجزائر عام 1554م، وغيّروا من أوضاعها السيّاسيّة؛ والاجتماعيّة؛ والاقتصاديّة؛ والثّقافيّة، وزارها الرحّالة وكتب عنها الجُغرافيون والمؤرّخون.

أهميّة الموضوع :

يكتسي موضوع تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني (16م-19م) أهمية قصوى للباحثين المهتمين بدراسة تاريخ المنطقة في العصر الحديث، على اعتبار أنّ حجم الكتابات والدّراسات المحليّة والأجنبيّة، التي تناولت مدينة تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني تبقى ضئيلة أو تكاد تكون منعدمة، من هذا المنطلق نحاول البحث في هذا الموضوع لجمع ما يمكن الوصول إليه من مادة خبرية ومعلومات كفيلة بالمساهمة في كتابة تاريخ مدينة تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، وضمن هذه الرّؤية حاولنا معالجة الموضوع من مُختلف الجوانب التي عرفتها تلمسان ونواحيها في الفترة المذكورة، ونراها تحوّلات عميقة، ولا يُمكن فهمها ما لم يتم الرّجوع إلى المصادر والكتابات التي أرّخت لها، من أجل الوصول إلى بناء صورة واضحة عن تلمسان ونواحيها خلال هذه الفترة.

دوافع اختيار الموضوع :

- **الدّوافع الذاتية** : من دوافع اختيارنا لهذا الموضوع والخوض في غماره رغم قلّة الكتابات وشح المعلومات حوله، نابع من رغبة شخصية في الكتابة حول تاريخ منطقة تلمسان إبّان العهد العثماني.

ومن الدوافع الذاتية الأخرى التي دفعتنا أيضا إلى اختيار هذا الموضوع، هو محاولة إماطة اللثام على بعض الجوانب الغامضة من تاريخ تلمسان في العهد العثماني، من خلال تسليط الضوء على مجموعة من حقائق ذات قيمة تاريخية وتراثية وفكرية، تدخل في نطاق الدّراسات الأنثروبولوجية و الإثنوغرافية، واعتقد أنّ هذا الموضوع سيسدّ جوانب كثيرة ظلّت غامضة عند عموم المهتمّين بتاريخ منطقة تلمسان، دون أن أنسى عوامل أخرى كانت المحفّز وراء تَوجّهنا وهي رغبتنا وفضولنا القويّ في الإطلاع على تاريخ حاضرة تلمسان في العهد العثماني .

- **الدوافع الموضوعية**: يمكن حصرها فيما يلي:

لعلّ من أبرز الدوافع الموضوعية التي كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع والبحث فيه، هو توجّهي منذ البداية إلى تخصص تاريخ الجزائر الحديث، وموضوع بحثنا هو أحد محاوره الأساسية، يُضاف إلى ذلك دوافع علمية أخرى كالمساهمة في إثراء البحث التاريخي بتقديم معطيات جديدة حول تاريخ تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني، ومحاولة إظهار أهميّة مدينة تلمسان ونواحيها خلال الفترة العثمانية وما شهدته المنطقة من تطوّرات في مختلف المجالات السيّاسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، والأمر نفسه ينطبق على أستاذي المشرف الذي شجّعني هو الآخر وأصرّ أن أشرع في دراسته دُون تردد.

إشكاليّة البحث :

ولمعالجة المادّة الخبرية لهذا الموضوع، حاولنا الإلمام بإشكاليّته وحصرها في أوضاع تلمسان ونواحيها السياسيّة؛ والاقتصاديّة؛ والاجتماعيّة؛ و الثقافيّة خلال العهد العثماني (16م- 19م)، خاصّة بعد تراجع أدوارها في كل المجالات مُقارنة بعهودها السّابقة منها، وبُغية تدقيق الدّراسة قُمنا بتقسيمها إلى جملة من التّساؤلات الفرعيّة التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

. ما هي ملامح التّنظيمات التي عرفتها الحياة السياسيّة والإداريّة في تلمسان ونواحيها، بعد التّحوّلات التي أفرزتها السّلطة الجديدة على الواقع العام في المنطقة؟

. ما مدى تأثير الأوضاع العامّة التي عرفتها تلمسان ونواحيها على الحياة الاجتماعية وتشكيلاتها إبّان العهد العثماني؟

. بماذا تميّزت الحياة الإقتصاديّة بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني ؟ وما هي أبرز الأنشطة الإقتصاديّة داخليًا وخارجيّا؟

. إلى أي مدى كان لأعلام تلمسان العثمانية الدّور الفعّال في الحفاظ على الموروث العلمي والفكري؟ وهل كانت مجهوداتهم الفردية والجماعيّة كافية أمام مشاريع الإدارة العثمانية التي عاشتها المدينة إذ ذاك؟ ومن هم أهم الجغرافيين والرّحالة الذين زاروا تلمسان أو كتبوا عنها؟

. ماهي أهم المؤسّسات الثّقافية التي كانت رائجة بمنطقة تلمسان؟ وفيما تمثّلت المنشآت الحضاريّة والاجتماعيّة فيها؟

. كيف أثّرت التغيّرات والتّطورات التي عرفتها تلمسان خلال الفترة المذكورة بجوانبها المختلفة؟

للإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على خطة منهجية في دراستنا موزعة على فصل تمهيدي وأربعة فصول مذيلة بخاتمة ومسبوقة بمقدمة:

خطة البحث:

ابتدئنا هذه الدّراسة، بالمقدمة كبوابة للدّراسة، حيث تناولنا فيها أهميّة الدّراسة وتحديد إشكاليتها الرّئيسية والتّساؤلات الفرعيّة، بالإضافة إلى دواعي اختيار الموضوع ومراحل دراسته، والمنهج المتبع، كما وقفنا عند أهم المصادر والمراجع المعتمدة، مُعرّجين على الصّعوبات والعراقيل التي شهدتها الدّراسة، على غرار كافة البحوث العلمية وكيفية معالجتها وتجاوزها.

الفصل التمهيدي عبارة عن مدخل للدّراسة تناولنا من خلاله واقع مدينة تلمسان قبل القرن 16م، بداية بالتّعريف بالمدينة ونواحيها، وتحديد موقعها الجغرافي والفلكي، كما جاءت فيه الإشارة إلى التطوّر التّاريخي بمنطقة تلمسان إلى غاية القرن 16م، وذلك من خلال التّعريج على الفترة القديمة والوسيطة، وصولا إلى ضعف الدّولة الزيانيّة في القرن الخامس عشر والنّصف الأول من القرن السادس عشر ونهاية هذه الدولة.

أمّا الفصل الأول فقد تضمّن المسار السّياسي والإداري لتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، من خلال التّطرق إلى ظروف إلحاق الجزائر بالدّولة العثمانية في إشارات إلى الظروف الدّاخلية والدّولية، وصولًا إلى التّخصيص في دراسة وضع بايلك الغرب خلال ذات الفترة، بُغية تضييق الدّراسة وتحديدها، وكذا قراءة في الصّراع العثماني، الزياني، الاسباني، والسّعدي، والعلوي، الذي عرفته منطقة تلمسان بداية من سنة 1551م، والدّور الذي قدّمه شيوخ الطّرق الصّوفيّة بالمنطقة على غرار سيدي أحمد يوسف الملياني، لنصل إلى إلحاق تلمسان بإيّالة الجزائر ومنها الوقوف على التنظيم الإداري لتلمسان ونواحيها في المؤسّسات القضائيّة، الوقفيّة والعسكريّة، إذ جاء الحديث فيه أيضا عن السّلطة العثمانية في تلمسان وعلاقتها مع السّكان عن طريق التّطرق إلى الثّورات التي عرفتها المنطقة على غرار ثورة الكراغلة،

ثورة درقاوة، وصولًا إلى علاقة العلماء التلمسانيين بالسّلطة وانقسامهم بين مؤيّدين ، ومعارضين لوجودهم بهذه الحاضرة.

بينما **الفصل الثاني** خصّصناه لدراسة الحياة الاجتماعيّة بتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، حيث تضمّن الحديث عن الفئات الاجتماعيّة في تلمسان العثمانية، بدراسة مُفصّلة لواقع كل الطّبقات التي سكنت تلمسان على غرار البربر؛ والعرب؛ والأتراك؛ والكراغلة؛ الحضر والسّكان المحليين، الأندلسيون؛ اليهود؛ والنصارى، ودراسة العلاقة ببعضهم البعض.

كما تطرقنا إلى الأوضاع الاجتماعيّة التي عاشها هؤلاء السّكان خلال هذه الفترة، وفي مقدّمتها الوضع الصحّي وما صاحبه من الأمراض و الأوبئة، كما تناولنا في هذا الفصل مظاهر الحياة الاجتماعيّة بمنطقة تلمسان، حيث حاولنا تقديم صورة عن ممارسة الشعائر والاحتفالات الدينيّة عند المسلمين وأهل الذمّة، داخل المجتمع التلمساني إبّان العهد العثماني، فضلا عن بعض الاحتفالات الاجتماعيّة كالزواج والعقيقة، وبعد ذلك انتقلنا إلى ذكر اللّهجات التلمسانيّة، أمّا القسم الأخير من هذا الفصل فقد خصصناه لدراسة النّوازل و دورها في الحياة الاجتماعيّة من عقود بيع وشراء، وتركات، وخصومات وخلافات...الخ.

أمّا **الفصل الثالث** جاء لدراسة واقع الحياة الاقتصادية بتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، وذلك من خلال وُلوجنا إلى مقوّمات الإقتصاد خاصّة الجانب الفلاحي، والذي وقفنا فيه على وضعيّة الأراضي الزّراعيّة وطريقة السّقي و المياه و النّشاط الفلاحي على غرار الزّراعة والرّعي، ناهيك عن النّشاط الصّناعي الذي شهدته تلمسان آنذاك خاصّة في مجال الصّنائع والحرف التي كانت موجودة بالمدينة ونواحيها، مع التطّرق إلى أهم أنواعها؛ ومميّزاتها؛ ومُعيقاتها، إضافة إلى النّشاط التّجاري والمالي، عن طريق دراسة طبيعة العملة المتداولة؛ والأسواق؛ ودور العنصر البشري فيها؛ والطّرق والمسالك التي كانت تمارس بها، إضافة إلى المكاييل؛ والأوزان؛ والمقاييس المستعملة، وصولا إلى النّظام الضّريبي الذي كان سائدًا بالمنطقة إبّان العهد العثماني، والتّعرف على العلاقة بين الضرائب وطرق جبايتها.

الفصل الرّابع وهو آخر فصل في هذه الدّراسة، وفيه تضمّن الحياة الدّينيّة والثقافيّة بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني، إذ حاولنا تقديم وضعيّة المؤسّسات الدّينيّة والثّقافيّة بها، على غرار المساجد والكتاتيب القرآنية؛ الزوايا؛ المكتبات؛ والأوقاف، وهي الخطوة التي دفعتنا إلى مُعاينة نظام التّعليم في مدينة تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني

وذلك عن طريق دراسة أطواره ومراحله؛ وخصائصة؛ في هذه الفترة، مع إبراز أهمّ بيوتاته العلميّة التي كانت قائمة بها، فضلاً عن تقديم تراجم لأهمّ علمائها.

إلى جانب ذلك استعرضنا جانبا من نشاط أهمّ الطّرق الصّوفية بالمنطقة، على غرار الطّريقة الشاذليّة والطّيبيّة...، وأيضا تقديم دراسة عن النّسيج العُمراني لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني، من أضرحة؛ وحمّامات؛ وفنادق، كما سجّلنا من خلال مضمون هذا الفصل عديد الرّحلات التي قدّمت لنا أهم المشاهد التي حاولوا تصويرها عن الأوضاع العامّة بمنطقة تلمسان، على غرار الأوضاع الثقافيّة منها، من خلال دراسة مُدوّناتهم وكتاباتهم، والتي جاءت كرصد للواقع الثّقافيّ للمدينة خلال تلك الفترة.

أمّا الخاتمة جاءت بمثابة الخلاصة أو الحوصلة للموضوع، التي تمّ فيها توثيق نتائج الدّراسة، من طرح الأفكار، والإحصائيات المقدّمة في الفصول، والتي تمّ التّوصّل إليها لتكون لبنة انطلاق لدراسات أخرى.

منهج البحث

اعتمدنا من خلال هذه الدّراسة على المنهج التّاريخي، والذي يدخل بصورة أساسيّة في كلّ جُزئيّات الدّراسة تقريبا، من خلال الاستعراض الكرونولوجي للأحداث من جهة، ووصف أوضاع المدينة وسكانها إبّان هذه الفترة من جهة أخرى، لكن اختلاف الوقائع في المناطق دفعنا إلى اعتماد المقارنة لدراسة اختلاف الوقائع ما بين مناطق المدينة الواحدة، وما تناولته الدّراسات العلمية المتناولة للموضوع سابقا.

وفي ظل وجود مُعطيات إحصائية استوجب علينا استعراض التقديرات المتعلقة بتحديد سكان تلمسان وتطوّر أعدادهم وتوزيعهم، وكذلك نشاطهم التّجاري والعلمي، كما استعمالنا التحليل والإستقراء للوقوف عند بعض الاختلافات في المسائل والتي تم دراستها من خلال المراجع والشواهد، ومُقارنتها بما تناولته المصادر والمراجع والوثائق، وفي ظلّ وجود الإختلاف في بعضها لجأنا إلى نقدها، من خلال اللجوء إلى الترجيح التّاريخي الأقرب للخروج بالنتائج.

المصادر و المراجع المعتمدة :

من أجل معالجة الإشكالية المطروحة آنفا وبطريقة منهجيّة، كان لابُدّ علينا من الإطّلاع على مُختلف مصادر البحث المتمثّلةِ فيما يلي :

1. الأرشيف:

لإقامة أية دراسة لابدّ لنا من الإعتماد على الشواهد التّاريخيّة التي عايشت الفترة، التي غالبًا ما تكون وثائق أرشيفية، تناولت الوضع العام بمدينة تلمسان بأبعاده المختلفة خلال الوجود العثماني فيها، ووقفنا بدقّة على بعض الأحداث.

– **الأرشيف الوطني الجَزائري**: ورغم شحّ المادّة العلميّة في هذا الأخير، المتعلّق بموضوعنا، إلّا أنّنا وجدنا بعض **وثائق فرمانات المهمة دفتري** المحفوظة على مستوى مؤسّسة الأرشيف الوطني، الذي يحتوي على مجموعة من الوثائق التي أرّخت للعديد من الأحداث التي استفدنا منها في أطروحتنا، إلى جانب بعض وثائق **سجلاّت بيت المال، وسجلاّت البايلك، ووثيقة واحدة لخط همايون** التي تُعتبر مصادر أرشيفيّة هامّة للدّراسة، والتي زادت من قيمتها العلميّة، إذ أمدّتنا ببعض المعلومات النّفيسة حول بعض الأحداث السيّاسيّة، والتّفاعلات الاجتماعيّة، والاسهامات الثقافيّة في تلمسان، وإن كانت قليلة، إذ لا تحتوي في الغالب الأعم إلاّ على أسطر موجزة تتقاطع ما نحن بصدد دراسته، إلاّ أنّها أفادتنا في بعض زوايا هذا الموضوع.

– **الأرشيف الوطني التُونسي**: المثمثّل في الدّفاتر الإدارية والجبائيّة، إذ وردت فيها إشارات كانت أكثر وضوحًا في تحديد الفئات الاجتماعيّة في تلمسان ونواحيها، إلى جانب بعض الهدايا والإحسانات التي استفادت منها مختلف هاته التّشكيلات الاجتماعية، وبالتّالي استخلاص المزيد من المعلومات التي استغللناها في البناء التّحليلي لأبعاد هذه الدّراسة.

– **سجلاّت المحاكم الشرعية**: (**قسم المخطوطات**)، **المكتبة الوطنية بالجزائر رقم (2316)**: تُشكّل هذه الوثائق أهميّة كبيرة في الدّراسات التّاريخية في الفترة العثمانية الحديثة، خاصة موضوع النّوازل المتعلّق بالجانبين الإقتصاديّ والإجتماعيّ، فلا يُمكن للدّارس الاستغناء عنها، كونها تُعطينا وتُقدّم لنا معلومات ومُعطيات دقيقة هامّة ومفصّلة، فمن خلال اطّلاعنا على هذه العيّنات من الوثائق بتلمسان، أمكننا أن نتوصل إلى مجموعة من الحقائق التّاريخيّة القيّمة الأصيلة، فقد نقلت لنا مُختلف هذه الوثائق الأرشيفية التي أوردناها مظاهر الحياة الاجتماعية ونشاطاتها، من عقود البيع والشراء والتّركات والأمانه..الخ ،كما أوضحت وبيّنت لنا بعض النّشاطات الاقتصادية من صنائع وحرف في هذه المدينة ونواحيها.

2. المخطوطات:

– الشيخ محمد بن سليمان الصائم الجازولي(1050هـ/ 1640م)، مخطوط، كعبة الطّائفين وبَهجة العارفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين، وهو على جزءين، إذ يُغطي فترة من فترات تاريخ تلمسان خلال العهد العثماني في القرن (17م)، إذ يُمثّل هذا المخطوط سجّلاً حيّا لمدونة كُبرى في الشّعر الشّعبي الجزائري، إلاّ أنّ المؤلّف أفادنا، واستطعنا أن نستخرج منه عددا من الأغراض، خاصّة في الفصل الأول والثاني والرّابع، حيث تضمّن تراجم لعلماء تلمسانيين،

ممّا أكسبنا أهميّة خاصّة في كتب التّراجم والسيّر التلمسانيّة، إلى جانب رصد بعض المظاهر العمرانية، والاجتماعية، وحتّى السيّاسية، في تلمسان ونواحيها.

– الشيخ محمّد الزقّاي " الجد"، مخطوط، إتمام الوطر فيمن عرف في القرن الثالث عشر، هو مصدر نفيس، وهو غنيّ بالمعلومات التي تُسلّط الأضواء على تلمسان ونواحيها خلال القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر الميلاديين، أفادنا في الفصل الثاني والرّابع المتضمّن الحياة الاجتماعيّة والعمران والحياة الثقافيّة، حيث ورد فيه عدد من الأعلام والنّخب التّلمسانيّة ونشاطاتهم وأدوارهم داخل وخارج تلمسان، فضلاً عن الحالة العمرانيّة بها، إضافة إلى الواقع الاجتماعي والتقافي من نظام التّعليم والحلقات الدّراسيّة بالمؤسّسات التعليميّة بها.

– أبو الرّبيع سليمان الحوّات (ت 1233هـ/1817م)، مخطوط البذور الضّاوية في التّعريف بالسّادات أهل الزّاوية الدّلائية، يعتبر من بين المصنّفات الهامّة التي أشارت إلى الزّاوية الدّلائيّة، إذ يُطلعنا على الأحداث السيّاسيّة في المغرب الأقصى، سيما الأحداث التي وقعت بين المولى الرّشيد في معركة بطن الرمان سنة 1079هـ/ 1668م، ونفي أعلامها إلى مدينة تلمسان ونواحيها خلال الفترة العثمانيّة، وهو ما أكّده صاحب المخطوط، والذي يُعدّ أحد مريدي هذه الزّاويّة.

3. المصادر المطبوعة :

لا يمكن إقامة أية دراسة جديدة في موضوع تاريخي دون الإعتماد على الدّراسات السّابقة من كتب المؤرخين عايشو الفترة وكتبوا عن مميّزاتها ، وفي موضوع تلمسان العثمانية خلال الفترة الممتدة مابين القرنين 16 و19 الميلاديين، كان لزاما علينا الإعتماد على بعض الكتب، وفي مقدّمتها الرّحلات التي أقامها الرّحالة في الجزائر عمومًا، وتلمسان خصوصا نجد منها:

– أبو علي الحسن بن محمد الوزان الفاسي،(ت 939هـ/1532م)، في كتابه "وصف إفريقيا" الذي هو عبارة عن رحلة رصد لنا فيها أهم المشاهد التي حاول تصويرها ونقلها لتكون بذلك من أهم المصادر التّاريخية، حيث حوى الكتاب بين دفتيه طائفة هامّة من المعلومات التاريخيّة والجغرافيّة، والذي استفدنا منه كثيرًا في معرفة الأمصار والمدن، وبخاصّة عن المجتمع التلمساني وثقافته خلال القرن السادس عشر.

– أبو القاسم الزياني (ت 1249هـ-1833م) في كتابه " التُرجمانة الكُبرى في أخبار المعمور برا وبحرا " هي الأخرى عبارة عن رحلة أرّخت لتلمسان خلال العهد العثماني، خاصّة الأوضاع الثقافيّة فيها، إلى جانب رصد أهم المعالم الأثريّة والعمرانيّة فيها.

– عيسى بن محمد اليحيوي البَطوئي (ت 1046هـ/1636م)، في كتابه" مطلب الفوز والفلاح" اعتمدنا على هذا المصدر الذي يندرج ضمن الرحلات العلميّة الإثنوغرافيّة، حيث أوضحت هذه الرّحلة الأوضاع الثقافية والفكريّة في مدينة تلمسان ونواحيها، من خلال ذكر بعض المؤسّسات التعليمية والعلوم الموجودة فيها، من مناهج وأساليب، هذا فضلاً عن أخبار العلماء والصّلحاء وأدوارهم العلميّة.

– ابن عثمان المكناسي (ت 1199هـ/1799م)، في كتابه " إحراز المعلى والرقيب في حجّ بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتّبرك بقبر الحبيب" وهو عبارة عن رحلة قام بها المكناسي، نقل لنا فيها مُشاهدات ومعلومات عن الأوضاع السيّاسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة في إيّالة الجزائر، وقد حضيت تلمسان بحظ وافر عن الأوضاع المؤلمة التي كانت سائدة فيها، من الخراب الذي شهدته وجور وسطوة وظلم حكّامها.

– أبوراس الناصري (ت 1238هـ/1823م)، في كتابه " فتح الإله ومنّته في التّحدّث بفضل ربّي ونعمته" هذا الكتاب في حقيقة الأمر هو صورة شاملة ومدققة عن واقع الحياة العامّة في بايلك الغرب الجزائري في العهد العثماني على نطاق واسع وأعطى صورة واضحة ودقيقة من هذا الواقع، فالمؤلف تناول موضوع تلمسان من الجانب السيّاسيّ، إذ أفادنا في كشف الإهتمام الكبير للبايات بتلمسان، وأماط اللثام عن وبالتالي تم الإعتماد عليه بشكل كبير عند التّطرق إلى الواقع الإداري والسيّاسي لتلمسان ونواحيها.

– أحمد ابن مسايب التلمساني (1190هـ/1768م)، في كتابه " ديوانه " أورد لنا فيه مُشاهدات في أبيات شعريّة نقلها لنا، من مضامينها مواقفه من الوجود العثماني في تلمسان، وسيطرة الحاميّات الإنكشاريّة عليها، وكذا الأوضاع السيّئة والمتردّية التي أصبح عليها السّكان عامّة والعلماء خاصّة.

– أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مريم التلمساني(ت 1014هـ/1614م)، "البُستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، يُعتبر هذا الكتاب موسوعة شاملة في التّعريف بالأوضاع السيّاسيّة والاجتماعية والفكريّة في تلمسان ونواحيها، أفادنا كثيرًا في كل فصول الدّراسة تقريبا خلال القرن السّادس عشر إضافة تراجم مُفصّلة لعديد العلماء والأولياء التلمسانيين، ناهيك عن بعض المظاهر العُمرانيّة.

– أبو عبد الله مسلم بن عبد القادر الوهراني (ت 1249هـ/1833م)، " أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنّوادر أو تاريخ بايات وهران المتأخر" كتاب يَتوفّر على مادّة تاريخيّة هامّة عن التاريخ السيّاسي والاجتماعي والثقافي، ورغم أنّ اهتمام المؤلف انصبّ على مدينة وهران وبايلك الغرب، إلاّ أنّه زوّدنا بمعلومات لابأس بها عن الواقع الإداري لتلمسان إبّان العهد العثماني، فضلا عن العلماء وأدوارهم في هذا البايلك.

– أبي العباس أحمد المقري (ت 1041هـ/1631م)، من خلال كتاب رحلة المقري إلى المشرق والمغرب، يُغطّي هذا الكتاب مجموعة من الأحداث المهمّة في تاريخ تلمسان، ويُعتبر هذا الكتاب أحد أهم المصادر حولها، إذ يمثّل هذا المقري ابن مدينة تلمسان، حيث ولد ونشأ وقرأ وتعلّم، فقد أوجدنا في ثنايا هذا الكتاب ترجة له، مع ذكر مجموعة من النُّخب التلمسانيّة وأخرى عربيّة عاصرها المؤلّف بين التّدريس والتتلمذ عليهم أو حتى الإلتقاء بهم، وبهذا عُدّ الكتاب مرآة عاكسة للأوضاع الفكريّة في تلمسان.

– حمو بن روستان، تُحفة الاعتبار فيما وُجد من الآثار بمدينة الجدار (ت 1862م)، هذا الكتاب في حقيقة الأمر صورة شاملة عن الأوضاع الإجتماعيّة والثقافيّة وحتى السياسيّة في تلمسان ونَواحيها، حيث أفادنا في كشف بعض الفعاليات الاجتماعيّة، والمظاهر العمرانيّة في المدينة ونواحيها، فهو قدّم لنا صورة واضحة ورائعة عن هذه الجوانب، وبالتالي كان الإعتماد عليه بشكل كبير، خاصّة في مجال الأوقاف والحبوس في هذه الحاضرة.

وكل هذه المصادر رغم قلّة ما ورد فيها من أخبار ومعلومات وإشارات حول الأوضاع تلمسان ونواحيها خلال هذه الفترة، إلاّ أنّنا نثمّن ونُشيد بأهميّتها وقيمتها في هذه الدّراسة، حيث أنّ بعضها اختصّ في هذه الحاضرة وبعضها عام استوجب التّمحيص والتّدقيق والإستنتاج.

4. الكتب :

من أجل إعطاء مصداقية أكبر للدّراسة، اعتمدنا على بعض الكتابات التي تمكّنا من الحصول عليها، إذ أنّها لا تمتّ إليه إلاّ بصلات عابرة، إذ لا تحتوي في الغالب الأعمّ إلاّ على فقرات موجزة أو أحيانا أسطر قليلة، تتقاطع مع ما نحن بصدد دراسته، لكن رغم ذلك أفادتنا كونها زوّدتنا بمعلومات ومعارف، في مقدّمتها الدّراسات التي أقامها الدكتور محمد الطمار في كتابه "تلمسان عبر العصور"، حيث زودنا بمعارف ومعلومات قيّمة حول تلمسان ونَواحيها، حيث تناول بالدّراسة والتحليل الأحداث السيّاسيّة والعسكريّة وحتى الاجتماعيّة والفكريّة العامّة في تلمسان، ممّا أمكننا الاعتماد عليه في أغلب فصول هذه الدّراسة.

مولاي بالحميسي، "الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العُثماني"، وهو كتاب يتضمّن مجموعة من الرحلات، قام بها الرحّالة نحو مُدن إيّالة الجزائر، من بينها مدينة تلمسان ونواحيها، ويُعتبر هذا الكتاب من بين الكتب الهامّة التي أشارت إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني، حيث أفادنا كثيرا وقدّم لنا مادّة علميّة قيّمة في الفصل الرّابع، خاصّة في الجانب الرّحلي الذي تعلّق بتلمسان ونَواحيها.

إلى جانب ذلك استفدنا من كتاب" رريب الله حاج أحمد" الموسوم بـ "شلف الأسفل إبّان العصر الوسيط المتأخر والعصر الحديث" الذي تناول بالشّرح والتّحليل مدينة تلمسان إبّان العهد العثماني، خاصّة ما تعلّق بجانبها السيّاسي والثقافي منها، حيث أفادنا في فهم بعض الجوانب والأحداث السيّاسية في تلمسان خلال هذه الفترة، فضلا عن بعض الطّرق الصّوفية وبعض الإحصائيّات حولها، غير أنّه ورغم أهميّة المعلومات الواردة فيه، إلاّ أنّ الباحث لم يسهب كثيرًا في حديثة عن تلمسان واكتفى بتقديم إشارات ومنطلقات فقط.

كذلك من بين الدّراسات الجادّة، التي اعتمدنا عليها والتي كانت بالنسبة لنا مفاتيح فهم لنا هو كتاب "الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم" لـفوزي سعد الله، خُصوصًا ما ارتبط بالتشكيلات الاجتماعيّة في تلمسان ونواحيها سيما العنصر الأندلسي واليهودي، حيث استفدنا منه في معرفة اسهاماتها وتأتيراتيها على الأوضاع العامّة في تلمسان..

ومن الكتابات المتعلّقة بدراستنا كتاب الباحث "عبد المنعم الحسني القاسمي"، والموسوم بـ "أعلام التصوّف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى"، وممّا اعتمدنا عليه في هذا الكتاب، ما تعلّق بأعلام تلمسان، خاصّة وأنّه يُعالج عددا لابأس به من النّخب المتقفة من البيوتات العلمية التلمسانية في الفترة العثمانيّة.

5.المصادر باللغة الأجنبيّة:

ومن المصادر الأجنبية المهمّة التي اعتمدنا عليها في هذه الدّراسة كتاب طوبوغرافية وتاريخ الجزائر للأسير الإسباني هايدو **Topographie et histoire Générale d'Alger** الذي فيه معلومات مختلفة تخص القرن السّادس عشر بما ذلك المتعلقة منها بالجانب السيّاسي لإيّالة الجزائر عموما وبايلك الغرب خصوصا الذي تعد تلمسان أحد أهم مدنه، أما خلال القرن الثامن عشر فقد اعتمدنا على عدد من المصادر أهمّها كتاب الدّبلوماسي الفرنسي لوجي دي طاسيه **Laugier De Tassy** الموسوم بـ: تاريخ مملكة الجزائر **Histoire du royaume l'Alger** الذي وردت فيه الكثير من الأمور المتعلّقة بتلمسان والأمر نفسه بالنّسبة لرحلة الطبيب الإنجليزي توماس شو Thomas Show الموسومة بـ: "رحلة إلى إيّالة الجزائر" **Voyage dans la régence d'Alger** التي خصّص فيها فصلاً لبايلك الغرب، وجميع هذه المصادر قام بترجمتهما الأستاذ لخضر بوطبة من جامعة سطيف 2 إلى اللّغة العربية إلّا أنّنا اعتمدنا على النّسخ الأصليّة بحكم أنّنا لم نقتن الكتب حال صدورهما، هذا بالإضافة إلى كتاب الأب برجيس **L'abbé J.J.L. barges,** المعنون بـ : **Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom souvenirs d'un voyage.**

فضلاً عن المصادر اعتمدنا على عدد من المراجع الأجنبية، تنوّعت بين مقالات وكتب ذات الصّلة بموضوع دراستنا، والتي إمّا كانت تتعلق بتلمسان مُباشرة، أو خَصّص أصحابها صفحات لتلمسان، نذكر منها كتاب "عالم الآثار" جورج ميرسيه **Georges Marcais** حول تلمسان المعنون بـ:

Tlemcen (Les Villes d'art célèbres) ، كما نجد في مقال الباحث الفرنسي بيار بوايي **Pierre Boyer** ذكرًا لكراغلة تلمسان، ويُعدّ هذا المقال من الدّراسات الأجنبية، التي كان لها السّبق في تقصّي أوضاع فئة الكراغلة في الجزائر بصفة عامة خلال العهد العثماني، وقد نشر هذا المقال في المجلة الإفريقية تحت عنوان:

Le problème Kouloughli dans la régence d Alger

كما اعتمدنا على كتاب ويلسون استرهازي الذي ورد فيها ما يتعلق بتلمسان عند الحديث عن بايلك الغرب

Walsin esterhazy, domination turque dans l'ancienne régence d'alger

6. الرسائل والأطروحات :

رغم أنّ الموضوع جديد ولم يَسبق التّطرق إليه من قبل الباحثين في رسائلهم العلميّة المناقشة سابقا، إلّا أنّ هناك أجزاء منه تمّ التّطرق إليها من قبل الباحثين على غرار أطروحة الدّكتوراه لمحمد بوشنافي، الموسومةبـ: "القَضاء والقُضاة في الجزائر خلال العهد العثماني"(10هـ-13/16-19م)، حيث أبان لنا الباحث وأفادنا عن نظام القضاء وهيكلته، فضلا عن تراتيبه الإداريّة في إيّالة الجزائر.

بالإضافة إلى دراسة قيداري قويدر، "كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي (ق17م)، – دراسة وتحقيق– ج1"، قدّم لنا فيها المؤلّف معلومات قيّمة لاسيما في تلمسان ونواحيها خاصّة في القرم (17)، إذ أورد لنا جوانبا من المظاهر العُمرانية والحضارية فيها، إضافة إلى الجوانب الاجتماعيّة من آفات اجتماعيّة وثورات شعبيّة، وأدوار إصلاحيّة قام بها المؤلّف، ناهيك عن بعض الحركة العلميّة والفكريّة بتلمسان ونواحيها بالتّطرق إلى علمائها ومظاهر التلاقح الفكري بين مُختلف الحواضر الأخرى.

جميلة مشري، "الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات (1671-1830)"، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2017-2018.

ومن الدّراسات الأكاديميّة أيضا مذكرة الباحثة الواليش فتيحة الموسومة بـ: "الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر"، التي زوّدتنا فيها الباحثة عن الحياة الحضارية في تلمسان ونواحيها، فضلا عن الواقع

الإقتصادي وأنشطته في هذه الحاضرة، إضافة للتركيبة الاجتماعية وطبقاتها داخل المجتمع التّلمساني والعلاقات التي سادت داخله، كما بيّنت لنا هذه الدّراسة طبيعة النّسيج العُمراني والنشاط الثقافي والفكري في تلمسان ونواحيها.

7. المقالات العلمية والمجلات والملتقيات :

مثل كل البحوث العلميّة لم تخلُ دراستنا من الإعتماد على مقالات سابقة مقدّمة من مُختّصين سواء في مجلاّت علميّة صادرة عن مخابر علميّة على غرار دراسة الدّكتور بلبروات بن عتو "أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني"، وهي دراسة مُستفيضة، قدّم لنا فيها الباحث مادّة دسمة، إذ أفادنا عن الواقع الإداري والسيّاسي في تلمسان، وكذا النشاط الثقافي والفكري، فضلاً عن إبراز المكانة العمُرانية لها. كذلك دراسة عبد الرحمن بالأعرج، الموسومة بـ: "الحياة الثقافية في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني" وهي دراسة قيّمة أشار فيها الباحث إلى الزخم الحضاري في منطقة تلمسان بمؤسّساتها العلمية، وعلمائها، ومراحل التّعلم فيها من خلال التطرّق إلى برامجها وأساليبها.

وهناك دراسة أخرى استعنت بها وأفادتني كثيرًا للباحث بوشنافي محمد الموسومة بـ: " مَوقف عُلماء تلمسان من التّواجد العُثماني في الجزائر" إذ زوّدنا الباحث بمجموعة من المعلومات القيّمة عن الجانب العلمي في مدينة تلمسان، أفرد لنا فيها نماذج من العلماء التلمسانيين الذين أيّدوا وجودهم في الجزائر وآخرين رفضوا وهاجروا نظير مواقفهم الرّافضة للسّلطة الجديدة.

صعوبات البحث :

كما تجدر الإشارة إلى أنّنا واجهتنا ونحن في خضم مُباشرتنا لدراسة الموضوع العديد من الصّعوبات والعقبات لعلّ من أبرزها:

ـ تزامنت الدّراسة مع انتشار جائحة كورونا "فيروس كوفيد 19 " الذي غزا العالم وعطّل حركة التنقل وغلق المجال الجوّي والبرّي في بداية البحث عن المادّة المصدرية ، كما تسبب في غلق المكتبات ومراكز البحث العلمي ما جعلنا نعتمد على بعض العلاقات الخاصّة والمصادر المحدودة الموجودة في المكاتب الخاصّة لبعض الأساتذة والأصدقاء.

ـ صعوبة وضع خطة ثابتة للموضوع، وبالتّالي صعوبة التّقدّم في الموضوع، وعدم اتّضاح الرؤيا أمام الباحث، على اعتبار أنّ الخطّة بمثابة دليل الباحث نحو هدفهفي البحث، حيث قمنا بتغييرها عدّة مرات لتكون متوازنة معرفيا ومنهجيا.

ـ صعوبة التعامل مع المراكز الأرشيفية في الجزائر، والعراقيل الروتينية التي واجهتنا في الحصول على الوثائق الأرشيفية رغم وجود مادة خام هامّة منها، والتي لم يسمح لنا بالاطّلاع عليها بدعوى عدم تصنيفها، أو عدم وجود متخصّصين في مجال الأرشيف، وأخرى غير مُرتبة ومهملة ما حرمنا من الوصول إلى وثائق وصور مهمّة تخدم الدّراسة. إذ أنّ الوثيقة

التّاريخية ورغم أنّها تُعدّ مصدرا أوليا للدّراسة التّاريخية، إلاّ أنّها لا تغطي جميع جوانبها، أو بالأحرى فإنّ ما يحمله مضمون الوثيقة، قد لايتماشى تماما، مع مايهدف إليه الباحث في دراسته.

كما أشير إلى طبيعة الموضوع في حدّ ذاته، ووجود صعوبات وعراقيل شخصيّة إن صحّ القول، ما تعلّق بالجانب الأكايمي، حيث راودني تغيير عُنوان الأطروحة أكثر من مرّة، ما تسبب في هدر مَزيدٍ من الوقت، هذا كلّه كان له انعكاسات سلبيّة على الجانب النّفسي والمعنوي لدي.

ختاما، نعتقد جازمين بأنّ الإحاطة بتفاصيل هذا الموضوع أكبر من أن يلم بها ملم أو يحصيها حاص، فهي لكثرثها وتنوّعها وغنى مجالاتها وتوسّع مراميها، بفعل المتغيّرات المؤثرّة فيها، تحتاج إلى جهد جهيد واهتمام كبير، كون هذه الدّراسة ليست كاملة وذات شمولية مُطلقة لأنّ الكمال لله وحده، وإنّما هي لبنة جديدة أضيفت إلى دراسات سابقة، أكثر توسعًا في الموضوع، الذي تبقى جوانب كبيرة منه في الظّل، خاصّة في ظل غياب أرشيف دقيق حول مدينة تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني وما شهدته من تطوّرات سيّاسيّة اقتصاديّة اجتماعيّة، ثقافيّة وعمليّة، خاصة وأنّ المدينة كانت إحدى الحواضر الهامّة منذ عهود غابرة ما جعلها تكتسب مكانة هامّة لدى كل من وفد إليها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

فلاوسن– ولاية تلمسان في 2023/04/07.

الفصل التمهيدي

منطقة تلمسان قراءة في المجالين الجغرافي والتّاريخي قبل القرن 16م

أولا: المجال الجغرافي لمنطقة تلمسان

1. أصل التسمية
2. الإطار الجغرافي

ثانيا: التطوّر التّاريخي لمنطقة تلمسان

1. مدينة تلمسان
2. ندرومة
3. أولاد ميمون
4. بني سنوس
5. هنين

إنّ الحديث عن تلمسان ونواحيها بأبعادها السيّاسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والثقافيّة، يستوجب منّا الحديث قبل ذلك عن الإطار الجُغرافي المحتضن لهذه الأبعاد المُختلفة، وعن تراكماته التّاريخيّة، التي ساهمت بشكلّ فعّال في جعل مدينة تلمسان ونواحيها على درجة عاليّة من الأهميّة الاستراتيجية، والمكانة السيّاسيّة والإقتصاديّة والعلميّة، بين أقطار العالم الإسلامي، رغم التّقلّبات التي عرفتها ولاتزال تعرفها هذه المدينة.

أولا: المجال الجغرافي لمنطقة تلمسان

1. أصل التسمية (تلمسان و نواحيها):

1. 1 تلمسان:

تُعرف تلمسان بماضيها التّاريخي منذ نشأتها في القديم، اكتسبته من موقعها الجُغرافي الممتاز، ومن كونها عاصمة المغرب الأوسط لأكثر من ثلاثة قرون، ازدهرت خلالها الحضارة العربيّة الاسلاميّة بها، وقد اتّخذت عبر مراحها التاريخيّة عدّة أسماء منها: أغادير، بُومَاريَا، تِلِمْسَان، إلاّ أننا غير متأكدين ترتيبها الزمني، لأن الأثريّين لم يتوصّلوا إلى اكتشاف نقوش أسماء قبل اسم بُومَاريَا ولهذا يعدّ الإسم الرّوماني أقدم من غيره عند الكثير من الباحثين[1].

وهذا لا يعني أنّ الرومان هم أوّل من سكنوا المدينة، بل استقرّ فيها الانسان القديم في مغاراتها وكهوفها، وهذا ما دلّت عليه أدوات الإنسان القديم[2]، ومن مظاهرها ذلك سور المدينة الذي أملته طوبوغرافية المكان، وتتخلّل تلك الأسوار أبراج للمراقبة[3] خاصة في الجهة الشمالية المطلة على البساتين وعلى طرق المواصلات القديمة التي توصل إلى ألطافا ALTAVA –أولاد ميمون اليوم– وشمالا إلى سيغا وغربا إلى نوميروس–سيروروم Numerus Syrorym –مغنية، وتبقى تلمسان شرقا بدون أسوار أو أبراج مراقبة لأنها محميّة طبيعيًا بهضبة لا لة ستي.

---

[1] – شرقي الرزقي، **الآثار الإسلامية بتلمسان**، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص ص 11-13

[2] – عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 89؛ ينظر أيضا: مبارك بوطارن، " **مدينة تلمسان عوامل نشأتها ومراحل تطوّرها**" ، **مجلّة المبرز**، العدد 10، تصدرها المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 1998، ص 100

[3]– حسين رحوي، **العلاقة بين النسيج العمراني والفضاء الاجتماعي، الثقافي في المدينة العربية الإسلامية مدينة تلمسان العتيقة نموذجا**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بقايد تلمسان، 2001، ص 72.

فإسم بُومَاريَا يعني باللّغة اللّاتينية، الرّياض الجميلة[1]، وهذا يدلّ عل الموقع الاستراتيجي الذي تمتعت به المدينة.

أمّا فيما يتعلق باسم تِلِمْسَان فهي كلمة بربريّة "تلم" ومعناه " تجمع " و" سان" معناه " اثنان" ومعناهما معا تجمع اثنين: " الصحراء و التل " ،وهذا حسب ما أورده يحي بن خلدون عن شيخه أبو عبد الله الآبلي الذي كان حافظا بلسان القوم[2]، امّا أخوه عبد الرحمن فيختلف معه في التفسير ويرى أنّها تجمع بين طبيعة البر والبحر[3].

وجاء في شرح كلمة "تِلِمْسَان" عن أبي عبد الله الآبلي الذي يقول : تِلِمْسَان" وهي كلمة مركبة من "تَلْ" ومعناها: لها وشَانْ أي لها شَأْنٌ[4].

ويذهب البعض إلى كلمة "تِلْمَست"، وكلمة " تَلْمَسْت" وجمعها "تِلْمِسان" ولهما المعنى واحد وهي الأرض التي تنعم بالمياه والأعشاب[5].أمّا محمد بلغراد يرى أنّ المقصود منها : مدينة الينابيع وعلّق على ذلك بقوله: " هذا المعنى يتلاءم مع إقليم تلمسان"[6]، لذلك تُعدّ جبال " تلمسان " بمثابة خزّان كبير تتزوّع منه المياه من خلال ينابيع كثيرة لا تغيض مياهها.

---

[1] – محمد البشير شنيتي، **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1955، ص 256.

[2] – يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، ج1، الطّباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 ، ص 85؛ ينظر أيضا: يحي بوعزيز، **تلمسان**، الطباعة الشعبيّة للجيش، الجزائر، 2007 ، ص ص 15-16؛ مختار حساني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائريّة**، ج4، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 7.

[3] – عبد الرحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج7، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،2000 ص 90.

[4] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 85.

[5] – محمد الطمار، **تلمسان عبر العصور** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 13؛ ينظر أيضا: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 93.

[6] – محمد بلغراد، "**تلمسان**"، **مجلّة الأصالة**، العدد 26، الجزائر، 1975، ص 299.

2.1 ندرومة:

لقد تَباينت أقوال وأراء المؤرخين والرّحالة الجغرافيون حول أصل تَسمية مَدينة "ندرومة" واشتقاقها وتاريخ تأسيسها، إذ أنّهم لم يَجتمعوا على رأي بخصوص تاريخ إنشاء هذه المدينة وبِداية ظهور التّجمعات الحضريّة بها، وكذا ظروف الاستقرار العُمراني بها.

فيرجع الحسن الوزان أصل تسميّتها إلى الفترة الرومانية ببلاد المغرب، ذلك أنّ الرومان أسّسوها قديمًا عندما بسطوا سيطرتهم... ويضيف قائلا: أنّ الرّومان اختاروا لها نفس الموقع مع نفس التصميم لمدينة روما[1]، ويُضيف أيضاإلى أنّ إسمها مُشتق من كلمة "ند" التي تعني يُساوي، نفس الشيء أو يُشابه أي ندرومة مثل روما[2]؛ أمّا الأستاذ "عبد الحميد حاجيات" فله رأي آخر ذلك أنّ المُشكل قائم حول هذا الطّرح، لأنّ مدينة ندرومة كانت بعيدة كلّ البعد عن روما وحضارتها، فضلا عن أنّه لم يُعتر في المدينة هن آثار رومانيّة لها[3].

غير أن الإسم الحقيقي لمدينة ندرومة يَستدّل ممّا ورده ابن خلدون في حديثه عن قبيلة كوميّة، إذ يقول: "... لهم ثلاثة بطون منها تفرّعت شعوبهم وقبائلهم، وهي: ندرومة وصغارة وبني يلول...،" ويُضيف أنّ مَواطن كومية كانت بالمغرب الأوسط في المناطق السّاحليّة بنواحي أرشكول وتلمسان[4].

3.1 أولاد ميمون:

أطلق عليها اسم حجار روم لأنها تحتفظ في مساحة شاسعة بالحجارة الرومانية لم يبقَ أي مبنى قائم، ولكن من السّهل أن يكتشف المرء محيط بعض المنازل وكذلك مكان الجدران المحيطة بها ، والتي تتميز بتراكم أكبر للحطام وحجارة مقطوعة تشكل حواف مرتبة في خطوط مستقيمة. أول ما يلفت انتباهك في حجار الروم هو حشد من

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983 ،ص ص 13- 14.

[2] نفسه ،ص 14.

[3] عبد الحميد حاجيات، **مُحاضرة تطوّر مدينة ندرومة في عهد بني زيّان**، الجمعية الموحدية، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، (د.ت)، ص 95.

[4] عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 257.

الحجارة المحفورة الممدودة ، التي تبقى منتصبة بين الأنقاض. يبلغ ارتفاعها من متر إلى مترين ونصف ؛ قاعدتهم مدفونة في الأرض ، وهذا ما يفسر كيف أنهم ما زالوا قائمين ، عندما دمرت ويلات الزمن كل البقية، من الواضح أن عدة مجموعات من هذه الأحجار ، الموضوعة اثنين في اثنين ، واحدة بالقرب من الأخرى ، هي عواميد للأبواب[1].

كما أن منطقة حجار الروم (أولاد ميمون) تقع في موقع يسمح بمراقبة معظم قبائل المنطقة، وتقطع على الطريق يؤدي إلى الصحراء، فيها المياه بكميات كافية ، والمساحات غير المشجرة ، حيث تجد القطعان مكانًا صغيرًا وحيث يمكن للحرث أن يزرع[2] .

4.1 بني سنوس:

أصل كلمة "بني" هي "بن" وفي اللغة العربية "ابن"، وفي مقابل اللغة الأمازيغية "ايت" واسم بني سنوس مشتق من كلمة بربرية " سنوس" أو " اسبونس " والتي تعني صغير الحمار او الجحش، وهذا الاخير هو الوسيلة المريحة للتنقل في المنطقة، وكان حيوانا أليفا ومستغال بكثرة في شمال افريقيا، ولهذه الأهمية يُحرّم قتله أو تعذيبه، وتُقام له احتفالات خاصة به ، (يستعمل في ايراد)، ومن هنا جاءت التسمية البربرية Ayt– asnus ،وقد كانت تدعى فيما مضى "سنوسا"، وبعدها الجبل الأخضر.

5.1 مدينة هنين:

هي ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب، حسب "ياقوت الحموي"(574هـ /1178م) صاحب "مُعجم البُلدان"[3]، حملت مدينة هنين عدّة أسماء مُختلفة يصعب ترتيبها زمنيّا لإنعدام المصادر والنّصوص التّاريخيّة والجغرافيّة التي تؤكّد ذلك، إذ كانت تُسمّى قديمًا باسم جيبساريا (GYPSARIA)، وجاءت هذه التّسمية على علاقتها بمادة الجبس التي تزخر بها قمم جبالها، هذا حسب الباحث مكارتي حيث يخبرنا في المجلّة الإفريقيّة "...أنّ

---

[1] Félix Jacquot , **Expédition de Général Cavaignac dans le Sahara Algérien**, Ed, Gide et j.baudry libraires, paris, 1849, p20.

[2] Ibid , pp19, 20.

[3] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، **معجم البُلدان**، المجلد5، دار صادر، بيروت، 1977، ص 419.

مكان تواجد جيبساريا هو مرسى هناي، حيث يوجد بالقرب منه كمّيات هائلة من الجبس"[1]، عرفت بعد ذلك بعدّة تسميّات مثل: ارتي سيقا (Arti Siga) بمعنى الطريق المؤديّة إلى سيقا، وشهدت أيضا تسمية "أَهْنَايْ"، وَ "هْنَايْ"، في حين تعلّق اسم المدينة الذي هو موجود إلى يومنا هذا " هُنَيْنْ" بمنطوق سكّانها، وهي كلمة بربرية تعني" المنظر". وقد ورد هذا الإسم عند العديد من المؤرّخين والجغرافين، نذكر الحسن الوزان الذي قال فيها: " هنين مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، وهي أنيقة صينة للغاية"[2]، وفي موضع يذكر فيها "...، ومن الوردانية إلى حصن هُنين أربعة أميال وهو على مرسى جيّد مقصود وهو أكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين وضروب..."[3]

2. الإطار الجغرافي للمنطقة

1.2 مدينة تلمسان:

تقع مدينة تلمسان في الشمال الغربي من المغرب الأوسط، ترتفع عن سطح البحر بنحو 830م وتحيط بها الجبال والهضبات الصخريّة من الجهة الجنوبية، أمّا من النّاحية الشمالية فيشرف عليها سهل الحنايا الخصيب، الذي يلقي غربا بسهل لالة مغنيّة[4].

---

[1] McCarthy, **Algerie romaine RA**, II journal des travaux de la societe algeriennes 1856-1962.P 180.

[2] الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 15.

[3] أبي عُبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلاميّة، القاهرة،(د.ت)، ص 80.

[4] – ابن حوقل النصيبي (أبو القاسم)، **صورة الأرض** ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 77.

تبعد المدينة عن البحر وتَفصلها عن السلاسل الجبليّة المعروفة بسبعة شيوخ[1] وترارة[2]، تتميز بموقع استراتيجي، حيث تقع على ملتقى الطّرق الرئيسية الرّابطة بين الشرق والغرب من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى[3] ، ممّا جعلها تفتح أبوابها لتجارة أوروبا وتجارة المغرب والمشرق[4]، هذا جعلها نقطة جذب اقتصاديّ بأن أصبحت منطقة عبور القوافل الوافدة إليها، خاصّة من إفريقيا السّواحلية.

2.2 ندرومة :

تقع مدينة ندرومة في منطقة جبليّة على بعد 60كلم إلى الشمال الغربي من تلمسان ، غير بعيدة سفح جبل فلاوسن[5]، وهي تمتد على منحدرات هذا الجبل على الرتفاع يتراوح مابين 360م و470م[6]، تُقابل المدينة البحر

---

[1] – سبعة شيوخ: هي منطقة جبلية، تقع في الشمال الشرقي لولاية تلمسان، ضمن دائرة الرمشي، تُعرف بهذا الإسم حاليا، بعد أن عرفت قبلها عدّ تسميات أشهرها " الجبل الأخضر"، "مديونة"، أخدت الكلمة الحالية " سبعة شيوخ " تبركا بأوليائها الصالحين المتفقهين، الذين استشهدوا بها أثناء حرب الروم، أبناء الصيار عبد الجليل ابن أحمد العالم العلاّمة البحر، وهم: سيدي محمد السني، سيدي لحسن، سيدي بومدين، سيدي يوسف، سيدي سليمان، سيدي أبو سلطان مول النخلة، سيدي هنان الكبير، للمزيد من التفاضيل يُنظر إلى: فاطمة الزهراء نجراوي، **الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة– مقاربة لغوية تطزرية (منطقة تلمسان أنموذجا)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، قسم التاريخ، جامعة تلمسان ،2017–2018، ص ص 133– 134.

[2] – عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة المرينيّة بتلمسان**، ط1، زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص 13؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1 ، ص 87.

[3] – الحاج بن رمضان شاوش، **باقة السّوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، د. م . ج، الجزائر، 1955، ص 15 ؛ ينظر أيضا: عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 13.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 87 .

[5]– جبل فلاوسن، هو جبل مرتفع جدّا، شديد البرودة، يقع على بعد نحو ثماني كلومترات من ندرومة، ينظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق،ج2، ص 43؛ ينظر أيضا: أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، المؤسسّة المصريّة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1913،ص 174.

[6] – Gilbert Grand Gullaume, **Nedroma**, **l` evolution d`une M`edina**, Leiden,Brill,1976,p75.

الأبيض المتوسط، وتبعد عنه على خط مستقيم بستّة كيلومترات ومتّصلة عن طريق شاطئ سيدي يوشع وميناء الغزوات[1].

واستنادًا إلى الفكرة السّابقة، فالمدينة تقع فوق هضبة وفي منطقة جبليّة، تتكوّن من ثلاث سلاسل موازيّة للبحر ذات أشكال مخروطيّة تشترك في الحدود عند السّاحل وهي تُشكّل امتدادًا طبيعيا لجبال ترارة[2]، كما تعتبر ندرومة مركز هذه المنطقة وقد اتّخذت كلّ قبيلة مكانا محدّدا في جبالها من خلال منحدرات وعرة يَصعب الولوج إليها أو الوصول إلى مضاربها، حيث تبدو كما لو كانت حصنا منيعًا أو قلعة[3].

فالبرّغم من أنّ منطقة ترارة وندرومة منطقتين جبليتين فإنّهما ساعدتا على التمركز الإنساني يهما وهذا راجع إلى الموقع الطبيعي والاستراتيجي ووفرة المياه، ممّا سهّل وجود ثروة فلاحية[4] .

3.2 أولاد ميمون:

تقع هضبة حجار روم بالقرب من الطرف الشمالي الشرقي لجبال تلمسان ،فهي تهيمن على السهل الشمالي من عين يسر ، تحتلها مدينة ألتافة القديمة (أولاد ميمون) ، ويحدها من الشرق والجنوب جبل بو عشة[5] ، ومن

---

[1]- أنيسة بركات، **محاضرات ودراسات تاريخيّة وأدبيّة**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995، 174.

[2]- ترارة: مرتفع ترارة أو طرارة هو سلسلة جبليّة تقع في أقصى الشمال الغربي لمدينة تلمسان، يحدّها شمالا البحر الأبيض المتوسط والجزء الجنوبي وادي تافنة، وهي جبال وعرة يسكنها البربر، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: مارمول كربخال، **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، الجمعية المغربيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، 1989، ص 352.

[3] - Canal Jeorge: "**monographie de Tlemcen**", bulletin de la Société d'archéologie d'Oran, 1888, p 83

[4]- الشريف الإدريسي، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تح: محمد حاج صادق، باريس، 1993، ص 190.

[5] Jean Marcillet Jaubert : **Les Inscriptions D'Altava**, Aix en Provence, 1968, P9

الغرب أول نهر صغير يحدها هو وادي الشولي ، وهو أحد روافد نهر يسر ، والذي يساهم بدوره في تكوين تافنة[1] ، ومن الشمال منخفض الغور الذي يمر عبره وادي خلفون[2].

4.2 بني سنوس :

تبوأت منطقة بني سنوس موقعا جُغرافيا ممتازا، ساهم بشكل واسع وكبير في إنتعاش الحياة الاجتماعية والاقتصادية بها، تقع بني سنوس على بعد 35 كلم من الشمال الغربي مدينة سبدو، والجنوب الغربي لمدينة تلمسان، تبعد عنها حوالي 45كلم، وهي تشغل حوضا واسعا من أعالي وادي تافنة المحصور بني جبال عالية، والتلاحم مع وادي الخميس الذي ينبع من جبال المشاميش الواقع على الحدود المغربية. يحدّها غربا بني بوسعيد، ومن الشمال منطقة بني هديل، و سيدي مجاهد، ومن الشرق أولاد نهار، وسبدو [3].

تضم ثلاث بلديات وهي بلدية العزايل، بلدية بني بحدل، بلدية بني سنوس، وتضم مجموعة من القرى وهي تافسرة، ثلاثا، زهرة، بني بحدل، الكاف، الخميس، الفحص، بني عشير، بني زيداز، مزوغن، مازر، القصبة، أولاد موسى، وأولاد عربي.[4]

5.2 هنيــن:

تتميّز مدينة هُنين بموقعها الجغرافي الهام بين الصخور،التي تحمي السُّفن الرّاسية فيه من الرياح والأمواج[5]، فهي تقع بين سلاسل جبال ترارة، المعروفة بمسالكها الوعرة وقمم جبالها الشاهقة الارتفاع، الواقعة على سفح جبل المنزل

---

[1] Félix Jacquot, op, cit , p19

[2] Jean Marcillet Jaubert, op, cit, p9.

[3] عبد الكريم بن عيسى، **الملامح المسرحية في احتفالية ايراد بمنطقة بني سنوس**، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2002، ص 39.

[4]- بلدية بني سنوس، مكتب البناء والتعمير،2021/03/17، 14 سا و45 د.

[5]- عبد القادر فكاير، **الغزو الإسباني للسّواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792)**، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012،ص 208.

الذي تُحيط به جنوبا، ويمرّ عليها واديان هما واد هنين من الجهة الشرقية، وواد مسايب (واد ريغو) من الجهة الغربية، تبعد عن مدينة تلمسان حوالي 60 كلم[1].

ثانيا: التطّور التاريخي لمدينة تلمسان ونواحيها

1. مدينة تلمسان:

1.1 قبل العهد الإسلامي:

عرفت تلمسان قديما باسم " أقادير" ذي الأصول الفنيقية الذي يتقاطع دلاليّا مع نظيره البربريّ الذي معناه " مدينة الينابيع" ويربو عليه من جهة كونه يتضمّن معنى الجرف أو الهضبة، ويجمع المؤرخون على أنّ " أقادير" كانت نواة هذه المدينة، وقد اختطّها " بنو يفرن" الزّناتيون في عصور قديمة. ولمّا استتب الأمر فيها للرومان سمّوها " بوماريا"، التي تعني في اللغة اللاّتينيّة "الريّاض"،[2] وجعلوا منها أهمّ معاقلهم وحصونهم التي منها يصدّون غارات الأهالي وهجماتهم على قوافلهم، فبرزت بذلك الأهميّة لهذه المدينة من النّاحية العسكريّة والاقتصاديّة[3]، ومن جهة أخرى، فالمجال الروماني بتلمسان تكوّن من وحدات عُمرانية حضرية وريفية منعزلة عن بعضها، لكنها مرتبطة مع بعضها البعض بحرا وبرا بواسطة شبكة من الطرق، فقد أسّسوا المدن والمراكز للمراقبة بعد اختبارهم للمواقع الاستراتيجية للإقامة البشرية، مراعين في ذلك الأراضي الخصبة وطرق المواصلات، وتواجد المياه.[4]

وأدّت بذلك دورًا كبيرًا إلى أن قضى على نُفودهم " الوندال"، أين انكمش دورها كحال سائر المدن الكُبرى بالشّمال الإفريقي، وعرفت من بعدهم نوعا من الانتعاش على عهد "البيزنطيين"، إلاّ أنّها لم تدحل التّاريخ من بابه الواسع، ولم تنل حظّا من رسم أحداثه المهمّة، إلاّ بعد أن افتتحها المسلمون.

---

[1] Abderahmne khalifa, **Honaine a travers ses movement catalogue national sur Honaine passe et present**,(univ oran, fevrrier 1985),p 16.

[2] –محمد البشير شنيتي ، المرجع السابق، ج1، ص 256.

[3] – جورج مارسي، **مُدن الفن الشهير تلمسان**، ترجمة: سعيد دحماني، دار النشر البليدة ، الجزائر، 2004، ص 7.

[4]– محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ج1، ص ص 60-61.

2.1 خلال العهد الإسلامي :

مع توسّع الفتوحات الاسلاميّة في المغرب فُتِحت تلمسان على أبي المهاجر دينر، الذي يُمثّل أوّل أمير للمسلمين الفاتحين وطئت قدماه " تلمسان "، وكان قد ولي قيادة الجيش رمن سنة 55هـ/674م ولغاية 62هـ/681محيث قضى هذا الأخير بها زمنا طويلا حفر فيها آبارا لجنوده سمّيت " عيون أبي المهاجر دينار"[1]، ولما ظهرت حركة الخوارج كانت المدينة مقرّا للخوارج[2] الصّفريّة [3]بقيادة أبي قرة اليفريني[4].

– عهد الأدارسة:

ولما بويع إدريس الأوّل[5] بالإمارة اتّجه إلى تلمسان سنة 174هـ/788م واستمال إليه الأمير محمد بن خزر بن صولات الزّناتي الّذي حمل مغراوة وبني يفرن على طاعة إدريس ومكّنه من السّيطرة على أقادير، فأقام بها أشهرا واختطّ بها مسجدا ووضع له منبرا[6] .

---

[1]– موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ط2، الجزائر، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، 1981، ص ص 37– 34

[2] **الخوارج** : هم الذين خرجوا عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في صفين بعد قبول التّحكيم وهم يكفّرون بالمعاصي ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم وتفرّع عنهم الأزارقة، الصّفريّة، الإباضيّة ...، للمزيد من التفاصيل يُنظر: محمد بن أبي بكر الشهرستاني (أبو الفتح)، **الملل والنحل** ، تح: أمير علي مهنا، علي حسن فاعود، ج1، ط3، دار المعارف، بيروت، 1993، ص ص 131– 134.

[3]– تنسب إلى عبد الله بن الصفّار والبعض يرجع نسيها إلى شخص يقال له زياد بن الأصفر، وظهرت الصّفريّة حينما خالف عبد الله بن نافع مسألة القعدة من القتال سنة 65هـ/ 684م، وقد اتخذوا موقفا وسطا بين الأزارقة والإباضية، ينظر: الشهرستاني، المصدر نفسه، ج1، ص ص 156– 157.

[4]– أبو قرة بن اليّفريني كان حيّا سنة 148هـ/ 766م وهو من قادة الصّفريّة الثّائرين على ولاّة القيروان، واليّفريني نسبة إلى قبيلة بتي يفرن وهم يفرن بن يصلتين وجدّهم الأكبر هو زانا بن يحى. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص ص 15–18.

[5]– هو إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ــرضي الله عنه ــ يويع بالإمارة سنة 172هـ/789م، وكان أوّل من بايعته قبيلة أوربة، توفي سنة 177هـ/792م بسبب سمّ دسّه له سليمان بن جرير، وكانت مدّة إمارته خمسة أعوام وسبعة أشهر؛ ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص ص 20– 21.

[6]– علي الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس** ، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، الرباط، المطبعة الملكيّة، 1991، ص 14؛ ينظر أيضا: محمّد بن معمّر، "**مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسيّة إلى تاجرارت المرابطيّة**"، **مجلّة حوليّة المؤرخ**، العدد 3–4، يصدرها المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنيّة في ثورة أوّل نوفمبر، الجزائر، 2005، ص 102.

اتّبع إدريس الثاني[1] سياسة والده حيث زار مدينة أغادير عام 199هـ/815م، وأقام بها مدّة ثلاث سنوات وعمل على تدعيم أركان دولته[2]، وبعد رحيله استخلف ابن عمّه محمّد بن سليمان[3] ليستعين به على الجهة الشرقيّة، وبعد وفاة إدريس الثاني قسّمت الدّولة بين أبنائه وبني عمّه بوصيّة من أمّه كنزة، وكانت مدينة أغادير من نصيب عيسى بن إدريس بن محمّد بن سليمان، وهذا الأمر هو الذي أضعف دولة الأدارسة، ممّا جعلها تسقط بأيدي الفاطميّين[4].

– عهد الفاطميين :

ولّى الفاطميين أمر المغرب الأقصى لموسى بن أبي العافيّة، واستمرت تابعة للفاطميّين إلى أن استعادها منهم يعلى اليفريني عام 340هـ/952م، وتمسّك بالدّعوة الأمويّة في الأندلس فعيّنه الخليفة عبد الرحمن النّاصر[5] على المغرب الأوسط ومنها: تلمسان إلاّ أنّ الفاطميين قاموا بغزو أغادير وقَتَل جوهر الصقلي[6] يعلى اليفريني، لكنّ

---

[1]– هو إدريس بن إدريس بن الحسن بن علي بن أبي طالب _رضي الله عنه_ أمّه اسمها كنزة، كان مولده سنة 177هـ/ 793م، كنيته أبو القاسم يويع بالإمارة وعمره إحدى عشر وخمسة أشهر، توفي بمدينة وليلى سنة 213هـ/ 828م. ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص 25، 27، 50.

[2]– مؤلّف مجهول، **مفاخر البربر**، تر وتح: عبد القادر بوباية، ط1 ، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر، الرباط، المغرب، 2005، 89؛ ينظر أيضا: يحي بوعزيز، "**المراحل والأدوار التّاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانيّة**"، **مجلّة الأصالة**، العدد26، الجزائر، 1975، ص 50

[3]– تنسب إمارة السّليمانين إلى سليمان بن عبد الله الكامل وهم إخوة الأدارسة تملّكوا المغرب الأوسط، وذلك أنّ سليمان لما بلغه وفاة أخيه إدريس نزل بتيهرت غير أنّه كذّبوه بانّه اخو إدريس فاشتد البحث عليه، وبذلك تيقّنت قبائل المغرب الأوسط من صدقه فنزل في تلمسان فبايعته قبائل زناتة وتملّكها وبعد وفاته خلفه ابنه محمّد بن سليمان. ينظر: محمّد بن عبد الجليل التّنسي (أبو عبد الله) ، **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان** ، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 65.

[4]– التنسي، المصدر نفسه ، ص 67؛ ينظر أيضا: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص 34.

[5]– هو أبو عبد الرحمن بن محمّد لقّبه النّاصر لدين الله، بويع بالخلافة سنة 300هـ/913م وهو أوّل من تسمّى بأمير المؤمنين. توفي سنة 350هـ/962م، ودامت خلافته خمسين سنة وستّة أشهر (50سنة و 6أشهر). ينظر : ابن عذارى المراكشي، **البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج س كولان، ليفي بروفنسال، ج2، ط3، دار الثقافة ، بيروت ، 1983، ص ص 156-157.

[6]– هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعروف بابن الكاتب من أصل روميّ وهو مولى المعزّ لدين الله أبي تميم معد العبيدي، كغيره من الأسرى والخدم، اتّصل ببلاط الفاطميين واستطاع أن يفرض نفسه. كما قام بأعمال عمرانيّة كبناء القاهرة والجامع الأزهر ت 381هـ / 993م. ينظر: عماد الدّين بن كثير (أبو الفدا) ، **البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج15، دار هجر للطّباعة والنشر،

السّلطة عادت إلى بلاد المغرب الأوسط لقبيلة مغراوة، بزعامة محمّد بن خزر فواجه هذا الأخير مدّة طويلة أمراء صنهاجة الذي قُتِل في إحداها إلى أن عادت من جديد إلى المغراويين حيث استولى عليها زيري بن عطية، والتي استمرت إلى قيام المرابطين [1].

-عهد المرابطين :

بعد رحيل الفاطميين إلى عاصمتهم الجديدة (القاهرة) انقسمت بلاد المغرب إلى ثلاثة كيانات سياسية، الزيريون بالمغرب الأدنى والحماديون بالمغرب الأوسط ، أمّا بلاد المغرب الأقصى فكانت تحت قيادة دولة ناشئة هي دولة المرابطين اللمتونيين، التي ضمّت فيما بعد الأندلس وأجزاء من المغرب الأوسط وبلاد الصحراء[2].

وتماشيًا مع ما تمّ ذكره، قيل أنّ يوسف بن تاشفين بعث قائده مزدالي لاحتلال تلمسان قاعدة بني يفرن ، ثم لحقه هو بنفسه فاحتلّها، وواصل هجوماته إلى عاصمة الجزائر، كما قيل: إن السبب في ذلك أنّه لما اشتدّت الحرب بين النّاصر الحمّادي ملك بجاية وابن عمّه تميم ملك تونس، وصادف تهديد روجار المسيحي ملك صقليّة المهدية قاعدة مملكة بني زيري إذ ذاك استنجد تميم بالملك يوسف بن تاشفين فكان هذا من أسباب مواصلته للهجوم على الجزائر، وقاومه المنصور بن الناصر وردّه إلى منطلقه بل احتلّ مدينة تلمسان لخبر يطول[3] .

القاهرة، 1977، ص ص 441-442؛ محمد صالح مرمول، **السياسة الداخليّة للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983، ص ص 201-202.

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص55؛ ينظر أيضا: عبد الحميد حاجيات، **تاريخ المغرب الأوسط السيّاسي في عهد المرابطين**، ضمن كتاب: **الجزائر في التاريخ** ، الجزائر، المؤسّسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 296.

[2]- عبد العزيز شاكي، "**ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين**"، **مجلّة الحكمة للدّراسات التاريخية**، المجلد 1، العدد1، 2013،ص 152.

[3] - سعدون عباس نصر الله، **دولة المرابطين في المغرب والأندَلس، عهد يُوسف بن تاشفين أمير المرابطين**، ط1، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص 64.

ونافلة القول، حريّ بنا أن نؤكّد، عبى ضوء ماتقدّم أنّ عهد المرابطين، امتاز في تلمسان بأنّهم هم الذين وضعوا لبنة المدينة الحالية، وشيّدوا فيها القصور والمسجد الجامع الذي لا زال من مفاخر الفن الإسلامي، ثم دالت دولتهم بعد ثورة المهدي بن تومرت، وتلميذه عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين.

– عهد عبد المؤمن بن علي الكومي[1] (الدولة الموحديّة) :

شهدت تلمسان على عصر الموحدين حضورًا متزايدًا في مجالي العلم والسياسة، فالحديث عن هذه الأخيرة في عهد عبد المؤمن بن علي الذي لا تسعه المجلّدات، وهو مبسوط في كتل التّاريخ، وإنّما اقتصرنا في هذه الدّراسة على تِبيان وذكر نبذ مراحل تلمسان عبر تاريخها، واخترنا أبرز الأحداث التي وقعت في هذا العهد الذي تميّز بتزايد التّوسع العمراني بتلمسان مع تزايد النّشاط التّجاري من جهة، وانتشار التّعريب والثّقافة العربيّة الإسلاميّة من جهة أخرى[2]:

بعد أن حاصر عبد المؤمن بن علي آخر ملك من دولة المرابطين، تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين مدّة، تمكّن من الإستلاء على وهران وتلمسان بعد قتل هذا الأخير، ولنا ف ابن خلدون مثال على ذلك حين حديثه عنهم قائلا: " **ولما غلب عبد المؤمن لمتونة، وقتل تاشفين بن علي بوهران وخربها، وخرب تلمسان بعد أن قتل الموحدون عامة أهلها، وذلك أعوام أربعين من المائة السادسة (540هـ)**[3].

كان للتّطوّر الزمني أحكامه القاسية، إذ بعد ذهاب الطبقة الأولى من ملوك الموحدين، الذين خلّد لهم التاريخ صفحات العظمة والبطولة والحزم، حيث أحيوا معالم بلاد المغرب والأندلس وشجعوا الثقافة وبعثوها من مرقدها،

---

[1]– كوميّة من قبائل زناتة التي استوطنت المغرب الأوسط، وكانت مواطنها الأول تمتد فيها من البحر المتوسط الشمال ونواحي تلمسان إلى الجنوب ، وعلى ماكنت عليه من وفرة العدد، إلاّ أنّها كانت خاملة الذكر قبل عصر الموحدين، وصارت الآنُ تدعى بقبيلة ترارة، وفي هذه القبيلة توجد مدينة هنين، المرسى الثانية لمدينة تلمسان بعد أرشقول، التي سوف يأتي الحديث عنها من خلال هذه الدّراسة. ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 149– 151.

[2] عبد الحميد حاجيّات، "**تلمسان كمركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**"، **مجلة الدّراسات التّاريخيّة**، العدد10، جامعة الجزائر، 1997، ص 183.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص83.

ولازلت آثارهم بها حجّة لمن شك في ذلك، فبعد غياب هذه الطبقة، خلف من بعدها خلف، وصف بعضه ابن خلدون فقال " ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستمائة هجريّة بعد مرجعه من غزاة العقاب بالأندلس ، وقام من بعده ابنه يوسف المستنصر..... وشغلته الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة، وتدبير الملك، فأضاع الحزم وأغفل الأمور ..." ، وبعد ضعف الحكومة الموحديّة المركزية، كان نصيب تلمسان لبني عبد الواد[1] (بني زيان)

– عهد ملوك بني زيان :

إن المتتبع لتاريخ المغرب الأوسط ،لا يمكنه فهم تلك التحولات والتطورات، التي حدثت في هذه الرقعة الجغرافية أثناء القرن 10هـ / 16م إلّا باستحضار تلك الترسبات السياسية التي وقعت لهذه المنطقة منذ نهاية دولة الموحدين [2]كما أشرنا آنفا إذ تعتبر هزيمة معركة العقاب (609هـ/16م) أهم العوامل التي أدّت إلى تفكّك الدّولة الموحديّة وتصدّع الصرح الذي شيّده عبد المؤمن بن علي ومن خلفه من كبار أمراء هذه الدّولة[3]. وعندئذ ظهر الزيّانيون، وقد عَمل يغمراسن ومن جاء بعده، على جعل دولتهم مستقلة وعاصمتها تلمسان، ولقب سلطانها بأمير المسلمين ويُختار دائما من أسرة بين زيان[4]. وقد عمّرت الدولة الزيانيّة أكثر

---

[1]– ينتمي هؤلاء الزيانيون إلى قبائل زنّاتة البربريّة الرحل في المغرب الأوسط، وقد تمكنوا من تأسيس دولة دام حكمها قرابة ثلاثة قرون ومن أبز رجالهم القائد القوي : يغمراسن بن زيان الذي تمت مبايعته أميرا على تلمسان سنة 633هـ/ وقد عرفت هذه الدولة بدولة بين عبد الواد إلى أن غيّر امسها السلطان أبو محو الثاني باسم الدولة الزيانية نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن ينظر: عثمان سعدي ، **الجزائر في التاريخ**، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، 2012، ص ص 332 –333؛ صالح فركوس ، **تاريخ الجزائر ــ من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال_المراحل الكبرى** ، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2002، ص 96.

[2]– يوسف علي بدري ،**عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط**، ط1، دار الأصالة ،الجزائر، 2010م، ص 162.

[3]– عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره**، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص11.

[4]– عثمان سعدي ، المرجع السّابق، ص 333.

من ثلاثة قرون (1236هـ/1550م) على أن فترة حياتها هذه كانت نزاعات وصراعات[1]، ومن أبرز ملوكها أبو يحي يغمراسن بن زيان بن ثابت[2]، والسلطان أبو محو موسى بن يوسف الثاني.

ولا يمكننا في هذا المقام سرد تفاصيل ومراحل القوة والضعف لهذه الدولة، بل نكتفي بالإشارة إلى أنّ التطورات التي عاشتها هذه الدولة، كانت صراعًا طويلاً ضدّ قوى مُتصارعة متطاحنة عليها تتمثّل في الأمور التالية:

- صراع الأمراء فيما بينهم على العرش والسلطة، وتدخل دولة بين مرين من الغرب والحفصيين من الشرق، ومحاولة السّيطرة عليها أو إزالتها من الوجود.
- تدخل الإسبان ولنفس الأهداف بعد أن ضعف شأن الإمارات الثلاث (الحفصية والزيانية والمرينية)
- تدخل الأتراك في النهاية إنقاذا لوجودهم بالجزائر و لقطع خط الرجعة على الإسبان وتصفية وجودهم بسواحل المغرب العربي.

2. أهم المحطات التّاريخيّة لمدينة ندرومة حتى ق 7هـ/13م:

نَدرومة مدينة تاريخية قَديمة ذات موقع استراتيجي، لا زالت حولها بقايا أثرية قدمية، وهي ذات شهرة في تاريخ المغرب الإسلامي، لكونها مَثّلت مهد تأسيس أهم دولة إسلاميّة، هي دولة الموحدين، حيث شكّل العامل الطبيعي والإطار التاريخي لهذه المدينة حيّزًا عامًّا متكاملاً ومُنسجمًا، عمل على تطوّر واستمرار الحياة الحضريّة بها.

لقد شكّل مصير مدينة ندرومة مصير تلمسان، على اعتبار أنّ تلمسان كانت قبل الفتح الاسلامي أو بعده عاصمة ومركز للمغرب الأوسط الغربي، ثم عاصمة للمغرب الأوسط منذ العهد الزيّاني، وبذلك أصبحت ندرومة في جميع تلك الأحوال تابعة لها، واحدى مُدنها الهامّة مطلع القرن 5هـ/11م[3].

---

[1]- الأغا بن عودة المزاري، **طلع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح ودر: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 155- 163.

[2]- ولد سنة (603هـ/1206م)، بعد وفاة أخيه تلقى البيعة سنة : 633هـ/ 1236م، وعرف عنه الشّهامة والشّجاعة والحكمة والدّهاء والحزم في اتّخاذ المواقف، والأخلاق الحميدة وتكريم العلماء؛ للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: عثمان سعدي، المرجع السابق، ص ص 333- 335.

[3] الطاهر الزرهوني، "**ندرومة بين الماضي والحاضر**"، **مجلة الثقافة**، العدد 99، الجزائر،1987، ص 140.

1.2 عهد الأدارسة (3هـ-4هـ/ 9-م-10م):

في هذه المرحلة كان يُطلق على ندرومة تسمية "فلاوسن"[1]، وكانت عاصمة النّواحي المجاورة لها والتي أصبحت في القرن 10م تسمى تارة[2]،حيث تقبلت هذه الأخيرة وقبائل المنطقة من مغراوة وبني يفرن الزناتية سلطة الأدارسة[3]، فانضوى تحت لوائه زعيمهم محمد بن خزر بن صولان المغراوي مع أهل تلمسان ونواحيها وقبلوا إمامته فتلقى البيعة ودخل تلمسان[4] وتقديرًا منه للمدين وسكانها شيّد لهم جامعًا صنع له منبرًا، وذلك في رجب من سنة 173 هـ 793م، وفتح للصلاة بعد سنة من ذلك في صفر 174هـ / 794م وكان على لوح المنبر نص تأسيسي مضمونه "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة 174 هـ / 794م "[5]، لتبقى مدينة ندرومة تحت هذه السيطرة، إلى أن حلّ الحكم العبيدي سنة 296هـ/909م ببلاد المغرب[6].

2.2 العهد الفاطمي والحمادي: (ق 4هـ- 8هـ/9م- 14م):

شكّل ظهور الدّعوة الشيعيّة في بلاد المغرب التي أثمرت عن تأسيس الدولة العبيدية ، من خلال القضاء على الدّول التي كانت قائمة ببلاد المغرب الإسلامي أنداك وهي: الدولة الأغلبية في إفريقية والدولة الرستمية في تيهرت وذلك في حدود سنة 296هـ/ 908م، ولقد ركّز الفاطميون على المناطق الغربية للمغرب الأوسط وكذلك المغرب الأقصى، وكانت تلك المناطق خاضعة للأدارسة، فضلًا عن مناطق مستقلّة لبعض قبائل زناتة، لكن أهالي تلمسان وما جاورها رفضوا مُبايعة الفاطميين، ولتحقيق التوسع الشّيعي على تلك المنطقة ونواحيها، عمد العُبيديون على جعل تيهرت قاعدة عسكرية لهم، تستريح فيها جيوشهم القادمة من إفريقية، وكانت جهود العبيديين تتعارض مع سياسة أمويي الأندلس الذين كانوا يخشون التَّوسع العبيدي وامتداده إلى المغرب الأقصى، ممّا يُهدد مصالحهم فيه،

---

[1] اليعقوبي ابن واضح، **كتاب البلدان**، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص 196

[2] انيسة بركات، المرجع السابق،ص312.

[3] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: أبو صهيب الكرمي، ، بيت الأفكار الدولية،الأردن، (د.ت)، ص 133.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص24.

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 7 -8.

[6] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 100

كما يُهدد دولتهم، لذلك وقفوا موقفًا حادا وقويًّا وألبوا قبائل المغرب ومنطقة تلمسان ونواحيها ضدهم وأمدوهم بالأموال والسلاح، فعاشت هذه المناطق في فوضى وصراع محلي دائم ومستمرا بين القبائل ونواحي المنطقة يحرك خيوطه الفاطميون وأمويو الأندلس[1] .

وفي ظلّ تسارع هذه الأحداث وأخرى، لم يستقم الأمر للفاطميين ولا للأمويين في تلمسان بفضل قبيلتي بني يفرن ومغراوة، ليتم بعد ذلك ضم تلمسان إلى المملكة العبيدية سنة 347هـ/958م[2]. وعندما حل الزيريون والحماديون محل الفاطميين بعد انتقالهم إلى مصر، وضع الحماديون أيديهم على بلاد المغرب الأوسط، ويبدو أنّ مدينة ندرومة ونواحيها كان يلحقها ما كان يلحق تلمسان من سيطرة والاستيلاء، فقد عانت المدينة من جوّ الصراع الحمادي الزناتي وخاصة في عهد حماد، ليمتد زحف الهلاليين وقبائل المعقل في أواسط (ق 5هـ/11م)، نحو مدن المغرب الأوسط. وعاثوا في أرضه فسادًا، ليظهر نجم المرابطين على واقع الأحداث السياسيّة في نهاية الربع الثالث من (ق 5-/11م).

3.2 العهد المرابطي (ما بين ق 5هـ/11م):

وتمتشيًا مع ما تمّ ذكره، فقد وصل المرابطون إلى تلمسان سنة (472هـ / 1079م)، في حملة وجّه فيها يوسف بن تاشفين قائده مزدلي المتوفي للسّيطرة عليها، ولكن عمله لم يُكلّل بالنّجاح التام ليعود إليها يوسف ابن تاشفين بنفسه في العام الموالي سنة 473هـ/ 1080م، وهذه المرة وقعت تلمسان "أغادير" تحت الحكم المرابطي، ليتوجه الجيش المرابطي فيما بعد إلى وهران وتنس، جبال الونشريس ووصل إلى الجزائر، وانعكفى راجعا إلى المغرب[3].

وممّا تجدر الإشارة إليه، أنّ دخول تلمسان تحت حكم المرابطين سبقه دخول ندرومة ونواحيها والمناطق الممتدة حولها في حكمهم، ويبدو أن يوسف بن تاشفين وجد مناصرين له في ندرومة، كما وجد المدينة على درجة من

---

[1] عبد العزيز الفيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، دت، ص 132.

[2] رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية، تاريخَها وحَضارتها**، د. م. ج، الجزائر، 1977، ص11.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص ص 62،75.

الأهمية جعلته يوليها عناية ببناء جامع لها تحت إشراف قاضيه على سبتة أبو محمد عبد الله بن سعيد[1] وهو الاسم الذي تذكره كتابة الكوفي محفورة في لوحة عبارة عن مسند الإمام في منبر الجامع، وهي موضة حاليا بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر[2]، والواقع أن المرابطين قاموا ببناء جوامع في كل المدن الهامّة بالمغرب وسط فقد فعلوا ذلك في الجزائر وفي تلمسان ويبدو أن ندرومة كانت اهمية كبيرة بدورها فحباها المرابطون ببناء ذلك الجامع[3]. وقد ظلّت ندرومة تحت ظل الدولة المرابطية تنمو وتتطور حتى سقوطها وقيّام الدولة الموحدية.

4.2 العهد الموحدي (6هـ/12م):

إنّ قيام الدولة الموحدية واستقرارها وتوسعها في مدينة ندرومة يَعود بالأساس إلى عبد المؤمن ابن علي الكُومي النّدرومي ، فقد أدّى أدوارًا كبيرة في تنظيمها وإعلاء شأنها، بالإضافة إلى قبيلته التي كانت لها دورا أساسيا في الصراع الموحدي المرابطي، وكانت موجّة لمناصرة والوقوف إلى جانب الموحدين في مواجهة المرابطين بعصبيتها، وبفضلها تمكن عبد المؤمن من إحراز انتصارات عسكرية وسياسية كبيرة على خصومه من القبائل والمرابطين"[4].

لقد انطوت مدينة ندرومة ونواحيها إلى لوائه ودخلت تحت طاعته، قبل تلمسان نفسها[5]، كما وجد في سكانها موردا بشريًا قويا ألحقه بجيوشه، وإدارة دولته، وخاصة بعد أن استخلص الحكم لأسرته من يد المصامدة، وبث منهم عدد كبير بين علماء المصامدة وأذكيائهم وفطنائهم، يتلقون العلم ويحصلون على المعارف، والفنون [6]. وظلّت مدينة ندرومة على أنقاض المُوحدين مركز إشعاع ثقافي وحضاري في ذلك وقامت بأدوار بارزة إلى أن قامت دولة بني زيّان[7].

---

[1] Rachid bourouiba, **L'art religieux musulman en Algérie**, Alger, S.N.E.D, 1973, pp 72, 74 .

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص ص 380-381.

[3] Rachid bourouiba, op.cit, pp72,74.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 166.

[5]- نفس المصدر، ج7، ص 97.

[6]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص201- 202.

[7]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ص 696.

5.2 ندرومة تحت حكم بني زيّان إلى السّيطرة العثمانيّة:

تتميّز مدينة ندرومة بخاصيّة تاريخيّة، جَعل لها موقفًا تاريخيًا من الأحداث التي وقعت في بلاد المغرب الإسلامي عمومًا، وخصوصًا في العهد الزيّاني، بحيث لم تمنح ولائها بِسهولة. أين تعرضت هذه المدينة في سنة 627هـ/ 1229م إلى مُحاصرة من طرف جابر بن يوسف العبد الوادي، الذي ضرب حَولها حصارًا شديدًا، يُقلتها خارج أوارها وهي ممتنعة عليه، لأنّها رفضت مُبايعته، ولم تَخضع له[1].

واستمرّت مدينة ندرومة متمتّعة باستقلالها في تلك الأثناء، إلى أن مال نجم الدّولة الموحدية إلى الأفول، وتعرّضت إلى هجومات وفتن وصراعات[2]. ومن المُتعارف عليه، أنّه وبعد أن استقرّت أحوال المدينة في عهد "يغمراسن ابن زيّان" (633هـ-1235م/681هـ- 1283م)، التزمت المدينة طاعته طيلة حُكمه، بالرّغم ممّا كان يُصيبها على يدِبني مَرين، فالنّصوص التّاريخيّة لا تُشير إلى أي اضطراب وقع فيها أو انحياز لها على تلمسان بَلِ التّحالف مع يُغمراسن ضدّ أعدائه[3]، وذلك إذا ما استثنينا تلك الفترات التي يشتدّ فيها الصّراع بين الطرفين ويتقدّم فيها بنو مرين نحو تلمسان لحصارها، فقد شهدت عدّة حملات منهم أهمّها حملات أبو يعقوب يوسف المريني (689هـ-1290م/706هـ/1306م)، وحملة أبي الحسن المريني (775هـ/1335م)[4]

وتماشيًا مع ما تمّ ذكره، وفي ظل الظروف التي آلت إليها الدّولة الزيانية منذ القرن السادس عشر الميلادي، سيّاسيّا وعسكريّا، خاصّة وأنّ هذه المدينة شهدت تنافسًا بين العثمانيين والسّعديين على تلمسان ونواحيها ومنها ندرومة ومنطقة ترارة، وعلى ضوء ما تقدّم عانت ندرومة ونواحيها من جوّ هذا الصّراع، فالأشراف السّعديين كانوا يُحاولون تجنيد أبناء المنطقة الواقعة غرب تلمسان إلى جانبهم ويعملون على إلحاقها بِهم[5].

---

[1] – محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص 83.

[2] –أنيسة بركات، المرجع السّابق، ص 314.

[3] – منصورية قدور، **ندرومة دراسة تاريخيّة وحضاريّة بين القرنين السّابع والعاشر الهجريّة (633هـ-962/1236هـ-1554م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2011- 2012، ص 21.

[4] – محمد الطمار، المرجع السّابق، ص ص 85 – 86.

[5] – منصورية قدور ، المرجع السّابق، ص 25.

وفي السيّاق ذاته، خضعت ندرومة تمامًا عقب ذلك إلى إيّالة الجزائر ضمن بايلك الغرب، بعد أن تمّ وضع حاميّة إنكشارية للحفاظ على الأمن والاستقرار بالمدينة ومُراقبة المنطقة من السّعديين ومُتابعة تحرّكاتهم[1].

فقد شهدت خلالها بعضا أحداث التّاريخية أهمّها حملة السّلطان المغربي "مولاي الشريف" عليها وعلى وجدة سنة 1061هـ/1651م، وكذلك حملة السّلطان مولاي إسماعيل عليها سنة 1088هـ/ 1678م[2]، أين قُوبل ذلك، بحروب وحملات عسكريّة من طرف العثمانيين،[3] فانتهت برسم الحدود بين الدّولتين (إيّالة الجزائر/ الدّولة السّعديّة)، يكون فيها نهر تافنة، الحدّ الفاصل بينهما[4]، وسنأتي عن تفاصيل هذه الوقائع قي عناصر هذه الدّراسة.

3. الدّور التاريخي لمنطقة أولاد ميمون:

إن تاريخ أولاد ميمون مرتبط بنتائج الاكتشافات و اللقى الأثرية التي عثر عليها عن طريق الصدفة سواء اثناء انشاء السكة الحديدية أو محطة القطار او في سهل أولاد ميمون [5]، وتعود هذه اللقى الاثرية الى ما قبل التاريخ فقد وجدت أثار لأواني فخارية و فأس حجرية مصقولة، مغارات طبيعية مهيأة من قبل الانسان البدائي في مرتفعات الغور الواقعة غرب أولاد ميمون، وهي بذلك دليل على أنه كانت هناك حياة بشرية بهذه المنطقة منذ العصر الحجري الحديث على اقل تقدير [6]،

---

[1] – منصورية قدور ، المرجع السابق، ص 26.

[2] Gilbert Granguillaume, **Nédroma** : **l'évolution d'une médina**, Editions Brill: Leyde – pays – bas, 1976, p 55.

[3] IBid, P 56.

[4] –ف. م. د، رقم 52، عدد227، تاريخ 992هـ.

[5]–لخضر فاضل، "**ألتافا الرومانية (أولاد ميمون) في نهاية التاريخ القديم**"، **مجلة منبر التراث الاثري**، المجلد1، العدد1، جامعة وهران، سبتمبر2012، ص 219

[6]–لخضر فاضل، "**أولاد ميمون من فجر التاريخ إلى نهاية العهد الروماني**"، **مجلة العلوم الانسانية**، العدد12، جامعة وهران، جوان 2005، ص19

وأكثر ما يؤكد أقدمية الوجود الانساني بأولاد ميمون هو اكتشاف قبر بالقرب من ضفة واد يسر شكله ووضعيته يشبه المقابر القرطاجية [1]،ثم إن هذه المنطقة خضعت للسيطرة الرومانية فترة طويلة لكن لم يحدد الاطار الزماني بدقة[2] والدليل على الوجود الروماني هو احتفاضها بمساحة شاسعة من الاحجار الرومانية لم يبقَ أي مبنى قائم. ولكن من السّهل أن يكتشف المرء محيط بعض المنازل وكذلك مكان الجدران المحيطة بها، ويذكر أنها كانت محمية عسكريّة سيطرت على المناطق المجاورة لها[3]

أمّا خلال فترة الاحتلال الوندالي لم تخضع المنطقة لهذا الاحتلال، فالوندال ظلت سيطرتهم منحصرة بالمقاطعات الشرقية كأفريقية البروقنصلية، المزاق، نوميديا، وطرابلس، وظلت موريتانيا السطيفية والقيصرية خارج سيطرته وعليه أولاد ميمون لم تخضع لسلطانهم، وتؤكد نقوشها الجنائزية لسنوات 489،446،439، هذا الطرح اذ ظل التأريخ بتاريخ المقاطعة ساري المفعول بها، وذلك أكبر دليل على عدم خضوعها لسلطة الوندال، فاستغل الموريون الوضع فسيطروا على المنطقة وأسسوا مماليك محلية، نفس الشيء في فترة الاحتلال البزنطي لم تخضع أولاد ميمون أبدا لسلطانهم لانها ظلت محصورة بغرب موريطانيا السطيفية رغم أنه تم العثور على قلادة بيزنطية تعود لعهد الامبراطور البزنطي جوستنيانوس (566/527)في المنطقة الا أنه لا يعتبر دليل على الاحتلال وانّما نتيجة المبادلات التجارية، ثم تواصلت الفتوحات الاسلامية بشمال افريقيا حيث توغل المسلمون في موريطانيا القيصرية بقيادة الفاتح أبو مهاجر الدينار الذي تمكن حوالي سنة 678 من القبض على الملك البربري كسيلة بعيون تلمسان القريبة جدا من أولاد ميمون، ثم بعد ذلك عرفت المنطقة مصيرا أخر اذ طواها النسيان منذ منتصف القرن السابع[4]، إلى غاية

---

[1] Paul Pallary, **Instructions pour les recherches préhistoriques dans le nord ouest de l'afrique**, alger, 1909,p53.

[2]–عز الدين بن سيفي، "**تاريخ منطقة أولاد ميمون من خلال بعض المصادر الفرنسية أنموذجا**"، **مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية**، جامعة بابل، العدد28، أفريل 2016، ص 65.

[3] Félix Jacquot, op cit, p20

[4]لخضر فاضل، ألتافا الرومانية (أولاد ميمون) ...، المرجع السابق،ص ص 222،223.

1852م، إذ بقيت هذه المدينة على ذلك الحال حيث أنشأت أولاد ميمون ، والتي أصبحت لاموريسيير في عام 1874 ، والتي تم بناؤها على حساب الآثار القديمة[1].

4. أصل بني سنوس وموقعها التّاريخي:

بني سنوس أمازيغية الأصل، ثمّ استعربت، ولها جذور في الجزائر عامّة، يرجع نسبهم إلى قبيلة زناتة، وزناتة كما عرّفها الباحثون جماعة عرقية امازيغية من شمال افريقيا، وكان استقرارهم في الجزائر وتونس والمغرب وليبيا. وسكان بني سنوس هم جماعة الخميس البربرية يضمون قبيلة العزايل وبني عشير، وبني زيدار، وأهل الخميس، وأهل الكاف يتكلمون البربرية[2].

ومن جانب آخر، تُشير بعض الدّراسات أنّ أصولهم بربرية يعود إلى منابت واسينية زناتية، وبنو سنوس هم قبيلة يقطنون بجبل يسمى اسنوس، وهم في الواقع فخد من قبيلة كومية[3]، ويؤكد هذا ابن خلدون قائلا: **بني سنوس احدى بطون كومية، ولهم ولاء في بني كومي بالاصطناع والتربية، ولما فصل بني كومي الى المغرب قعدوا عندهم واتصلوا ببني يغمراسن فاصطنعوهم**.....[4] وعلى هذا الأساس قد لا تكون قبيلة بني سنوس لا عبد وادية ولا مغراوية ولا مرينية، لكن واسين الكومية أقرب أبناء عم بني مرين، ففكرة ارجاع أصل القبيلة الى اصل مغربي لها ما يبررها، فهي فكرة تناقلها رجال السير و التراجم عن عبد الله الهلالي تلميذ الشيخ السنوسي. تميز اهل بني سنوس بحبهم للاستقرار لكن لم يستطيعوا تحقيق ذلك في جميع الأوقات بسبب الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي سادت في المنطقة، فكانوا سهما للحسد والاحتقار، ومع كل هذا كانوا مسالمين وكان همّهم الوحيد خدمة أرضهم والتّمسك بعاداتهم البربرية.

---

[1] Jean Marcillet Jaubert, op, cit, p9.

[2]– ادموند ديستان، بن حاجي سراج، **بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرون**، تق وَ تع: محمد حمداوي، موفم للنشر، 2001، ص 75.

[3]–جمال الدين بوقلي حسن، **ابن يوسف السنوسي في الذاكرة الشعبية وفي الواقع**، رسالة ماجيستير في الثقافة الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ص 60.

[4]– عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السّابق، ج 7، ص 134.

وللأستاذ الغوتي بسنوسي راي آخر في قضية أصول اهل بني سنوس، حيث يقول: "**أنّ فيما يتعلق بالأصول الأولى قولين الأول يرجع الجد الأول الى الشيخ محمد بن يوسف السنوسي عالم التوحيد، اما القول الثاني فيرد الأصل الى شخص عاش وقت الادارسة....**"[1]

أمّا **الحسن الوزان** فقد ذكر احدى قرى بني سنوس وهي قرية تافسرة حيث يقول: "**تفسره مدينة صغيرة تقع في سهل على بعد خمسة عشرة ميلا من تلمسان، فيها حدادون كثيرون، لأنه توجد بها عدة مناجم للحديد، والأراضي المجاورة لها جيدة لزراعة القمح، واهل تفسره قليلو المجاملة، اذ لا يشتغلون بغير خدمة الحديد ونقله إلى تلمسان**".[2]

في حين أشار **مارمول كاربخال** في مُؤلّفه عن قرية تافسرة قائلاً: "**مدينة كبيرة بناها سكان البلد الاصليون، تقع في سهل على بعد خمس فراسخ من تلمسان، كانت تدعي قديما تسله ...، يكاد كل سكانها يشتغلون بالحدادة، ويتوفرون على عدد من المناجم يستخرجون منها مادة عملهم، وفي الأراضي المجاورة لها يصلح القمح وتجود المراعي، ولكن معظم تجارة أهلها في الحديد الذي يحمل الى تلمسان قصد البيع الى تلمسان وغيرها، تحيط بها اسوار عالية منيعة، ولا زائد فيها على ما ذكرته مما يستحق ان يشار إليه**".[3]

فاستنادا الى هاذين القولين يتوضح لنا أنّ منطقة بني سنوس أدّت دورا كبيرا في فترات سابقة وتمثل هذا الدّور أساسًا في امداد تلمسان بمادة الحديد التي كانت تستغل في الصناعة وتلبية الحاجيات اليومية.

ويقول **كنال** أنّ قبائل بني سنوس هي قبائل بربرية عمرو البلاد مند قرون عديدة وتمسكوا بأراضيهم مند زمن طويل، بحيث كان من الصعب احتلالها، وتميزوا بعدم الاعتراف بالأجانب، ويذكر انهم ينتمون الى قبيلة زناتية كبيرة، وانظمت قبائل بني سنوس تحت لواء الموحدين سنة **587هـ/1142م**، اثناء فترة حكم محمد ابن تومرت، فبعد وتولي عبد المؤمن بن علي مقاليد الحكم شهدت هذه الفترة انشقاق لقبائل بني سنوس عن الحكم الموحدي ممّا

---

[1]- جمال الدين بوقلي حسن، المرجع السابق، ص 64

[2]- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 24.

[3]-مارمول كاربخال، المصدر السّابق، ج2، ص 323.

أدى إلى الانتقام منهم. انقسم أهل بني سنوس الى ثلاثة عروش وهي: عرش زهرة وعرش الكاف وعرش الخميس الذي يعتبر مركز هذه القبائل، وهذه القبائل عبارة عن قبائل بربرية يتكلم سكانها الشلحة.[1]

وتطرق الاستاد رابح فيسة إلى قبائل بني سنوس قائلا: **أنّها تقع في المنطقة الحدودية التي تجاوزت فيها كل من الامارة الزيانية والمرينية قديما،** حيث يبرز لنا هذا القول أنّ قبائل بني سنوس كانت محل صراع بين الدولة الزيانية و المرينية، و في هذا السياق يذكر ابن خلدون بني بصفة عرضية حينما يتطرق إلى القبائل التي كانت تغير على بني عبد الواد كقبائل بني منصور و تغلب يغمراسن ليضمهم الى احلافه، و جاء ذكر بني سنوس كالاتي: **استوطنت هذه القبائل التلول فتملكوا وجدة و ندرومة و بني يزناسن و مديونة و بني سنوس اقطاعا من السلطان إلى ما كان لهم عليها من الإتاوات و الوضائع، فصار معظم جبايتها لهم**[2].

5. التطوّر التّاريخي لمدينة هُنين:

تُعرف هنين بماضيها التّاريخي منذ نشأتها في القديم كما أسلفنا الذّكر، وليس في الإمكان تحديده، فهي من أقدم وأهم المدن في إقليم تلمسان[3]، إذ شهدت هذه المدينة فترات حاكمة، من دولة الأدارسة والموحدين والمرابطين، وبخاصّة لما انضوت هذه المدينة العريقة تحت سلطة بني زيّان، حيث عرفت تقدّما ملحوظا وبرزت إلى الوجود نتيجة امتلاكها مناء تجاريّا[4]، فضلاً عن نشاطها الزراعي وانتاجاتها الفلاحية، وكذا الحرف والصنائع التي كانت مُنتشرة بها[5]، وكل هذا أكسب هذه المدينة رُقيّا عُمرانيا متميّزا، نما عبر الفترات التّاريخية المختلفة التي مرّت بها، وعلى ضوء ماتقدّم ينبغي أن نُشير أنّ هذه المدينة بلغت قمّة ازدهارها في العهد الزياني (1238م-1554م)، رغم الظّروف

---

[1] J.Canal, **société de la géographie et d'archéologie de la province d'Oran**, monographie de l'arrondissement de Tlemcen pp 389-369.

[2] – محمد رابح فيسة، **العمران الريفي في منطقة بني سنوس (تلمسان)، دراسة تاريخية أثرية،** أطروحة مقدمة لنيل شهاد الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر 2، 2014، ص ص 30، 31.

[3] – مارمول كربخال، المصدر السّابق، ص 296.

[4] – نفسه، 296.

[5] –الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 16.

الصعبة والأوضاع المضطربة التي مرّت بها خاصّة في صراعهم مع الإسبان، بعد أن عمّها الخراب والتدمير عام 1531م[1]، ومع ذلك فإنّ الأهميّة الحضارية والتاريخيّة لمدينة هنين، جعلت الجُغرافيين والمؤرخين يكتبون عنها ويُسجلون مُلاحظاتهم حولها.

[1] في هذا السيّاق تجدر الإشارة إلى أنّ مدينة هنين شكّلت مركزًا تجاريا هامّا مع أوروبا (إيطاليا وفرنسا)، فبعد احتلال الاسبان لوهران، طمعوا على بسط نفودهم على تلمسان وإقليمها، إذ أمر الامبراطور "شارلكان" القائد الإسباني " دون ألفارو بازان" في سنة 1531م، بمهاجمة عنين واحتلالها بالقوّة، لكي يسهل عليه الاستلاء على إقليم تلمسان، وبالفعل استطاعوا احتلال المدينة رغم المقامة من طرف الأهالي، وقد أمنع الاسبان في تخريب المدينة، وأفل معها نشاطها التّجاري. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: محمد الطمار، المرجع السّابق، ص ص 235- 236؛ عبد القادر فكاير، المرجع السّابق، ص 210.

الفصل الأول:

الوضع السياسي والإداري لمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني

أولا: الحاق الجزائر بالدّولة العثمانية سنة 1519م

ثانيًـــا: الإطار الجغرافي والتاريخي لبايلك الغرب الجزائري

ثالثًـــا: الاستراتيجية العثمانية في التنظيم الإداري لبايلك الغرب

رابعًـــا: الحاق تلمسان بالحكم العثماني

خامسًا: المؤسسات الإدارية بالمنطقة

سادسًا: الثّورات والتّمرّدات اتي شهدتها المنطقة

سابعًـا: مَوقف العلماء التّلمسانيين من الوجود العثماني.

من المعلوم أنّ الدّولة العثمانية وقفت كَسُورٍ منيع في طريق التّوسع الأوروبي في العالم الإسلامي، طوال أربعة قرون من الزمن ، كما عملت الدّولة العثمانية على توحيد صفوف المسلمين في العديد من الدّول، هذا ما جعل الدّول الغربية تتخوف من وحدة المسلمين و تكاتفهم من جهة، و تحقد على الدّولة العثمانية من جهة أخرى، و لهذا يعتبر العثمانيون في نظر الدول العربية بمثابة " **أبطال ساعدوا الدّول العربية الضّعيفة، مُقارنة بأوروبا على التّخلص من هيمنة الأوروبيين و تفضيلهم على الغزاة المحتلين لأراضيهم**".

أولا: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م

1. ظروف إلحاق الجزائر بالدّولة العثمانيّة:

وقبل أن نستهلّ الحديث عن الوجود العثماني في تلمسان، رأينا من الضّروري أن نُشير في بداية المراحل الأولى لإلحاق الجزائر بالدّولة العثمانيّة، الذي شكّل بارتباطها بها، في مطلع القرن السادس عشر [1]جدليّة واسعة، تمثّلت في أنّ هذا الإلحاق، غزوًا كان أم تدخّلًا مباشرًا من الدّولة العليّة، كما هو الحال بالنّسبة لدول المشرق الإسلامي، بل أمرًا أكّدته وفرضته التّهديدات المسيحيّة خاصّة بعد التّفكك السّياسي الذي عرفته الجزائر مع مطلع القرن السّادس عشر الميلادي، وأمام استمرار النّفود الإسباني بعد استكمال وحدتهم السياسيّة، وعجز الإمارات الإسلاميّة القائمة في المنطقة على محاربته، بدأت تظهر في الأفق معالم قوة جديدة في حوض البحر الأبيض المتوسط، عملت على خلق التوازن في المنطقة وتتمثل هذه القوة في الوجود العثماني، فبعد أن كوّن الأتراك دولتهم بآسيا الصغرى عملوا على التوسع ناحية شرق أوروبا، حيث أطاحوا بالدّولة البيزنطية واستولوا على عاصمتها (القسطنطينيّة) عام 1453م[2].

وفي هذا الفصل نُحاول إبراز أهم الأحداث السيّاسية والإداريّة المختلفة التي مرّت بها تلمسان في الفترة العثمانيّة، من خلال ماتوفره لنا بعض المصادر وكذا الدّراسات السّابقة التي تأتي في مُقدّمتها:محمد بن رقية التلمساني في مؤلّفه الزهرة النّائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، وكتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لأحمد

---

[1]- محمد بن رقية التلمساني، **الزهرة النّائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، ط1، تع: خير الدين سعيدى الجزائري، أوراق ثقافيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2007، ص 83.

[2]- صالح فركوس، **المختصر في تاريخ الجزائر**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002،ص 78.

بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، أيضا من الكتابات الهامّة في هذا الباب نذكر كتاب عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي.

على ضوء ما تقدّم، وخلال القرن السادس عشر كان البحر المتوسط مسرحًا لانتصارات الإخوة بربروس عروج وخير الدّين، الذين كانوا يمتازون بالشّجاعة ومعرفة علوم الملاحة، ممّا أهّلهم لأن يُصبحوا بحّارة مهرة في البحر[1]، ومهابي الجانب في البحر من طرف القراصنة والنصارى، حيث كانوا يقومون بحملات جريئة على شواطيء إسبانيا قصد مساعدة مسلمي الأندلس ،فقد تزامن ظهورهم بالاحتلال الإيبري على السّواحل الجزائريّة، أين اتّخذوا الموانئ التونسية في شمالها واتّصلوا بالامير الحفصي وتفاوضوا معه حيث نتج عن هذا التفوض عقد إتفاقية بين الطرفين وكان من بنودها هو أن يمنح السلطان الحفصي ميناء حلق الوادي للإخوة بربروسة ليتخذوه مركزا لأسطولهم مقابل أن يمنحوه الخمس من الغنائم التي يغنمونها كان ذلك سنة 1504م[2] .

وأمام هذا الوضع الجديد، وبعد أن ذاع صيتهم وانتشرت أخبار بُطولاتهم، توجّهت إليهم أنظار المجاهدين الجزائريين، وفي مقدّمتهم أبو العباس أحمد بن القاضي[3] حاكم الزواوة والذي خاطب القائد عروج مستعطفًا إيّاه لانقاد بلاده من الأسبان قائلا: " إنّ بلادنا بقيت لك ولأخيك أو للذئب"[4].

---

[1]- عبد الجليل التميمي، **"أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول"** ،**المجلّة التاريخية المغربيّة**، العدد 6، تونس، جويلية1967، ص 04.

[2] – محمّد خير الدين فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي** ، ط01 ،كليّة الآداب، جامعة دمشق، 1969م ، ص 24.

[3]- ابن القاضي هو أحمد بن القاضي العبريني من فقهاء وقضاة الجزائر، و المعلومات حول هذه الشخصية ضئيلة وقليلة جدّا كان إذ تذكر المصادر أنه تولىّ وظيفة القضاء لدى حكام الدّولة الحمادية في بجاية ثم استقر بالقبائل بنواحي جرجرة، وأسس إمارة جبل كوكو عام 1511م، ، ، للمزيد من التفاصيل ينظر إلى :

Robin (N), « **Note Sur L'organisation Miliaire et Administrative des Turcs** »,**R.A** n 17,Alger, 1873,P133.

[4]- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر في القرن العاشر هجري – السادس عشر الميلادي**، دار الأمل، 2006، ص 20.

وعلى ضوء ما تقدّم، حاولت إسبانيا السّيطرة من جديد على المدينة خاصة بعد الخوف المتزايد لحكام تلمسان من بابا عروج، أين جهّزت حملة عسكريّة ضخمة سنة 1516م بقيادة دييقو دي فير (Diego de vera) للقضاء على خطر عروج قبل استفحاله، ولكن أهالي مدينة الجزائر لم يجدوا وسيلة إلاّ الاستنجاد بالأخوين عروج وخير الدين، للتّخلص من السّيطرة الإسبانيّة والتّحرير الفعلي للمدن، ولم يتردد عروج في تلبية هذه الصرخة، فهاجم الحصن الإسباني بعد أن استولى على بلدة شرشال المجاورة، ولكن مدفعيّته لم تتمكن من القضاء على الحصن الإسباني وهو ما جعل العلاقة بينه وبين سالم بن التومي تسوء، وكانت نهايتها مقتل ابن التومي وإعلان عروج نفسه حاكمًا على الجزائر.[1]

ومن هذا المنطلق، وفي ظلّ هذا النّصر الذي حقّقه عروج بالتّعاون مع سكان مدينة الجزائر، ساعد على استقرار الأمر لحكام الجزائر الجدد، كما جعل المناطق الأخرى الواقعة تحت الهيمنة الإسبانيّة تشدّ الرحال إلى مدينة الجزائر تطلب النّجدة والمساعدة وتُعلن الولاء، كدلس، والمديّة، وملیانة، ثم تلمسان عاصمة بني زيّان.

2. التنظيم السياسي والإداري بالجزائر:

كانت أولى التنظيمات الإدارية التي عرفتها الجزائر العثمانيّة خلال حكم "عروج" ومن بعده"خير الدين"، تقسيم البلاد إلى منطقتين، المنطقة الشرقية التي تمتد من شرق الجزائر العاصمة حتى حدود الدولة الحفصيّة، وعُيّن عليها "أحمد ابن القاضي" – ملك بلاد زواوة [2]و إمارة –كوكو[3]– ، الذي لقي اعتراضا من قبل بعض الزعماء المحليين وعلى

---

[1]– شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة 1927**، تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 327.

[2] - Mohamed Seghir Feredj , **Histoire de Tizi-Ouzou et de sa région des origines a 1954**, 2eme édition, Hamouda, Alger,2002,p37,42.

[3]– إمارة جبل كوكو: وهي إحدى الفروع المنفصلة عن إمارة الدولة الزيانية، وهي القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى، وكان يحكمها رجل اسمه ابن قاضي، وكامن لهذه الشخصية أحاث عظيمة مع القايد المجاهد خير الدين، أما القسم الشرقي من تلك الجبال فكان يحكمه الأمير عبد العزيز الحفصي، وعاصمته قلعة بني العباس وكان النزاع قائمًا بين الإمارتين لمدّة زمنية طويلة، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى : يُنظر: مارمول كربخال، المصدر السابق ، ص 134.

رأسهم عدو ابن القاضي "عبد العزيز الحفصي[1]" ملك قلعة بني العباس[2]، والمنطقة الغربيّة التي تمتد من الجزائر العاصمة إلى حدود ماتبقى من دولة بني عبد الواد، وضع على رأسها "محمد بن علي" بشرشال، واحتفظ بمدينة الجزائر، ويتضح أنّ الهدف من هذا التقسيم هو الاعتماد على أهل البلاد في حكم أنفسهم[3]، مع إيجاد مجلس يتشكل من جمهرة العلماء والشيوخ ورجال الدين، لإرساء الاستقرار واستمالة السكان المحليين.

في 956هـ/1565م ومع العهدة الثالثة "حسن باشا" (951هـ- 958هـ/1562-1567م) [4] عرفت الجزائر من خلاله تنظيما أكثر انسجاما وشمولية استمر إلى الاحتلال الفرنسي 1246هـ/1830م، من حيث ثم تقسيم البلاد إداريا إلى ثلاث مقاطعات تحمل اسم البايلك على رأسها حاكم باسم "باي " أو "بك" ينوب عن الباشا بدار السلطان، وكانت مدينة الجزائر (دار السلطان) تحت إدارة آغا[5]، ومن المعروف أنّ مدينة جيجل كانت أول نواة الحكم العثماني في الجزائر أيّام "عروج وخير الدين" قبل أن تصبح مدينة الجزائر وضواحيها المقر والمركز لحكمهما، ابتداء من 922هـ/1516م بعد استنجاد سالم التومي حاكم الجزائر[6].

---

[1]- عبد العزيز الحفصي كان ملكا على قلعة بني عباس وينتمي إلى أسرة ذات نفوذ في البلاد القبائلية الصغرى، تحالف مع ابن القاضي والأتراك وقدّم عونا كبيرا لعروج خلال محاولاته في الوصول إلى بجاية، قضى عليه صالح رايس عام 1599م عندما زادت قوته ونفوده في البلاد.

[2]- برنيان أندري وآخرون ، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: رابح اسطمبولي ومنصف عاشور، د. م. ج، الجزائر 1984، ص 120.

[3]- أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766– 1791) – سيرته، حروبه**، لأعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده– ، م. و. ك، الجزائر، 1986، ص 34.

[4]- حكم حسن باشا خير الدين خلال الفترة (951هـ- 958هـ/1544م/1551م)، ثم مرّة ثانيّة (965هـ-970هـ/1557م/1562م)، ثم مرّة ثالثة (970هـ-975هـ/1562م- 1567م)؛ يُنظر عبد الرحمن الجيلالي بن محمد، **تاريخ الجزائر العام**، ج3، ط7، د.م. ج، الجزائر، 1994، ص 104.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائريّة، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائرفي العهد العثماني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 29.

[6]- عزيز سامح التر، **الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا**، تر: عامر محمود علي،ط1، دار النهضة العربيّة، لبنان، 1989، ص 50.

1.2 دار السلطان:

وقد استطاع الأخوان عروج وخير الدين أن يسيطرا على مدينة الجزائر وضواحيها من دلس شرقا إلى تنس غربا التي أصبح يطلق عليها مقاطعة الجزائر أو دار السلطان، وكانت تضم مدينة الجزائر، شرشال، دلس، تنس، البليدة، كأول نواة للإدارة العثمانيّة، تتميّز بكونها منطقة يوجد بها مقر الحكم (الباشا)[1]، وتخضع لسلطته المباشرة[2]، أما المقاطعات الإدارية الثلاث التي عرفت بباياليك وهي/ باياليك الشرق، باياليك الغرب[3]، باياليك التيطري، فقد كان الهدف من هذا التقسيم من أجل تسهيل إدارتها، وحفظ النظام الداخلي، وضمان جباية الضرائب.

2.2 باياليك التيطري:

بحكم قربه من "دار السلطان" ومركز السلطة، كان أول باياليك يظهر على الخريطة الإدارية للجزائر خلال العهد العثماني بالجزائر، ويعتبر أصغر مساحة، وأفقر ثروة وموردا ، وأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية[4]، يحده من الشمال سهل متيجة، ومن الشرق وطن الزاب[5]، ومن الغرب معسكر، ومن الجنوب الجريد، ولم تكن حدوده ثابتة إذ تعرضت لتغيير خلال فترة الحكم العثماني[6].

---

[1]– مقر حاكم الجزائر العثمانية (الباشا)، وهو قصر الجنينة الذي يقع في الواجهة المقابلة للمدينة الجزائر، وهو قصر واسع، ثم نقله أيّام حكم الداي علي الذي نقل إلى القصبة 1817م.

[2] – Pierre Boyer ، **l'évolution de l'Afrique médian** (ancienne département d'Alger de 1830-1956), Adrien Maisonneuve, Alger-Paris,1960,p18.

[3] – Nasreddine Saidouni, **L'algérois rurale à la fin de l'époque ottomane** (**1791-1830**), Dar al Rarb Al Islami,Beyrout,2001,pp267-271.

[4]– Pierre Boyer, op. cit, p p 15-16.

[5]– أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج الزهار أحمد الشريف الزهار، نقيب الأشراف الجزائر، 1168- 1246هـ/ 1754- 1830م، تح: أحمد توفيق المدني ش. و. ن. ت، الجزائر، 1974، ص ص 47-48.

[6] – Tomas Shaw, **Voyage dans la régence d'Alger**, ou description, géographie, physique, Phi logique, etc. de cet état, traduit de l'Anglais par J McCarthy, chez Marlin, éditeur ,Paris, 1830,p316.

3.2 بايليك الشرق:

هو أكبر البايليكات مساحة وغنى، يمتد من البحر المتوسط شمالا، ومن الجنوب الصحراء، ومن الحدود التونسية شرقا عند وادي سراط كنقطة فاصلة مع تونس[1]، ومن الغرب جبال البيان حتى سهل وادي الساحل قصور بني منصور، ومن الجنوب الغربي سيدي هجرس، وسيدي عيسى كخط فاص بينه وبين بايليك التيطري[2].

4.2 بايليك الغرب:

يعتبر ثاني بايليك من حيث الأهميّة ومن حيث المساحة والأهميّة الاقتصادية، يمتد من البحر المتوسط شمالا، من وادي ملوية كنقطة فاصلة مع المغرب الأقصى، ومن وادي حلوان كحد فاصل مع "دار السلطان"، ومن الجنوب الصحراء.

وجد العثمانيين صعوبة كبيرة في تثبيت حكمهم في بايليك الغرب، بسبب المعارضة المحليّة والخارجيّة المتمثلة في الزيانيين والأسبان [3]كما أشرنا سابقا، ممّا جعل عاصمة هذا البايليك تنتقل من مازونة المقر الأول (971هـ/1563م)، وهران بعد فتحها الأول(1120-1154هـ/1708-1732م)، ومستغانم (1150-1154هـ/1732-1737م) لتنتقل إلى معسكر (1154-1207 هـ/1737-1792م)[4] ثم وهران بعد تحريرها النهائي من الإسبان في عام 1207هـ/1792م.

---

[1]- أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق، ص 48.

[2] - Eugène Vaysette, **Histoire des derniers Beys de Constantine**, **R.A**, N03, Alger, 1858, p117.264.265

[3] - Esterhazy Walsin, **De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger**, Librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840,p 126.

[4]- محمَّد بن يوسف الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تق وَ تع: المهدي البوعبدلي، ط2، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 2007، ص 64.

كل مقاطعة (بايليك) هي مركز إدارة الباي مقسمة إلى وحدات إدارية صغيرة أطلق عليها اسم "وطن" يحكمه "قايد" وكل وطن مقسم إلى وحدات إدارية صغيرة تقطنها عشيرة أو مجموعة من القبائل والدواوير يعينون يرأسها "شيخ"، أي (الباي، القايد، والشيخ)[1].

وكان تعيين الحكام والمشرفين على تسيير وإدارة هذه الوحدات الإدارية، يبدأ من هرم السلطة إلى قاعدتها، على أساس تحديد المسؤوليات، فالسلطان العثماني يقوم بتعيين الباشا الذي يحكم الإيالة، هذا الأخير بدوره يعين البايات على مستوى الإيالة، والبايات يعينون القياد على مستوى الأوطان وهم بدورهم يعينون الشيوخ في أصغر وحدة في التنظيم الإداري. وكانت تلك الأقاليم مستقلّة في ميزانياتها ولكل إقليم عَمَلَة خاصة به وله مجلسان استشاريان إلى جانب الحاكم (مجلس الشورى والديوان).

3. نظام الحكم :

مرّ الحكم في الجزائر بتغيرات وتطوّرات بفعل التأثيرات والمتغيرات الداخليّة والخارجية، حيث ساعد على استقلالية الجزائر عن الباب العالي في أنظمتها وحكمها وفي اتخاد القرارات دون الرجوع إلى السلطان العثماني، وأصبحت التبعية للإيالة روحية أكثر منها سياسية، إذ أصبح بإمكانهم ربط العلاقات الخارجية بدون مرافقة وأخد رأي الباب العالي[2]. فقد كان الحكم في بداية العهد العثماني مقتصرا على طائفة الرياس أي رجال البحر، الذين تولى عدد منهم مناصب عليا في الدولة، وكان "خير الدين" منهم، وهو أول حاكم لقّب "البايلرباي" (أمير الأمراء) منذ 1519[3]، ونائب السلطان، وبذلك تكونت إيالة (ولاية) الجزائر، ودُعي السلطان العثماني على المنابر وضربت السكة باسمه،

---

[1]- Abdelatif Benachanhou, **l'état Algérien en 1830**, **Ses institutions sous l'émir Abdelkader**, E. N. A. G, Alger 2009, p20,21.

[2] – Serres J, **la politique turque en Afrique du nord sous la monarchie**, goulheses, Paris, pp9 -10.

[3]- عبد الجليل التميمي ، "**أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519**"، **المجلّة التّاريخية**، العدد08، زغوان، تونس، 1976، ص 116.

وخضعت إدارة الجزائر، لإدارة خاصة ضمن منظومة أوجاقات الغرب[1]، وبذلك نظّم خير الدين الجزائر بعد إن أصبحت إيّالة عثمانية تنظيمًا عسكريًّا، لم يطرأ عليها تغيير كبير حتى الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م.

وباختصار فإنّ مراحل الحكم العثماني في الجزائر، قد قُسّم إلى أربعة عهود، تميّزت كل فترة بمميّزات خاصّة بها نُوجزها فيما يلي[2]:

1.3 عهد البايلربايات 923– 966هـ/1519–1587م:

ويُمثّل العهد الأول بعد التحاق الجزائر بالدّولة العثمانية، ويشكّل أزهى عهود الحكم العثماني في الجزائر، حيث ازدهرت البلاد في هذه الفترة من النذواحي الاقتصاديّة والعمرانيّة، وتميّز خُصوصًا بتوطيد ركائز الحكم ووضع أسسه، حيث برز في هذه الفترة حكام أقوياء برتبة بايلربايات اعتبروا ملوكا مستقلين بأنفسهم، إذ كان دور السلطان العثماني مقصورا على المصادقة على البايلرباي فقط ، وهذا بعدما يتم ترشيحه من قبل الرياس والإنكشارية، وقد وصل عددهم إلى 12بايلربايا حكموا الجزائر خلال الفترة الممتدة مابين 1519م و 1587م، (مدّة 70سنة)، و الذين ساهموا في تنمية البلاد وازدهارها، فضلاً عن تنظيم البلاد، وإخضاعها لسلطتهم، وعملوا على توسيع حدودها السياسية إلى أقصى الحدود الشرقيّة والغربيّة[3]. ونجد من أبرز آثارهم، توحيد وتحقيق الوحدة الإقليمية والسياسية وإقامة أسُسًا للدّولة،

---

[1]– أوجاق الغرب، الأوجاق بمعنى الموقد، أطلقت في اللغة التركية على البيت ثم على جماعة التي تتلاقى في مكان واحد ثم على طائفة من طوائف أرباب الحرف، ثم أطلقت في العهد العثماني على صنف من أصاف الجند، وعلى كل الهيئات المختلفة من القبول إن يقال " أوجاق الإنكشارية أوجاق الغرب، أوجاق التنفكجية..،، والأوجاقي اصطلاحا هو الجندي أو العسكري ، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى :شوكت باموك، **التاريخ المالي للدولة العثمانية**، تعر: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005، ص 91.

[2]– أحمد إسماعيل راشد، **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر** (ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا) ، بيروت، 2004، ص 132.

[3]– بسام العسلي، **الجزائر والحملات الصليبية**، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 28.

وتمّ تقسيم الجزائر إداريا[1]، بعدما تم الحاقها بالدولة العثمانية، وأعطى ذلك الجزائر خلال هذا الحكم اسمها الحديث الذي بدأت تُعرف به منذ ذلك التاريخ[2].

هذا ومن جهة أخرى، أكسبت الجزائر في هذه المرحلة قوّة في الدّاخل والخارج، وذلك بعدما تم تأسيس أوّل نواة للبحرية الجزائريّة[3]، التي بفضلها سيطرت الجزائر على البحر المتوسط ما يربو عن ثلاثة قرون من الزمن، وبجهودها تم تحرير واسترجاع عدّة مدن وثغور من يد الإسبان الغزاة على غرار تحرير برج الفنار 936هـ/1529م، وتحرير مدينة بجاية عام 963هـ/1555م، وإنهاء الوجود الإسباني في تونس عام 982هـ/1574م[4].والتصدّي للحملات والهجمات الأوروبيّة المتتالية علة السواحل الجزائريّة[5].

وعلى ضوء ما تقدّم ونظير الدّور الجهادي الفعّال الذي قام به البايلربايات، جعل سُكّان البلاد يلتفون حولهم ودعمهم في تثبيت حكمهم في الجزائر، خاصة بعدما نجحوا في استمالة العلماء ورجال الطرق الصوفية والتقرب منهم، وتركوا لهم إدارة أحوال السكان، الأمر الذي جعل البلاد تشهد فترة استقرار **وهدوء، وقد دفع ذلك** إلى تخوّف السّلطة المركزية باسطنبول من تعاظم نفوذ البايلربيات الذين أصبحوا يُشكلون خطرا عليها، ما دفعهم إلى إلغائه وتعويضه بنظام البشوات.

2.3 عهد البشوات 966-1070هـ/1587-1659م:

عملت السلطة العثمانية المركزية باسطنبول إلى إلغاء منصب البايلربايات بعد انتهاء ولاية حسن فنزيانو سنة 1587م ، وذلك بعد تخوف الباب العالي من انفراد البايلربايات بالحكم في الجزائر[6]، خاصة و أن الدولة العثمانية

---

[1]- أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق، ص ص 47 48.

[2]- عقيل لطف الله نمير، **تاريخ الجزائر الحديث**، دمشق، 2008، ص49.

[3]- محمود السيد، **تاريخ دول المغرب العربي** (ليبيا، تونس، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 2000، ص 165.

[4]- صالح فركوس ، المختصر في التاريخ...،المرجع السابق، ص 38.

[5]- عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق،ج3، ص 86.

[6]Haedo (F. de Diego),**Topographie et histoire Générale d'Alger**, tr :M.M de Monnereu et A. berbrugger, paris, Im : valladolid, 1870, p41.

بدأت تشتم رائحة التمرد ومحاولة الانفصال عنها، والاستقلال بهذه الايالة لكونها بعيدة عن القسطنطينية، ومن أجل ذلك فكرت في علاج هذا المشكل وإيجاد أنجع الحلول لضمان بقاء ولاء الشمال الإفريقي، بإلغاء منصب البيلرباي وتعويضه بمنصب الباشا[1] الذي حددت مدة حكمه بثلاث سنوات فقط[2]، مع جعل نفوذه قاصرا على القطر الجزائري فقط .

هذا النظام الذي كان يحمل في طيّاته بذور فنائه وذلك لان تعيين الباشا لمدة ثلاثة سنوات فقط جعله يشعر أنّه ليس في حاجة إلى ولاء الرعيّة ما دامت مدة حكمه محدودة، لذا انصرف إلى السلب والنهب، وجمع الثروة قبل عودته إلى القسطنطينية[3]، دون الاهتمام بتطوير الدولة أو الالتفات لشؤون الرعية ، فبدأت تظهر عملية التراجع بوضوح ، ويفيد دو فوليكس "" devoulx. A: أن الباشاوات الذين جاءوا بعد حسن ابن خير الدين والذي كان يخوض المعارك الطاحنة ضد شارلكان في هذه المرحلةقد اهتموا بالتحصين المستمر للحصون، وتوفير الوسائل الدفاعية فقط لحماية قصورهم[4].

كان في بداية الأمر باشوات طرابلس الغرب وتونس يعيّنون من الجزائر،على غرار مرحلة البايلربايات ، اين كانت هذه الثغور تابعة للجزائر ، لكن خلال هذه المرحلة أصبح التعيين يتم من الباب العالي مباشرة ، حيث استقلت كل

---

[1] كان منصب الباشا غالبا ما يكون إداريا بحيث تقتصر مهامه على تنفيذ الأوامر التي تأتيه من الباب العالي، وعلى حسن تسيير مصالح المنطقة التي يعين فيها، أما بالنسبة لأجرته حسب ما تورد المجلة الإفريقية تبلغ 500 بيساط شهريا بالإضافة إلى إيوائه في القصر، للمزيد ينظر:

-Watbled (E), « **pachas –pachas–Deys** »,**R**.**A**,N°17,Alger ,1873, p440.

[2] ذكرت المجلة الإفريقية أن الكثير من المؤرخين الذين قاموا بدراسة الحكم العثماني في الجزائر قد أخلطوا بين منصب الباشا والباي منذ تأسيس هذه الايالة من طرف بربروس، أول ما ظهر لقب البايلرباي كان في سنة 1518، أمّا بالنسبة إلى الباشا فقد بدأ العمل به سنة 1710-1830؛ ينظر:

Watbled (E), op.cit, p438

[3]Haedo (F. de Diego), op. Cit, p41.

[4]Devoulx (A), « **la première Révolte des janissaires Alger** »,**R**.**A**,N°15, Alger, 1871, p2.

من تونس وطرابلس الغرب عن الجزائر ، وذلك من خلال منهج الباب العالي للحد من نفوذ الباي في الجزائر وضمان عدم تمرده [1]، وباختصار فان مميزات هذه الفترة تمثلت في:

– ظُهور التناقضات والخلافات بين جنود البحرية (الرياس)، فقد كان أغلبهم مرتزقة ينحدرون من أصول أوربية وتركية مختلفة (ألبانيا، تركيا، ايطاليا)، وبين جنود الانكشارية(اليولداش) وسبب هذا الصراع هو رغبة جنود البحرية في الحفاظ على نفوذهم ، بحكم انهم كانوا يشكلون قوة أكبر من الانكشارية وكان أغليهم من الرجال الأقوياء، وقد حاول رجال الانكشارية منافسة رياس البحر،من خلال ميلهم إلى الباشاوات الجدد المعينون من **الأستانة** عكس رجال البحرية الذين كانوا في أغلب الأحيان لا يعترفون باليولداش، ورغم هذا الصراع بين الطرفين فان المصالح المشتركة كانت توحدهم في أغلب الأحيان[2].

– وجبت الإشارة أيضا، وأنّه ما ميّز هذه الفترة أيضا هو عزلة الباشاوات عن الرعيّة، حيث ركّزوا اهتمامهم حول دار السلطان فقط دون سواه إلا بقدر ما يضمن لهم الاستقرار، وجباية الضرائب، كما عملوا على استنزاف خيرات البلاد والاستحواذ على عوائد البحرية، وخلال هذه الفترة اندلعت ثورة حقيقية، فالباشاوات الذين كانوا يرسلون من اسطنبول مبعوثين من السلطان لم يكن يهمهم مصالح الرعية ولذلك فان الكثير منهم انشغل بجمع الثروة[3]، وهذا ما انعكس سلبا على المنظومة العسكرية، وخزينة الايالة، ولتغطية هذا العجز قام الباشاوات بفرض ضرائب باهظة على الرعية الامر الذي أجج الاحتجاجات وخلق نوعا من اللاإستقرار .

– من جهة أخرى، انتشرت ظاهرة شراء المناصب بالأموال الطائلة وهذا مايؤكده تافار نيبه « nibh» في كتابه: " العلاقات في السرايا" والذي اكد بان منصب الباشا كان يشترى بالأموال فكل الأشخاص الطامعين في تولي

---

[1] De Grammont (H,D), **histoire d'Alger sous la Domination Turque (1515–1830)**, paris, Ernest le Roux, Editeur, 1887, p33.

[2]Devoulx (A), « la première… », Op. Cit, pp 3-4.

[3]Haedo (F. de Diego), op. cit, pp 41 et 44.

منصب الباشا كانوا يدفعون أموالا طائلة مقابل بلوغه ، كما أشار هذا الكاتب إلى أن الفساد قد بلغ ذروته في هذه الفترة[1].

وعلى ضوء ماتقدّم، وفي ظلّ هذه الأوضاع قام الريّاس، ورجال الدّيوان بثورة ضد حكم الباشا، وذلك بإبقاء منصب الباشا احتراما للسلطان، وتقرر بان تكون السلطة الفعلية في يد الديوان، وبالتالي تعتبر هذه الخطوة تحولا حقيقيا لهذا النظام وهو انتقال السلطة من الباشا إلى الديوان، وعليه فإن السّلطة في هذه المرحلة لم تكن بيد الرياس ولا السلطان العثماني، وبهذا فقد الباشا كل تأثير و كل احترام من طرف الرعية ما جعل الاستانة تفكر بتغيير النّظام [2].

3.3 فترة الأغوات1070هـ-1082هـ/ 1659-1671م:

جاءت هذه الفترة كنتيجة حتمية للثورات المتكررة من الانكشارية ضد البشوات حيث اصبح تغيير هذا النظام امر محتوما ، وقد نجح الانكشارية في سنة 1659 من تغيير هذا النظام وذلك بتعيين أغا لمدة شهرين[3]، وتعد هذه الفترة أقصر مراحل الحكم العثماني في الجزائر، فقد أقدم قادة الجيش البري على خلع الباشا وتعويضه بقائد أخر من فئتهم يدعى الأغا[4]، وكان هذا الانقلاب نتيجة معاملة الباشا للرعية وفرض الضرائب الثقيلة على القبائل التي اثقلت كاهلهم ، وهذا ما أدى إلى وقوع عدة ثورات عبر مختلف مناطق الايالة[5]،فأصبح الانكشارية (الجيش البري) هم من يتقلد الحكم، وصار الحكم في هذه المرحلة شبه مزدوج بين الباشا المعين من الباب العالي والأغا المنصب من طرف الانكشارية[6]، وأخذ الأغوات منذ سنة 1659 يمارسون السلطة التنفيذية، وكان الجند ينتخبون كل شهرين أغا جديدا على حسب الاقدمية، وباختصار فان مميزات هذا العصر تمثلت فيما يلي[7]:

---

[1]Watbled (E), op.cit, pp 439-440.

[2]Haedo (F. de Diego), op. Cit, p33.

[3] Anonyme, **L'Algérie histoire société et culture**, Alger, casbah Editions, 2000, p28.

[4] - عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية** 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص59.

[5] Anonyme, op .cit, p28.

[6]Watbled (E), op.cit, p443.

[7]- حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى للطّباعة والنّشر، الجزائر، 2008، ص134.

– انتشار الفوضى والاضطرابات والثورات فاندلعت ثورة في قسنطينة شارك فيها الكراغلة وطالبوا بإلغاء هذا النظام.

– الاغتيالات الكثيرة ، حيث تمّ تعيين حوالي 6 أغوات خلال ثلاثة أيام فقط ، كما اضمحل نفوذ السلطة العثمانية خلال هذه الفترة [1]، كما شهدت الجزائر في عهدهم عدة غارات أوربية تعرضت إليها البلاد، وكانت من أهمها غارة الأسطول الفرنسي على مدينة جيجل[2]بقيادة بوفور « beaufort » سنة 1664 ، وقد استاءت طائفة الرياس من الوضع الذي آلت إليه البلاد.

و في مُقابل ذلك، فقد قرّر الرياس وبعض أعضاء الديوان من تغيير حكم الأغوات، لما آل إليه هذا العهد، وتعويضه بنظام أخر قائمًا على الانتخاب ومبايعة الحاكم الذي يمارس مهامه في مدة غير محدودة، فكانت تلك المرحلة الانتقالية بداية لوضع الدعائم السياسية القائمة على حرية الاختيار، فقد قام علي باشا شاوش (1710-1718) على استحداث مجلس الحكومة بدوانه الخاص والعام والذي ينظم مختلف أطياف الموظفين والجيش[3]، وهو ما بدأ يبشر بظهور نظام جديد منفصل عن القسنطينية ، ويعتمد على الانتخاب الداخلي والذي يؤسس لحماية الجزائريين من الضرائب وكذ التصدي للغارات الاجنبية التي تهدد الجزائر.

4.3 فترة الدايات1082هـ- 1671- 1830م:

وتماشيًا مع ما تمّ ذكره، انتقل مركز القوّة من الأغوات إلى الدايات تدريجيا بعد تدخل الرياس لتغيير نظام الحكم في ايالة الجزائر ففي سنة 1671 اصبح الدايات هم المتحكمون في زمام الأمورخاصة وانتهم منتخبون من طائفة الرياس ، وبدأ نفوذ الانكشارية يتراجع، لذلك عمد والى تدبير المؤامرات، فأصبحت السلطة الفعلية بيد الداي وسيستمر هذا النظام إلى غاية 1830، وكان الداي يعين من طرف الديوان ومجلس يتكون خاصة من الضباط الانكشارية، فكان

---

[1] Anonyme, op .cit, p28.

[2]Watbled (E), « **Expédition de Duc de beaufort Contre Djidjeli 1664** », **R**,**A**, N°17, Alger, 1873, p218.

[3]Watbled (E), « pachas … », op.cit, p439-441.

الدايات الأربعة الأوائل ينحدرون من صف الرياس[1] يتم انتخابهم من طائفة الرياس، وقد استمرت السلطة العثمانية في تعيين الباشا غير أن وجودهم كان شرفيا فقط[2] إلى غاية سنة 1711م،اين تم إلغاء منصب الباشا الشرفي، ومعه تدهور مجلس الديوان وحل محله مجلس الموظفين والذي كان من أبرز مهامه إحياء المناسبات والأعياد الدينية، وتوزيع الأجور كل شهرين، وذلك داخل قصر الداي[3]، حيث كان منصب الداي يتولاه في أغلب الأحيان شخصيات بارزة في الايالة مثل الخزناجي، او خوجة الخيل، كما كان بإمكان اي جندي بسيط أن يترقى إلى منصب الداي[4]، وقد جرت العادة عند تعيين داي جديدا يخرج أعيان المدينة لاستقباله، ويقرأ فرمان التعيين، وتطلق عدة طلقات بالمدافع دليل على الترحيب بالداي الجديد[5].

هذا وقد شهدت هذه المرحلةظهور شخصيات هامة أمثال الحاج أحمد باي الذي سقط في 1793،[6] ويحي بن مصطفى الذي كان أغا الغرب بين سنتي 1818- 1828.[7] ويُمكن حصر مميّزات عصر الدّايات فيما يلي:

في هذه الفترة شهدت الايالة الجزائرية نوعا من الاستقرار السياسي وأكبر دليل على ذلك تولي أربع دايات فقط مابين 1750-1800، كما تميزت هذه الفترة بالاستقلال التام لايالة الجزائر عن الباب العالي، حيث رفض الداي علي شاوش استقبال ممثل السلطان، ومنذ تلك اللحظة وبعد استجابة السلطان لهذا الطلب أصبح كل الدايات يحوزون على لقب الباشا[8].

---

[1] Anonyme, L'Algérie histoire…, op .cit, p28.

[2]Watbled (E), « pachas … », op.cit, p144.

[3] Marcel (Emerit), « **voyage la condamné Alger 1731** », **R.A**, N°98, Alger, 1954, p360.

[4]De paradis (V), **Tunis et Alger au XVIII siécle**, paris, sindbad, 1983, p204.

[5]Vayssettes (E), « **Ahmed bey EL-Mamlouk** », **R.A**, N°7, Alger, 1863, p360.

[6], « Braham bey EL-Greitely »,**R.A**, n°7, Alger, 1863, p114.

[7] Robin (N), «Not sur yahia Agha » »,**R.A**, N°18, Alger,1874, p59.

[8] Anonyme, L'Algérie histoire…, op .cit, p29.

في هذه الفترة، أصبح الداي يشرف على حصون المدينة بنفسه وينظم الجيش، كما كان يقوم بتعيين الوزراء وغيرهم من أعضاء حاشيته دون الرجوع إلى الباب العالي[1]، ولم تعد الايالة تربطها أي علاقة مع الدولة العثمانية منذ سنة 1710، وأصبحت التبعية اسمية فقط تتلخص مظاهرها في إرسال الهدايا إلى السلطان، وبالمقابل تلقي القفطان من الباب العالي.

في هذه الفترة تم تغيير مقر الداي من الجنينة إلى القصبة بداية سنة 1818، وذلك لكون المقر الجديد جيد التحصين فكانت كل ثكنات الجنود الانكشارية تحت حراسة جنود الداي، ويعتبر هذا الانتقال مرحلة جديدة في تاريخ ايالة الجزائر الذي يدل على إنهاء مرحلة وبداية مرحلة جديدة[2].

ونافلة القول يُمكن التّأكيد أنّ الدولة العثمانية قد احتفظت لنفسها بسلطة شكليّة في الجزائر تمثلت بصفة خاصة في الدعاء للسلطان العثماني في صلاة الجمعة، والاعتراف بمراسيم التعيين والتعاون في مجال الحروب حيث كانت الجزائر تقوم بتقديم المساعدة العسكرية للبحرية العثمانية وهو ما كلفها تحطم اسطولها في معركة خليج نافرين يوم 20اكتوبر 1827 ، وبقى الحال كذلك إلى غاية الاحتلال الفرنسي سنة 1830[3].

---

[1] – حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تح: محمد العربي الزبيري، ش،و،ن،ت، الجزائر، 2005، ص87.

[2]Watbled (E), « pachas … », op.cit, p442.

[3]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص60.

ثانيا: الإطار الجغرافي والتّاريخي لبايلك الغرب الجزائري

1. الإطار الجغرافي:

يُعادل بايلك الغرب تقريبا القطاع الوهراني حاليًا، إذ يتميّز بموقع استراتيجي هام ومساحة شاسعة[1]، وكانت حدوده الجغرافيّة، غربا المغرب الأقصى، إلى حدود دار السلطان وبايلك التطري شرقا، أمّا شمالا البحر الأبيض المتوسط، إلى الصحراءالكبرى جنوبا[2]

إنّ هذا الاتساع من حيث المساحة، والموقع الاستراتيجي الهام، عكس عليه تنوعًا جيولوجيًا، ومناخيًا، وتضاريسيًا واضحا.

1.1- التضاريس:

تميزت تضاريس بايلك الغرب من البحر إلى الجنوب بمجموعة متنوعة من الجبال، الانشقاقات، السهول، والهضاب، إضافة إلى بعض الأراضي القاحلة نتيجة وجود أملاح بكميات مرتفعة، وكانت تخترق هذه المجموعات أوديّة وأنهار[3].

2.1 المناخ:

يمُكننا تقسيم مناخ بايلك الغرب الجزائري إلى قسمين:

---

[1] - Robert Tinthoin, **L'oranie** , **sa géographie**, **Son histoire**, **Ses centres vitaux**. Ed : Robert , Oran, 1952,p11.

[2] _ Louis Rinn, **Le royaume d'Alger sous le dernier Dey**, Adolphe Jourdan Imprimeur Libraire éditeur, Alger, 1900,p 51.

[3]- فتيحة الواليش ، **الحياة الحضرية في بايليك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 36.

– **القسم الشمالي**: تنقسم السنة في هذا القسم إلى مرحلتين كبيرتين، موسم يتميز بالرطوبة والبرد ويمتد من أكتوبر إلى ماي، وموسم يتميز بالحرارة والجفاف ويمتد من جوان إلى سبتمبر[1]، وتتلقى هذه المنطقة كميات معتبرة من الأمطار نظرا لسيادة مناخ البحر الأبيض المتوسط عليها فتنمو على الربوات والمرتفعات أشجار البحر المتوسط دائمة الخضرة كالصنوبر والعرعار والبلوط بينما تزدهر في السهول غراسة الأشجار الثمرة كاللوز والكروم والحوامض والتين والزيتون[2]، غير أنّ مساحات كثيرة في المنطقة هي عبارة عن بور وأحراش فلا تستغل إلا في الرعي بسبب نمو النباتات الشوكيّة فيها كالعليق والصبار[3].

–**القسم الجنوبي** : يَتميّز بالجفاف وارتفاع درجوة الحرارة صيفا والبرودة شتاءا[4].

ومن جهة أخرى، كانت رقعة بايلك الغرب الجغرافية في العهد العثماني تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلا الأغواط جنوبا[5]، ومن الحدود المغربيّة غربا إلى بايلك التيطري ودار السلطان شرقا. ويكتسي هذا الموقع الإستراتيجي أهميّة بالغة، ذلك أنّه يتفتح على عدّة كيانات وتجمعات بشريّة، المملكة المغربية، وأروبا، والمناطق الصحراويّة من خلال القوافل التجاريّة، وبايلك التيطري ودار السلطان[6].

---

[1] - Robert Tinthoin, op cit , p 13

[2]- كمال بن صحراوي، **أوضاع الريف في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013- 2014، ص 23.

[3]- يحي بوعزيز، **مدينة وهران عبر التاريخ** ، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002، ص20

[4]- فتيحة الواليش ، المرجع السابق، ص 42.

[5]- ابن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وَ تق، المهدي البوعبدلي، منشورات الأصلي ، سلسلة التراث، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص 12

[6]- فتيحة الواليش ، المرجع السّابق، ص16.

2. الإطار التاريخي:

وعلى ضوء ما تقدّم، بعد إلحاق الجزائر رسميًا بالدّولة العثمانية وتعيين "خير الدين" بايلربايا "عليها سنة 1518م، أصبحت الجزائر إحدى الولايات الثلاث للإمبراطورية العثمانية[1]. ففي البداية كانت الإدارة العثمانية عاجزة عن وضع جميع القطر الجزائري تحت سلطة حاكم واحد لأنه كانت هناك العديد من المناطق لم تخضع بعد للعثمانيين خاصة الجبلية والواقعة على مشارف الصحراء[2]، والتي ظلّت مصدر تهديد لنفود البايلك الذي اعتمد إجراءات عسكرية عاجلة مثل تجريد الحملات وشن الهجمات الانتقاميّة ضد القبائل التي جاهرت بالعصيان[3]، وقسّم القطر الجزائري إلى أربع مقاطعات إحداهما تحت تصرف الدّاي مباشرة، والباقي تحت تصرف البايات[4] .

وعلى ما يبدو أنّ حسن بن خير الدين، كان أوّل من وضع الأسس الأولى للإدارة العثمانية في بايلك الغرب، وقبل أن يعود من حصار وهران إلى مدينة الجزائر في عام 968هـ/ 1563م، ترك حاميّة عسكرية في مستغانم، وعيّن أبا خديجة بايا[5]، وتفاديا للغارات الإسبانية القادمة من وهران، والتحكّم أكثر في قبائل المنطقة الغربية، ففضّل الباي نقل مقر إقامته إلى المناطق الداخليّة، فاختار مازونة مقرا للبايلك[6].

تولّى أمر البايلك الغرب في بداية العهد العثماني بايان اثنان، أحدهما مقره مازونة والآخر تلمسان. وفي عام 1706م وحدهما الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي (1686-1733م)[7]، ونقل عاصمة البايلك إلى

---

[1]- صلاح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي، (1514_ 1830)**، دار الألمعيّة للنّشر والتّوزيع، ط1، الجزائر، 2013 ص 95.

[2]- محمّد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحميّة**، ط2، تق وتح، مُحمَّد بن عبد الكريم، ش. و . ن. ت، الجزائر، 1981، ص 35.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائريّة...، المرجع السّابق**، ص 279.

[4]- محمّد ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 35.

[5]- محمَّد بن يوسف الزياني، المصدر السّابق، ص 192.

[6] - Walsin Esterhazy, op، cit,p 126.

[7]- مصطفى بوشلاغم بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي، يُطلق عليه الإسبان " قيطليلوس"، تولى بايا على مازونة ثم تلمسان، فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية سنة 1098هـ/1686م، ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان إلى قلعة بني راشد ثم معسكر، وجعلها قاعدته،

قلعة بني راشد، ثم إلى معسكر[1]، ثم إلى مدينة وهران بين(1708- 1732م)، وبعد احتلال الإسبان لها انتقل مقر حكم بايلك الغرب إلى مدينة مستغانم لمدّة خمس سنوات مابين (1732- 1737م) ليصبح بمدينة معسكر مرّة أخرى إلى أن تم تحرير مدينة وهران من أيدي الإسبان سنة 1792م على يد محمَّد بن عثمان الكبير[2]

ما يُمكن الإشارة إليه في هذا المقام، أنّ الطّابع الذي ميّز بايلك الغرب قبل 1792م هو الطابع العسكري، نتيجة الصّراعات المستمرة بين الأتراك العثمانيين من جهة وسلاطين المغرب من جهة أخرى،إلى جانب الاحتلال الإسباني في كل من وهران والمرسى الكبير، ومن ثم كان على سكان المنطقة الغربيّة من إيالة الجزائر التّأهب باستمرار لأي طارئ فكان لهذا الوضع بالغ الأثر على جميع جوانب الحياة، فعدم الاستقرار خارج المدن الكبرى والجبال المنيعة، انعكس سلبًا على الزراعة وكذا العمران، ليصبح المصدر الرئيسي في الثروة يتمتل في يسهل الإنتقال بها أثناء نشوب معركة، أو قدوم غارة ما[3].

ثم إلى وهران بعد تحريرها الأول، وبعد أن احتلها الإسبان سنة 1732م، لجأ إلى مدينة مستغانم، وبقي هناك حتى وفاته سنة 1146هـ/1734م؛ للمزيد من التفاصيل يُنظر: محمّد بن يوسف الزياني، المصدر السّابق، ص 192.

[1]- يحي بوعزيز، مدينة وهران...، المرجع السابق، ص 80_95.

[2]- الباي محمَّد بن عثمان الكبير (1778- 1799م)، هو محمَّد بن عثمان الملقب بمحمد الكبير، كان والده عثمان الكردي حاكما بمليانة، ثم صار بايا بالتيطري، وأمه زايدة أهداها سلطان المغرب لوالده محبّة بينهما، لقب بالكبير وذلك إكراما له عندما فتح مدينة وهران سنة 1792م، امّا الأكحل فكان منذ الصغر وذلك لسمرته ، تولّى حكم البايلك سنة 1778م بعد وفاة الباي خليل، واستقر بمدينة معسكر، حيث مثّل عهده ذروة الازدهار والتقدّم لبايلك الغرب في العهد العثماني، توفي الباي محمَّد الكبير عندما كان في طريقه للجزائر لتقديم الدنوش للداي عند وصوله إلى قبيلة أولاد القصر توفي هناك، فحمله أولاده ميتا الى وهران. يُنظر إلى: أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة محمَّد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الجزائري الصحراوي الجزائري**، تح وتق: محمَّد بن عبد الكريم ، عالم الكتب، 1969، ص ص 3-4؛ أيضا: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ص63—64؛ فتيحة الواليش ، المرجع السابق، ص 26.

[3]- سميرة طالي معمر، **القوى المحليّة في بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني (1206هـ/1246هـ/1792م/- 1831م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009/ 2010، ص 42.

ثالثا: الاستراتيجية العثمانية في التّنظيم الإداري لبايلك الغرب:

1. مركز البايلك:

اتّخذت السّلطة العثمانيّة في إيّالة الجزائر نظاما إداريّا لم يتغيّر تقريبا منذ تأسيسها سنة 1519م[1]، ورغم الاستقلالية التي تتّسم بها وانفصالها عن مركز السّلطة في الأستانة (إسطنبول) وبقاء العلاقات الجزائريّة العثمانيّة بشكل شرفي واسمي فقط، إلاّ أنّ هذا النظام الإداري بقي قائمًا بنفس الوتيرة والصلاحيات والهيكل المتّبع منذ أن وضعت لبنته الأولى في عهد نظام حكم اليبلربيات (1519م- 1587م) مرورا بنظام حكم الشبوات (1587م- 1659م) إلى نظام الأغوات (1659م-1671م) وانتهاءا إلى آخر أشكال أنظمة الحكم العثمانيّة في الجزائر وهو نظام الدّايات (1671م-1830م) [2].

وكما أشرنا سابقا، فقد تمّ تقسيم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات (بايلكات) كبرى: بايلك الشرق، وبايلك الغرب، وبايلك التيطري، واستمر هذا التقسيم إلى غاية نهاية الحكم العثماني في الجزائر سنة 1830م، وقد روعيت عدّة عوامل جغرافيّة وسياسيّة أثناء عمليّة التقسيم[3]، منها صعوبة التّحكم والسيطرة على الرقعة الجغرافيّة الواسعة للأيّالة الجزائرية ووضعها تحت سلطة الداي مباشرة، ذلك تم اتباع النظام اللامركزي من خلال سلطة الأقاليم التابعة مباشرة لسلطة مركز الحكم في دار السلطان[4].

---

[1]- سفيان صغيري، **العلاقات الجزائرية العثمانيّة خلال عهد الدايات في الجزائر (1671- 1830م)**، مذكرة ماجستر، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2011-2012، ص 47.

[2]- محمّد خير فارس، المرجع السّابق، ص 70.

[3]- صالح عبّاد، المرجع السابق ، ص 281.

[4]- محمّد بن ميمون، المصدر السابق، ص 35.

من بين تلك البايلكات بايلك الغرب، وتتمثل هيئة موظفو هذا البايلك في مايلي:

1.1 الباي:

وهو لقب أطلقه الأتراك على الوالي، أو حاكم ناحيّة من نواحي البلاد الجزائريّة أو البايلك، ومعناه قائد القياد وأول من تم تعيينه في هذا المنصب هو بايلك التيطري[1]، ويعين من قبل السلطة العثمانية، ويكون عادن من الموظفين الكبار بدار السلطان، أو من الذين شغلوا منصب خليفة باي سابق، أو منصب قائد كالباي محمَّد الكبير الذي كان قائدا على فليته، وكانت قيادتها هي الأهم على مستوى بايلك الغرب[2].

كان البايات في بداية العهد العثماني من ضمن الجنود الذين سبق لهم أن أظهروا قدرات وكفاءات عليّة في مختلف الميادين، وعلى هذا الأساس فإنّ رتبة الباي تأتي مباشرة بعد درجة الأغا، لكن مع مرور الوقت تغيّرت طريقة تعيين البايات، إذ لم يعد الحكام يلتزمون بالشروط والمعايير المذكورة، فأصبحت هناك عدّة اعتبارات تتدخل في طريقة تعيين البايات منها، علاقة المصاهرة مع القبائل الداخليّة، من أجل القضاء على الفتن التي كانت تقع بين بعض القبائل والسّلطة الحاكمة من حين لآخر[3].

وللباي مهام أساسيّة تتمثل في:

- تسيير شؤون البايلك .
- الإشراف على القوات العسكريّة النظاميّة المدعمة بالقوات المحليّة

---

[1]- محمَّد بن يوسف الزياني، المصدر السّابق، ص 189.

[2] - Gorguos. M, **Notice sur le Bey d oran**, **Mohammed El Kebir**, **R.A** 1856_ 1857,n1 , op cit , p 139.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ، ص 15.

– السهر على الأمن والاستقرار دون انتفاضات السكان المحليين وتأمين الطرقات، وذلك باستعمال القوّة العسكريّة أو اللجوء إلى التحالفات القبلية والاستعانة بالقياد وفرسان المخزن[1].

– له الحق المطلق في إصدار العقوبات ضد الأهالي، وحق مصادرته الممتلكات[2].

– جمع الضرائب والحرص على توفير موارد قارة لخزينة البايلك، وهو بذلك يوفر موارد لخزينة الإيالة بحمل الدنوش الكبيرة مرّة كل ثلاث سنوات إلى دار السلطان[3]، و التي تعتبر بمثابة ولاء للباب لتوليته إذا كان جديدا أو في مرحلة تجديد العهدة.

2.1 ديوان البايلك:

يُشكل ديوان البايلك الجهاز الإداري المحلي الذي يرجع إليه الباي للبت في الأمور الهامّة أو لطلب الرأي والمشورة، وهو يتكوّن من موظفين يعتبرون أساس الجهاز الإداري للبايلك وهم:

– الخليفة:

وكان للباي خليفتان :

خليفة على القطاع الشرقي للبايلك :مهمته تسيير شؤون رعية القطاع نيابة عن الباي[4]، وهو بمثابة نائب الباي يأخذ مكانه في رحلة الدنوش الصغرى التي تقدّم كل سنة إلى الداي في فصلي الربيع والخريف[5]، كما يدير شؤون الأوطان

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، ج2، المؤسسة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 20.

[2]_ – Shaw Tomas, op، cit,P 130.

[3]– كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 42.

[4]– أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج2، تح وَتق: محمَّد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، CRASC ، الجزائر، (د ت)، ص 69.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 243.

خارج مراكز البايلك[1]، وكان يعرف بالخليفة الكبير لكونه يلي الباي مرتبة، ويدل على ذلك تعيين الداي له، وقيادته للمحلات التي تجرد ضد القبائل أو الثائرة[2]، ورغم حساسية هذا المنصب إلا أنّ بعض هؤولاء الخلفاء والقياد كانوا يقومون بتجاوزات وأعمال سلبيّة تتثمل في ارتكاب الفساد وممارسة الجرائم واستغلال المحاصيل والموارد ، كما هو الحال مع قائد تلمسان محمد بوحسين الذي كان متوليّا عليها عام 1573م[3]، وفي رسالة أخرى بعثها أهالي تلمسان إلى السلطان العثماني بتاريخ 09مارس 1575م يشتكون فيها ممارسة القياد والحكام بالظلم والتعدي ، الأمر الذي أجاب له السلطان العثماني من خلال إرسال رجال القضاء إلى تلمسان من أجل تحري الأوضاع ومعاقبة المسؤولين عن هذا الظلم والتعدّي.[4]، ونِتاجًا لهذا ضاعت الكثير من الأراضي والمزارع وهو ما انعكس على تراجع المداخيل التي كانت تُصرف على الجنود وهو ما نلتمسه في مراسلة البايلرباي خضر باشا إلى السلطان العثماني يطلب منه تحديد ملكيات الأراضي وإلحاقها بخزينة الدولة تجنبا لحصول اضطرابات من شأنها عدم حصول الجنود على مرتباتهم[5]

خليفة الكرسي : ويطلق عليه الخليفة الأكبر، حيث ينوب إذا الباي عن مقر حكمه، كأن يخرج إلى غزوة أو في حال تقديم الدنوش للداي[6]، ويمكن أن يرافق خليفة الكرسي الباي في رحلته إلى مدينة الجزائر لنقل الدنوش مثل ماحدث مع الباي عصمان[7].

---

[1]- عمار بوحوش، المرجع السّابق، ص ص 67- 68.

[2]-كمال بن صحراوي، المرجع السابق ص 43.

[3] - فاضل بيات، المرجع السابق، ص 139- 140.

[4] - نفسه، 149- 150.

[5] - نقسه، ص 107.

[6] - Marcel Emérit," **Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitie du XIXe siècle**", **Annales Economies ,sociétés civilisations**, N1,1966, Année 1966,p 46

[7] _ Walsin Esterhazy , op cit, p 244.

- **الباش خزناجي (الخزندار)** :

هو الموظف مكلف بالإشراف على جباية الأموال وأوجه النفقات في البايلك[1]، والمسؤول الأول على مصادر دخل البايلك يساعده في مهامه كاتبان هما الباش كاتب أو الدفتر دار مهمتهما تسجيل وتدوين جميع الأوامر والمداخيل وكتابة الرسائل[2].

– الباش كاتب: للباي كاتبان عربيان :

كاتب السر الكبير (باش دفتر): ويسمى أيضا رئيس الكتاب، وأسند هذا المنصب الذي يعدّ مرصدا لجميع أخبار البايلك السياسية والعسكريّة من شهود عيان كبار لكبار الأدباء والفقهاء مثل أحمد بن هطال التلمساني ومحمَّد بن زرفة الدحاوي، وحمَّد بن عبد القادر بن عبد الكريم[3] .

كاتب السر الصغير: مهمته كتابة الرسائل الرسميّة وتسجيلها، مثل الرسائل التي يبعث بها الباي إلى الدي وإلى قادة المرابطين بنواحي وهران وغيرهم [4].

– الآغا:

آغا الدائرة: ويعرف أيضا بخوجة الخيل، وهو قائد الحامية العثمانيّة المستقرّة بمقر البايلك يتلقى أوامره مباشر من الداي، ويخضع لأوامره فرسان المخزن[5]، وتعتبر أكبر مهامه وأكثرها قيمة هي مراقبة الباي وله يعود الأمر في حال شغور منصب الباي، وهو مامنحه سلطة كبيرة إلى حد القيام بعزل أو تعيين البايات الجدد عندما تصدر له الأوامر من الداي الذي يقوم بتعيينه مباشرة[6].

---

[1]– صالح عباد، المرجع السابق، ص 295.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، "**الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الأوراس قبل وأثناء الاحتلال**"، **الأصالة**، العدد 60- 61، 1978، ص 135.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 244.

[4]– ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص272.

[5]– محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجيّة للشرق الجزائري**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 25.

[6]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 245.

آغا الزمالة: ويسمى الباش سايس، وكان مسؤولا عن حيوانات البايلك وحمايتها والإعتناء بها[1].

– شيخ البلد:

هو المشرف على شؤون البلد والمهتم بأمور السكان توكل إليه مهمّة المحافظة على أملاك الدّولة الواقعة داخل أسوار المدينة[2]، كما يرعى مصالح الطوائف السكانيّة والحرفيّة بالمدينة ويفصل في الخلافات والخصومات التي تحدث في المدينة أثناء غياب الباي، وساعده في أداء مهامه خوجة الخيل باعتباره سلطة عسكريّة، ومن مهامه أيضا دفع رواتب الجند ويخضع له بعض الموظفين[3].

– باش المكاحلية:

رئيس حرس الباي الخاص، يحمل أسلحة الباي في الحفلات العامّة[4].

– الباش سيار

يَحمل رسائل الباي إلى العاصمة، ويعود برسائل باشا الجزائر ويُساعده رجال المخزن في أداء مهامه في نقل هذه الرسائل[5].

إضافة إلى مناصب أخرى مثل شواش الباي[6]، قايد المنصورة(الحاجب)، قايد الدريبة(حارس باب القصر الرئسي)، قايد الجبيرة (حامل محفظة الباي)،قايد السبسي(حامل غليون الباي) قايد الطاسة (يحمل الآنية ويحضر مايشربه الباي).

---

[1]– يحي بوعزيز، مدينة وهران...، المرجع السابق، 43.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص245.

[3]– ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 20– 21.

[4]– يحي بوعزيز، مدينة وهران...، المرجع السابق، ص 50.

[5]– رشيد برويبة، **وهران فن وثقافة**، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 1983، ص 123.

[6]– **شواش الباي**: عددهم ثمانية (08)، أربعة أتراك عثمانيون وأربعة آخرون من العرب، مهمتهم خدمة الباي وضبط شؤون القصر، وهم محل ثقة الباي إذ يقومون بالتحقيق في الأخبار الطارئة مثلما وقع في زلزال أكتوبر1790م، بحيث أرسل الباي شواشه للتحقق من أخبار وهران؛ يُنظر: أبو محمّد مصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن زرفة، **الرحلة القمريّة في السيرة المحمدية**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة، الجزائر، الجزء الأول، تحت رقم 3322، ص 9؛ أيضا: سميرة طالي معمر، المرجع السابق، ص 45.

2. الإدارة في الأرياف:

كانت الأرياف هي الخليّة الأساسية في البناء الإداري العثماني، خاصّة وأنّها المورد الأساسي للبلاد في الفترة الأخيرة من العهد العثماني، أثّرت هذه الأرياف في تطوّر العلاقة بين السّلطة والمجتمع، حيث وجد لهذه المناطق إدارة طالما عملت من أجل توسيع سيطرة البايلك إلى مناطق ظلّت ممتنعة، وكانت هذه الإدارة تعتمد على رؤساء المناطق الداخلية، ما يعني أنّ العثمانيين أرادوا خلق إطار طبيعي للإتصال بالداخل عن طريق هؤلاء الرؤساء المرابطون، شيوخ القبائل[1] .

كان شيوخ القبائل يتمتعون بسلطات واسعة ممّا جعل منهم زعماء المناطق الريفية الحقيقيون فقد كانوا في أواخر العهد الزياني بتلمسان مصدر قوة الدّولة الفعليّة ومواقفهم السياسيّة كانت حاسمة، وعندما حل الأتراك بالجزائر فإنّهم وجدوا واقعا اجتماعيا وسياسيا متجدرا في الماضي تمثّل في وجود عدّة كيانات سياسيّة محلية تمثّلت في المشيخات[2]، بحيث حافظ العثمانيون على هذا التنظيم الاجتماعي في الأرياف، وذلك بإبقائهم على سلطة شيوخ القبائل، ودعمهم لشيوخ الزوايا والطرق الصوفيّة، مثّل ذلك ازدواجية في السّلطة الإداريّة[3].

وعلى العموم فقد تركت السلطات أمور الإدارة الداخليّة لشيوخ القبائل المنحدرين من العائلات الكبرى فكان كبير الشيوخ الذي ترأس شيوخ الفرق، يُعامل كخليفة للقايد التركي لذلك سمي بشيخ الشيوخ، لأنّ السلطات كانت على دراية تامّة بأنّ أعيان تلك القبائل لم يكونوا ليقبلوا بشيخ غريب عن قبيلتهم، لذلك أبقى البايلك وبصفة وراثية على عادة رئاسة شيوخ بعض العائلات لتلك القبائل[4].

---

[1]- محفوظ قدّاش، "**الجزائر في العهد التركي**"، **الأصالة**، العدد 52، الجزائر، ص ص 10- 11.

[2]- عمر حرفوش، **الإدارة الجزائرية في العهد العثماني، ''الإدارة المركزيّة أنموذجا''**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008- 2009، ص 76.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائريّة...، المرجع السابق، 254.

[4]- عمر حرفوش، المرجع السابق، ص 77.

رابعا: إلحاق تلمسان بالحكم العثماني

من المعلوم ، أنّ بداية العهد العثماني في الجزائر كانت بمبادرة من أهل البلاد، كما جاء الحديث عن ذلك الذين استنجدوا بأمراء البحر المسلمين العثمانيين، إذ أنّ أساطيلهم القويّة الت كانت تجوب البحار، وتملك القوّة الكافية لردع الإسبان من التوغل داخل البلاد[1]، ولما استقر الامر نسبيًّا في الجزائر ونواحيها تحت الحكم العثماني، ورد إليه وفد من أهل تلمسان التي كانت تعيش آخر أيامها على أنقاض الدولة الزيانية في مطلع القرن 10هـ/16م طالبا منه النجدة ضد العدو الاسباني، الذين كبّلوهم وقيّدوا حُرياتهم بمجموعة من المعاهدات والاتفاقيات، سوف يأتي الحديث عنها في العناوين الموالية[2] ، وممّا زاد الطين بلّة هو تحالف ملكهم أبي حمو موسى الذي كان يخدم المصالح والسياسة الاسبانية[3] ، وقد ترأس هذا الوفد أبي زيان ابن أخ (أبي حمو الثالث) الذي كان قد عزله على عرش بني زيان، فاستجاب عروج لطلب الوفد، وجهّز جيشا تحرّك بموجبه نحو الغرب إلتقى بموجبه مع الجيش الزياني المكوّن من 600 فارس و300 من المشاة، وفعلاً استطاع الأتراك المسلمون أن يجلوا القوات الإسبانية في ظرف قياسي، وأن يردّوها مدحورة إلى حدودها، وهُزم خلالها عميل الاسبان أبي حمو موسى الثالث ودخل عروج تلمسان وعيّن أبا زيان مَلكًا عليها[4] .

لكنّ أمل ملوك بني زيان الذين كانوا يريدون أن ينتهي دور العثمانيين عند هذا الحد لم يتحقق، لأنهم كانوا يأملون في أن يتجاوزوا الأزمة بمساعدة "مسلمين" ثم يواصلون توطيد دعائم دولتهم ليعيدوا لها الدّعة والاستقرار، ويوفّروا لها أسباب البقاء والمناعة، ممّا يفسر اصطدامهم بالأتراك منذ البداية[5] .

---

[1]- صالح عباد، المرجع السّابق، ص72.

[2] -محمد بوشنافي، "**موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر** (10-13هـ/16-19م)"، **مجلة عصور الجديدة**، العدد2، جامعة وهران، ديسمبر 2011ص 203.

[3] -بن عتو بلبروات، **"أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني"**، **مجلة الحوار المتوسطي**، المجلد01،العدد01، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2009، ص74.

[4] -عثمان سعدي، المرجع السّابق، ص 374.

[5] -محمد الطمار، المرجع السّابق، ص 238.

وتماشيًا مع ما تمّ ذكره أنّ طموح بني زيّان، المشروع نظريّا، لم يكن يقدّر الأخطار التي تُحيط بالدّولة من جهات عدّة؛ وهي التي أكّدت الأحداث اللّاحقة صحّتها سواء ماكان يصدر عن الأسبان[1] أو من الجيران السّعديين الذين انقضوا على المملكة حينما كانت في فترة ضعفها[2].

كانت منطقة تلمسان مُنذ قدوم الإخوة بربروس مدينة بعيدة عن دار السّلطان (العاصمة)، إذ أنّها كانت مدينة حدوديّة مع المغرب الأقصى، وقد عرفت منذ العهد الزياني تراجعا واضطرابا في وضعها السّياسي والإداري، وقد أشار خير الدّين إلى ذلك وتحدّث عن مكانتها الهامّة وعن كونها نُقطة مهمّة في الصّراع السيّاسي والعسكري بالمنطقة، إذ جاء في مذكّراته بقوله: "... **كان معلوما أنّه مالم تفتح هذه المدينة، فإنّ الجزائر لن تعرف الاستقرار"**[3]، وبالفعل بقيت تلمسان منطقة هامّة، وقاعدة للجهاد، ومحورا للصّراع على الصّعيدين السّياسي والعسكري خلال هذه الفترة.

وعلى ضوء ما تقدّم، استغرق العثمانيين قُرابة 38سنة كاملةً لتطويع تلمسان، أي مابين سنة 1518م تاريخ استشهاد عروج في موقعة وادي المالح الواقعة بين وهران وعين تموشنت[4] بعد حصاره عند قلعة المشور[5]، بعد توجهه نحو الغرب وسقوطه في كمين للجيش الإسباني، إلى سنة 1555م تاريخ دخولها بصفة دائمة[6].

---

[1] – أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492–1792)**، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1976م،ص 192؛ ينظر أيضا: العربي حرزالله، **تلمسان مهد حضارة وواحة وثقافة**، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، 2011، 231.

[2] – محمد الطمار، المرجع السّابق، ص 237.

[3] – خير الدين بربروس، **مذكرّات خير الدين بربروس**، تر: محمد درّاج، شركة الأصالة للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2010 ص 109.

[4] –محمد العربي حرز الله، المرجع السّابق، ص 232.

[5] والتي قاومت ظروف الدهر لأزمنة وهي تتواجد وسط المدينة تعود إلى فترة الموحدين أثناء تواجدهم وسيطرتهم على المغرب الأوسط، خلال القرن الثاني عشر الميلادي وتحتوي على مركز ديني هو الجامع وأثر اجتماعي عبارة عن دور للسكن، إذ تحتوي على عدد من مساكن الكولوغليين، كما يمرّ بهذه القلعة المجرى المائي الذي يؤمّن تلمسان بالمياه، وبذلك فقد شكّلت حصنا منيعا للعثمانيين بها.وهذه القلعة تشهد على عظمة المدينة ومؤسسي هذه القلعة. يُنظر إلى:

- Cour.A, L'occupation Marocaine de Tlemcen (Septembre 1830 - Janvier 1836), **R.A**, N° 52, Alger, 1908.p36.

[6]– مذكرّات خير الدّين بربروس، المصدر السّابق ص ص 86–87.

فدراستنا للجانب السّياسي والعسكري لتلمسان خلال هذه الفترة، سيما القرن10هـ/16م، لمسنا كثيرًا من الخبايا التي تحملها السياسة ورجال السياسة فاستحضرت قول الإمام محمد عبده بقوله:"**ما دخلت السياسة في شيء إلا أفسدته** [1]"إنّ المتتبع لتلك التطوّرات السياسيّة في هذه المنطقة، يقف منبهرًا بذلك التواطؤ و تلك الخيانات و ذاك الصّراع الذي كان يحدث بين الأخ و أخيه و العم وابن أخيه.

و ممّا لا شك فيه أنّ تلمسان –عاصمة الزيانين– في فترة دخول العثمانين تدهورت تدهورًا رهيبًا حيث فَقدت مكانتها السياسية و العسكرية، خاصّة وأنّها كانت تعيش اضطرابات داخلية ونزاعات بين أفراد العائلة المالكة على الحكم، وعزة وأنفة أواخر أمراء الدولة للحفاظ على مملكة أجدادهم، ومضايقة الجيران ولاسيّما بني مرين من الجهة الغربية ممثلة في أمراء الوطاسيين والسعديين[2]، ضف إلى ذلك سقوط الأندلس، وما سبقها وما واكبها من نزوح بسبب التّهجير الطّوعي والقسري دون ألا ننسى تهديد الاسبان للدولة الذي كان ينظم من الحين لآخر غارات ضدها واحتلال بعض سواحلها ومدنها ففي إحدى الرسائل التي بعث بها البيلرباي حسن إلى السلطان العثماني في شهر ماي 1585م يُخبره فيها بمساندة شيوخ بعض القبائل بايلك الغرب للإسبان وإرشادهم إلى تلمسان ونواحيها للقيام بحرق أرجائها وتخريبها وأسر المسلمين بها [3]، كذلك ساهمت الأوضاع الاقتصاديّة في تردي الأوضاع، التي تسبّبت فيها الظروف العامة السياسية والاجتماعية، فنقص الإنتاج وقل الدَّخل، خاصّة بعد فُقدانها للمناطق الساحلية، التي كانت تدر عائدات جمركية معتبرة[4].

لقد كان من الطبيعي، أن تعاني تلمسان من ذلك الوضع الذي أحدثته ضرورة تواجد الأتراك، بصفتها كانت عاصمة لدولة ظلّت قائمة لمدّة طويلة، عرفت فيها كثيرا من الرقي والازدهار، ولقد طالت معاناة تلمسان بصفة خاصّة، لأنها ومهما قيل عن جدلية الوجود العثماني، سلبًا وإيجابًا، قد حصدت نوعًا من انتقام الأتراك العثمانيين بسبب المواقف

---

[1]– محمد عبده، **الأعمال الكاملة**، تح وتق: محمد عمارة، ج2، ط1، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1993، ص 39.

[2]– محمد العربي حرزالله، المرجع السابق، ص 229.

[3]– فاضل بيات، **البلاد العربية في الوثائق العثمانية : ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، مج 8، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول 2019، ص ص 309– 310.

[4]– محمد العربي حرزالله، المرجع السابق،ص 230.

التي اتخذوها ملوك بني زيان ضدهم قبل أن تنهار دولتهم والتي لم يكن من السّهل بالنسبة إليهم التفريط فيها بالسّهولة التي يروّج لها ونتصورها نحن كذلك[1].

1. حملة عرّوج على تلمسان ونهاية الحكم الزياني:

خلال النّصف الأول من القرن 10هـ/ 16م كانت الأوضاع السياسيّة مضطربة ومتدهورة، كما رأينا سابقا خاصّة بالنسبة لملوك الدواة الزيانية (صراع على الحكم، مولاة للأسبان تارة، وللأتراك العثمانيين تارة أخرى)[2]، ولقد بدأت مآسي تلمسان مع الأتراك في الوقت مبكّرا جدّا، أي منذ الوهلة الأولى لدخولهم البلاد، مباشرة بعد الاستنجاد بعرّوج وأخيه خير الدّين، ورغم تصدّي هؤلاء للإسبان وتمكّنهم من كسر شوكتهم، والحدّ من اعتداءاتهم، فإنّ تصرّفهم مع حكام الدّولة الزيّانيّة، ومع سكان عاصمتهم بالذات، كان فيه كثير من العجرفة والقسوة .

ولم تكد تأتي سنة 1517م، حتى بدأت المواجهة بين الطرفين، وذلك عندما حاول بنو زيّان ردّ الأتراك عن عاصمة الدّولة القائمة، ولم تنتهي المواجهات الأولى إلاّ بمأساة استشهاد السلطان نفسه[3].

لقد توالت المحاولات لصدّ الأتراك إلى أنّ أحدهم استنجد بالإسبان لحماية الملك المهدد بالانهيّار غير أنّ المبادرة عادت إلى بالوبال عليه بعد أن وجد السلطان نفسه يواجه أطرافا عدّة ناهيك عن منازعيه من الأسرة وتململ الرعيّة[4].

لقد آلت الحادثة إلى استشهاد عرّوج في عيد الفطر سنة 1518م بعد أن سقط في كمين للجيش الاسباني، يقول في الصّدد المؤرخ الإنجليزي **شاو**" قتل عروج بربروس على بعد 92 كيلو مترا من تلمسان بينما كان فارا متوجها إلى بني يزناسن غربي تلمسان، وهذا الخبر مؤكد برواية ابن عسكر المعاصر لعروج قائلاً بالنّص" **أنّ عروج عاش بتلمسان لما افتتحها وثار بها أهل تلمسان فأوقع بهم ثم خرج إلى جبل بني يزناسن ...**"

---

[1]-محمد العربي حرزالله، المرجع السابق، ص 234.

[2]- صالح عباد، المرجع السابق، ص ص 51-52.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 2، دار المعارف، بيروت، لبنان،1983ص 224.

[4]- محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص 235.

ولما تولّى أبو سرحان أمور الدّولة الزيّانيّة، لجأ إلى طلب مساعدة الأتراك في شخص خير الدّين، تماماً على عكس سابقه، جعله يتمكن من صدّ كثير من الحملات الاسبانية المعادية طوال 1519م[1]، لكن غلبة النّفس والأنفة سرعان ما تملكتا نفس أبي سرحان لتؤديا به إلى نقض المعاهدة مع العثمانين بمجرّد أن شعر بنوع من الاستقرار على عرش أجداده ،لتأتي سنة 1524م تاريخ وفاته ووصول ابنه محمّد السّابع إلى الحكم، الذي سار على نفس خطى أبيه في رفض أي تواجد تركي، إلى درجة أنّه راسل الملكة الاسبانية، ممّا جعله يواجه خير الدين في معركة عنيفة على مشارف العاصمة انتهت بهزيمة جيش السلطان، حيث خلال هذه الفترة لم يفوّت الاسبان فرصة الضعف تلك، فحملوا على تلمسان وتمكنوا من دخولها ليعيشوا فيها فسادًا، فدنّسوا المساجد وحرقوا الكتب، لكنّ الكثير منهم وقع في الأسر من طرف الزيانيين[2]، وكانت الفرصة التي خلع فيها أبو زيّان أحمد الثاني أخاه عن العرش، ليجلس عليه هو سنة 1542م، ويُحاول النّهوض بالدّولة وتخليصها من الاسبان الغزاة بالارتباط مع الأتراك وبمساعدتهم، غير أنّ مناوشات أخيه المتواصلة، لم تعنه على تحقيق طموحه[3].

في الوقت الذي بدا فيه وكأن أمر تلمسان قد انتهى لفائدة حكومة الجزائر وإذا بالأشراف السعديين يوجّهون أنظارهم لظم تلمسان إلى مملكتهم وقد تمكنوا من احتلالها فعلاً سنة 351هـ/1550م ولكن قوات خيرالدين تمكنت من إجلاءهم عنها في السنة التالية 1551م وإبعادهم إلى ما وراء نهر ملوية. هو ما سنراه في العنوان الموالي.

2. دور أحمد بن يوسف الملياني وتلامذته في توطيد الحكم العثماني في الجزائر

إنّ الصّراع حول السّلطة داخل البيت الزياني، عجّل بزوال ونهاية الأسرة الزيانية بتلمسان، وبظهور العثمانيين على مسرح الأحداث انقسم مرابطوها وعلمائها بين معارض ومؤيد للعثمانيين، نِقمة على الوضع الذي آلت ووصلت

---

[1] -خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 86.

[2] -محمد دراج، **الدّخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512– 1543)**، تص: ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 346.

[3] -نفسه ص 353.

إليه المنطقة ككل . ومثالهُ أحمد بن يوسف المليانى وابن أفغول ومحمّد بن شاعة[1]، وكان أحمد بن يوسف المليانى نموذجًا للتّحالف العثماني والمرابطين في المنطقة.

فالمليانى هو شاذلي الطريقة[2]، من قلعة بني راشد قرب تلمسان[3]، كان يتمتع بنفوذ بين الأهالي إلى أن وصل اعتقادهم فيه – حسب قول الصباغ – " أنّ الله ينزل غضبه على من أغضب وليه وما سقوط وهران والمرسى الكبير إلا بعد دعوته على الزيانيين[4]"

– مولد أحمد بن يوسف المليانى ونسبه:

لم نعتر على تاريخ مؤّكد لمولد الشيخ أحمد بن يوسف المليانى في كتب التّراجم التي عُدنا إليها ونقّبنا فيها، غير أنّ التاريخ التقريبي لمولده، والذي حَاول فيه ترجيحه هو حوالي سنة 840هـ/ 1437م أي في منتصف القرن (09هـ/15م)، بِجبال بني شقران موطن قبيلة هوّارة في بني راشد عُرف أحمد بن يوسف بالمليانى نسبًا والراشدي دارًا، واسمه بالكامل: أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الجليل بن يمداس بن عبد الله الرضى بن حسن المرتضى بن جعفر الصّادق بن محمد الناطق بن أحمد زين العابدين بن حمود بن علي بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الكامل بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب– كرّم الله وجهه– [5]، تعلّم مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسهِ، لينتقل بعدها إلى عاصمة بني زيّان " تلمسان " وفيها درس وأخذ العلم على أكبر عُلمائها وأساتذتها، لينزل بعدها في رِحاب مدينة " وهران " ثمّ بِجاية المضيافة، أين التقى بالشيخ أحمد زروق البرنسي، وأخذ عنه علوم القرآن

---

[1]– ابن مريم محمد بن أحمد التلمساني، البستان...، المرجع السّابق ص266.

[2]– المزاري الأغا بن عودة، المصدر السابق، ج2، ص 74.

[3]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، (**1500– 1830**)، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1989، ص 496.

[4]– محمد بن علي القلعي الصباغ، **بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخطوط** م. و. ج تحت رقم 1707، ص 11.

[5] Bodin (M), **Note et question sur sidi Ahmed ben Yousef**, **R.A** , N66, 1925, OPU, 1986,pp169- 175.

والسيرة والتّصوّف وألبسه الخرقة الصّوفيّة[1]. ارتحل إلى المغرب الأقصى لطلب العلم، وفيها أخذ تعاليم الطريقة الشاذليّة، كما كانت له رحلة حجّية وفيها أخذ كذلك بعض أوراد الطريقة بالتقاء مشايخها.

– مواقفه من قضايا عصره:

سندرس في هذا العُنصر بالقدر الذي يُفيدنا في تسليط الضوء على تلمسان وشخصيّة أحمد بن يوسف الملياني، وبالقدر الذي يُتيحُ لنا أيضا رسم ملامح الحياة السيّاسيّة التي عاش في ظلّها المؤلّف.

من المعروف أنّ الشّيخ أحمد بن يوسف الملياني عاش في القَرن (09هـ/15م)،الذي شهد فيه سَيطرة دولة بني زيّان، التي تميّزت أحولها بالتّوتر إلى الذّروة تارة والسّلم تارة أخرى، بالنّظر إلى التّدخلات المستمرّة من قِبل المرنيين والحَفصيين في شؤونها، فضلاً على الصّراع الدّاخلي داخل أفراد البيت الزيّاني حول العرش والحُكم[2]. وعلى ضوء ما تقدّم، وفي خِضم هذه الأحداث، ارتبطت علاقة الشيخ أحمد بن يوسف بالزيّانيّين في بادئ الأمر بعين الرضى والتّوافق[3]، وعملت الدّولة على كسب شيخها، إذ كانت كلمته مسموعة عند القُضاة والقَادة، وحتى قائد إقليم بَني راشد المعين من قبل السّلطان، لكنّ العلاقة سُرعان ما تأزّمت وتوتّرت بينه وبين سَلاطين الدَّولة الزّيانيّة، بعد وفاة السّلطان الثّابثي، وتَولي ابنه عبد الله الخامس الحُكم سنة (910-923هـ/1504م- 1516م)،[4] بسبب تَمكين السُّلطان والسّماح لليهود قبض الضّرائب(مُعارضة الشيخ أحمد بن يوسف إطلاق يد اليهود في السيّاسة الماليّة للدّولة)، هذا فضلاً على تأسيس الشيخ أحمد بن يوسف الملياني لزاويته "برأس الماء" التي كانت قريبة من مقر السّلطة، إذ كان لها أثر كبير على

---

[1] – عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوّف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالميّة الأولى** (دراسة احصائيّة تحليليّة)، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005، ص 123.

[2]– إبن الأحمر، **تاريخ الدّولة الزّيانيّة بتلمسَان**، تق وَ تح وَ تع: هاني سلامة ، ط1، مكتبة الثقافة الدّينية للنّشر والتّوزيع، بور سعيد، 2001، ص 30.

[3]– عبد الله نجمي، **التصوّف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة، ق16–17م**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدر البيضاء، المغرب، 2000، ص 96.

[4]– نفسه، ص 98.

العلاقة بينه وبين أمراء بني زيّان[1]، خاصّة بعد تخوّف الزيّانيين من تزايد نُفود الشيخ وكثرة عدد أتباعه ومُحاولتهم الحد من نشاطهِ. في هذا الأثناء قامَ بزيارة إلى مدينة وهران، فعظمه أهلها أشدّ التعظيم[2]. هذه عن المرحلة الأولى من الخلاف بين الشيخ وسلاطين بني زيّان. فيما بدأت المرحلة الثانيّة من الخلاف والتصدّع مع الأمير أبي حمّو(922هـ-1516م)، الذي سَاد عهده الاضطراب وعدم الاستقرار، إذ قام هذا الأخير بزجّ الشيخ أحمد بن يوسف الملياني داخل السّجن،[3] وتميّزت فترة حكمه بظهور الصّراع الاسباني العثماني في المغرب الأوسط وبداية نهاية سلطة بني زيّان، فيما زاد الطين بلّة في توتّر العلاقة هو قيّام الأمير بربط علاقاته مع الإسبانيين، واعترافه بسلطتهم والتّبعيّة لهم.

وفي سيّاق آخر، شَهد الشيخ على احتلال اسبانيا للمرسى الكبير سنة 911هـ/1505م، ووهران سنة914هـ/1509م[4]، ونتيجة لذلك ظهر الإخوة بربروس في الحَوض الغربي للبحر المتوسط، وقيّامهم بوظيفة الجهاد البحري، وأظهرا كفاءتهما في القيّام بهذه الوظيفة، ونظرًا للإنتصارات الكبيرة التي حقّقها الإخوة في مناطق مُختلفة من شمال إفريقيا عمّة والجزائر خاصّة، وأمام هذا الوضع شكّل أعيان تلمسان وفدًا أرسلوه إلى عرّوج يَستنجدونه باسم الإسلام ضدّ أبو حمو الثالث، وتخليص مَدينتهم من الوصاية الإسبانيّة المفروضة عليهم[5]. ممّا تجدر الإشارة إليه في هذا السّياق أنّه بعدما توجّه لنجدة أبي زيّان، وعندما وصل إلى قلعة بني راشد بهوراة، حدث التّقارب بين عرّوج و شيخ الطّرقة الرّاشدية أحمد بن يوسف الملياني، الذي عمل على تسكين روع أهله الذين هلعوا من عدد الجيش، حيث تذكر النّصوص أنّه شارك مُـشاركة فعّالة في تدعيم سُلطتهم ضدّ الحُكّام الزيّانيين. واستنادًا لماسبق، فإن الشيخ رافق عرّوج في حملته هاته، ودخل معه القلعة معه ثمّ تلمسان، التي أطاها عرّوج عرشها للأمير الزيّاني أبا مسعود الذي كان الشيخ

---

[1]-يوسف بن حيدة، "**الشيخ أحمد بن يوسف الملياني ودوره في تدعيم الحكم العثماني بالجزائر خلال القرن 16م**"، **مجلة المعارف للبحوث والدّراسات التّاريخيّة**، العدد18، سبتمبر 2018، ص 246.

[2]- أبي راس النّاصري محمد بن أحمد، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وَ تح: محمد غالم، ج1، منشورات CRASC، الجزائر، (د ت)، ص 112.

[3]-عبد الله نجمي، المرجع السّابق، ص 99.

[4] -محمد الطمار، المرجع السّابق، 223.

[5]-محمد درّاج، الدخول العثماني إلى الجزائر، المرجع السّابق، ص ص 218- 219.

أحمد بن يوسف يُشايعه ويَدعو له، إلاّ أنّ الأمر لم يستقر في تلمسان إلاّ قليلا[1]. في مُقابل ذلك نوّه العثمانيين بفضل الشيخ أحمد بن يوسف المليانى، حيث قام خير الدّين بإرسال هدايا ثمينة للشيخ كاعتراف على صنيعه، فازدادت بذلك العلاقة توطّدًا بين الزّاوية الرّاشديّة والسّلطة العثمانيّة[2]. وتُعتبر هذه الحادثة بمثابة بيعة من الشيخ لعروج[3].

هذه خُلاصة الأحداث السيّاسية التي رافقها الشّيخ أحمد بن يوسف المليانى وساهم فيها في إطار ما يُعرف بالصّراع والتّنافس العثماني والإسباني على مملكة تلمسان، إذ لم يعمّر الشّيخ طويلاً بعد هذه الأحداث التي عرفتها تلمسان، فضلاً عن تجربة السّجن القاسيّة التي عانى منها، ووافته المنيّة سنة (931هـ/1524م) بمليانة[4]، أين دُفن بها، ليأمر بعدها باي وهران محمد بن الكبير عثمان سنة 1774م، ببناء ضريح له وبالقرب منها زواية للتّدريس، إلى أن أصبح المكان يُعرف بزاوية سيّدي أحمد بن يوسف المليانى، ومزاراً للأتباع، ومقصدًا لطلب العلم[5].

3.مدينة تلمسان في ظلّ الصراع العثماني الاسباني:

لقد سعى الإسبان منذ أن وجّهوا عنايتهم ببلاد المغرب الأوسط إلى النّيل من القوى السياسية القائمة فيه، باستعمال وسائل متعددة، مثل التجسس، والتّحالف مع بعض الأمراء، والغزو، والعمل على منع بعضها من تحالف القوى المعادية لهم في نفس المنطقة، وخاصة مع انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية في عام 1519م.

إنّ التفكك السياسي الذي شهدته تلمسان مطلع القرن السادس عشر الميلادي أيّام الدولة الزيانيّة، من التدخلات الأجنبيّة في شؤونها الداخلية، من سلاطين الدول المجاورة، المرنيين غربا والحفصيين شرقا[6]، الأمر الذي شجّع الإسبان الذين استكملوا وحدتهم السياسية، خاصّة بعد سقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس وهي مملكة غرناطة

---

[1]- محمد درّاج، الدخول العثماني إلى الجزائر، المرجع السّابق، ص 219.

[2] -صادق محمد الحاج، **مليانة ووليّها سيّدي أحمد بن يوسف**، د. م. ج، بن عكنون، الجزائر،1964، ص 105.

[3] -محمد بوشنافي، موقف علماء تلمسان...، المرجع السّابق، ص 204.

[4] -عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السّابق، ص 124.

[5] -يوسف بن حيدة، المرجع السّابق، ص 240.

[6]-عبد القادر فكاير، **الغزو الإسباني للسّواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792)**، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 115.

عام 1492م[1]. وأمام هذه المتغيرات والتطوّرات، توجّهت أنظار الإسبان الحاقدة على المسلمين صوب بُلدان المغرب العربي عامّة والمغرب الأوسط وتلمسان بخاصّة، انتقاما منها لاستقبالها مهاجري الأندلس الفارّين من بطش المسحيين من جهة، ورغبة منها في استغلال إمكانياتها الاقتصادية وموانئها الاستراتيجية من جهة ثانية، هذا فضلا عن شعورها بواجب الدّفاع وحماية الإرث المسيحي والعمل على نشره[2].

ويَجدر بنا أن نُشير إلى أنّ الحملات الإسبانيّة على تلمسان كانت مسبوقة بخطط وعمليات تجسسية، حيث كلّفت الملكة "ايزابيلا" حاكم مدينة القلعة في الأندلس " لورينثو دي باديا " بمهمّة سرّية تجسسية تتمثل في استطلاع الأمور والمواقع في تلمسان ونواحيها، استعدادا لغزوها، فتنكّر الجاسوس في زيّ تاجر تلمساني لمدّة فاقت السنة، تمكّن من خلالها من جمع معلومات وفيرة ودقيقة أفادت الإسبان كثيرا في مشروعهم[3]. وفي ذات السيّاق استدعى الكاردينال "خيمينيس" المعروف بشدّة عدائه للمسلمين، المهندس البحري "جيرومينو فيانيللي" ، الذي كان على معرفة جيّدة بأحوال وخصائص سواحل شمال إفريقيا[4]، ويذكر عبد القادر فكاير في هذا السياق" أنّ عناية الإسبان قبل توجيهات " فيانيللي" منصبة نحو مناطق ساحلية أخرى، حيث كان تفكيرهم في البداية موجها نحو مدينة هنين الزيانية، لأنّها مدينة مشهورة بتجارتها. كما أنّها كانت في بعض الأحيان هدفا لغارات القراصنة الإسبان، الذين سبق لهم أن استولوا منها على كثير من الأسلاب والأسرى[5].

---

[1]-محمد رزوق، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16– 17م**، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1981، ص ص 111-115.

[2]-قاسمي بختاوي، **الاعتداءات الاسبانية على الجزائر قبيل التدخل العثماني**، ضمن كتاب: **الجزائر وتوازنات القوى البحرية غرب المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي**، – دراسة تاريخية– النشر الجامعي الجديد، 2017، ص ص 45-46.

[3]– عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 116.

[4]-عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ ماقبل التاريخ إلى 1962، الجزائر خاصة**، ج2، دار المعرفة، 2009، ص 43.

[5]– عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 117.

لقد رسم هذا المخطط الاستعماري في المنطقة مقدّمات في غزو تلمسان عاصمة بني زيّان، إذ جنّدت الملكة ايزابيلا لهذا الغرض 12000جندي بقيادة الكونت "دي تينديا" وتبرعت بمالها الخاص بدعم الحملة، لكنّ موتها عام 1504م حال دون تنفيد العملية[1].

لقد توقف المد والغزو الإسباني للسواحل التلمسانية، إذ عَطل تنفيد مخططها مؤقتا لسببين رئيسيين: فالأول تمثل في وفاة الملكة "إزابيلا" وما أعقبه من مشاكل عائلية داخل بيت الأسرة الحاكمة، أمّا الثاني فهو اكتشاف قارة أمريكا الذي جذب الكثير من المغامرين والباحثين عن الثورة والسلطة من النبلاء والجنود على حدّ سواء[2].

شكّلت التهديدات الاسبانية السلطان الزياني محمد السابع أن يذهب بنفسه إلى اسبانيا ليطمئن الملك فردناند الخامس ويسترضيه بالهدايا، لكن يبدو أنّ الإسبان كانوا مصرّين على تنفيد مشروعهم، مستغليين التنافس على عرش تلمسان بين الأخوين أبي زيّان الثالث المسعود وأبي حمو الثالث بوقلمون[3]، حيث نتج عن ذلك احتلالهم لميناء هنين وتخريبه عام 1531م[4].

وتماشيًا مع ما تمّ ذكره يُمكن القول أنّ الاحتلال الاسباني للمرسى الكبير قد هزّ عرش بني زيّان الذي كان مهلهلا كما أشرنا إليه سابقا، نتيجة الضعف والتفكك، فقد اغتنم الأمير الزياني يحي الفرصة ليتور ضدّ السلطان أبي حمو الثالث، ويُسيطر على مدينة تنس عام 1506م، ففشل السلطان أبو حمو في استعادتها بسبب الدّعم الإسباني للأمير، الأمر الذب أدّى إلى اشتداد الصراع داخل البيت الزياني[5]. هذا فضلا على احتلال مدينة وهران التي كانت بمثابة ضربة ثانية موجعة لبني زيّان، حيث خسرت بموجبها مدينة تجارية هامّة[6]، كما أثّر الوجود الاسباني في وهران على علاقات

---

[1]- عمار عمورة، المرجع السابق، ص 43

[2]- قاسمي بختاوي، المرجع السابق، ص46- 47.

[3]- يحي بوعزيز، **مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ص 66.

[4]- عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 117.

[5]- قاسمي بختاوي، المرجع السابق، ص 47.

[6]- صالح عباد، المرجع السّابق، ص 28.

المملكة الزيانية مع القبائل المجاورة لها، حيث تمكّن الاسبان من استمالة بعضها وجعلها تحت لواءه كقبيلة بني عامر وبني سناسن.

ونذكر من أهم الغارات التي تعرضت لها مدينة تلمسان ونواحيها حملة 1518م على تلمسان في عهد أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي (1516-1528م)، وحملة الملك أونجيلوا مارتينيز 1535م في عهد الملك أبي محمد بن عبد الله بن محمد الثابتي (1528- 1540)، أين تعرضت تلمسان من خلالها إلى مكيدة أخرى أدّت إلى غزوها، حيث أسفرت عن خسائر بشرية من أهل تلمسان بلغت مائتي رجل[1]. كما شنّ الملك الكونت دالكوديت حملة ضد تلمسان عام 1543م على عهد الملك أبو عبد الله محمد[2].

ونتيجة لما أوردناه، وبعد الغارات والحملات المتعاقبة على تلمسان في النصف الأول من القرن السادس عشر، وفقدها المواقع الاستراتيجية الثلاث لصالح الإسبان، أصبحت المواقع الأخرى سهلة المنال، أين أضحت تلمسان ونواحيها بين فكي كماشة، يُحيط بها خطر الإسبان من كلّ جهة، وليس لها من ينصرها ولا من يُعينها، وهي لا تملك القوة التي تمكّنها من المواجهة والصمود، فكان لزامًا عليها أن تجد لنفسها معينا يخلصها من الاحتلال الاسباني، ومن ثمّ كان الارتباط بالدولة العثمانية عام 1555م، بعد أن تولى صالح رايس، الذي أمر الكتيبة التركية التي كان حاكم تلمسان قد طلبها لحمايته، بطرد آخر بني زيّان " مولاي الحسن " الذي فرّ الى الإسبان في وهران ومات فيه، إلى أن دخل حسن بن خير الدين مدينة تلمسان.[3]

4. الوجود العثماني والأطماع السّعديّة بمنطقة تلمسان

شهد النّصف الثاني من القرن 10هـ/16م عثمنة الغرب الجزائري كُليًّا أي جعله تابعًا للعثمانيين، وبالمقابل كانت هناك أطماع كبيرة للسعديين في المغرب الأوسط بعد استغلالهم للأوضاع المتدهورة للدولة الزيانية في محاولة لجعلها تابعة لهم وذلك في 05جوان 1550م إثر محاصرة تلمسان من قبل الشريف محمد المهدي السعدي.

---

[1]- عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص ص 118- 123.

[2]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 110.

[3]- بلبروات بن عتو، المرجع السّابق، ص 55.

خلال هذه الفترة، اتّخذ العثمانيون من مدينة تلمسان ذات الموقع الاستراتيجي القريب من الحدود المغربية، قاعدة للوثوب نحو المغرب، وهيأوا العمل للانقضاض عليه، فقاموا بالاتصال برجال الطرق الصوفية –لمعرفاتهم بتأثيرهم في الشعب– والاتفاق معهم على الحاق المغرب بالدولة العثمانيّة، وقد علم السلطان المغربي بمساعي العثمانيين، فأسرع بالبطش بالطرق الصوفية لتوحيد الموقف الشعبي المغربي وراءه، وتجنيد كل قوى المغرب للدفاع[1]، في الوقت نفسه وحسب المصادر المغربية أنّ الجزائر في هذه الفترة كانت تعيش وضعية سياسية مضطربة ، **هذا حسب عبد الرحيم بنحادة ويقول أنه" تعاقب على الحكم أكثر من خمس أمراء جعلهم يستنجدون خلال الفترة الممتدة ما بين 1517م/1550م**[2].

وقد دفعت هذه الوضعية أهل تلمسان للإستنجاد بالسّعديين لتخليصهم من النفود العثماني [3]، ونظر لها المولى محمد الشيخ السعدي على أنّها قاعدة حملاته التي يُوجهها نحو الشرق حتى مصر، أين قال مقولته الشهيرة" لابدّ لي أن أذهب إلى مصر وأخرج العثمانيين من أحجارهم وأنازلهم في ديارهم..."[4] أين وفد إليه في هذه الفترة وفد من أهالي تلمسان من طرف الأمير الزياني يطلبون منه مساعدتهم ضد العثمانيين، وهذا ما كان ينتظره المهدي لتكون حجّة له من أجل شنّ هجوم على المدينة وماجاورها التي طمحت نفسه لتملّكها[5].

فرأى محمد الشيخ من الرأي اظهار القوة، فجهّز جيشا قويا من أجل أن يبدأهم (العثمانيين) قبل أن يبدأوه[6]، ووضعه تحت قيادة ابنه الشريف محمد الحران، وبعث به ليتولى فتح تلمسان وبلاد المغرب الأوسط سنة

---

[1]– إبراهيم ياسين، **سلطة المغرب في غرب الجزائر، دراسة تاريخيّة** ، 1830–1832، مطابع الرباط نت، المغرب، 2015، ص12.ص 31.

[2]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ص 25.

[3]– مصطفى الغاشي، **الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء صورة**، ط1،مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص 71.

[4]– محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار القرن الحادي**، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، مطبعة بردين، أنجي،1988، ص 42.

[5]– عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 178.

[6] تجدر الإشارة في هذا المقام أنّ المدّ السّعدي على منطقة تلمسان في هذه الفترة، لم يكن غرضه الدّفاع عبى المنطقة، أو من أجل الاستغاثة التي جاء على طلبها أهالي تلمسان وإنّما كان غرضه توسّعيّا، وهذا ماأكّده صاحب " تاريخ الشرفاء بقوله: " وحيث إنّ طموح محمد الشيخ لم يترك

1550م،[1] فنهض من فاس التي حاصرها سنة 1549م لبضعة أشهر فسقطت وانهزم الجيش الوطاسي، أمّا أبو حسون فقد فرّ إلى الشمال، وبهذا يكون قد وضع حدّا لحكم الأسرة الوطاسية باستلائه على فاس[2]، أين قام بطرد الوطاسيين ومن حلفائهم من الجنود العثمانيين والمسحيين[3]، قاصدا بعد ذلك تلمسان. أين جهّز جيشا مؤلف بثلاثين ألف جندي أسند قيادته إلى ولداه عبد الله ومحمد الحران، انطلقت بذلك القوات المغربيّة من وجدة إلى تلمسان حتى نزل عليها، وحاصرها تسعة أشهر، وتذكر بعض المصادر أنّه وفي المقابل؛ "**كان هناك الكثر من العائلات الكبيرة من أهالي تلمسان لهم أقارب في فاس، ولذلك فقد شغل التلمسانيّون مناصب كبيرة في فاس وكثر أنصار المهدي ومؤيدوه في تلمسان والمناطق المجاورة لها** [4]".

أين قُتل في حصارها ولده الحران الذي كان نابا من أنيابه وسيفا من سيوفه. ثُمّ تَمّ له الفتح واستولى على تلمسان ودخلها يوم الإثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة 957هـ/ 1550م، ونفى العثمانيين عنها إلى حد وادي شلف[5]، وبهذا فإنّ سنة 1550م التي تؤرخ للحملة السعدية على تلمسان إنّما تؤرّخ مرحلة جديدة من العلاقات المغربية يطبعها التوتّر من كلا الطرفين.

وبعد أن سقطت تلمسان في أيدي المهدي منتصف القرن السادس عشر (16م)، وعى العثمانيون مخاطر الطموح المغربي وعلى الأقل في ارتكازه على واحدة من المدن التاريخية و الدينية والحضارية وحتى القومية، ومخافة منهم

له وقتا للرّاحة فإنّه عزم في مستهلّ سنة 1550م، على أن يستولي يومئذ على مملكة تلمسان، خاصّة بعد تمكنّه من الوطاسيين وتربعة على عرش فاس، ونستشفّ ممّا سبق ذكره أنّ محمد الشيخ استغل وفد تلمسان لتجسيد مخطّطاته التّوسعيّة في تلمسان خاصّة وإيّالة الجزائر بصفة عامّة.
يُنظر إلى :
- Haedo F.D, Histoire des Rois d'Alger, Tr, H.D. De Grammont, Imprimeur Libraire Éditeur, Alger,1881, p76.

[1]- محمد الطمار، المرجع السّابق، ص 237.

[2]- إبراهيم حركات، **المغرب عرب التاريخ**، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984، ص 278.

[3]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج6، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993، ص 130.

[4]- عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 181.

[5]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى**، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص 25-26.

كذلك في تزايد مساعي المهدي على بقية المناطق الأخرى، بعد أن أصبح له مؤيدين وأنصار كثيرون في تلمسان وماجورها، خاصة بعدما نفى العثمانيين منها وألقى القبض على الأمير الزياني الحسن وأرسله إلى فاس، وفرّ أخوه إلى الجزائر طالبا النجدة من العثمانيين. لذا فقد اسرعوا إلى مواجهة المهدي في تلمسان والعمل على إبعاده عنها[1]، أين أرسل حسن بن خير الدين جيشا بقيادة حسن قورصو[2] قوامه خمسة آلاف جندي مسلحين بالبنادق وألف خيّالة، وثمانية آلاف جندي من متطوعي القبائل الأخرى[3]، أين جرت معارك طاحنة بين الجانبين قرب تلمسان، انهزم فيها عبد القادر السعدي ابن الشيخ المهدي الذي سارع بالإحتماء بأسوار المدينة[4]، في مقابل ذلك أرسل محمد الشيخ مددا كبيرا لابنه، اضطر من خلاله الحسن بن خير الدين إلى الانسحاب ليلا عن تلمسان نحو الجزائر [5].

لعلّ هذا التراجع كان مقصودًا، فبعد أن أحسّ حسن بن خير الدين أنّ الأمر ليس في صالحه، ذلك أنّ قائد قلعة بين راشد منصور بن بوغانم قد انضم إلى السعديين، كما أن الإسبان المستقرون في وهران أبدو استعدادا تاما للتحالف مع عبد الله بن محمد الشيخ، وتجدر الإشارة إلى أن الجيش السعدي لم يكن يريد تلمسان فحسب، بل كانوا يريدون استباحة وتخريب الجزائر العاصمة بالتّحالف مع الإسبان وكذلك الشيخ بوطريق الثائر على العثمانيين [6]، لذا كان تراجع حسن بن خير الدين في صالح العثمانيين.

---

[1]– أحمد العماري، "**خلفيات الحدود الجيو سياسية للأتراك والفرنسيين تجاه وحدة المغرب الكبير**"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، العدد 4، فاس 1986،ص 167.

– أحمد توفيق المدني، المرجع السابق ص 328– 329.

[2]– هو الابن الوحيد لخير الدين من امرأة جزائرية، عيّن في بادئ الأمر كنائب في الجزائر عام 1544، ثم رقي إلى منصب بايلرباي بعد وفاة والده 1546، وكلف بهذا المنصب عام 1546حتى 1567، ينظر إلى محمد خيرالدين فارس، **المرجع السّابق**، ص ص 38–39.

[3]– عمار بن خروف، **المرجع السّابق**، ص 144.

[4] – حليّ بنا أن نُنوّه في هذا الصدد إلى الدّور الكبير الذي قامت به إمارة بني عباس وأميرها عبد العزيز في التّصدي للقوّات السّعديّة وتحرير منطقة تلمسان، إذ يذكر كاربخال أنّ القوات العثمانيّة بقيادة بقيادة حسن قورصو كان مترددا في قتال القوّات السّعديّة التي كانت تحت إمرة الشريف عبد القادر، ويضيف ذات المؤلف أنّ الأمير عبد العزيز عاتب القائد العثماني قائلا له:" أيها السيّد حسان! أبهذا تشكر الأمير على مايعطيه إليك من أجر جزيل..." ينظر إلى : مامول كربخال، إفريقيا، المصدر السّابق، 385.

[5]– عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج6، ص 133.

[6]– صالح عباد، المرجع السّابق، ص 70.

بعد ذلك أعدّ الحسن بن خير الدين حملة أخرى جعل عليها القائد الكاطاني، وأخد بالتحرك إلى تلمسان، أين وقعت معركة اسفرت على استعادة العثمانيين للمدينة وبهزيمة مذلة للسعديين، حيث قتل فيها ثلاث أرباع الجيش المغربي ومن بينهم عبد القادر بن محمد الشيخ وجرح أخوه عبد الرحمن بعد أن قطعت يده وتمكن من العودة إلى المغرب، ولاحق العثمانيون قوات الشريف السعدي حتى مدينة سبدو [1] إلى ما وراء ملوية [2].

أدرك السلطان العثماني سليماني القانوني ما ستخلفه معارك تلمسان ومصرع الأمير الحرّان ابن السلطان محمد الشيخ، من أثر في نفوس المغاربة بعامة والسلطان المغربي بخاصة، ومن أجل تهدئة النفوس والأوضاع بين الطرفين – في وقت كان فيه السلطان يواجه عدّة جبهات، فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب، ويستكمل فتوحاته في أوروبا[3]، لذا أرسل السلطان رسالة إلى السلطان المغربي تحمل تاريخ محرم 959هـ/الموافق لجانفي 1552م جاء فيها " ...**ولمّا بلغ إلى سمعنا الشريف أنّ أمير الأمراء بولاية الجزائر سابقا لم يحسن الجوار مع جيرانه ومال إلى جانب العنف والاعتساف، ونبذ وراء ظهره طرق الوفاق والائتلاف وسدّ باب الاتحاد...لذلك بدلناهم غيره فأنعمنا بولاية الجزائر على مملوك حضرتنا العلية صالح باشا** ..."[4]

---

[1]– مدينة قديمة أسّسها أهل البلاد في سهل جميل على بعد أربعة عشر فرسخا من البحر في اتجاه الجنوب، وعلى نفس البعد من تلمسان يكثر بها الحبوب والمراعي وهي محاطة بالبساتين والحدائق، قام بتخريبها أحد ملوك فاس من بني مرين اثناء حربه ضد ملك تلمسان، ثم أعيد تعمريها بعد ذلك، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2،ص 294. (ينظر الملحق رقم 22)

[2]– ملوية نهر كبير ينبع من الأطلس في ناحية الحوزة عل بعد نحو خمسة وعشرون ميلا من مدينة كرسلوين، فيجتاز أولا بعض السهول الوعرة اليابسة ليصل إلى سهل أكثر وعورة بني مفازات وأنكاد وكرط، ويمر في سفح جبل بين يزناس؛ ينظر :الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 250.

[3]– محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 33.

[4]– عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم**، ج8، أكاديمية المملكة المغربية،1988، ص ص17-20.

ولم يكتفي السلطان بإرسال الرسالة، ففي عام 1553م أرسل السلطان العثماني سليمان القانوني سفارة إلى السلطان المغربي برئاسة الفقيه الصالح أب عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي في محاولة لتهدئة الأوضاع وتحديد مجالات النفود بين الجانبين[1].

ومُجمل القول ممّا تقدّم أنّ محمد المهدي كان رجال مندفعا شجاعا لا يركن للراحة، فقد كان يحارب على جبهات داخلية عديدة بدءا بخروجه عل أخيه أمحد الأعرج؛ وصراعه الطويل مع بقايا الوطاسيين، وأيضا استكمال حروبه ضد الغزاة الإبريين، وأخيرا يفتح بابا عريضا عل تلمسان ، أي كان له استعداد لمواجهة الدولة العثمانية بثقلها البربي والبحري، حيث لم يكن راغبا قي الوجود العثماني ليس فقط في تلمسان، وإنّما في كل شمال إفريقيا بما فيها مصر ، مستعينا في ذلك بكل من يمكنه المساعدة، كالإسبان ورجال الطرق الصوفية والقبائل المتمردة كبين عباس وبين عامر، ولكنه بذلك سيتحمل أعباء فشله في مشروعه، لأنّ العثمانيين لن يكتفوا بصدّه فقط، ولكنهم سوف يتوغلون إلى العمق المغربي ليناصروا عدوه الأول أبا حسون الوطاسي الذي كان قد فرّ إلى الشمال كما ذكرنا سابقا بعد أن استولى على فاس عام 1549.

5. حملة صالح رايس واحتلال فاس 1554م:

في نهاية أفريل 1552 عيّن صالح رايس[2] بايلربايا وإعطاء اللقب للوالي التركي على الجزائر يكشف عن الأهميّة التي كان يوليها الديوان العثماني للجزائر، وحسب مبارك الميلي يعود الفضل في تعيين صالح رايس على الجزائر للسفير الفرنسي الذي كان يثني عليه لدى الديوان الهمايوني وقدم له خدمات جليلة[3].

---

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السّابق، ج5، ص 33.

- فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانيّة، ج1، تق، خالد أَرَن، مركز الأبحاث للتّاريخ والفنون والثقافة الإسلاميّة، استانبول، 2019، ص 160.

[2]- ولد بالإسكندرية، وكان يعمل إلى جانب خير الدين وتحمل قيادة الاسطول العثماني، وعرف بالشد والعزم والإقدام، ينظر إلى أسماء أبلالي، **التحرشات الاسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 16**، **مجلّة روافد للبحوث والدراسات**، العدد2، 2017، ص 58.

[3]- محمد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1924، ص 81.

بعد النّزاع الذي حدثَ بين محمد الشيخ وأبي حسون الوطاسي حول السلطة والعرش، وتمكّن محمد الشيخ من إخراج هذا الأخير من دار ملكه بفاس وامتلاكها، بذل أبو حسون جهوده لاستعادة ملكه فبعد اتصاله بنائب ملك اسبانيا ثم شارلكان –دون جدوى–، استنجد بالبرتغال فزوده ملك البرتغال جان الثالث بخمسة قطع بحرية، لكنه سرعان ما وقع في قبضة الجيش العثماني في عرض البحر المتوسط،[1] إثر اصطدامه بقطع الأسطول العثماني الذي أخذه أسيرًا مع ما كان يصحبه من عتاد ورجال إلى الجزائر، وهنا بدأ احتكاكه بساحل رايس بيلرباي الجزائر[2].

تهيأت لصالح رايس فرصة مواتية بموجبها يمكن له التخلص من الخطر السعدي، في المقابل طلب أبو حسون مساعدته بعد أن دخل السعديون فاس للمرة الثالثة 1553م، أين أعتبر صالح رايس أبو حسون الوطاسي هو الوسيلة التي من خلالها يستطيع تحقيق مآربه لتوسيع نفوده وحدود مملكته بتجاه فاس، لأن طموح العثمانيين في ضمّ المغرب بقي قائما، وانّهم ميّالون إلى تحقيق ذلك من خلال هذه المساعدة[3].

جاءت الأحداث اللاّحفة في فتح التدخل السعدي على تلمسان ونواحبها تطوّرات جديدة من خلال الأحداث التي أعقب هذا التدخل، خاصة بعد الرسالة التي بعثها السلطان العثماني للشيخ محمد المهدي لتؤكد حقائق أخرى ونوايا توسعيّة في باطنها من أجل ضم المغرب، بالرغم من أن ظاهرها كان بوصي بحسن الجوار والتعاون بين الطرفين. ففي هذه الأثناء راسل حاكم الجزائر قائد تلمسان بضرورة الحفاظ على المناطق الحدودية بين تلمسان والمغرب، وهذا ما جاء في الوثيقة، التي نصّها هو الآتي : " **من حكم إلى أمير أمراء جزائر الغرب: وهي عبارة عن رسالة إلى المقام الشاهاني من قاضي جزائر الغرب وآغا الانكشارية حول ضرورة معالجة وضعية تبعية مدينة مكناس لسنجاق تلمسان، وعدم ترك فرصة لحاكم فاس للتدخل في شؤون هذه المناطق**..."[4]

---

[1]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص 281.

[2]– عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ج8، ص 23.

[3]– محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 35.

[4]– ف. م. د رقم: 52/ عدد227/تاريخ:992.

استعدّ العثمانيون بقواتهم البحرية (22سفينة حربية) والبرية بقيادة صالح رايس لمساندة أبو حسون الوطاسي غام 1553م، استطاع هذا الأخير السيطرة على بادس[1] في الساحل، وتقدّم نحو الداخل مع القبائل المنضوية تحت لوائه، أين جرت اصطدامات عسكرية، مع قوات السلطان محمد الشيخ، إلاّ أنّ الهزيمة ألحقت بالقوات المغربيّة، وانفتح المجال أمام القوات العثمانيّة نحو داخل المغرب إلى تازة [2]حتى وصلوا أطراف العاصمة فاس في أوائل جانفي 1554أين أجبر السعديين على ترك المدينة، وحال استقرار القوات العثمانية بقيادة صالح رايس، حيث قرئت الخطبة باسم السلطان العثماني كما سك عملة عثمانية فيها[3].

ويقول الإفراني في هذا الموقف: "... **ولمّا دخل فاسا فرح به أهلها فرحا شديدا وترجّل هو وصار يعانق الناس كبيرا وصغيرا، وشريفا ومشروفا وهو يبكي على ما مهمه وأهل بيته من فتن الأشراف السعديين، واستبشر الناس بقدومه وتيمّنوا بطلعته**[4]" في المقابل أظهرت القوات العثمانية سطوتها وسيطرتها، أين حصلوا على غنائم كثيرة، في هذه الفترة تذكر المصادر أنّ العثمانيون بدأوا الإساءة لأهالي فاس، فعمّ الاستياء منهم بشكل كبير،في هذا أورد المؤرخ المجهول نصا يفيد أنّ العثمانيين لما دخلوا فاس فيها فسادا: " **ولمّا رأى الترك محاسن البلاد ومنعتها أعجبتهم وأخدوا غرّتها وكتبوا بذلك إلى الجزائر...وكانوا يفعلون في المدينة ما أرادوا...وينهبون من الأموال ما يشاؤون، فضاقت الرّعيّة ممن سوء فعلهم وقبيح صنعهم...**"[5] ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد حاولوا الإطاحة بأبي حسون وإعلان التبعية المغرب للسلطان العثماني، وقُوبل ذلك بأن وقف الأهالي إلى جانب أبي حسون، وفي الحال عاد صالح رايس إلى الجزائر بعد أن دفع له أبو حسون تعويضات كبيرة، في المقابل يبدوا أنّ الجالس على عرش تلمسان كان ظالما

---

[1]- مدينة مبنية على ساحل البحر المتوسط يقول بعض المؤرخين أنّ الأفارقة هم مؤسسوها ويقول آخرون أنّ القوط هم من بنوها، واقعة بين جبلين قرب وادي سحيق، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 325.

[2]- مدينة كبيرة نعيش في رخاء على أرض خصبة أسسها الأفارقة على بعد نحو خمسة أميال من طرابلس وتبعد عن فاس بنحو 50ميلا؛

الحسن الوزان، نفس المصدر، ج1، ص 354.

[3]- محمد علي داهش، المرجع السابق، ص ص 35-36.

[4]- الإفراني، المصدر السابق، ص 30.

[5]- مؤلف مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية**، تح: عبد الرحيم بن حادة، دار تيمنل، مراكش، 1994، ص 26.

سيء السيرة فضاق ذرعا أهل المدينة ونواحيها من تصرفاته الشنيعة[1]، فاغتنموا فرصة وجود صالح رايس بتلمسان، فرفعوا إليه شكواهم منه، فطلب في الحين رأي العلماء فيه، فاجتمعوا وقرروا خلعه، فأعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان وانضمام تلمسان نهائيا إلى الدولة الجزائرية وذلك عام 1554[2]قبل أن تلتحق بباياك الغرب في فترات لاحقة.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ الشريف المهدي قد استولى مجددا على تلمسان عام 1557م، غير أنّها لم تبقى طويلا تحت حكمه، حيث تمكّن خسن باشا من استعادتها والسيطرة عليها، ولم ينته الصراع بين الطرفين، حيث ظلّت أنظار السعديين دائما متوجهة نحو تلمسان وأحوازها، كما هو الحال بين حاكم فاس مولاي أحمد عندما أرسل عددا من جنوده إلى منطقة فلاوسن لضبط مواردها ومنع جنود الجزائر من تحصيل المستحقات المالية منها، ولم يقف عند هذا الحد فقط بل تجاوزه إلى قتل مشايخ القبائل ، الأمر الذي اضطر البايلرباي إلى مراسلة الديوان الهمايوني وإحاطته بوضع المنطقة المتنازع عليها، وقد تمّت استجابة الديوان بإرسال الجنود لضبط الموارد المالية والتصرف فيها، بالإضافة إلى الحيلولة دون وقوع مشاكل بين حاكم فاس وبايلرباي الجزائر.[3] ونجد في وثيقة أخرى استمرار هذه الأطماع حيث اعتزم الشريف السعدي الإغارة على تلمسان عام 1573م وهذا حسب ما أورده المخبرون لبايلرباي الجزائر.[4]

ومن جهة أخرى، يرى أمحمد العماري أنّ الخلاف بني الشرفاء والعثمانيين لم يكن في عمقه يتمحور حول مشكلة الحدود، وإنّما كان حول مسألتين أساسيتين، أولا: "الخلافة" التي كان السعديون والعلويين يعتبرون أنفسهم أحق بها من العثمانيين وينظرون إلى هؤلاء كمغتصبين لها، ثانيا: وحدة المغرب العربي التي كانت تبدو ضرورة تدعّمها الحجة التاريخية والمعطيات المشتركة.

---

[1]- دييغودي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، المغرب، 1989، ص 205.

[2]- أحمد توفيق المدني المرجع السابق، ص 343؛ ينظر أيضا: محمد الطمار، المرجع السابق، ص 238.

[3] - فاضل بيات، **المرجع السّابق**، ص 79- 80.

[4] - نفسه، ص 298.

6. التّدخل العلويّ بمنطقة تلمسان:

تُحيلنا القراءة الأولية للتدخل العلوي في تلمسان ونواحيها، أنهم ومنذ ظهورهم[1] في منتصف القرن السابع عشر الميلادي وجه السلاطين العلويون الثلاثة الأوائل – أبناء علي الشريف- اهتمامهم إلى استرداد مناطق شرق المغرب وقاعدتها وجدة من أيدي الأتراك مُستغلين تدهوّر علاقة الأتراك مع القبائل الجزائرية بالأقاليم الغربية للجزائر لإثارتها ضدّ الحكم العثماني ومُحاولة تَوسيع دائرة نفوذهم بالقُطر الجزائري.[2]

وانطلاقًا من هذه الرؤية التّاريخيّة، قام محمد بن الشريف بن علي(مُؤسّس الدّولة العلويّة 1640م-1664م)، بمجرد إتمام سيطرته على "سجلماسة"[3] وَ"وادي درعة"[4]، وكسب التّأييد السيّاسي والعسكري الذي لقيه من أهالي المدينتين والمناطق المُجاورةِ لها، بالاستلاء على وجدة، ثمّ توغّل في المغرب الأوسط، وطرد منها الأتراك وأنصارهم

---

[1]- اتّفقت المصادر والنّصوص التّاريخيّة، على أنّ النسب العَلوي يَرجع إلى الأشراف، ويتّصل عمود نسبهم بأبي القاسم محمّد المِلقب بالنّفس الزّكيّة، وبالمهدي بن عبد الله

الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي – رضي الله عنه- وفاطمة الزّهراء بنت الرسول ، وتخبرنا المصادر أنّ دخول العلويين إلى المغرب الأقصى كان مُرتبطاً بدخول الحسن بن القاسم المعروف بـ" بالحسن الداخل " ، لكونه بأوّل من دخل سجلماسة، وذلك في أوائل الدولة المرينيّة سنة 1265م، بطلب من حجّاجها، وبعد استقراره بتافيلات، تزوّج بإحدى بنات سجلماسة هناك أنجب نسله من الشُرفاء العلويين. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: أحمد بن محمد المدغري العلوي، **الأنوار الحسنيّة في نسبة من سجلماسة من الأشراف المحمدية**، تح: عبد الكريم الفيلالي، ط1، مطبعة فضالة، منشورات وزارة الأنباء، المحمدية، 1966، ص 27.

[2]- إبراهيم ياسين، **سلطة المغرب في غرب الجزائر، دراسة تاريخيّة** ، 1830-1832، مطابع الرباط نت، المغرب، 2015، ص12.

[3]- هي مدينة في الصّحراء بالمغرب الأقصى، وهي تقع على نهر يُقال له زيز، وتجمع على انتمائها إلى واحة تافيلات ، وهي من أعظم مدن المغرب على طرف الصحراء، وهي تمثّل محطّة تجاريّة أساسيّة بها، إذ أنّها ربطت بين جهات مُختلفة، حيث تُعتبر صلة وصل بين السودان وإفريقيا، وشكّلت بذلك منفدا رئيسيًا من منافد المغرب إلى الصحراء، إذ منها كانت تنطلق القوافل التجاريّة نحو مناطق جنوب الصحراء، وهي أيضا حسب الباحثين ثاني مدينة إسلامية بالغرب الإسلامي بعد مدينة القيروان. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص ص 120-121.

[4]- مدينة بالمغرب من جهة سجلماسة عامر آهلة، بِها جوامع وأسواق حافلة كثيرة ومتاجر رائجة ، وتعرف بواديها ينبعث من جبل درن يجري من المشرق إلى المغرب، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى : عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: احسان عباس، مطابع هيدرلبرغ، بيروت، 1984، ص 235.

عام1654م، وأتبع ذلك بحملة واسعة داخل الإيّالة العثمانيّة على رأس عدد من القبائل الجزائريّة التي انضمت إليه، وتمكّن من هزم الحامية التركية بتلمسان، في هذا الصدد يُخبرنا النّاصري بقوله:" ...، ثمّ دلّته العرب على أولاد زكري و أولاد علي وبني سنوس المجاورين لهم، فشنّ عليهم الغارات، وانتهبهم فمحلوا في طاعته، ثمّ سار إلى ناحيّ ندرومة، فشنّ الغارة على مضغرة وقديمة وترارة وولهاصة ...الخ "[1] وفي موضع آخر يُشير صاحب كتاب "التاريخ الضعيف"بقوله: " وفي سنة أربع وستين وألف (1064هـ)، نهض مولاي الشريف إلى ناحية تلمسان وما حولها من العربان، فأوقع بالتّرك على ظاهر تلمسان وقتل منهم جُملة وفرّ كبيرهم، وأوقع بأعرابها بني عامر وغيرهم"[2]، ثم وصل في اندفاعه إلى نَواحي الأغواط وعين ماضي جنوب مدينة الجزائر على مشارف الصحراء[3].

وعلى ضوء ما تقدّم، شعر العثمانيين بأنّ أمر غَرْبَ الجزائر قد يمكن أن يخرج عن سيطرتهم، في ظلّ الانتصارات الكبيرة التي حقّقها محمد بن الشريف، فضلاً عن إعلان بعض القبائل بيعتها للأمير العلوي، إذ أرسل والي الجزائر "عثمان باشا" (ت 1655م) بجيش قويّ إلى ناحية تلمسان[4]، فانسحب الأمير المغربي إلى سجلماسة وهناك بعث إليه "باشا الجزائر" سفارتين متتاليتين، حضه في الأولى على التوقف عن إثارة القبائل الجزائرية ضد حكامها، وتوجيه جهوده إلى قتال النصارى المحتلين لثغور بلاده، وكان من نتائج السفارة الثانية أن تعهّد الأمير المغربي بأن لا يتجاوز مستقبلاً الحدّ الذي كان يمثله[5].

ومن جهة أخرى تذكر النّصوص، أنّ النّزاع قد تجدّد بعد وفاة "المولى الشريف" (1069هـ) في عهد "الرشيد بن الشريف العلوي" (1666- 1672)[6]، وذلك بعد أن سعت بعض قبائل ناحية تلمسان للدّخول في طاعته،

---

[1]- أحمد بن خالد النّاصري ، المصدر السابق،ج6، ص 30.

[2]- محمد بن عبد السلام الضّعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف، (تاريخ الدّولة السعيدة)**، تح وَ تع وَ تق: أحمد العماري، ط1، دار المأتورات، الرباط، المغرب، 1986، ص 19.

[3]- إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص 12.

[4]- أحمد الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 332.

[5]- الضعيف الرباطي، المصدر السابق، 20.

[6]- تجدر الإشارة إلى أنّ المولى الرشيد، في عذه المرحلة قام بالاستلاء على الزّاويّة الدّلائيّة في الثامن المحرّم من تسع وسبعين وألف (08مُحرم 1079هـ/17جوان 1668م)، ولما خرج إلى أهلها، أمر محمد الحاج وأولاده، بعد أن وقعت هزيمتهم في معركة 'بطن الرمان"، بالخروج إلى فاس

فاحتجّ العثمانيين على ذلك وأظهروا له العهد الذي قطعه أخوه محمد بن الشريف على نفسه باحترام حدود تافنة، فتراجع السلطان الرّشيد عن خططه نحو تلمسان ونواحيها[1]. وفي عهد السلطان إسماعيل بن الشريف (1672-1727) استؤنفت الحملات العسكرية بين الجانبين، وقد ركّز العثمانيين جهودهم على خلق متاعب داخلية للسلطان المغربي إسماعيل، فقدّموا دعمهم لعدد من الخارجين عليه مثل الخضر غيلان ببلاد الهبط وآل النقسيس بتطوان وأحمد بن محرز بالجنوب، وبعض الأمراء الدلائيين، وقام بدوره السلطان من جهته بتوجيه عدد من الحملات العسكريّة إلى داخل الجزائر من تلمسان وتوّغل حتى نواحي الشلف، غير أنّ الهجمات المتبادلة كانت تنتهي بالصّلح وبإعادة إقرار حدود تافنة[2].

خامسا: المؤسّسات الإداريّة بمنطقة تلمسان

1. التنظيم الإداري:

عرفت إيالّة الجزائر أثناء العهد العثماني فترات من الفوضى والاضطرابات ارتبطت بعدم الاستقرار السياسي والإداري، ممّا كان له تأثير على الأوضاع العامة، غير أن هذه الحالة لا تنفي وجود محاولات إصلاحيّة، كان الغرض منه هو إحداث تغيير شامل على هذا التّدهور الذي شهدته الإيّالة، ولعلّ أهمها هو المحاولات التي قادها الداي عثمان باشا، والتي تكللت فيما بعد باستكمال الوحدة السياسية للبلاد بعد تحرير وهران سنة 1792م، وكان هذا التحرير بمثابة استرجاع الأندلس في نفسية الجزائريين، ممّا جعل الكثير من المعاصرين للحدث يشيدون بصاحب المشروع بقولهم:

ويسكنوا بها، فاستوطنوها مدّة، ثمّ أمر أن يُذهب بهم إلى صوب تلمسان في سنة (1079هـ1669م)، إذ نزلوا في مقام العباد في حضرة ضريح أبي مدين الغوث. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: أبو الربيع سليمان الحوات، مخطوط البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية، مكتبة الطالب بالرّباط، رمز MS ARAB، الورقة رقم 100؛أبو العباس الناصري، المصدر السابق،ج6، ص 50؛ ينظر أيضا: محمد حجي، **الزّاوية الدلائية ودورها الدّيني والعلمي والسيّاسي** ،المطبعة الوطنيّة، الرباط، المغرب، 1964، ص 235.

[1] – إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص 13.

[2] –أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج6، ص 83؛ إبراهيم ياسين، المرجع السابق ص ص 13- 14.

فَسَارَ مَسِيرُ الشَّمْسِ فِي كُلّ بَلَدٍ وَهَبَّ كَرِيحٍ يَجْلُبُ الغَيْثَ نَافِعُ

فَفَاقَ مُلُوكُ الأَرْضِ طـرًّا كَأَنَّــهُمْ نُجُومُ وهو بَيْنَهَا البَدْرُ طَالِعُ

فَقَدْ سَادَهُمْ عِلْمًا وَحِلْمًا وَنجْدَةً وَبِالجُودِ والإِقْدَامِ لِلْكُلّ جَامِعُ[1].

1.1 الإدارة المركزية:

تحدّثنا في العناصر السّابقة من هذا الفصل عن الإدارة وأجهزتها وأنظمتها على المستوى المركزي، من خلال التطرّق إلى طائفة الريّاس التي توّلت رئاسة التنظيم الإداري والعسكري، ويساعده في مهامه الديوان الذي يتشكّل من كبار الضباط ومجلس يضمّ أعيان البلاد والعلماء، ثمّ أصبح الحاكم يُعيّن من فيما بعد من قادة الجيش البرّي، فضلا عن التقسيمات الإدارية، لنصل إلى الإدارة على مستوى المحلي (البايلك الغرب) حيث خصصناه في الحديث عن التنظيم الإداري في المدن والأرياف وتطوّراته وتحوّلاته، مع الإشارة بتعريفات موجزة عن موظفيه التي تكفّلت بتسييره.

2.1 الإدارة المحليّة:

وسنبيّن في هذا العنصر التّنظيم الإداري في تلمسان ونواحيها في العهد العثماني، في إشارة إلى التنظيمات الإدارية المحليّة على مستوى أجهزة القضاء والمؤسسات الوقفية خلال هذه الفترة.

يذكر لنا الباحث" بلبروات بن عتو" أنّه قد كانت تلمسان من النّاحية الإدارية والسياسيّة سوى مقرًا للقائد التركي بالقطاع الغربي لبايلك الغرب الجزائري، تناظرها بلدة زمورة في القطاع الشرقي لبايلك الغرب، كما ظلّت طيلة العهد العثماني مدينة مهزومة فقدت زعامتها السياسيّة ولم تحظ أن تكون عاصمة لا للبلاد ولا لإقليمها الغربي رغم تنقل مقر الباي عبر عدّة مُدن لم تكن عواصم في السابق.[2]

---

[1]- أبو راس الناصري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، المصدر السّابق، ص 411.

[2]- بلبروات بن عتو، المرجع السّابق، ص 76.

2. المؤسّسة القضائيّة:

1.2 التنظيمات الإدارية الخاصّة بمؤسسة القضاء[1]:

يُعتبر القضاء من المواضيع الهامّة والمجالات الحسّاسة لأي دولة ولأي مجتمع من المجتمعات، ذلك لأنّه يجمع بين الحاكم والمحكوم، إذ عرفت الجزائر أثناء العهد العثماني وجود مذهبين في الممارسة القضائية، ومنه محكمتين مالكية وحنفية، تتميّز كل منهما بمفتيها وقاضيها، استجابة للاستقلالية كل مذهب، بينما تأسّس في خِضم ذلك مجلس علمي يظمّ علماء من كلا المؤسستين، وينظر في المسائل المشتركة وذات الأهمية، وممّا يجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أنّ القضاء في الجزائر قبل دخول العثمانين كان مُرتكزا على تعاليم الشريعة الإسلامية الحنيفة، وفق المذهب المالكي، وذلك إلى غاية دخول العثمانيين إليها إلحاقها رسميًا بالدولة العثمانية، حيث أصبح مذهب السلطان هو المذهب السيد والأول[2] في كل الولايات العربية التابعة لحكم العثمانيين بما فيها الجزائر، في كلّ تعاملاتهم القضائية[3] .

في هذا السيّاق، تميّز القضاء في تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني بنوع من الفوضى والتجاوزات ضدّ أصحاب المظالم، فقد شكّل ذلك سمة بارزة في ظلّ الترتيب الإداري له في هذه الحاضرة من جهة، واحترام العامة والمجتمع التلمساني له من جهة أخرى، وتجلّى ذلك جليّا في حادثة الشيخ والمفسر والأديب ابن اللّو، الذي أسيئ معاملته من طرف القائد حفيظ التركي، الأمر الذي اضطره إلى الهجرة والخروج من تلمسان[4] وهي إشارة تؤكّد الإهانة والانتقاص من مكانة العلماء من قبل العثمانيين. في نفس السياق يُخبرنا صاحب كتاب "الصلحاء "إدموند دوتي"، حيث قال "

---

[1]– تعريف القضاء، للقضاء تعريفات عديدة، فعند فقهاء المالكية فهو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، أمّا عند فقهاء الحنفية فهو يدلّ على الفصل في الخصومات وقطع المنازعات؛ محمود جبر الفضيلات، القضاء في صدر الإسلام، شركة الشهاب للنّشر والتذوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص13؛ أيضا: عبد الله بن محمود الموصلي بن مودود، الاختيار لتعليل المختار، تع: محمود أبو دقيقة، المجلد 01، دار الكتب العلميّة للنّشر، بيروث، لبنان، (د.ت)، ص 82.

[2]– على ضوء ما تقدّم، يمكن القول أنّ المذهب الحنفي أصبح يمثّل مذهب السلطة الرسمية في إيّالة الجزائر، وموضع الأسبقية.

[3]– محمد بوشنافي، **القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني (10–13/16–19م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلوم الآثار، وهران، 2007–2008، ص 346.

[4]– مصطفى عبيد، "**القضاء بالجزائر خلال العهد العثماني**"، **مجلة عصور جديدة**، العدد 11– 12، 2013– 2014، ص 214.

فقد كان التلمسانيون على غرار بقية سكان الجزائر يحجمون عن تقديم تظلماتهم ودعواتهم للسلطات التركية ضد الموظفين الذين اعتدوا على حقوقهم وحريّاتهم ....بسبب انتشار الدسائس"[1]

من جانب آخر، حليّ بنا أن نُشير إلى أنّ سكان تلمسان ونواحيها كانوا متأثرين كثيرا بهذا المنصب إلى حدّ الوقار العلمي والهيبة والرهبة والعدل والاحترام، وهو ماتوضّحه عبارة **" بلا سيدي علي"** وهي عبارة كانت تعني **" لا يفيد أن نتقابل عند القاضي"** حيث كانت معيارا للعدل والإنصاف، وهو ما تجلىّ ذلك عند العالم أبي الحسن السلكسيني الجاديري التلمساني (ت 972هـ/1565م)، الذي أصبح يضرب به المثل داخل المجتمع التلمساني في تلك الفترة من خلال استقامته كقاضي صارم في أحكامه وفتاويه. الأمر الذي دفع سكان تلمسان وحتى نواحيها إلى عرض قضاياهم في كثير من الأحيان إلى صالح أكثر من المثول إلى قاض، في واحدة أخرى تكشف فقدان هاته الأجهزة الشرعية شرعيتها في إصدار الأحكام.

2.2 التراتيب الإدارية لمؤسسة القضاء بمنطقة تلمسان:

– الباشا: يُشكّل هرم الجهاز التنفيدي في حكومة إيّالة الجزائر، ولذلك فهو بمثابة القاضي الأعلى والمسؤول الأول في جهاز العدالة، إذ كان ينظر في القضايا المعقدّة والخطيرة، كالقضايا المدنية والإجرامية، من سرقة ومراقبة للأسعار، فضلا عن قضايا الجنود والأجانب، وذلك بحضور أعضاء الدّيوان والموظفين الساميين للإيّالة.

– البيت المالجي: يُعتبر من الموظفين الساميين في الإدارة العثمانية، مهمّته التصرّف في الأملاك والثروات التي تُصبح ملكا للدولة على شكل تركات بعد وفاة أصحابها أو يفرهم دون عودة أو فقدانهم دون أن يثر لهم على أثر، وذلك لانعدام ورثة شرعيين يرثونهم، وقد ازداد نشاطهم يبرو بشكل أكبر فب فترات الجوائح التي كانت تصيب البلاد من فترة إلى أخرى.

---

[1]– محمد بومدين، "**من مظاهر النشاط الديني والاجتماعي لمؤسسات القضاء بتلمسان على عهد العثمانيين من خلال النصوص الشرعية والوثائق الأرشيفية، – دراسة تاريخية اثنولوجية–" مجلة أنثروبولوجية الأديان**، المجلد، 19، العدد 02، تلمسان، الجزائر، جوان 2023،ص 79.

– **الخزناجي**: وهو الموظف المختص بالإشراف على الخزينة، أوكل إليه أمر حراستها، وإيداع مصادر دخل الدولة بها، في شكل نقود ومقتنيات ثمينة، مع الإشراف على وجوه الإنفاق المختلفة، وممّا زاد في أهمية هذا المنصب تلك المكانة التي أصبح يحظى بها هذا الموظف السامي، نظرا لكونه المتصرف في أمور الخزينة والتي تُعتبر العصب الحيوي للدولة، هذا ما أهّله للعب دور رئيسي في الجهاز الإداري. وقد عثرنا على معاملات خصّت مجموعة من الخوجات في مدينة تلمسان.

– **آغا العرب**: يُشكّل نائبا للباشا خارج مدينة الجزائر والمسؤول الأول على فرقة الحامية الإنكشارية، كان يتمتع بصلاحيات واسعة، يساعده القياد والشيوخ، فضلا عن قبائل المخزن[1] الموالية للسلطة المركزية.

– **الشرطة**: برزت هذه الفئة منذ العهود الأولى في الدولة العثمانية وذلك بظهور منصب **" صوباشي "**[2]، عرفت هذه الفئة تنظيما محكما أيام الدولة العثمانية.

– **المحتسب**: هو من يراقب الأسواق والأسعار والموازين والمكاييل.

– **الوكيل** : هو من يُشرف على الحبوس (الأوقاف)

– **الناظر**: هو المشرف العام على كل الوكلاء

– **المزوار**: هو من يقوم بدور مسؤول الشرطة فيما يتعلق بالأخلاق العامّة والمخالفات الاجتماعية، وحراسة زنزانات السجون...الخ

– **الشواش**: متعددة من حراسة السجون (باش سيّار) وإلقاء القبض على الأتراك ومعاقبتهم (باش سايس)

---

[1]– على ضوء ما تقدم، مايمكن الإشارة إليه في هذا المقام هو إتقديم نموذج لهاته القبائل التلمسانية المولية للسلطة ، يتعلق الأمر بقبيلة أولاد نهار التي اشتهرت بدورها السياسي هي كلك ، كونهم كانوا يشكلون قبائل المخزن، فقد كان لهم دور إداري في تسيير بقية القبائل الخاضعة وقبائل الرعية، وذلك ماجاء عند –عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلاني، بقوله: "...فأقول أنّهم كانوا على سيرة محمودة معتبرين عند الخاص والعام من قبل احتكام الدولة الفرنسية وفي عهد الأتراك كانوا مخزنا لها وأعمدة لها لشجاعاتهم وكرمهم وسياستهم مع الخلق ونصحهم للدولة وبقوا على هذه الحالة إلى أن استولت الدولة الفرنسية على شمال افريقيا، ولقد تواصلت واستمرت تلك العلاقة السياسية بين زاوية أولاد نهار وعلمائها والسلطة العثمانية بتلمسان حتى الدخول الفرنسي لهذه المنطقة.

[2]– الصوباشي، هو عبارة عن موظف في الدولة العثمانية، ظهر منذ العهود الأولى، وكان ينتمي إلى فرقة الجيش الانكشاري؛ للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: محمد بوشنافي، القضاء و القضاة...، المرجع السابق، ص 204.

– **الدلاّل**: التعريف بالسلع في الأسواق وتحبيبها للمشترين مقابل مبلغ مالي يُقدّر عموما بدرهم من كل دينار عن السلعة المباعة .

– **البرّاح**: وهو الذي يعلن عن مختلف القرارات والأوامر الصادرة عن الإدارة أمام الملأ بالمدينة.

– **الباي**: يُعتبر الباي المسؤول الأول على الجهاز الأمني والقضائي نيابة على الباشا، يُساعده في ذلك عدد من الموظفين منهم :

– **قايد الدار**:يُعتبر من الموظفين الرئيسيين في البايلك فكان المشرف على إدارة المدينة عند غياب الباي

– **الحاكم**: يُشكّل أهم موظفي البايلك، إذ كان يمارس مهامه على مستوى المدينة دون الأرياف.

–**القايد**: يُمثّل سلطة البايلك وينوب عن الباي في حكم المنطقة، يشترط في تعيينه أن يكون من العنصر التركي أو الكرغلي، مثلما هو الحال في مدينة تلمسان[1].

إلى جانب موظفي الحكومة والبايلك الذين كانوا يسهرون على حفظ الأمن ويمارسون صلاحيات قضائية، وجد داخل مدينة تلمسان المدنيين، هياكل قضائية والتي كانت لهم علاقة وطيدة بمؤسسة القضاء في هذه المدينة ونواحيها، نذكر من أهمهم:

3.2 مؤسسة الجماعة:

كانت هذه المؤسسة عبارة عن **"مجلس الأعيان"** تتكوّن من أشراف وأعيان ومرابطي تلمسان ونواحيها، حيث كانت تتمتع بسلطة معنوية تحظى باحترام وثقة الجميع، تفصل عادة بين الأفراد والجماعات عن طريق الصلح، إذ كانت تعقد جلساتها في الأسواق الأسبوعية والساحات العمومية تحت رئاسة **"شيخ القبيلة"** [2] ومن الشيوخ الذين

[1] – محمد بوشنافي، القضاة والقضاة، المرجع السّابق، ص 205، نظر أيضا: مصطفى عبيد، القضاء بالجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السّابق، ص 217.

[2]– وجد هذا المنصب قبل مجيئ العثمانيين بوقت طويل، إذ كان يشرف على تسيير شؤون القبيلة، فيختار من بين الأعيان وفق شروط محددة، كالأخلاق الحميدة والحكمة والنفود...، كما يعيّن من القايد الذي يستشير في ذلك آغا العرب، وبسبب ذلك اعتبر متحررا من السلطة المركزية في مدينة الجزائر؛ للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد بوشنافي، القضاء والقضاة...، المرجع السابق، ص 239.

تقلدوا هذا المقام "مصطفى الدلاصي المصري التلمساني"، حيث كان هذا الأخير مُفتيا في بعض القرى والمداشر بنواحي تلمسان، ومثله" ابن مريم" الذي أشرف على عقد الصلح التي ورد ذكرها في رحلة البطوئي حيث قال: **" فإذا بأهل الحناية أتوه ليصلح بينهم، وقد كان ارتحل إمامهم، فرغبوه أن يؤم بهم بمسجدهم، قال: فخطر بباله ما رآه في منامه، فأجابهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا فبقي بينهم حتى أتاه أجله..."**

4.2 القاضي الشرعي:

يُعتبر الداي من الناحية المعنوية القاضي الأعلى بالبلاد، ويتولى شخصيا تعيين القاضي الشرعي بدار السلطان، بينما يتولى البايات في البايليكات الثلاث، قسنطينة ووهران والتيطري تعيين قضاة الشرع، ويساعد القاضي الشرعي في أداء مهامه كل من الباش عدل والشواش (الشرطة)، وذلك لتأمين جلسات المحاكمة التي كانت تعقد إمّا بالمسجد أو في الساحات العمومية أو الأسواق.[1] . وقد أوردت لنا وثائق محاكم تلمسان أمثلة عن هؤلاء القضاة هو كالآتي: " **الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلّم عن إذن قاضي الترايك السيد أبي الحاج محمد بن الحاج الواضع طابعه أعلاه؛ إلى العالمين الأفضلين: أبي البشير وأبي...أبي الحاج السلام عليكما والرحمة والبركة تتفاصل مع بن أخيكما أبي أحمد، تأخذوا ما في المفاصلة التي بيده، ويربح كلّ واحد من الورثة الآخر من النزاع والمفاصلة التي بأيديكما فيها الغلط...والحاصل تجمع الورثة وتعطوا كل ذي حقّ حقه، والله يكافيكم ويبقي عليكم السّتر بتاريخ أواسط جمادى الأولى من عام ستّة وعشرين ومائتين وألف(1226). وكتب عبد ربه (داخل الرسم):عبد القادر بن علي وفقه الله آمين[2]. (ينظر الملحق رقم 09)**

[1] عبيد مصطفى، القضاء بالجزائر، المرجع السابق، 212.

[2] مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 45.

5.2 المحكمة الشرعية:

تميّزت المحكمة الشرعية بالازدواجية في الجزائر خلال العهد العثماني، ويتّضح لنا ذلك في وجود ثنائية الهياكل والأحكام القضائية، حيث وجدت محكمتين[1]، المحكمة الشرعية الحنفية إذا كان الأمر متعلقا بالأتراك والكراغلة وبعض الحضر، في حين وجدت أيضا المحكمة الشرعية المالكية، إذا كانت القضايا تخصّ سكان الجزائر الأصليين، وهما بمثابة محكمتين ابتدائيتين[2]. وكان يُساعد القضاة في مهامهم تلك، أعوان من الناظر والوكيل والمقدم والعدول المعنيون بشكل مباشر من طرف الداي أو الباي، والذين يعتبرون بمثابة هيئة تنفيدية، إلاّ أنهم لم تخصص لهم مرتبات محددة، بل كانوا يتقاضون مبالغ رمزية من مداخيل الأوقاف التي كانوا يُشرفون عليها[3].

وخلال العهد العثماني، كان مقر القاضي الشرعي في مدينة تلمسان في دار البايلك التي كانت عبارة عن منزل يتألف من صحن أو فناء مربع الشكل يحتوي على عدّة بيوت، كان منها الجهة الغربية المحكمة الشرعية[4]، ومن بين القضايا التي كانت تفصل المحكمة الشرعية في تلمسان، عقود التركات وقضايا المواريث، فبعد الاطلاع على نماذج من الوثائق، فمثلا اتّفق ورثة المرحوم الحاج المختار بن علال الفخار وهم: حرمه الولية خديجة وأبواه المكرم علال وأمّه السيّدة خديجة وأولاده الأربعة، ولدان وبنتان من زوجاته ، وهؤلاء هم كل ورثته، على تقسيم ميراثه، أمّا مقدار التركة فتمثل في ألف مثقال تمثّلت في مسكنه وقطعتي أرض قيمة الكل أربعمائة مثقال كل مثقال يُساوي عشرة أواق وستمائة مثقال

---

[1] في هذا السياق عمد العثمانيون على الجمع بين ممثلي المذهبين ضمن الهيئة العلمية للمجلس القضائي، في إشارة على ترسيخ أواصل التكيف والتعايش الودي بين المذهبين على أكثر من صعيد، حيث لم يحدث أي خلاف أو تمايز بينهما، وهو قد تجلى واقع هذا التعايش المذهبي بوضوح في مجال القضاء، حيث كانت الفئات الاجتماعية حرة في اختيار المحكمة التي يتّجهون إليها، إذ كان الأحناف يتقاضون عند القاضي المالكي، والعكس عند المالكيون وهو ما أشار إلية كل من مصطفى عبيد وخليفة حماش، للمزيد من التفاصيل ينظر إلى مصطفى عبيد، المرجع السابق، ص 216، وخليفة حماش، **الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1427هـ/المرجع السابق، ص 258.

[2] عبد الحفيظ موسم، **واقع القضاء بين المالكية والأحناف في الجزائر خلال العهد العثماني**، **مجلة المحترف**، المجلد09، العدد01، جامعة سعيدة، الجزائر، 2022، ص 23.

[3]- 2006، ص 659.

[4]- بومدين محمد، من مظاهر النشاط الديني والاجتماعي...، المرجع السابق، 83.

من الدراهم الفضية، فكان نصيب الزوجة الثمن وهو مائة وخمسة وعشرون مثقالا، وللأبوين الثلث وقدره ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مثقالا وثلث المثقال لكل واحد منهما السدس وقدره مائة وسبعة وستون مثقالا، وناب للأولاد خمسمائة واثنان وأربعين مثقالا ناقص ثلث المثقال، نصيب كل بنت من البنتين ستة وسبعين مثقالا وثمن المثقال ونصيب الولدين الضعف لكل واحد منهما أي مائة واثنين وخمسين مثقالا وربع[1]، وفي سيّاق حديثنا، استدلّ القاضي من قوله جلا في علاه **"يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيما"**[2] " وسنورد نموذجا آخر من القضايا التي عالجها قُضاة تلمسان المتعلّق بموضوع التّركات هذا نصّها: " الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلّم

بعد وفاة المرحوم بكرم الله الحيّ القيّوم الحاج محمد بن العطار، ووفاة ولده الحبيب بعده، وترك الولد أمّه فاطمة بنت الحاج قاسم وإخوته لأمّه محمد وفاطمة و... الفقيه أبي عبد القادر بن العطار، وقد خلف عن الولد ما خلفه أبوه؛ وهو: ثمانية وثلاثون درهما من الدار الكائنة في العباد، ثمّ خمسة عشر درهما غير ... من روض العطار في العباد، ثمّ سبعة دراهم ونصف غير سبع من روض...بفدان السبع...ثمّ الثمن وعشرة ونصف من روض العطار في الوريط...بعد تقويم ما ذكر تقويم عدل وسداد، وعلى الهالك دين لزوجه المذكورة مائة ريال من باقي صداقها، ولزوجة علي بن الحاج قاسم مائة ريال أدّاها على الهالك، وعليه دين أيضا انجر له من متروك أبيه مائة ريال وريالتان، وعليه أيضا من أخيه خمسة وعشرون ريالا؛ استظهر علي بن الحاج قاسم برسم بخط عدلي قاضي الزّكاة...وطابعه مضمنه أنّ الزوجة المذكورة أخذت جميع متروك الهالك للأماكن المذكورة في دينها ولم يكن مستوفي الشروط المشترطة...وطال بين أبي عبد القادر بن العطار المذكور مع علي بن الحاج قاسم وزوجه المذكور من الكلام والعجاج والترافع إلى مجالس الحكام المرة بعد المرة...إلى أن قاضي الوقت العلامة أبو محمد الحاج محمد بن الحاج الواقع طابعه أعلاه نادهما للصلح الذي سمّاه الله خيرا ووعد لفاعله توابا وأجرا...لذلك وصية بأن أعطى أبي عبد القادر المذكور للمرأة المذكورة خمسين ريالا وقبضتها معاينة والأماكن المذكورة يأخذ أبي عبد القادر نصفها ملكا، والنصف الآخر يأخذه على مع زوجه ملكا. بهذا وقع بينهما...صلحا

[1]- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 47

[2]- سورة النساء، الآية 11.

صحيحا تاما لازما قاطعا للنزاع...بحيث لم يبق لواحد منهم قبل الآخر حقّ من الحقوق ولا دعوى ولا مطلب بوجه ولا حال، وذلك بحضرة أبو القاضي المذكور والعلامة أبي محمد بن سعد وأبي البشير بن مزيان...شهد عليهم...بتاريخ أواسط شوال من عام سبعة وعشرين ومائتين وألف(1227)، وكتب عبد ربه (داخل الرسم):عبد القادر بن علي وفقه الله آمين[1]. (**ينظر إلى الملحق رقم 06**)

6.2 المجلس العلمي:

يُعتبر المجلس العلمي وهو الهيئة القضائية والشرعية والتي تتكوّن من المفتي والقاضي (الحنفي والمالكي)، وله تسميات عديدة منها المجلس الشريف ومجلس الشرع العزيز، يؤدّي دور المحاكم الإبتدائية حين تُرفع إليه القضايا مباشرة دون المرور عبر مؤسسة الجماعة، كما يُشمّل محكمة استئنافية في حالة الطعن من طرف المدعي في حكم قاضي الجماعة، والتي يصبح حكمها لاغيا أمام حكم المجلس العلمي[2].

وللإشارة أنّ تلمسان عرفت احتضانا لهذه المجالس العلمية من بينها "مسجد الشرفاء "إلى جانب ذلك لم يكن هذا الأخير من يحمل صبغة المجلس العلمي، في إشارة للباحث محمد بومدين يقول فيها: **" حيث أسعفتنا الوثائق الأرشيفية من الوقوف على مجموعة من الوثائق الأرشيفية من الوقوف على عديد الجلسات القضائية المنعقدة في المجالس القضائية التي كانت من بينها دار حكومة السيد الباي – قائد تلمسان"**، ويضيف قائلا **" وتمت المحاكمة في مجلس علمي عقد بدار حكومة السيد الباي بحضور القاضي محمد بن الشيخ مصطفى بن عمار التلمساني، وعلماء آخرون"**.[3] وتطلعنا وثائق محاكم تلمسان على نموذج من هذا المجلس فبتاريخ أوائل ذي الحجة 1226هـ/ ديسمبر 1811م، عقد مجلس علمي بدار الحكومة، حضره القاضي السّيد محمد بن الشيخ المصطفى بن

---

[1]- مجموعة مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 51.

[2]- عبيد مصطفى، المرجع السابق، 219.

[3]- محمد بومدين، من مظاهر النشاط الديني والاجتماعي، المرجع السابق، ص 84.

عمارة، والعلامة السيد أحمد والعالم السيد أبا موسى بن السيد الطالب والعالم ابن الحاج عبد القادر بن علي وحاكم البلد السيد محمد قرمانلي وأعوانه وكافة أعضاء الديوان[1]. (ينظر الملحق رقم 14)

7.2 نماذج عن علماء تولو القضاء والإفتاء في منطقة تلمسان وخارجها:

– **أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جيلالي التلمساني الوزاني:** أحد العلماء والقضاة التلمسانيين، تحدّث عنه أحمد المنجور،" فقال كان من أمهر القضاة"، ومن آثاره "**التقاليد**" و "**كتابة الرسائل**"...، توفي في مدينة فاس في 08رمضان 981هـ/ 01 جانفي 1574م.[2]

– **الشيخ أبو علي محمد بن مزيان:** من ولد السيد أحمد بن الحاج، كان طيّب الأخلاق، دخل تلمسان لطلب العلم، ثمّ ارتحل إلى فاس، وأخد عن علمائها، ورجع ليستوطن تلمسان، درّس بالجامع الكبير ، ثمّ تاق إلى القضاء، حيث لم يُقدّر له القضاء في مدينة تلمسان، واستقضى بمدينة ندرومة، ولما صرف منها عاد إلى تلمسان، توفي بنواحي منطقة بيدر عام 1250هـ/ 1834م[3].

– **الحاج أبو عبد الله الدوادي العربي:** أصله من بيدر من ولد السيد أحمد بن الحاج، ثمّ انتقل إلى تلمسان، ارتحل إلى المشرق، فحجّ ومرّ بمصر وأخد عن الدسوقي، وهو أوّل من أدخل حاشيته البيانية إلى المغرب، درّس بالجامع الأعظم، وتولى القضاء بتلمسان، ثمّ هاجر إلى فاس واستوطنها، واتصل بالشيخ عبد الهادي القاضي المولى وأقعده وأقعده بالقرويين للتدريس، توفي في حدود عام 1270هـ/1853م[4].

---

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنيّة بالجزائر، ورقة 49.

[2]– نفسه، ص 92.

[3]– الزجاي (الزقاي) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا، مخطوط، **إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر**، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D.9307، 1867.ورقة 89.

[4]– نفسه، ورقة 90.

– شهاب الدّين أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقّري التلمساني: هو المؤرّخ والفقيه، والأديب، ولد بتلمسان عام 986هـ/1578م، تعود أصول أسرته إلى قرية مقّرة[1] بالقرب من مدينة المسيلة، انتقل جدّهم إلى تلمسان، أين نشأ بها وقرأ على مشايخ وعماء كُثر في تلمسان، أمثال عمّه الشيخ أبا عثمان سعيد المقّري مفتي تلمسان، وهو من علماء منتصف القرن 10هـ/16م، والنصف الأول من القرن 11هـ/17م، هاجر إلى فاس واتّخذها دار إقامته سنة 1009هـ/1601م، إذ تولىّ بها وظيفة الإفتاء والخطابة والإمامة والتّدريس بجامع القرويين، وعندما اشتدّت الفتن بالمغرب الأقصى، ارتحل إلى مصر ومنها إلى بلاد الشام ثم الحجاز، الذي حجّ بها خمس مرّات، ثمّ عاد إلى مصر أين توفى بها سنة 1041هـ/1633م[2].

– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الوقّاد[3] التلمساني: ولد بتلمسان[4] نشأ وتعلّم بها، تميّز وتمكّن في علوم عدّة وتبحّر فيها، منها التفسير والحديث، والفقه، كانت له عدّ إجازات منها إجازة في " صحيح البخاري" من الفقيه الصوفي أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدفال، ويُعتبر أوّل من قرأ بها قراءة ضبط وإتقان، انتقل إلى المغرب

---

[1]– مقرة، هي إحدى قرى الزاب الجزائري بجنوب الحضنة، تقع بالجنوب الشرقي لمدينة المسيلة، وتبعد عنها بحوالي 20كلم، اختلف في شكل هذه الكلمة، فمنهم من ذهب إلى فتح الميم، وسكون القافي، ومنهم من رأى بفتح الميم وفتح القاف المشددة، للمزيد من التفاصيل ينظر إلى :

– محمد أبو راس، **فتح الإله ومنته في التّحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتيّة والعلميّة"**، تح و تع: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ص 108.

– أحمد قرود، **الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م، من خلال ثلاثة نماذج، أحمد المقّري، عيسى الثعالبي، يحي الشاوي النائلي**، رسالة ماجستر في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2009–2010، ص 73.

[2]محمد بن الهادي أبو الأجفان، **الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني**، الدار العربية للكتاب، 1988، ص ص 25 62.

[3] بيت آل الوقّاد، من ضمن العائلات العلميّة التلمسانيّة، إبّان العهد العثماني، والمنضوية تاريخيا خلال الفترة الحديثة في فلك البيوتات الرّودانيات بإقليم السوس، و الرودانيات نسبة إلى "رودانة" وهو الإسم المعرب ل "تارودانت " المغربية التي هاجر إليها وسكنها نخبة من العلماء التلمسانيين، وأصبحت تُسمى زمن الموحدين بـ " المحمدية. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى :

– محمد المختار السوسي، **سوس العالمة**، مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب الأقصى، 1380هـ/1960م، ص 152.

– محمد بومدين، **الإسهامات العلميّة والفكرية لنخبة البيوتات الأندلسية العالمة في تلمسان العثمانية (962هـ/1554م – 1280هـ/1808م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، مج7، ع 02، جوان 2020، ص 62

[4] محمد بوشنافي، القضاء والقضاة، المرجع السابق، ص 167.

الأقصى، وتقلّد برحابها وظائفا شتى كالقضاء في هذا السيّاق يخبرنا ...بقوله: " ...**خطيب مصقع بليغ، أصاه من تلمسان، ثمّ انتقل إلى السوس الأقصى، ونزل تارودانت، وتولى خطة القضاء بأعمالها، والخطابة بجامعها الأعظم، ثمّ ولي قضاء الجماعة بنحو ستة أشهر...، ثمّ وجهه أمير وقته قاضيا لسجلماسة وخطيبا...، ثمّ إلى مكناسة، ثمّ جامع الأندلسيين في فاس المحروسة...**"[1] ، توفي يوم الخميس 10ربيع الثاني من سنة 1001هـ/ 1593م، ودفن قبلة الجامع الكبير بتارودانت، وهو مدفون فيه[2].

ويُعطينا الجدول الموالي نماذجا لبيوت علمية تلمسانية تولو وظيفة القضاء والفتوى داخل وخارج تلمسان، إبّان العهد العثماني.

الرقم	اسم العائلة	التاريخ التقريبي للهجرة	المكان المهاجر منه	مكان الاستقرار
01	أبو عثمان سعيد بن أحمد المقري	10هـ/16م	تلمسان	فاس
02	أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جيلالي التلمساني الوزاني	10هـ/16م	تلمسان	تلمسان/ فاس
03	محمد بن أحمد التلمساني ابن الوقاد	10هـ/16م	تلمسان	سجلماسة تارودانت
04	عبد الرحمن المغراوي المدعو ابن جلال	10هـ/16م	تلمسان	فاس

[1] ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مِكناس**، تح، علي عمر ، ج4، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1429هـ/2008، ص 48-49.

[2] نفسه، 50.

05	محمد بن عبد الرحمن بن جلال الوعزاني التلمساني	10هـ/16م	تلمسان	فاس
06	أبو خليل إبراهيم بن خليل التلمساني	10هـ/18م	تلمسان	تلمسان (لم يهاجر)
07	أبو عبد الله محمد بن الشيخ المناوي البيدري التلمساني	12هـ/18م	تلمسان	تازة
08	أبو علي محمد بن مزيان التلمساني	10هـ/19م	تلمسان	فاس ندومة
09	محمد بن عبد الكريم المجاوي التلمساني	13هـ/19م	تلمسان	تلمسان (لم يُهاجر)
10	أبو عبد الله محمد بن الشيخ المناوي ابن سعيد التلمساني	13هـ/19م	تلمسان	المغرب الأقصى
11	الحاج أبو عبد الله الدوادي العربي	13هـ/19م	تلمسان	تلمسان

3. المؤسسة العسكرية في تلمسان ونواحيها – فئة الإنكشارية أنموذجا:

لقد رأينا في السّابق المؤسسة القضائية بهياكلها وأجهزتها، فضلا عن موظفيها وتراتيبهم الإدارية في إيّالة الجزائر وبايلك الغرب ثم تلمسان في الفترة الحديثة، فهي التي تجسّد قوانيين الدولة بصفة فعليّة وملزمة للرعيّة، ولا يتحقق ذلك إلاّ بوجود مؤسسة عسكرية قويّة، يتحقّق من خلالها ما يُعرف بالتّوازن السيّاسي لأي دولة.

وعلى ضوء ما تقدّم تمثّلت هذه المؤسسات العسكرية في الدّولة الجزائرية العثمانية في فئتي الإنكشارية (الأوجاق) والرياس،[1] فالفئة الأولى تتركّب من الجنود الأتراك الذين استقدموا من تركيا (الأناضول)[2]، وشكّلت أداة أساسيّة صنعت مجد سلاطين آل عثمان، إلى جانب طائفة الرياس الذين كانوا في صراع معهم، ممّا يدلّ عبى وزنهم السياسي، على اعتبارهم حجر الزاوية في الإدارة العثمانية في إيّالة الجزائر عامّة وتلمسان خاصة، فهم يتمتعون على قدر كبير من الاحترام في أواسط الأهالي الذين كانوا يُلقبونهم بإسم " الأفندي"[3] ،كما وقد حظيت هذه الفئة بحماية سلاطين آل عثمان وتجلّى ذلك في الفرمان الذي أرسله السلطان " مصطفى الثالث"إلى والي الجزائر عام 1735م جاء فيه ما نصه: **" وأرسلت لك هذا الفرمان الجليل ...،وتعاشر رجال الأوجاق بالتي هي أحسن "**[4] . وتعميما للفائدة ارتأينا وضع جدول يوضّح الرتب لفئة الإنكشارية.

---

[1]- ولنا في هذا الموضع وثيقة عثرنا عليها ضمن وثائق الأرشيف الوطني في خط همايون في حكم 216، علبة رقم 10، بتاريخ 1238هـ، توضّح مُشاركة التلمسانيين في هذه الفئة (فئة الرّياس) حيث تولّى القبطان عمر الندرومي قيادة السفينة الحربية التي أنشأها حسين باشا بالجزائر، وكان اسمها " مفتاح الجهاد".

[2]- منصور بن لرنب، **المؤسسات السياسية والإدارية الجزائرية في العهد العثماني، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية،** المجلد02، العدد01، جوان 1994، ص 106.

[3]- فهيمة عمريوي، **الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م**، دراسة اجتماعية – اقتصاديّة من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 49

[4]- مجموعة 3205، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 90.

يولداش(YOLDAS)	" جندي جديد" أدنى رتبة، ترقية بعد 3 سنوات
يولداش أيسكي YOLDAS (ESKI)	" جندي قديم" الرتبة الموالية بعد 3 سنوات
باش يولداش(BAZ YOLDAS)	رئيس فرقة ل 20/16 جندي، الرتبة الموالية ترقيته
فيكيلهالجي "عريف أول " (VIKILHARDJI)	الرتبة الموالية ترقيته بعد 5 سنوات
أوضة باش "ملازم أول "(ODABASI)	الرتبة الموالية
بولكياش "نقيب" (BOLUKHASI)	الرتبة الموالية
آغا باش" رائد"(AGHABASI)	الرتبة الموالية
كاهية "عقيد"(KAHIA)	الرتبة الموالية
آغا " جنرال"(AGHHA)	الرتبة الموالية

في مُقابل ذلك، عرفت تلمسان ونواحيها حضور هذه الفئة بشكل لافت، إذ بدأ وجودها في هذه الحاضرة بسيطرة "عروج" على مدينة تلمسان، حيث أشرنا إلى ذلك في عناصر سابقة، ومن زاوية أخرى، لمسنا وجود عدد لابأس بهِ من العناصر المحليّة التلمسانية التي انخرطت في صفوف هذا الجيش، واعتلائهم أعلى الرتب العسكرية، ويتعلق الأمر " **مصطفى آغا التلمساني**" (**1072هـ/1662م**) و "**محمد الإنكشاري بن الحاج محمد التلمساني**"

(**1171هـ/1759م**)[1]. وفي موضع آخر هناك إشارة على تولّي قيّاد تلمسانيين السّلطة داخل الجيش الانكشاري هذا نصّها: "**حكم إلى برمقوز مصطفى القائد السابق لتلمسان في الجزائر، تعلق بشان توجيه لواء(قارلي ايلي بمائتي ألف اقجة من الخاص، وأمر بالمحافظة والإشراف...**"[2]

بعد إخضاع تلمسان إلى الإيّالة الجزائرية، توّزعت هذه الفئة على مختلف الثكنات، أو ما يُسمى بدار الإنكشارية، أو دار العسكر، على كلّ من ندرومة وبني سنوس، سبدو، أولاد ميمون، أولاد ريّاش، ترارة، ولهاصة...وغيرها، في هذا السيّاق تُشير لنا بعض المصادر، أنّه كانت في ندرومة حامية للعثمانيين، أقام بها جيش إنكشاري أساء معاملة السكان المدنيين[3] فثاروا عليه سنة 1791م، السنة الذي سلّم الاسبان مدينة وهران لداي الجزائر حسين باشا، وعلى اثر ذلك زحف عليهم الداي بجيشه وأخضعهم وألزمهم بدفع غرامة سنوية مشتملة على مائة قطعة من الكتان القطني لصنع خيام للجنود ثمّ تضاعفت هذه الغرامة السنوية حتى بلغت ألف قطعة وذلك حسب ما ذكره الحاج حمزة بن رحّال في كتابه تاريخ ندرومة، بعد ذلك دفعت ندرومة لباي وهران اتاوة أخرى عندما عزم على هجوم بني وارسوس وأولاد ددوش وقتل الكثير من رؤسائهم[4].

وعلى ضوء ماتقدّم أشارت بعض وثائق مهمة دفتري إلى استغلال العثمانيين للعاطفة الدّينيّة من خلال مراسلة العلماء والأعيان وهذا إدراكا لمكانتهم الاجتماعيّة ودورهم في حث ساكنة المجتمع التلمساني على الجهاد، خاصّة ضدّ الإسبان، هذا نصّها: " **أمّا البند الثاني: يتضمن رسالة موجهة إلى أشراف وأعيان تلمسان من أجل الاستعداد**

---

[1]- فهيمة عمريوي، المرجع السابق، ص 58.

[2]- ف. م. د، رقم 12/صحيفة549/حكم رقم1038/تاريخ:29شوال979هـ.

[3]- على ضوء ما تقدّم لا أحد يستطيع يُنكر الدور السّلبي للمؤسسة العسكرية ولفئة الجيش الانكشاري على وجه التحديد في تلمسان، إبّان العهد العثماني، وهو ماظهر فيهم من سوء المعاملة ما استحقّ الذّكر عند المكناسي ماقاله فيما رآه عن سيرة أحد حكّام تلمسان الأتراك، تنويها بدركات الإجرام وتنبيها منه على ماتعاطوه في حق العامّة الذين في طليعتهم العلماء والمثقفين حيث ذكر: " ...، ومن قلّة حياء حاكم البلد وكثرة حرصه وإذاية العامة...،".للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: محمد بن عبد الوهاب المكناسي، **رحلة المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حجّ بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتّبرك بقبر الحبيب**، تق وتح، محممد بوكبوط، ط1، دار السويد للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتّحدة، 2003، ص 331.

[4]- عز الدين ميدون، **ندرومة مدينة الفن والتاريخ**، ط1، سلسلة إصدارات الجمعية الموحدية، ندرومة، 2014، ص ص 11-12.

لمناصرة قوات القائد عثمان باشا لإنقاذ إحدى مناطق تلمسان من قبضة الإسبان وكذا تأديب الخونة الذين وقفوا في صف الإسبان..."[1].

4. التنظيم الإداري لمؤسّسة الأوقاف بمنطقة تلمسان[2]:

اتّخذ التنظيم الإداري لمؤسسة الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، إدارة محليّة مميّزة وجهاز إداري مُستقّل إن صحّ القول، محدّد الصلاحيات، خاصّة خلال القرن الثامن عشر، يتألف من مجموعة من الموظفين، والمشرفين عليه، باعتباره مظهرًا من مظاهر الحضارة الإسلامية في القديم والحديث، فضلاً عن كَونه داعمًا للمجتمع الجزائري على الصّعيد الاجتماعي والاقتصادي وحتى الثقافي.

فقد شهدت الجزائر في العهد العثماني وجود نوعين من مؤسسة الأوقاف، **النوع الأول** ما يُعرف بالوقف الخيري (العام)، وهو أن يحبس المالك غلّة ملكه على جهة خيريّة معيّنة، بحيث تعود منافعة على المصالحة العامّة، وقد شمل هذا النوع من أنواع الوقف عدّة مجالات منها ماهو مُرتبط بالوقف على المؤسسات الدينيّة: كالجوامع والمساجد...،[3]إذ حرصت الكثير من العائلات التلمسانيّة[4] على ضرورة تحبيس ممتلكاتهم على المؤسسات الدينية وهو ما أشار إليه بن روستان بقوله **" الحمد لله هذا بيان حُبس جامع سيدي عمران فمن ذلك دراز عن يمينه وآخر هن يساره...،**

---

[1]- ف. م . د، رقم 58/ عدد80/تاريخ:993.

[2]- بعد الاطلاع على بعض الوثائق، والمصادر التي أرّخت لتلمسان إبّان العهد العثماني سجّلنا مجموعة من الملكيات الوقفية المحبوسة فيها، إذ توسعّت نطاقها الجغرافي ليشمل نواحيها بمناطقها وقُراها، مثل ندرومة، بني سنوس، ولهاصة،عين الحوث...، وهذا دليل على تراء هذه الحاضرة بالمؤسسات الوقفية.

[3]- اسعيد عليوان، **أوقاف الجزائر خلال العهد العثماني ومساهمتها الإجتماعيّة والثقافيّة، مجلّة الأحياء**، المج09، العدد 01، كليّة العلوم الإسلاميّة، جامعة باتنة، 01، ديسمبر، 2007، ص 296.

[4]- في هذا المقام وجبت الإشارة إلى ذكر بعض العائلات التي أوقفت أملاكها وعقّارتها لصالح المؤسّسات الدينيّة فعلى سبيل المثال لا الحصر: عائلة أولاد السّاحلي، عائلة محمد بالسنوسي،عائلة ابن مسايب، عائلة بن صالي، أولاد سيدي العبدلي، عائلة المطماطي، عائلة الحاج محمد التركي...الخ ، في محاولة منهم للحفاظ على تماسك الأسرة بتحبيس ممتلكاتهم، لتجاوز الخلافات والخصومات العائلية حول الميرات هذا من جهة، ومن جهة أخرى كوسيلة للتقرّب من الله، من خلال غرس في المجتمع روح التضامن والتكافل بين أفرده، هذا فضلا على أن الأملاك الموقوفة تكون غير خاضعة للضرائب الغرامات المالية، للمزيد من التفاصيل يُنظر بن روستان، تُحفة الاعتبار، المرجع السابق، ص 85- 86.

ثمّ حانوت في السماط، من جهة القبلة...، ثم بلاد سمّيت بدار الرحمة...، ثم الروض...،"[1] وفي موضع آخر يقول **" الحمد لله بيان أماكن حُبس جامع سيدي زكري...،ثلاثة أخماس شركت جامع سيّد مهماز...، جنان مزروع ثمّ حانوت في القيساري، ولعنة الله على من لايستغله ...وذنوبه في رقبته...، في رجب عام أربعة وخمسين ومائة وألف"**[2]، . أمّا **النّوع الثاني** فهو الوقف الأهلي (الخاص) أو الذري، وهو أن يحبس المالك غلّة مُلكه على واحدٍ أو أكثر من أقربائه أو غيرهم، وبذلك لا يتحوّل صرف منفعته على المصلحة العامّة التي حُبس على أساسها[3]. ولنا في سجلاّت بيت البايلك مثال هذا نصّه: " ...، **أوقف صالح التلمساني دارًا بيد سليمان بلكباشي، التي سُميّت بزاوية العباسي بن حماد، و75ريّال ..."**[4]

– الجهاز الإداري لمؤسسة الوقف بمنطقة تلمسان: تنظيماتها وخصائصها:

لم تعرف مؤسسات الوقف في الجزائر العثمانية بمختلف بايليكاتها، إدارة منظّمة أو هيئة رسميّة تُشرف على الأوقاف إلاّ بعد القرن الثامن عشر، حيث كانت في بداية أمره تُسيّر الأملاك الموقوفة من طرف الواقف نفسه تحت إشراف القاضي أو المشرف الذي يعمل تحت سلطة القاضي[5]. ونظرًا للدور الكبير والمكانة التي أصبحت عليه الأوقاف إبّان العهد العثماني، وازدياد أعدادها وكثرتها، الأمر الذي جعل الإدارة العثمانيّة بالجزائر بأن تضع تنظيمات وقوانين إداريّة خاصّة، تسهر على تسيير هذه الأوقاف[6]، ولهذا أوجدت هيئة محليّة رسميّة مستقلّة كما أسلفنا الذكر، تتكوّن من

---

[1]– بن روستان، تُحفة الاعتبار...، المصدر السابق السابق، 83.

[2]– نفسه، ص ص 92– 93.

[3]– بوشنافي محمد، **دور السلطة القضائية في تنظيم واستغلال الأوقاف بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال وثائق المحاكم الشرعيّة (1520– 1830)**، **مجلّة المواقف**، المجلد، 12، العدد 01، الجزائر، جوان 2017، ص 261.

[4]– س. ب. ف. س 155.ع 23.

[5] Nomier.A, **les fondations pieuses a Alger au XVIII siècle** (une étude comparative de waqf), thèse de doctorat de l'université d'Aix_ Marseille1, juin 2002, T1, p59.

[6] Nomier, op.cit. p60.

عدّة موظّفين يمثلون مجلسا خاصّا، وهو بدوره يخضع لتوجيهات القاضي المجلس العلمي[1]، إذ سبقت الإشارة إليه آنفا، وعليه يتكوّن هذا الجهاز من:

ناظر الأوقاف: نظرًا لاتّساع مجال الوقف وكثرته ابتداءً من النّصف الأول من القرن الثامن عشر، ازدادت أهميّة موظفي هذه المؤسسة بشكل كبير[2]، فبالإضافة إلى القاضي والوكلاء الذين تكمن مهمّتهم في مراقبة كل الأوقاف، هناك موظّف خاص لكلّ نوع من الوقف يُسمى الناظر أو المتولي كما يرد في عقود التحبيس، يتمّ تعيينه من طرف الداي شخصيًّا بالنسبة لمدينة الجزائر، ومن طرف البايات في الأقاليم[3]. ومن مهامه، باعتبارِهِ الموظّف الرئيسي في مؤسسة الوقف نذكر مايلي:

- المراقبة الإدارية للوقف.
- المحافظة على أصل الوقف.
- مُراقبة سجلات الحسابات المتعلقة بمؤسسة الوقف.
- صِيانة الأملاك الموقوفة والمحافظة عليها، وتوزيعها على مستحقيها...الخ.

الوكيل: وهو المكلّفون بجمع المحاصيل وقبض المداخيل، وصرف المرتبات، وتقديم تقرير مفصّل حول لناظر الأوقاف كلّ ستة أشهر، كما كانوا ملزمين أيضا بضبط حسابات كل سنة وتسجيلها في الدفاتر الرسميّة، وقد جرت العادة كذلك

---

[1]- سعيدوني ناصر الدين، **موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري**، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 57- 58، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس جويلية 1990، 178.

[2]- سعيدوني ناصر الدين، **الوقف ومكانته في الخياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة بالجزائر أواخر العهد العثماني أوائل الاحتلال الفرنسي**، في دراسات تاريخية والملكية والوقف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص ص235- 236.

[3] DevouLX, **Notre historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger** ,in : **R.A**, N° 5, 1861, p60.

على أن يقدّم هؤلاء الوكلاء عرضا عن خدماتهم بمحضر وكيل بيت المال وشيخ البلد، لكي يتمكّن المجلس العلني من الإطلاع عليه بعد أن يتكلّف الناظر بتقديمه له[1].

الكتاب (الموثّق): عرف الكاتب باسم "خوجة" أو " سايجي" وتمثّلت مهمّتهم الأساسية في ضبط حسابات الأوقاف التي يُشرف عليها الشيخ الناظر، وحفظ الأوراق.

العدول: تتمثل مهمّتهم في القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين النّاس فيما لهم وما عليهم، وبهم تُحفظ حقوق النّاس وأملاكهم وديونهم وسائر مُعاملاتهم.

الشواش: مهمّتهم حراسة الأوقاف وصيانتها[2].

وفي سيّاق الحديث، عرفت تلمسان ونواحيها، حركة وقفيّة واسعة إبّان العهد العثماني، كغيرها من مدن الجزائر، وأولوا عناية كبيرة لها واهتموا بها اهتماما بليغا، والتي سوف يأتي الحديث عنها في فصول لاحقة من هذه الدّراسة، ولاشكّ أنّ تلمسان عرفت هي الأخرى نظاما وجهازًا إداريّا، وهذا ما تؤكّده الوثائق والعقود، وما أثبتته المصادر والدّراسات، وفي هذا الصدد تُخبرنا الباحثة الوليش فتيحة وبعد الاطلاع على وثيقة ضمن سجلاّت المحاكم الشرعية (1765)، تقول " **رسم معارضة في أملاك محبسة لصالح الوقف بإشراف الموثق بتلمسان، الأملاك لصالح الباي محمد بن عثمان "**[3]، وفي وثيقة اطّلعنا، تتضمن رسم عقد زواج لمعتقة لقايد تلمسان مع بيان الصّداق بإشراف القاضي الموثق[4]، وفي أخرى تتضمن بيع دار مع بيان الحدود والمنافع والقبض بالرّيال والدّرهم بإشراف القاضي الموثق بتلمسان[5]. وفي إشارة أخرى تذكر المصادر أنّ قاضي تلمسان هو المشرف الأول على إدارة ومراقبة الأوقاف بمدينته، بِمساعدة

---

[1]- مصطفى عبيد، المرجع السّابق، 220.

[2]- عبد الحفيظ موسم، **واقع الأوقاف بين المالكية والحنفية في الجزائر خلال أواخر العهد العثماني (1700– 1830)**، **مجلة دراسات تاريخية**، المجلد 13، العدد01، السنة الثالثة، جامعة الجلفة، جانفي 2021، ص 26.

[33]- الوليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري...، المرجع السّابق، 199.

- س، م، ش، ع: 140، وثيقة 85- 86.

[4]- س، م، ش، ع:59، و. 106.

[5]- س، م، ش، ع: 18. و 105-106.

"ناظر" وكاتب يُدعى " الخوجة" الذي يقوم بِخدمته ويتكفّل بالتدوين والتسجيل وضبط الحسابات والمصاريف ويلحق بهم عدلان وهما مستخدمان في المكتب، وإلى جانب الخوجة هناك " وكيل للوقف" أو المقدّم المكلّف بجمع المحاصيل وقبض المداخيل، إذ يُشير الباحث إلى المقرّ الرسمي لهؤلاء الوكلاء في تلمسان وهو " دار الوكيل" الموجودة في حي العُباد الفوقي، والتي بُنيت على يد باي معسكر محمد الكبير في نهاية القرن 12هـ/18م، والتي كان يشغلها وقتذاك المقدم "سيدي أبي مدين".[1] وفي سيّاق الحديث عن الباي محمد الكبير حيث يُعتبر من البايات التي أظهرت إهتمامًا بالغًا بمؤسسة الأوقاف، سيما أوقاف المنشآت الدينية في تلمسان، من خلال المحافظة عليها وصيانتها، بعد إخضاعها لضوابط إداريّة التي سبق ذكرها أعلاه، إلاّ أنّه وبعد وفاته، تعرّضت بعض المرافق الدينيّة في تلمسان ونواحيها إلى النّهب من قبل القياد الأتراك، وهو ما تجلى جليّا في أحباس مدرسة العباد، حيث في مُقابل ذلك، راسل الزقاي "الجد" الباي مصطفى في أمر إرجاع أحباس مدرسة العبّاد إليها، وهو ما تحقّق، حيث راسل الباي قاضي مدينة تلمسان يأمره بالاهتمام بهذه المدرسة، وجعل الزقاي "الجد" وهو من يقوم بالإشراف عليها[2] وتسيير أحباسها[3].

سادسا: الثورات والتمرّدات التي شهدتها منطقة تلمسان

إنّ الثابث في أنّ سلطة الباي بوشلاغم[4] استمرّت على بايلك الغرب أربعة وعشرين سنة أي من سنة 1708م إلى غاية سنة 1732م قام فيها بإنجازات جليلة، من بينها تحرير المرسى الكبير، لكن سرعان ما هجم الأسبان على

---

[1]- بومدين محمد، **الدّور الاجتماعي لبيوت تلمسان في وقف ممتلكات شركاتها الاقتصاديّة على المؤسسات العلميّة خلال العهد العثماني، مجلة الأكاديميّة للدراسات الاجتماعية والإنسانية** ، المجلد15، العدد02، الجزائر، جوان 2022، ص 16.

[2]- على ضوء ما تقدّم تجدر الإشارة إلى أنّ الوقف يمكن أن يكون تحت إشراف وتسيير شيخ إذا كان يتمتّع بالأخلاق الفاضلة، النزاهة، العلم، السمعة الطيّبة بين النّاس.

[3]- إتمام الوطر، المصدر السابق، ورقة 31.

[4]- في هذا السيّاق، وما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الباي مصطفى بوشلاغم بن يوسف المسراتي (الباي رقم 18 لبايلك الغرب)، تولّى بايا على مازونة وتلمسان، وهو أوّل من جمعت له الإيّالة الغربيّة سنة 1098هـ/ 1690م، ونقل كرسي الحكم من مازونة للقلعة ثمّ معسكر، وجعلها قاعدته ومراكزا له لكونها تتوسط تلمسان ومازونة. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: ابن يوسف الزياني، ص 253.

المنطقة، أين فرّ بعد ذلك إلى مدينة مستغانم وجعلها مقر البايلك، وفي حدود سنة 1737م توفي الباي ودفن هناك، حيث شُيّد لقبره قبّة والتي كانت بمثابة مسجد الذي حول إلى مستشفى خلال الاحتلال الفرنسي.

وفي سيّاق هذا الحديث، تمّ اختيار يوسف ابن مصطفى بوشلاغم ليخلف أباه من قبل باشا الجزائر، فقام بإعادة المقر إلى معسكر[1] ، لم يرث يوسف ثبات أبيه، لذلك حدثت بعض الاضطرابات ممّا أدّى إلى تمرّد كراغلة وحضر تلمسان سنة 1738م وطردوا القائد الذي تم تعيينه من قبل السلطة التركيّة. وفي مُقابل ذلك، استغل محي الدين المسراتي خليفة مصطفى بوشلاغم هذا الوضع، فوضع نفسه خليفة في زمن يوسف بن مصطفى بوشلاغم، ثم بعد وقت قصير مات يوسف بالوباء بتلمسان بعد سنة واحدة من الحكم عام 1738م، فقام محي الدين المسراتي تنصيب ابنه مصطفى الأحمر مكان يوسف بن مصطفى بوشلاغم بايا على بايلك الغرب[2].

1. ثورات سكان مدينة تلمسان ضدّ العثمانيين:

تأثّرت القبائل الرّعية ضد النظام العثماني المتّسم بتعسّفه الضريبي وجوره وإقصائه، وبذلك تحوّلت من قوّة مكّنت الأتراك من بسط النفوده على حساب الطويفات والإمارات التّواقة إلى الاستقلال، إلى قوى مُناوئة ومُعارضة تطالب بالاعتراف بالمكوّن المحلّي وإشراكه في مظمون الحكم وإنصافه من الإجحاف وكذا انتشاله من الفساد الإداري المتفاقم. حيث كانت الرعيّة تتقلب ظلما ما بين عبء الضرائب وبغي القوّاد (القيّاد)، فقد بلغ من الفساد والرّداءة ذروتهما حتّى صارت الألقاب والنياشين تُباع هذا فضلا عمّا سواها، حيث لا مرجع ولا أساس للخبرة أو الكفاءة[3]، وقد بلغ ذلك التعفّن حتى شمل حقل التعليم كما أشار أبو القاسم الزياني في الترجمانة في قوله:

---

[1]- مسلم بن عبد االقادر، أنيس الغريب والمسافر، المصدر السّابق، ص 19.

[2] Walsin esterhazy op، cit, p174

[2] Ibid., p175

[3]- رريب الله حاج أحمد، شلف.... ، المرجع السابق، ص 222.

كَانَتْ تِلِمْسَانُ بِالأَعْلاَمِ صَائِلَةً وَبِالجِيَادِ وَلَـم تَـرْبِطْ بِـها الحُـمُرُ

أَصَابَهَا المَسْخُ إِذْ عَادَتْ تُبَاعُ بِهَا مَنَاصِبُ العِلْمِ لِلأَجْلاَفِ وَالخُورِ

وَكَيْفَ لاَ وُجُنُودُ التُّـركِ حَوْلَـكُمْ تسوقكم بعصى الخسف ولاتذر

لَكِنْ إِلَى اللهِ أَشْكُو دَفْعَ غُصَّتِكُمْ فَهُـو المُؤْمِـلُ وَالمَـرْجُو يَنْتَصِـرُ[1].

تتجلى الأهمية البالغة فيما رصده محمّد بن عبد الوهاب المكناسي في عودته من رحلته الحجيّة سنة 1785م، عن تلمسان أثناء حلوله عليها على ما يظهر عام 1192هـ/1784م، في أنه استعرض بالوصف المباشر، جانب مؤلم عاشته هذه المدينة التابعة إداريا لبايلك الغرب المسيَّرةِ من قبل البايات، والمعينين لهم ممثلين مباشرين للمدن التي تنضوي تحت إدارتهم، وهو ما ظهر فيهم من سوء المعاملة ما استحق الذكر عند المكناسيّ مما قاله فيما رآه عن سيرة أحد حكام تلمسان العثمانيين، تنويهًا بدركات الإجرام، وتنبيهًا منه على ماتعاطوه في حق العامّة الذين في طليعتهم العلماء، إذ يقول: " أنه رأى أهل البلد (تلمسان) يشترون الأشياء من العطّارين وغيرهم بالزرع من قلّة الدّراهم بأيدي النّاس، ومن قلّة حياء حاكم البلدة وكثرة حَرَسِهِ وإذاية العامة، أنّ كل من يمرّ به حجّاج بيت الله يقبض منهم شيئاً معيناً على أمتعتهم وحوائجهم[2]"

وفتنة محمد بن أحمد السُّوري (ت 1066- 1656م)، بتلمسان ونواحيها سنة 1629هـ/1038م، الذي قَدِمَ تلمسان وفتحها بمحلّة غادرت من الجزائر(دار السلطان)[3]، وكان في وقت ذلك المدعو المغربي "" السوسي" الثائر قد جاء لاحتلال تلمسان في 08 رمضان 1038هـ/1629م المسمّى أحمد بن عبد الله، الذي قد ادّعى المهدويّة، وأنّه –فاطميٌّ- إذ كتب هذا الأخير تقييدًا وأرسلهُ إلى عبد الكريم الفكون، يقول في هذا الصدد صاحب كتاب منشور

---

[1]- أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، دار نشر المعرفة للنّشر والتّوزيع، الرباط، 1991، ص 144.

[2] محمد ابن عبد الوهاب المكناسي، المصدر السّابق، ص 331.

[3] قام القائد محمد بن سوري بحملة على تلمسان نتيجة لقيّام أهلها بإعلان الثورة على الأتراك، وقد حاول السلطان المغربي في هذه الفترة استغلال الموقف والوضع التي أصبحت عليه تلمسان، لضمّها لملكه، لكنّ قوّة الأتراك أفشلت مخططاته، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: ابن المفتي حسين بت رجب شاوش، **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، در وَ تح، فارس كعوان، بيت الحكمة، 2008، ص 48.

الهداية "...، وله اعتقاد في أبي العباس أحمد بن عبد الله الذي قام عندهم بالمغرب، ولهم فيه دعوة أنّه فاطميٌّ على تُرَّهات كثيرة نشأت فيه من المغرب وكتب فيه تقييدا أنّه هو فاطميٌّ، وأرسله إليّ بعد موته، ويظنّون أنّه لم يمت وأنّه غُيّب إلى وقته المعلوم فيخرج، إلى غير ذلك من خرافات لايليق سماعها، وقد مات في الحرب الواقع بينه وبين القائم الآخر الذي يُقال له بيحي السوسي أو غيره" [1]، وفي مُقابل ذلك هزمه القائد التركي ابن سوري وأخد جلده وجلد خليفته المهندر محشو بالتبن، إلى مدينة الجزائر بعد أن قضى عليهما يوم 15 رمضان 1038هـ/ 8ماي 1629م[2]، و تماشيًا مع ما تمّ ذكره في ظلّ هذه الأحداث التي هلك على إثرها عدد كبير من سُكّان مدينة تلمسان ونواحيها، في هذا المقام يُخبرنا أبو القاسم سعد الله في مُؤلّفه أبحاث وآراء الذي نقله عن مخطوط كعبة الطائفين عن شيخه أبو عبد الله محمد سيدي العبدلي بقوله: " ...**وروي أنّه كان ذات يوم مع شيخه، سيدي العبدلي، في داره الواقعة بخبارة باب الجياد فشاهد بالدّار خَلْقًا كبيرا، مسلمين وذميين، هاربين من جور الأتراك – وكان الشيخ العبدلي يسقي هؤلاء الفارين إليه ويتشفّع...**"[3] قد بذل سيّدي العبدلي كل ما بوسعه للاصطلاح بين أهل تلمسان والأتراك وتهدئة الأوضاع، وطمئنة النفوس المروّعة[4]، ويُعدّ الشيخ سيّدي العبدلي ممّن قاموا بزجر القائد التركي المذكور سابقاً، بمقرهِ بالمشور، الذي أرهق أهل تلمسان بالظّلم والجور، وفي ذلك يذكر لنا الشيخ محمد ابن الصايم الجازولي صاحب كعبة الطائفين" ...**فدخلت مع الشيخ سيدي العبدلي بعد ظهر الجمعة على الأمير – محمد بن سوري– فزجره ووعظه فقال له:**

تَرَقَّبْ يـوْمَ مَــوْتِكَ يـا فُلَان وَارْهَقَـكَ الرَّحِيلُ عَنِ الدّيــار

وَلَمْ يَعْطَاكَ مَـا جَمَعْتَ فِيـهَا فَلاَ تَنْسَى النَّصِيبَ مِنَ الإيثـار

---

[1] عبد الكريم الفكّون، **منشور الهداية في كشف خال من ادّعى العلم والولاية**، تق و تح وتع، أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص 226.

[2] ابن المفتي، المصدر السابق، ص 47.

[3] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 170.

[4]– رريب الله حاج أحمد، المرجع السابق، ص 452.

أَلَمْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِ كُـلُ نَفْـسٍ بِكَـأْسِ الْمَوْتِ ذَائِـقَةً المـــرَارِ

وَلَا تَسْتَبْعِدَنَّ لَـهُ هُجُومـــا عَـــنْ بَـغْتَةٍ حَذَارِ يـَا حَـذَارِ

فَــلاَ تَسْتَأَنِــسْ بِـمَا تــرَاهُ يُفَارِقُكَ الْجَلِيسُ مَــعَ المِزْوَار

وَلَا يُغْنِي خَلِيلُكَ عَنْكَ شَيْئًا مِـنَ الإِلَـهِ ذِي البَطْشِ القَـهَّارِ[1]

إنّ أهم ما يميّز هذه المرحلة في تلمسان هو تزايد سخط السّكان ونفورهم، كنتيجة عن سياسة العثمانيين والأجهزة التّابعة لهم إتّجاه الرعيّة في كثير من الأحيان، التي اتّسمت بالإجحاف والظلم والقسوة حفاظًا على امتيازاتهم، ويتأكّد هذا الأمر جليّا في عهد ولاية الحاج عثمان لمدينة تلمسان، وهو جدّ العصامنية ملوك وهران، إذ قام عليه أهلها بقيادة الباي يوسف المسراتي المتقدّم بعد فترة حكمه الأولى، في حين حتّمت ظروف المرحلة الأولى، وما ميّزها من تداعيات سيّاسيّة في ظلّ حرب التكتلات المحليّة التي ولّدت نوعاً من العداوة بين أنصار كل باي من جهة، وبين البايات أنفسهم وسكان تلمسان[2]، وهو مايُشير إليه في هذا الصدد " محمد بن يوسف الزيّاني في كتابه " دليل الحيران وأنيس السهران" بقوله: " وتوّلى في المرّة الثانيّة على جميع الإيّالة الغربية في أواسط محرّم سنة (1160هـ/1752م)، وأمر بالمكر بأهل تلمسان مكرًا، أفنى به عدد كبير منهم، والسبب في ذلك كما جاء أعلاه، أنّه كان بايا بتلمسان في المدّة الأولى، وجاء بموضعه يوسف المسراتي الذي أخذ منه الحكم بدهم من سكّان تلمسان، التي لم يطل له الحكم فيها لمدّة طويلة، حيث تعصب عليه أهلها، ونقموا عليه، وصاروا يرمون ساحته في الليل بكلّ ميتة ودم"[3]. ويُضيف المؤلّف أيضا بقوله: " فاغتاظ لذلك وذهب إلى الجزائر، ولـمّا بالمحال سأل منهم الماء لما وقع عليه من العطش، فأتوه بلبن، وحين شرع في شربه أهرقوه عليه، وضحكوا من ذلك، فأسرَّها في نفسهِ، ومشى إلى الجزائر، ولـمّا وصل إلى الجزائر واجتمع بالباشا

---

[1] محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجازولي، **كعبة الطائفين وبهجة العاكفين، في الكلام على قصيدة حزب الله العارفين** (مخطوط)، نسخة المكتبة الوطنية بباريس، قسم الشرقيات، رقم (2460)، بروكلمان 02/ 1009، ج2، (د.ت)ص 34

أبو القاسم سعد الله، ا بحاث وآراء، المرجع السابق، ص ص 170 - 171.

[2] محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران...، المصدر السّابق، ص ص 255 -256

[3] -نفسه، ص 256.

بصر الجنينة بدار السلطان، سأل منه أنُ وليه بايا، ويُطوّع له تلمسان"، فكان له ما أراد، أين دخل المدينة مغربا بجيش، أوقع به أهل تلمسان إيقاعا كثيرًا، حيث يذكر أنّه قتل في يوم واحد أربعين رجلا، فضلا عن غيرهم[1].

وفي سيّاق الحديث عن الثورات والإنقسامات السيّاسيّة في تلمسان، ضدّ الأتراك العثمانيين التي تعدّدت وسائلها وغاياتها، فبعضها كان له طابع دينيّ، وبعضهم الآخر كان له طابع سيّاس ي، هذا فضلا عن الطابع والدافع الاقتصادي، كما أنّ البعض منها كانت نتيجة تمرّد شخص، وهو ماتجلى في ثورة القائد "رجم بن البجاوي" في سنة 1171هـ/1757م، الذي أخذ يذكّر الناس في الأسواق والمجالس بأمجاد، ومملكة تلمسان التليدة[2]، الأمر الذي جعل الناس تلتف حوله وتنتفض ، كمظهر عن نبذ الظلم والعنصرية، أين تمكّنوا بالفعل من طرد الحاميّة الانكشارية، ورعلى رأسهم حاكم المدينة يوسف بيك، وكوّنوا مجلسًا، فكانت المدينة شبه مستقلّة بأمورها يحكمها القائد رجم بن البجاوي[3]، وكنتيجة لذلك وخوفًا من انتشار روح الثورة في بقيّة البلاد، بعث علي باشا جيشا، أرجع به المدينة إلى حكم الطاعة[4]، وأوتي بالقائد رجم إلى الجزائر فأعدم[5]. ومن هذا المـُنطلق تجدر الإشارة إلى إقدام "محمد بنونة" [6]زعيم فئة الحضر من أهل تلمسان على توّلي منصب قائد المدينة، وهو منصب كان يختّص به قائد الحامية التركّية بتلمسان "بورسالي بن عودة"[7]، وقد أدّت هذه الخطوة من قبل محمد بنونة إلى انفجار القتال بين أنصاره من الحضر وبين الأتراك المتحصّنين

---

[1]- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران...، المصدر السّابق، ص 256.

[2]- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السّابق، ص 222.

[3]- رريب الله حاج أحمد، المرجع السابق، ص 498.

[4] عزيز سامح التر، المرجع السّابق، ص 508

[5]- الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، 18.

[6]- محمد بنونة، هو تاجر مغربي، انتقل إلى تلمسان واستقرّ بها، يعدّ من أكبر تجار تلمسان، كانت له صلات وثيقة بمدينة فاس وتجارها وله نفوذ واسع على سكان المدينة الذين يطلق عليهم الحضر، وهم من غير اليهود والعثمانيين، كما كان له نفوذ على بعض القبائل المجاورة لتلمسان: ينظر إلى إبراهيم ياسين، المرجع السّابق، ص 41.

[7] - Emerit Marcel, **l'Algérie à l'époque d'abd-kader** , éditions larose, paris, 1951.,p15.

بقلعتهم المعروفة باسم المشور[1]. ولتقوية صفوف أنصاره عمل بنونة على كسب دعم القبائل المحاذية لحدود المغرب بين تلمسان والبحر التوسط، لكنّه اصطدم هناك بمقاومة قبيلة أنكاد، الحليفة التقليدية للعثمانيين بتلمسان[2].

وتماشيًا مع ما تمّ ذكره، وإلى جانب كلّ هذا الدلائل والقرائن يتبيّن أنّه وعلى الرّغم من قلّة الأتراك العثمانيين مُقارنة بالمجتمع التلمساني، إلاّ أنهم استطاعوا التّحكم في المدينة ونواحيها بشكل رسميّ سنة 963هـ/1555م وطيلة ثلاث قرون من الزمن، بالرّغم من اللإستقرار التي شهدته هذه الحاضرة، التي تميّزت بين التوثر والعداوة والإضطرابات خاصّة عن طريق مُضاعفة الضرائب بوسائل الضغط العسكري ، فضلا عن إخضاع القبائل بالإكراه والقوّة، وهذا ما أكّدته الثوراث والتمرّدات التي قامت على أنقاضهم منظّمة كانت وغير منظّمة.

2. ثورة الكراغلة:

ابتداءا من القرن السادس عشر أخدت جماعة الأتراك العثمانيين تُعزّز سُلطتها وسَطوتها من خلال إبعاد جماعة الكراغة، والتّخوف هنا ذو خلفية سياسية، فبالرغم من رابطة الدَّم كان هناك ما يبعث على القلق والخوف من إمكان انقلاب الكراغلة عليهم او استخدامهم من طرف طائفة الرياس التي انتهت حكمها بانتهاء العهد الأول مرحلة البايلبريات، خاصة وأنّ أعدادهم كانت تتزايد بسرعة في مختلف البايلكات حتى وصلت أعدادهم في حدود 1621م حسب المصادر التاريخية بنحو 5000كرغلي وهو عدد مهم جدّا مقارنة بوجود ما يقارب 10000تركي[3].

إنّ التخوف العثماني من جامعة الكراغلة، كان له ما يبرزه، إذ سرعان ما اندلعت خلال سنوات 1629م و1633م أولى ثورات للكراغلة على الأتراك، تمت الأولى في بجاية، وبعد القضاء عليها اتّجه الثّوار إلى منطقة القبائل التي يعتبر سكانها من أشدّ الفئات المعارضين للحكم العثماني. في مُقابل ذلك قام كراغلة هذه المنطقة بثلاث محاولات للاستلاء على مدينة الجزائر سنة 1633م.و بعد عملية توقيف التعيينات للبايات الكراغلة ما بين 1748م إلى

---

[1]- إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص 41.

[2] - M.Emerit,op.cit. p 15.

[3] - Pierre, Boyer , **Le problème Kouloughli dans la régence d Alger** , in, R.O.M.M, special,1970,pp80-82.

1780م ، وجد سببا لتجدّد الفكر التمرّدي لهذه المجموعة التي تبلورت في شكل ثورة كبيرة بتلمسان [1] ، حيث تمرّد الأهالي و الكراغلة و طردوا قائدها يوسف بك ، و شكلوا قيادة خاصة بهم [2] و قد أثارت حركة كراغلة تلمسان مخاوف الداي ابراهيم كوجوك [3] الذي تيقّن أنّ لهم اتّصال بحركة مماثلة مع كراغلة مدينة الجزائر ، و هم يستعدّون للقيام بها ، و قلب نظام الحكم [4] .

و من المؤكّد مشاركة هؤلاء بشكل كبير في كل المؤامرات التي أقلقت الإيالة في منتصف القرن الثامن عشر [5] فوّجه الداي إليهم قوّة عسكرية سحقتهم و انتصرت عليهم و أنزل بالمتمرّدين عقوبات صارمة و فرض على الأهالي غرامة مالية كبيرة ، و أصدر أمرًا بقتل الكراغلة المتوّرطون ، كما صمّم على إبادة الكراغلة الموجودين بالعاصمة و لكنّه مات فجأة قبل أن ينفذ خطّته [6] الشيء الذي أطال في عمر الاضطرابات التي ظلّت قائمة في عهد خلّفه محمد بن بكر الطورطو[7].

و بعد هذه المحاولة الفاشلة ، قرّر الحكّام أن لا يُعينوا الكراغلة في منصب البايات و قد استمّر هذا الإجراء طوال الفترة الممتّدة من 1162هـ/1748م إلى غاية 1195هـ/1780م [8].

---

[1] Boyer Pierre , op.cit p 89.

[2]- عزيز سامح التر،المرجع السابق ، ص 508

[3]- حكم منذ 1158هـ - 1745م ينظر :

Rousseau Alphonse. **Chronique de la régence d'Alger**, **traduction d'un Manuscrit arabe intitulé** « **El Zohra – El Nayera – Ibn Muhamed al tlemsani** , alger, Imprimerie du gouvernement , 1841.

[4]- مبارك بن محمد المبلي : **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث** ، المرجع السّابق ، ص 288.

[5] Boyer Pierre , op.cit p 90.

[6]- عزيز سامح التر، المرجع السابق ، ص 508

[7]- صالح عباد ، المرجع السّابق، ص 508.

[8]- أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري** ، المرجع السابق ، ص 180.

وقد أشار سيّدي لخضر بن خلوف إلى مايُوحى بذلك:

نـوْرِيكْ الغَـرْب وَاش حْـواله الفِتْنَة والعْـرَاك تَتْرَبَى فِـي فَـاس [1]

3. الثورة الدرقاوية:

بحلول القرن التاسع عشر الميلادي (ق19) اتّسعت الهوة بين الحكام العثمانيين وسكان الريف على وجه الخصوص، أين شهدت الجزائر في هذه الفترة انتفاضات وثورات خاصة في بايلك الشرق وبايلك الغرب، قادها مجموعة من المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية، أين هدّدت استقرار وتواجد العثمانيين في إيّالة الجزائر، وأرهقت نظامه الحربي، في حين اختلفت غايتها وأهدافها ومراميها، فبعضها كان له طابع ديني، وبعضها كان له بُعْد وطابع سياسي، والآخر كان له دافع اقتصادي، ومن هذه الثورات تورة درقاوة.

1.3 التعريف بابن الشريف الدرقاوي:

هو محمّد بن عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفليتي، ويعود أصله حسب المصادر التّاريخيّة إلى قبيلة بربريّة تدعى "**كسانة** " بنواحي وادي العبد " جنوب سهل غريس القريب من مدينة معسكر، قائد انتفاضة ببايلك الغرب، درس بالقيطنة، وقبلها في مسقط رأسه في" قرية أولاد بليل "ثمّ انتقل إلى المغرب الأقصى، حيث انتسب للطريقة الدرقاوية، وعاد للجزائر حيث أصبح مقدمًا للطريقة، أين فتح زاوية للتدريس لتلقين أسس وأوراد الطريقة الدرقاوية، وفي سنة 1804أعلن ثورته على الأتراك بسبب قتل الباي مصطفى المنزالي[2] لبعض مريدي الطريقة.

---

[1]- Ahmed Amine Dellai, **parole graves et paroles légers chants bédouins de l'Oriane**, **Anthologie**, ENAG édition, Alger, Algérie, année 2003,p 24.

[2]- هو الباي مصطفى بن عبد الله العجمي المنزالي، وُلّي على بايلك الغرب سنة 1802، كان ضعيف الشخصية قليل الحيوية على حدّ تعبير المؤرخ يحي بوعزيز، انتصرت عليه جموع درقاوة في معركة فرطاسة سنة 1804، وحاصرته بوهران، ثمّ عزل سنة 1805، وعيّن مكانه الباي محمد المقلش، ثمّ أعيد تعيينه مرّة ثانية سنة 1807، ليعّين في نفس السنة خزناجيا بمدينة الجزائر، تاركا بايلك الغرب للباي محمد المسلوخ، للمزيد من التفاصيل ينظر يحي بوعزيز، **مدينة وهران عبر التاريخ**، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 67- 72.

عاصر المشرفي أواخر العهد العثماني وكان له موقف معارض من السلطة آنذاك – كما سبق ذكره- على غرار كثير من علماء الجزائر، ونلمس ذلك من خلال دعمه للثورة الدرقاوية التي اعتبرها مخلصة للسكان من ظلم العثمانيين " وذلك أنه لما اشتدت شوكة الأتراك[1] و ما لقت الناس من كثرة الظلم ...دعوا الله في سواد الليل أن ينجيهم من ذلك الويل "، فهو يرى أن الله بعث عبد القادر بن الشريف الدرقاوي كمنقذ و مخلص للسكان من هذا الحيف الذي سلّطه عليهم العثمانيون.

2.3 الأسباب:

من الأسباب والدّوافع التي غذّت هذه الانتفاضة وساهمت في إشعال لهيبها نذكر منها:

– إبقاء الحكام العثمانيين الأهالي بعيدين عن أية مساهمة فعلية في الحكم، فكان الأتراك طبقة حاكمة والأهالي طبقة محكومة ما تقوم به من واجبات أكثر مما تتحصل عليه من حقوق مثلما هو الحال في مدينة تلمسان ونواحيها.

– الهزيمة العسكريّة التي مُنيت بها إحدى الحاميات العثمانية أمام قبائل الأنجاد[2] المتمردة ضد سلطتها (العثمانية).

– انتشار الأمراض والأوبئة وظهور الكوارث الطبيعية والمجاعات والقحط والجفاف الذي أرغم عدّة قبائل على الهجرة كهروب أهل تلمسان إلى المغرب الأقصى ورفضهم للعودة إلى الأرض التي يحكمها الأتراك.

إضافة إلى النظام الضرائبي الجائر والمبالغ فيه كلها أفرزت أزمة اقتصادية عصفت بالجزائر في الفترة المتأخرة للحكم العثماني في البلاد، كانت انعكاساتها سلبية على الأرياف ممّا ولد الإحباط لدى السكان وحول ضعفهم إلى قوة استخدموها في القيام بحركات تمرد وعصيان وانتفاضات في مناطق متفرقة من معسكر ووهران وتلمسان.

---

[1]– المشرفي أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر **الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيئ الظن الكنسوس**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ك 2276، صفحة 196.

[2]– الأنجاد: قبيلة عربية تقطن بسهل وجدة، وهو عرب رُحّل نزلوا بهذا المكان في القرن 14م في مرحلة ملوك تلمسان، عاشوا فترة من الصراع بين فاس وملوك تلمسان، للمزيد من التفاصيل ينظر: مولاي بلحميسي، **الجزائر من خلال الرحلات المغاربيّة في العهد العثماني**، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1979، ص 193.

في مُقابل ذلك يبّين المشرفي[1] الأسباب التي دفعت بعبد القادر بن الشريف الدرقاوي إلى الثورة على العثمانيين، ويرجع ذلك إلى تزايد ظلمهم واضطهادهم للرعيّة " فسلط الله عليهم بسبب الظلم...شخصا من هذه الطائفة الدرقاوية من الزاوية الغريسية الشرفاوية قام عليهم في شرذمة من أهل وسيلته قليلة ولمتانة دينها و وثوق عهدها فئة جليلة فشتت بها شمل المحال[2].

3.3 الأحداث و الوقائع:

بعدما أتمّ الشريف الدرقاوي استعداده للثورة وجمع العدّة والعتاد، أعلن الثورة على العثمانيين، وتوجّه مع مريديه ورجاله نحو البطحاء قرب وادي مينا[3]، حيث جعلها مقرا لحملاته، وفي هذا الصدد يقول مسلم بن عبد القادر الوهراني: "**فاجتمعت عليه الغوغاء من كل جانب ومكان، وهبط مع وادي مينا قاصدا نحو المخزن**"[4]

---

[1]- أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي (1805- 1895)، ولد بغريس في قرية الكرط، وتثقف بها على عماء عصره حتى أصبح كاتبا، وشاعرا، وناقدا، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، هاجر إلى فاس، ووثّق صلاته بسلاطين المغرب الأقصى خاصة الحسن الأول الذي كان يصحبه في جولاته التفقدية والتأديبية، في مقبل ذلك كتب عن الجزائر وعلمائها والمحتلين، أحصى له الدكتور أبو القاسم مايقارب من 28مخطوطة، منها ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة...توفي في عام 1895م، للمزيد من التفاصيل ينظر إلى بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق يحي بوعزيز، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 101؛ وينظر كذلك لمحمد بوشنافي، **أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي ومواقفه من بعض قضايا عصره من خلال مؤلفاته المخطوطة**، المجلد 07، العدد01، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، الجزائر، جوان 2021، ص 114.

[2]- المصدر نفسه، ص 196.

[3]- واد مينا، هو واد يمر عبر مدينة غليزان ويصبّ في نهر الشلف.

[4]- مسلم بن عبد القادر، مصدر سابق، ص ص 71- 72.

ولما سَمع باي وهران مصطفى العجمي بالخبر، عَسكر على ضفاف مينا والتقى الطرفان في مكان يسمى بفرطاسة[1]، جيت جرت فيه معركة سنة 1805م، انتصر فيها الشريف الدرقاوي، وقُتل فيها **محمد بن هطال**[2] كاتب الباي كاتب الباي حمد بن عثمان الكبير، يقول في ذلك محمد بن عبد القادر في مؤلفه تحفة الزائر : "**وقد مات يوم فرطاسة من المخزن خلق كبير ومات كاتب الباي العلامة السيد الحاج بن هطال التلمساني**"[3].

يذكر أبو حامد أنّ الدرقاويين، بفضل قوة إيمانهم وصدقهم –حسب رأيه– أحكموا سيطرهم على المنطقة، كما فرضوا حصارا على وهران بعد أن استقر لهم الوضع في مدينة معسكر التي جعلها قاعدة لجيشه، اضطر معه العثمانيون إلى طلب المدد من دَاي الجزائر مصطفى باشا (1798– 1805) آنذاك، بعدما عيّن عليها **الأغا علي** فجاءهم عن طريق البر، رغم اعتراض بعض القبائل الثائرة طريق الجيش العثماني من أجل الوصول إلى مدينة وهران.

وأمام هذه الوضعيّة الصّعبة بعث ملك الجزائر يومئذ للشريف الغطريف أبي الربيع مكتوباً إلى السلطان المغربي المولى سليمان (1760-1822)[4] ، يستعطفه في مكتوبه، بعد تخوّفه وشكوكه حول تورّط الدولة العلوية في تغدية

---

[1]– فرطاسة: هي قرية تقع جنوب غليزان، وتبعد عن وهران مسافة 150كلم، وسميّت بواد الأبطال تخليدا لهذه المعركة وسمّاها الفرنسيون Uze's le Duc، وبعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962، استرجعت اسمها واد الأبطال، التابعة إداريا لولاية معسكر ينظر لبن عودة المزاري طلوع سعد السعود...المصدر السابق ص 107.

[2]– أحمد بن هطال التلمساني: كان كاتبا خاصا للباي محمد الكبير، ورافقه في حملته التفقدية التأديبية إلى الأغواط وعين ماضي عام (مارس 1775– فيفري 1776م)، ودوّن أحداث تلك الرحلة في كتاب سمّاه رحلة الباي محمد بن عثمان الكبير، حققها ونشرها محمد بن عبد الكريم في بيروت عام 1972، وذهب رسولا من قبل الباي إلى فاس صحبة أحد القضاة بهدية إلى السلطان محمد بن عبد الله، قتل في معركة فرطاسة ضد الشريف الدرقاوي، في جوان جويلية 1804، للمزيد من التفاصيل ينظر بن عودة المزاري طلوع سعد السعود...، نفسه، ص 107.

[3]– محمد بن عبد القادر، المصدر السّابق، ص 73.

[4]– المولى سليمان العلوي: سلطان مغربي حكم بين سنتي (1797– 1822)، نشأة نشأةً علمية، وتأثّر بالأفكار الوهابيّة، لذا يعده البعض من رواد الإصلاح الديني بالمغرب، تميّزت سياسته تجاه الغرب بالانغلاق، وتجاه دول الجوار بالمجاملة، للمزيد من التفاصيل يُنظر: محمد المنصور، **المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792– 1822**، تر، محمد حبيدة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المملكة المغربيّة، 2006، ص 218 ومابعدها.

هذه الانتفاضة ممثّلة في شخص هذا الأخير يطلبون منه التدخّل لَدَى شيخ الطريقة العربي الدرقاوي[1] الذي كان مُقِيماً بفاس لِيَكُفَّ ويقوم بتهدئة تلميذه وموردیه ويطلب منهم إيقاف الثورة " لما اشتد حصارهم في وهران و انسدّت عليهم سُبل البر، وتوّسّعت دائرة الانتفاضة لتلمسان وولهاصة وندرومة[2] ، و يقول له فيه:" **أنّ أسلافكم ملوك الدولة العلوية مع ملوك الدولة التركية كانوا يدًا واحدةً لا تشاجر بينهم غير أنّ هذا القائم علينا درقاوي الوسيلة و شيخه من إيالتكم ...و هو الذي يمده طائفته فرأس الحيّة عندكم و ذنبها عندنا[3]**".

4.3 تأييد الشيخ العربي لحركة التمرّد وبيعة درقاوة وأهل تلمسان للسلطان:

تؤكّد المصادر أنّه وفي هذه الأثناء تمّ وصول مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية من المغرب الأقصى إلى ابن الشريف بعد أن طلب وجهته السلطة العثمانية إلى المولى سليمان لإيقاف الثورة، لكنّ ابن الشريف شكا لشيخه ضرر العثمانيين وجورهم، أين أيّد الشيخ الثائرين بعد زيارته وهران وتلمسان ونواحيها وسماعه لشكاوى أتباعه، وفي هذا الصدد يذكر المزاري "**...فرأى بالعيان (أي شيخ الدرقاوية) ما لايقدر عليه بكلمة البهتان، وأزعجه قتال المخزن وما فيه من الأعيان بعد أن أمرهم بحمل الشواقير والفيسان وانّهم في يومهم يدخلون وهران ويصيرونها بالهدم**

---

[1]- مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي ، مؤسس الطريقة الدرقاوية، وصاحب زاوية ببوبريح بالقرب من فاس، أخد الطريقة عن شيخه علي الجمل العمراني، وتعتبر الدرقاوية امتدادا للطريقة الشاذلية أو فرعا منها، تميّزت طريقته بذكر الاسم الأعظم وشخصيته، بالإضافة إلى القيام بالحضرة، وخرق العوائد، تخرّج على يده مجموعة كبيرة من المردين، كما ترك مجموعة كبيرة من الرسائل في التصوف، للمزيد من التفاصيل ينظر، محمد بسام بارود، مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني،ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999،ص 31. وكذلك ينظر إلى حسين جيلالي بن فرج، **موقف المولى سليمان العلوي من انتفاظة درقاوة على ضوء رسالته لباي وهران محمد المقلش، مجلة عصور**، المجلد 17، العدد 01، سبتمبر 2018، ص ص 205-207.

[2]- رريب الله حاج أحمد، **شلف الأسفل إبّان العصر الوسيط المتأخّر والعصرالحديث، بنو زروال بين المغربين الأقصى والأوسط أنموذج القبيلة المرابطيّة**، الطبعة 2، دار بن حمدة للطباعة والنشر، الجزائر، 2002، ص 504.

[3]- المشرفي أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيئ الظن الكنسوس، المصدر السابق ص 200 . محمد بوشنافي أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي ومواقفه من بعض قضايا عصره من خلال مؤلفاته المخطوطة، المرجع السابق، ص ص 116- 117.

والتخريب مغارات للفيران..."[1] ويؤكد ذلك صاحب أنيس الغريب والمسافر الذي يذكر أنّه لما وصل الشيخ العربي الدرقاوي إلى ابن الشريف فشكا إليه ظلم العثمانيين وتعسفهم فلم يزد ذلك الثورة إلاّ تأججا[2]،حيث دعاهم إلى مبايعة سلطان المغرب، بعد أن أوفد عليه وحَمَلَ له مبايعة ابن الشريف وأتباعه في نواحي تلمسان ، ممّا أتبث وضاعف نَوَايَا والشّكوك حول الدّور المغربي في دعم وتغدية هذه الانتفاضة[3]، خاصّة بعد فك الحصار عن وهران أين توجّه درقاوة وشيخهم إلى تلمسان هذه المدينة حسب النّاصري كان لها خصوصا وقبائلها عموما التفات كسر إلى السلطان المولى سليمان[4]، حيث راسل درقاوة سكان تلمسان واتّفقوا على خلع طاعة العثمانيين وبيعة المولى سليمان، ففتحت أبواب المدينة، ودخل ابن الشريف وشيخه وأتباعه إليها وخطبوا في المساجد باسم السلطان المغربي، وبدوره كتب ابن الشريف بيعة وهديّة ووفده إلى السلطان مع الشيخ[5]، وحاصرهم في المشور، فلم يبق للعثمانيين شك في أنّ ما وقع كان بأمر السلطان المولى سليمان[6]

بقي الشيخ رفقة ابن الشريف وبعثا برسائل للسطان يخبره ببيعة ابن الشريف وأتباعه من أهل تلمسان فردّ عليه السلطان في 16جمادى الثانية 1220هـ/ 11سبتمبر 1805م يقول "...وما ذكرت من قدومك بيعة ولدكم السيد عبد القادر ابن الشريف مع أصحابه فمرحبا به وبأصحابه فالله يوفقه للخير ويعينه عليه...وإذا قَدِمْتَ نَتشاور معك في أمر تلك النّاحيّة وما تُشير عليه يكون العمل [7].

---

[1]- المزاري، المصدر السابق، ص 309.

[2]- مسلم بن عبد القادر 51.

[3]- عبد القادر صحراوي، **ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني**، **مجلة الحوار المتوسطي**، العدد15-16، مارس 2017، ص466.

[4]- الناصري، ج8، ص 110.

[5]- الزياني، الروضة السليمانية في ملوك الدولة الاسماعلية ومن تقدمها من الدولة الإسلامية، ص 182.

[6]- نفسه،ص 182.

[7]- محمد البشر الفاسي ، **قبيلة بن زروال**، مظاهر حياتها الثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، 1962، ص ص 44-45.

لم يذكر السلطان من خلال هذه الرسالة ما قام له الشيخ ولم يرفض قدوم ابن الشريف بالبيعة وبعد يوم وجّه السلطان رسالة إلى أهل الرباط يخبرهم ببيعة أهل تلمسان ويبدو أنّه قبلها حسب ما ذكره الضعيف بأنّ أهل تلمسان وفدوا بالبيعة حيث زيّنت أسواق المدينة فرحًا وابتهاجًا بأهل تلمسان وبيعتهم للسلطان ولَعِبَ النّاس بالبارود[1]، هذا عن الرأي الأول.

وفي مَوضع آخر عن الرأي الثاني، يذكر محمد بن بوسف الزيّاني مَا يُخالف ذلك أنّ الشيخ الدرقاوي ورغم انكاره على ابن الشريف أو على أتباعه بعض المخالفات وبعض المعلومات المغالطة حول العثمانيين في بايلك الغرب وخاصة في تلمسان على أنهم لا يصومون ولا يصلّون، وعندما بات الشيخ في نواحي تلمسان خارج المدينة سمع الآذان واعتكاف الناس على العبادة حيث قال لتلميذه:" **إنّ أتباعك هم المفسدون وأنّ الجهاد فيك وفي أتباعك جائز ولاشكّ أنّ الدائرة عليك وهو الفراق بيني وبينك وإنّي بريء ممّا ترتكبه**"[2] وهو نفس ما ذهب إليه ابن سحنون قائلًا" **فبعد أن طلبوا تدخّل ملك المغرب مولاي سليمان، وبعث الملك شخ الطريقة الدرقاوية إلى تلمسان واجتمع بتلميذه وكان رفقة الشيخ المذكور وقد هام من أقارب الملك فلم يقنعوا الثّائرين**"[3]، وفي سيّاق آخر للويس رين (L. Rinn) يدعّم في الرأي الثاني قائلاً **'' لقد حاول مولاي العربي الدرقاوي إرجع ابن الشريف الثائر إلى التعاليم الصحيحة للطريقة، ولمّا فشل رحل إليه شخصياً والتحق به وهو محاصر بوهران ولاحظ عدم احترامه له كما كان سابقا فحمل الشيخ حفنة من التراب ورماها في الجوّ قائلا هكذا سيكون مستقبل ابن الشريف''**[4]

---

[1]- محمد بن عبد السلام الضعيف، المصدر السّابق، ص 399.

[2]- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران ...، المصدر السابق، ص 278.

[3] ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 45.

[4] - Rinn, Loui, **Marabouts et Khouan**, Alger, Adolphe Jourdan 1884, p235.

في مُقابل ذلك، نَجد مايتعارض مع هاته المواقف على ضوء الرّسالة التي بين أيدينا والتي أوفدها وبعثها المولى سليمان لباي وهران محمد المقلش(1805-1807)[1] الذي تمّ تعينه على رأس أسطول بحري بایاً جديدًا على وهران بعد عزل الباي مصطفى.

ما يهمنا في هذه الرّسالة المطوّلة التي بعث بها السلطان المغربي المولى سليمان يؤكّد من خلالها ويَحسِم فيها رأيه وموقفه من ثورة درقاوة ومبايعته لأعيان تلمسان ونواحيها، موضّحاً فيها ثلاث عناصر أساسية من خلال الوثيقة التي بين أيدينا :

-أوضح وبيّن من خلال الرّسالة موقفة من انتفاظة درقاوة وشرح فيها دواعي إرساله للشيخ العربي الدرقاوي لوهران والقايد عيَّاد لتلمسان.

- كتب وشرح في الرسالة بعد أن وردت عليه بيعة عبد القادر بن الشريف، حيث أكدّ للباي رفضه للبيعة وثباته على موقفه الدّاعم لسياسة الأتراك بالجزائر ضد المنتفضين.

- أوضح من خلال هذا الرسالة حيث كتب فيها خاصّة بعد تتالي الهزائم على عبد القادر بن الشريف وأبدى تعجّبه من موقف العربي الدرقاوي الذي تأخّر عن الإصلاح بين المقتتلين، والتماس شرح فيه وجهة نظر الملك الرسمية لدى داي الجزائر مصطفى باشا.

يتّضح من خلال الرّسالة رغبة المولى سليمان الملحّة على تأكيد صلات وروابط الصداقة والمحبّة بين البلدين، وتبديد كل ما يعتريها من شكوك ومخاوف، خاصة مسألة الأطماع المغربية في الجزائر خاصة ما يتعلق بتلمسان ونواحيها مثلما جاء في نص الرسالة " **وحمدنا الله على سلامتكم ....فهنيئا لكم ثم هنيئا...**" ويعلّل ويؤكد صداقته بقوله " كون دولة أهل الجزائر تحت لواء السلطان الأعظم والخاقان الأنجم السلطان سليم خان نصره الله ليقول أيضا" **يَقدّم المولى سليمان لحكام الجزائر ضمانات بعدم تدخله في شؤون الجزائر ...**"

---

[1]- هو الباي محمد بن محمد بن عثمان الكبير، خامس بايات وهران، يُلقّب بالمقلش أو المقلج لأناقته وتفاخره (1805- 1807)، عيّن بايا وهو في سن الثامن عشر من عمره، حقّق عدّة انتصارات ضد انتفاظة درقاوة، حتة كاد أن يقضي عليهم، قتله داي الجزائر، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 69.

وتبعاً للأحداث المتسلسلة تؤكّد أنّ الشيخ الدرقاوي وتلميذه ابن الشريف أرسل رسالة تحمل بيبعته وبيعة أعيان تلك القبائل كلّها بما فيهم تلمسان ونواحيها الملتفة حوله عين الحوث، ولهاصة، بني صميّل، ندرومة...الخ مقابل تنصيب ابن الشريف واليا على المناطق التي فرض عليها نفوده، وأنّ السيّد العربي قَادِمٌ بجميع أعيان تلك القبائل الذين بلغ استيائهم بقولهم **" نذهب إلى بلاد النصارى ولا نجاور الترك[1]"** وأنّهم على السّمع والطّاعة لنا " الأمر الذي سيحمل قراءات جديدة وشبهات حول نيّة المولى سليمان في هذه الأحداث، غير أنّ السلطان المغربي أوضح في رسالته أنّ هذه الخطوة لن تؤثّر على الموقف الدّاعم للحكم العثماني ضد الثّوار، موضحاً في ذلك غرض وغاية ابن الشريف من هذه البيعة بالطّمع في الولاية على الأقاليم التي بسط فيها نفوده.

إنّ الرسائل المتبادلة بين شيخ الطريقة والسلطان سليمان جاءت لتؤكّد أنّه تظاهر بقبول البيعة ظاهرياً، بل وأرسل البشائر لأهل الرباط كما تؤكّده المصادر المغربيّة[2]، أمّا واقعياً فقد بعث أخاه موسى على رأس فرقة من الجيش إلى وجدة لتمنع الرعيّة من الدخول، كما قام بإرسال قائد جيش الأوداية عيَّاد بن أبي شفرة الأوادي إلى تلمسان في مهمة لم نجد لها غاية وتفسيرا في الرّسالة، إلاّ أن ظاهرها ينصب في صالح العثمانيين قيقول: **" وجّهنا خالنا القايد عيَّاد إلى تلمسان وأوصيناه بما أوصيناه، فإذا سمعتم بوصوله إلى تلمسان، ربما يظنون خلاف مارسمناه لكم معونة حقيقية تُحمد عواقبها" ويتفق كل من أبو القاسم الزياني وأحمد الناصري في أنّ المهمّة التي أوكلت للقايد عيَّاد كانت تتمثل في منع الاقتتال بين الحضر والكراغلة في تلمسان[3].**

فضمون هذه الرّسالة يوضّح لنا بجلاء الدّور المغربي الحاسم في فشل ثورة درقاوة، على خلاف ما تتبناه الدّراسات الأخرى الموضَّحَةِ أعلاه، التي تُشير إلى ضلوع وتواطئ المخزن المغربي في هذه الأحداث، خاصّة بعد قُدوم الشّيخ العربي الدرقاوي لوهران وبعدها لتلمسان الذي شكّل مُنعرجًا حاسماً في مَسَار الثّورة، التي أخدت بَعدها مُباشرة في التّراجع والتّلاشي بعدما أجمعت واتّفقت جُلّ المصادر على توتّر العلاقة بين الشيخ ومريده ممّا ساهم في فتور حماس غالبية الثوّار، ما يؤكده رفض المولى سليمان لبيعتهم وتخليه عنه. غيرأنّ لا يخفى أنّ المواقف التي أبداها المولى سليمان كانت حذرة ، باعتماده الحياد وأسلوب الديبلوماسية لحل هذه المسألة التي ألقت بضلالها على العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى،

---

[1]- رريب الله حاج أحمد،المرجع السابق، ص 550.

[2]- محمد الضعيف الرباطي، المصدر السّابق، 399.

[3]- حسين جيلالي بن فرج، المرجع السابق، ص 215.

الأمر الذي جعله يَتردد أمام هاته الأحداث الوقائع، فهو لم يُرد إقحام نفسه في مُخاطرة خاصّة لما عَلم باسترجاع العثمانيين لتلمسان وفكّ الحصار عن وهران، وتحّول ميزان القوّة لصالح العثمانيين، جعله ذلك يتردد في بيعة أهل تلمسان ونواحيها فسعى إلى التخلص من علاقته من تمرّد درقاوة بعد وصولها إلى منحى خطير لم يكن واردًا في حساباته وقد تؤدّي به إلى مواجهة عسكريّة مع عثماني الجزائر، والسلطان لم يكن في مَوضع يسمح له بالدخول في مواجهة مُباشرة لا ترتكز على أسس واضحة، وهو ما أكّدته وبيّنته الرسالة التي هي بين أيدينا (ينظر الملحق رقم 2 والملحق رقم 03)، في مُقابل ذلك كانت المغرب يُعاني هشاشة الوضع الدّاخلي بسبب التمردات الداخلية إضافة إلى الاقتصادي والعسكري.

الباي بوكابوس هو الآخر واجه فتنة درقاوة عن طريق مجموعة من المعارك ومن ذلك التقائه بالدرقاوي قرب ندرومة حيث قطع ستين رأسا منهم[1]

سابعا: موقف العلماء التلمسانيين من السلطة العثمانيّة:

أَدْرَكَ العثمانيّون منذ بداية تواجدهم بإيّالة الجزائر مدى نفود العلماء، حيث لم تكن معاملة البايات للعلماء بأحسن حال، إذ أنّ تصرّفهم لم يكن يليق بأولي الفضل من العلماء والمثقفين، وإن لم يكن ذلك شأن كل البايات، فمنهم من كان يبجّل العلماء ويحترمهم ويقرّبهم منه[2].

ممّا لاشكّ فيه، أنّ تلمسان لم تخلو من العلماء وأعلام الثقافة والتصوف في العهد العثماني، رغم التّدهور الذي شمل المدينة، حيث انقلب بها الوضع من عاصمة لمملكة ومقرا للملك والسلطة والحرف والصنائع والعلوم، إلى مجرد مدينة من مُدن بايلك الغرب تُسيطر عليها الحامية العثمانيّة. فقد احتضنت تلمسان ونواحيها عديد البيوتات العلمية في العهد العثماني، من أعلام الفِكر والنخبة الذين خدموا العلم في هذه الحاضرة العلمية، بالرّغم من الظروف التي كانت تحيط بهم في ظلّ دوّامة الصراع الثلاثي الإسباني العثماني والسعدي الذي عاشته مدينتهم وقتذاك، كما جاء الحديث فيهم سابقا.

---

[1] - ESTERHAZY Walsin , Op، Cit, P,210.

[2] – محمد العربي حرز الله، **تلمسان مهد حضارة وواحة وثقافة**، ط1، دار السّبيل للنشر والتوزيع،الجزائر، 2011، ص 242.

وتماشيًا مع ما تمّ ذِكره ، وفي ظلّ هذا الأوضاع التي تمّت الإشارة إليها سابقا ، بنقل القيادة السياسية لبايلك الغرب من وهران ثمّ تلمسان ثم معسكر ثم وهران ثمّ مازونة، وجعلها منطقة نفي ولجوء سياسي لكل عالم مناهض للسلطة الحاكمة أو سياسي أو عسكري ثائر على مركز القيادة بدار السلطان بالعاصمة، يُخبرنا في عذا الصدد الحاج أحمد الشريف الزهار في مذكراته "...فأمّا الخزناجي فقد نفاه إلى تلمسان"[1] إذ تولّد عند هؤلاء العلماء مواقف تباينت بين التأييد والرفض من صنّاع القرار الجدد، في هذا السيّاق يذكر الباحث بوشنافي محمد " ...**فكان منهم من ساند العثمانيين ورأى فيهم خلاصًا لتلمسان وسُكّانها من الحكّام الزيّانيين الضعفاء والعملاء للأسبان، ومنهم من رأى في هؤلاء القادمين مجرّد سفاكين للدماء لايهمهم إلاّ اضطهاد السكان، فجلبوا الويلات على تلمسان بسبب ذلك، وبخاصّة أنّهم كانوا أعاجم فلم يتأقلموا ويندمجوا مع السكان**[2].

1. نماذج لعلماء تلمسانيين عارضوا العثمانيين:

على ضوء ماتقدّم، قد وقع في بداية دخول العثماني إلى تلمسان أن عارض العلماء هذا التّدخل في حين وقف بعضهم مؤيدًا له، ومن أشهر المعارضين الشيخ أحمد بن ملوكة التلمساني الذي ورد ذكره في كتاب دوحة الناشر لابن عسكر "**أن عروج عندما ارتكب مجموعة من الفظائع لمّا دخل المدينة ثم خرج إلى جبال بني سناسن، فخاف أهل تلمسان من عودته واشتكوا لابن ملوكة ما وقع بهم فانقبض الشيخ وغضب وضرب الأرض بيده ودعا على عروج**" قائلا:" **اللهم لا تعده إلى تلمسان إن اتكالنا عليك" وأنّ الله قد استجاب الدعاء ومات عروج مقتولا**"[3]

في ذات السيّاق، اشتهر الشيخ ابن للو التلمساني الذي يُقال أنّه سخط على حاكم تلمسان حفيظ الترك وخرج من تلمسان[4]، نظير لما لقيه من الإساءة، ورغم أنّ هذا القائد حاول بعد ذلك استرضاءه ببعض المواد الغذائية كالدقيق والسمن وغيرهما، فإنّ الشيخ رفض ذلك، بل ويُقال بأنّه أمسك بلحية القائد حفيظ وجلب منها حتى أخد

---

[1]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 132.

[2] بوشنافي محمد، موقف علماء تلمسان...، المرجع السّابق، ص 205.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981، ص 232.

[4]- المرجع نفسه، ص 468.

منها بعض الشعر[1].ورد أيضا ذكر سياسة العثمانيين تجاه تلمسان التي كانت محلّ انتقاد العلماء وسخط الشعراء والأدباء الذين كانوا يدينون ذلك التصرف، وينعتون المتسببين فيه بكل النعوت، إذ سجّلت لنا فرمانات مهمة دفتري نصّا يقول: **"اتهام أمراء سنجق تلمسان بممارسة الظلم والتعدّي على الأهالي واستحداثهم البدع واغتصاب أموالهم، الأمر بقيام بكلربكي بمهامه التي عين من أجلها وتحميله المسؤولية في حالة تهاونه في منع تجاوزات الأمراء ضدّ الأهالي، وإرسال قاضي مع المباشر إلى تلمسان برفقة عدد من الحراس للتحقيق فيما نسب إلى أمير سنجق تلمسان والتثبّت ممّن أخذ نقود الأهالي قسرا هل هو أمير سنجق؟ أم القاضي؟ أم المباشرون؟..."**[2]

ومن بين الذين تصدّوا للممارسات المشينة للعثمانيين تجاه تلمسان شعراء الأدب الشعبي لقربهم من الجماهير الواسعة، ومن بينهم المنداسي[3] شاعر الفصيح والملحون الذي كان أكثرهم تحاملاً على العثمانيين وهجاء لحكامهم[4]. ومن ذلك قوله:

آمَنْ قَادَرْ بِاللهِ يَحْمِي تْلَمْسَانَـــا فَإِنَّ بِهَا مِن قَـومِ يَأجُـوجْ أَخْـوَانَـــا

بَنَا السَّدْ ذُو القَرنَين للنَّاسْ رَحمَه فَيَالَيْتَه مــنَ شَوْكَةْ التُـركْ هَـــنَانَـا

سْمَعْنَا حدِيثًا صَادَقْ النَّقَلْ رَبَّـــهُ بأَنَّ جَنْسْ التُّرْكْ في الأَرْض اخوَانا

وَلَكنْ وَرَاءْ السَّدْ عَمْ فْسَادْهُـــمْ وَهمْ أَفْسَدُوا في الغَرْبِ كُفْرًا تْلَمْسَانَ.

---

[1] –بوشنافي محمد، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر...، المرجع السّابق، ص 206.

[2] ف . م . د ، رقم 116/حكم 567: في 26ذي القعدة982هـ/9مارس1575م.

[3]– السعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني (1683– 1677م) وأصله من منداس قرب غليزان، وتعود أصوله على جذور عربية هلالية، وكان من شعراء القرن السابع عشر الذين طرقوا الشعر الفصيح والملحون على السّواء، ويعتبر من مؤسسي المدرسة الحديثة في فن الحوزي وتتلمذ على يد شعراء مثر من أشهرهم المصمودي المغربي، كان المنداسي رحمه الله رجل علم ودين وثقافة مكّنته شخصيّته من مصاحبة الملوك ومجالسة الأمراء، حجّ مرتين إلى بيت الله الحرام وترك رصيدا أدبيا كبيرا وبصمة واضحة في التراث الوطني، ينظر إلى محمد العربي حرز الله، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة ، المرجع السابق، ص 415.

[4] – نفسه، ص243.

أمّا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي الندرومي[1] صاحب الكرامات الذي كان على خلاف مع السلطة المحلية بسبب مضايقتها على السكان، كان مشاركا في الاحداث السياسية حيث أرسل إلى الباشا حسن بن خير الدين يطلب منه الرجوع إلى الجزائر عندما همّ بالهجوم على فاس الذي لم يحصل له ما أراد. كما وتذكر المصادر أنّه قد خرج ليلا إلى ضريح أبي مدين، وعندما وصل إلى بابه صاح قائلا " **خادمك يا أبا مدين عبد الرحمن اليعقوبي يستأذنك في الدخول لإن أذنت وإلاّ رجع**"، فدخل إلى الضريح وشاور أبا مدين غي عزل العثمانيين فأجابه: **" ماكان شيء نبدلهم به إم أردت أن نجعلم في موضعهم"**، فأجابه بالرفض[2]. في حين نفس الموقف أبداه الشيخ موسى بن علي اللاتي، الذي كان ناقمًا عبى الحياة السياسية والاجتماعية بتلمسان بسبب ظلم حكامها العثمانيين، يذكر أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد " **دخل على القائد التركي حين تقابل الترك مع أهالي تلمسان**"، والذي نظّم قصيدة سياسية أثناء حروب العثمانيين ضد تلمسان والتي يُسجل فيه انتقام العثمانيين من الأهالي، وموقف شيخه العبدلي إزاء ما يحدث وطغيان وجبروتهم.

من جانب آخر، كانت الهجرة الملاذ الوحيد للكثير من أعلام الفكر في تلمسان، كتعبير عن رفضهم للوجود العثماني في الجزائر عامّة، وحاضرة تلمسان خاصّة، كنتيجة للسياسة التسلطية والتجاوزات التي بلغت درجة النفي والإبعاد والسجن أحيانا، إذ غادر عدد لابأس به من خيرة العلماء والمثقفين التلمسانيين ، **فرارًا من حكم العثمانيين، ولعلّ** أهم هجرة أشار إليها المؤرخون هي هجرة علماء تلمسان إلى المغرب الأقصى زمن السلطان الغالب بالله (1557-1574م)، الذي احتل تلمسان لفترة قصيرة، فصارت أرض المغرب الأقصى قبلة الرّافضين والمعارضين لسلطة العثمانيين من سلاطين بني زيان وصوفيّة وفقهاء وعامّة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: سيدي أحمد بن ملوكة التلمساني، والشيخ الصوفي عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي النّدرومي، والشيخ العالم ابن للّو التلمساني الذي أسيئت

---

[1]- على ضوء ماتقدّم شكّلت زاوية سيدي اليعقوبي مركز معارضة واضحة لسياسة الأتراك العثمانيين، فزيادة على كونها رفضت حكم الأتراك فإنّها قاومت الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية الغربية، بقيادة الشيخ اليعقوبي نفسه الذي دعا قبائل ترارة كلّها كـ: جبالة، فلاوسن بني سنوس، بني منير، السواحلية، مسيردة، وحتى سكان تلمسان وعدّة قبائل أخرى، وقد بايعته كل القبائل الرافضة لحكم بني زيّان المنهار، والأتراك، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني ...، المصدر السّابق ص 23.

[2]- بوشنافي محمد، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر، المرجع السابق، ص 206.

معاملته من قبل القائد التركي حفيظ التركي، فاضطرّ إلى الهجرة بعدما تشابك مع القائد التركي المذكور، إضافة إلى الفقيه ابن يعقوب العبّادي التلمساني[1]، وقد أشار الجزنائي في مؤلّفه " جنى زهر الآس في بناء مدينة فاس " أنّ هجرة التلمسانيين زادت باحتلال الإسبان لوهران[2]، بالإضافة إلى علماء آخرين هاجروا إلى الحواضر المصريّة مع نهاية القرن 10هـ/16م، إذ ساهموا فيها في مختلف العلوم العقلية والنقلية، نذكر منهم : ، أبو العباس أحمد بن عثمان بن ثابت التلمساني الأزهري[3]، و أبو عبد الله محمد بن الحاج بن منصور العامري التلمساني ثمّ التازي[4]...وغيرهم، وقد بقيت تلمسان إلى عهد قريب معقلا للاضطرابات ضدّ بايات العثمانيين" في هذا السيّاق يُخبرنا أبو راس الناصري في مؤلّفه فتح الإله ومنّته...، عن عالم من علماء تلمسان الشيخ محمد بن عبد الرحمن التلمساني حيث قال "...**ونبذ تلمسان نبذا كليا واتّخدها ظهريا، وقد قيل له...ومسقط رأسك فقال " هيهات قد طلقتها بتاتا، قائلا: فما قلبي إليها يرجع ويسفر، وكم من مثلها فارقتها وهي تصفر"**، فودّعها وداع من لا يعود، وأعرض عن العشائر والأقارب والأهل وأضرحة الجدود، ولحق بالحرمين الشريفين، وأخد معه من المسجد أكثر من ألفين فضلا عن الورق والوريق[5].

---

[1]- أحمد ابن يعقوب العبّادي أبو العباس التّلمساني: هو أبو العباس أحمد ابن أحمد ابن محمد ابن يعقوب التلمساني، ورد والده الشيخ أحمد ابن محمّد العبّادي على فاس في عهد الدّولة الوطاسيّة النّاصرية، فقدّمه الناصر للتدريس في جامع القرويين، أخد التصوف عن سيّدي أبي محمّد الهبطي، ولقي منافسة نظرائه من فقهاء فاس لتقدّمه عليهم، عاد إلى تلمسا أين توفي ودفن نحو سنة 1533م، فهو عالم كبير من فحول المالكيّة من أهل تلمسان وبها نشأ وتعلّم، رفض الوجود التركي، إذ قدِم فاس عام 1559م في جملة فقهاء تلمسان، استغل بالتدريس ثم رجع إلى تلمسان واستقرّ بمليانة حتى وافته المنيّة عام 980هـ/ 1572م.للمزيد من التفاصيل ينظر ل رريب الله حاج أحمد، شلف...، المرجع السابقص 452.

[2]- علي الجزنائي، **جنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص 62.

[3]- أحد عماء تلمسان الذين ارتحلوا إلى المشرق للاستفادة من علمائه في هذه الفترة، وقدكان من بين محطاته إلى هناك الجامع الأزهر الشريف بمصر التي كانت تعجّ بالعلماء، ولطول مكثه في الأزهر الشريف نسب إليه ، وعُرف باسم الزهري، وقدكان عالما بفنون القراءات ومن كبار المحدثين، وقد عاصر علماء وأجلاء في شرق العالم الإسلامي وغربه، توفي عام (1152هـ/1739م)، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى : بومدين محمد، مظاهر من النشاط العلمي والفكري لعلماء تلمسان، المرجع السّابق، ص 408.

[4]- المشهور بمنظومته " الهمزية " التي فرغ منها عام 1162هـ/1752م، والرّحلة الحجازية الموسومة بـ: " الرحلة العامرية"، التي نظمها عام 1744م، في رحلة تُعتبر واحدة من بين أهمّ الرّحلات الحجازية للمغاربة التلمسانيين، توفي عام (1162هـ/1754م)؛، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: المرجع نفسه، 409.

[5]- محمد أبو راس الناصر الجزائري، فتح الإله...، المصدر السّابق، ص 49- 50 .

في هذه الفترة، تجدر الإشارة كذلك أنّ غياب الأجهزة الشرعية بمدينة تلمسان، رغم حساسيتها، الأمر الذي جعل سكان تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني، كانوا قليلا ما يلجؤون إلى القضاء وأجهزة الحكم في البلاد لأسباب مختلفة في مقدّمتها خوفهم من عدم الإنصاف في الحكم م قبل الموظفين الإداريين، في هذا السيّاق يُخبرنا إدموند دوتي بقوله " فقد كان التلمسانيون على غرار بقية سكان الجزائر يحجمون عن تقديم تظلماتهم ودعواتهم للسلطات التركية ضد الموظفين الذين اعتدوا على حقوقهم وحريّاتهم ....بسبب انتشار الدسائس"[1] وفي إشارة أخرى العالم أبو عبد الله محمد بن الشيخ المناوي اليبدري التلمساني، الذي هاجر إلى المغرب الأقصى نهائيا بسبب الأحباس التي لم تصر في موضعها الشرعية[2] .

2. نماذج عن علماء أيّدوا وقدّموا النُّصح للعُثمانيين:

في مُقابل هذا الصّنف من العلماء الذي أظهر مُعارضة للعثمانيين في تلمسان ونواحيها، نجد صنفا آخر حاول التعايش مع هذا الوضع الجديد بتأييدهم ونصائحهم، نجد بيت الشايب الذراع التلمساني وهو بيت من بيوت سيد أحمد المعروف بالمختار، من علماء القرن (11هـ/17م)، من منطقة غريس بمدينة معسكر، انتقلوا إلى تلمسان وتحوّل لقبهم من سيدي المختار إلى شايب الذراع، يُخبرنا المختاري **" ثمّ خلفه ولده سيدي أحمد المختار فسار بسيرة أبيه في طلب العلم ...فجمع بين الرياسة...، وحاز قصب السبق بين معاصريه ...ثمّ خلفه أخوه ولده الشيخ سيدي عبد القادر ابن المختار الشهير...فنشأ سدي قادة هذا...وأجلسه ملوك آل عثمان على فراشها وخدمته"**[3] ومن العلماء الذين أيّدوا الوجود والحكم العثماني، نذكر مفتي تلمسان أبو العباس أحمد بن زاغو التلمساني(

---

[1]- إدموند، المرجع السابق، ص127.

- محمد بومدين، من مظاهر النشاط الديني والاجتماعي...، المرجع السّابق، ص 79.

[2]- الزقاي، إتمام الوطر، المصدر السابق، ص 88.

[3] الطيب بن المختار الغريسي المختاري، **القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم**، ط1، المطبعة الخلدونية، تلمسان، الجزائر، (د.ت)، ص ص 337- 339.

11هـ/17م) الذي كان معاصرًا للشّاعر سعيد المنداسي واصفًا إيّاه بأبشع الصفات، إذ تحدث عمّا عانته تلمسان منه، واتهمه بانقياده للعثمانيين والخضوع لهم، والتعدّي على حدود الدين[1].

في ذات السيّاق هاجر العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعد التلمساني وهو من بيوتات العلم والجاه، إذ شغل وظيفة القضاء بتلمسان، وذلك لسلسة من الأحداث التي وقعت لقبيلة ولهاصة في شمال تلمسان، بعد رفضها دفع الضريبة لمحلّة الباي حسن بتحريض من عامل وجدة أبي العلى الادريسي. فأرسل إليهم الباي حسن حاميّة عسكريّة لاستخلاصها بالقوّة، حيث قُوبلت الحاميّة بنصب كمين أبيدت عن آخرها، ليخرج العالم "محمد بن سعد" لتهدئة الأوضاع ولإقامة الصلح، لكنّه اتّهم بالتّعاطف مع السّكان فخشي على نفسه وعجّل بالفرار والهجرة إلى المغرب الأقصى[2]. ومن بين هذه الأدوار الإصلاحيّة، ما سجّله كعبة الطائفين " **لقد رأيت الولي العارف سيدي العبدلي قبل الفتنة الأولى (1035هـ/1626م)، أيضا اجتمع عليه العامّة والغوغاء والجند مَحصورون في المشور، والنساء يزغرتن على تجنّد أولئك العامّة، فقتم يبكي وينوح نياح الثكلى بصوتٍ عالٍ، والنَّاس يزدحمون عليه في مسجد الوزّان، فوعظ كبارالقوم زطلب منهم التّدخل لمنع العامّة من تنفيد ثورتها...**"[3] و بهذا الموقف يكون الشيخ العبدلي انبرى للقيّام بالوساطة والإصلاح بين أهالي تلمسان والحكّام العثمانيين لحقن الدماء، إذ يُخبرنا في هذا الصّدد محمد بن سليمان"...**ومات عندنا قُطب عَصرنا العبدلي في طريق الجزائر لتسكينه الفتنة...**"[4]

---

[1] بوشنافي محمد موقف علماء تلمسان، المرجع السابق، 210.

[2] سعدية رقاد، **المتدينون والسلطة في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1772–1830م)**، **مجلة رفوف**، المجلد، 11، العدد02، أدرار، جويلية 2023، ص 336.

[3] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج2، المصدر السّابق، ص ص 194-195.

– محمد بوشنافي، موقف علماء تلمسان...، المرجع السّابق، ص 208.

[4] محمد بن سليمان، كعبة الطائفين، ج2، المصدر السّابق، ص 195.

الفصل الثاني:

الحياة الاجتماعية بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني

أولاـ: التركيبة الاجتماعية للمجتمع التلمساني

ثانيـا: التّعداد السكاني و الفئات الاجتماعية حسب بعض الكتابات الفرنسية

ثالثـا: مظاهر الحياة الاجتماعية للمنطقة

رابعـا: اللّهجات التلمسانية

خامسا: الوضع الصحّي بالمنطقة

سادسا: النّوازل و دورها في الحياة الاجتماعية للمنطقة

إنّ الموضوعات الاجتماعيّة في ميدان التّاريخ تُشكّل جانبًا مُكملاً للموضوعات السيّاسيّة والعسكريّة والإداريّة، ذلك لأن الدّولة مهما كان الموقع الجُغرافي الذي ظهرت فيه، والعهد الذي عاشت فيه ونظام الحكم الذي قامت عليه، فإنّ تاريخها العام لا يمكن فهمه من خلال علاقاتها السيّاسيّة ونشاطاتها العسكريّة ونُظمها الإداريّة والماليّة فقط، وإنّما من خلال النشاط الذي يقوم به أفرادها ومظاهر حياتهم الاجتماعيّة، ونظرًا إلى الأهميّة الكبيرة التي تكتسيها هذه الأخيرة في الدّراسات التّاريخية، فإنّا باتت تستقطب عددا مُعتبرًا من الباحثين، خُصوصا المتعلق بالفترة العُثمانيّة، ونظرًا إلى اتّساع نطاق الاهتمام بها من جهة، وحسب ما يقتضيه طبيعة موضوعنا من جهة أخرى، فإنّه ليس غريبا أن نتخد نحن أيضا ذلك المنحى في دراستنا، وإن شكّل ذلك عائقا أمامنا في ظلّ نُقص المادة العلمية المتعلقة به، تحت عنوان: " الحياة الاجتماعيّة بتلمسان وتواحيها خلال العهد العثماني.

قبل أن نستعرضَ ملامح الحياة الاجتماعية، علينا أن نشير إلى التّشكيلة البشريّة في مدينة تلمسان ونواحيها، حيث كانت تتكون من مجموعات عرقية متنوعة منها الأتراك، العثمانيين، والكراغلة، والحضر، والأندلسيين، واليهود، متوزّعين على مناطق متنوعة نذكر منها ندرومة، أولاد ميمون، بني سنوس، بني صميّل، عين الحوت..الخ، أمّا عن الكثافة السكانية فيذكر لنا الرّحالة الحسن الوزان بعد رحلته إلى تلمسان في الربع الأول والثاني من القرن السادس عشر الميلادي: "لا يسكنها إلا القليل من الناس"[1].

ويمكن إسناد ذلك إلى التخريب الذي كانت تتعرض له المدينة وقتل سكّانها، ويُضيف حديثه عن الفئات الاجتماعية قائلًا ": **ويَنقسم جميع أهل تلمسان إلى أربع فئات، الصناع، والتجار، والطلبة والجنود**"[2]، وقد فصّل في كل فئة من حيث الحالة الاجتماعية واللباس..الخ كما ساقه الحديث إلى حاشية الملك ومصالحها ووظائفها سواء المهمة منها أو الأقل أهمية.

[1] – الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 23.

[2]– عمار بن خروف، المرجع السّابق، ص ص 132-134.

أولا: التّركيبة الاجتماعية للمجتمع التلمساني في العهد العثماني

يبدو أن الأصول العريقة لعناصر سكان مدينة تلمسان كانت متشبعة، بحيث يصعب على الباحث الإلمام بكل مكوّناتها، ويعود السبب في ذلك إلى نقص الوثائق من جهة وإلى التمازج، الذي حدث بين السكان الأصليين من البربر، وبين الأجناس الأخرى التي حلت بها منذ الفتح العربي الإسلامي في نهاية القرن الأول الهجري، السابع الميلادي كالعرب اليمنيين والمضريين والشاميين والعراقيين والأندلسيين والفرس والأغزاز والقبط والأعلاج المماليك والعبيد السود فضلاً عن جنسيات مختلفة أخرى من أوربا ويهود وغيرهم ممن تسربوا إلى مدينة تلمسان وحطوا رحالهم فيها في شكل مجموعات كبيرة أو صغيرة أو فرادى على مر السنين والقرون.[1]

1.البربر:

وهو من أقدم العناصر التي استوطنت هذه المدينة، وما لا شكّ أنّ قد اختلط بالشّعوب التي استقرّت بالمنطقة قبل مجيئ العرب، من فنيقيين، ورومان، وإغريق وغيرهم.

ومن هذا المنطلق، فتلمسان هي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر وكانت المدينة سوقا من أسواق زناتة[2] فملوك تلمسان من زناتة[3] وقد كانت خاضعة لسيطرة الرومان ثم آلت إلى ملوكها الأقدمين وهم بنو عبد الواد المنتمون إلى مغراوة، بعد أن أجلي الرومان عن إفريقيا وقد احتفظوا بالملك مدة ثلاثمائة سنة[4] ولما كان إنتهاء بني عبد الواد إلى زناتة البربر وجب أن نعرف أولاً أن البربر بغيض زناتة فيهم فنقول أن البربر أمة عجمية عمرت الشام من ادن الطوفان تعرف ملوكهم بالجواليت واختلف في أصلهم النسابون، قال السهيلي والمسعودي والفضاء هم أولاد بربر بن كنعان بن حام. [5]

---

[1]-عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص170.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص ص 76-79 ينظر أيضا، يحى ابن خلدون: المصدر السابق، ص21.

[3]- أبي الفداء، المصدر السابق، ص137.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص7.

[5]- يحى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 89.

ويبدو أن القبائل المقيمة بناحية تلمسان كانت خاضعة إبان الفتح العربي في أوائل القرن 7م لفرع من بني يفرن إحدى قبائل زناتة الرئيسية وكانوا رُعاة رحل كما كنا يحتل تلك الناحية إلى الشرق فرع هام من أعظم شعوب زناتة وهم مغراوة وكان بنو عبد الواد إذ ذاك –وهم ينتسبون إلى بني واسين الذين يعدون من زناتة– يخيمون بالزاب والأوراس.[1]

أما بنو يفرن فقد إنهارت سلطتهم لدى الفتح الفاطمي في القرن 10م لصالح مغراوة الذين لم يفقدوا الملك بتلمسان إلا عند سقوط المدينة في أيدي المرابطين عام 472هـ/1079م وفي ذلك العهد إستقر بنو عبد الواد جنوبي وهران الحالي بعد أن طردهم العرب بنو هلال من زاب قسنطينة. [2]

إذن فقد كانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر[3] فدولة زناتة المغراويين واليفرنيين بالمغرب وقيام ملكهم وأول ملك منهم بالمغرب زيري بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن خزر الزناتي المغراوي الخزري في سنة 368 فقام في المغرب وغلب على مدينة تلمسان ومدينة تنس ومدينة وهران[4] وبالتالي نجد أن غالبية سكان مدينة تلمسان يتشكلون من زناتة ولاسيما منها قبيلة مغيلة ومغراوة وبني يفرن الذين اختطوا مدينة أكادير قبل الفتح العربي لها وبقيت هذه القبائل تهمين على المدينة وعلى الغرب الجزائري وتتداول السلطة عليها عدّة قرون حكمها بنو يفرن ومغيلة ومغراوة ولحقها فلول من بني زيري وأقاموا بها[5].

وسكنها المرابطون الصنهاجيون وشيدوا محلتهم تاكرارت، وانتقلت إليها بعض العائلات الموحدية وخاصة من هنتاتة

---

[1]–الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص7 .

[2] نفسه، ص7.

[3] مؤلف مجهول، الاستبصار، المصدر السّابق، ص176.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص102.

[5] محمد بن عدي، **الحياة الاجتماعية بتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني 1518–1830**، **مجلّة الدّراسات التّاريخية**، المجلّد 23، العدد02، جامعة الجزائر، أكتوبر 2022 ص443.

ولما صارت مدينة تلمسان عاصمة بني زيان عاد إليها نفوذ زناتة فاحتكرت حمايتها من جديد ونقل إليها بنو عبد الواد عشيرتهم وقبيلتهم وقبائل أخرى من بني عمومتهم من بني توجين، وبني راشد وبني زردال، وبني عصاب وجماعة من أولاد منديل وغيرهم من الزنانيين الذين تركوا خيامهم وسهولهم ووفدت إليها جالية من هوارة. [1]

ولما كانت مملكة تلمسان تبتدئ غربًا في سهل قفر وعر يابس لا ماء فيه ولا شجر يعيش فيها عدد من الغزلان والوعول والنعام. فهي مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان وقلمَّا ينجو التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء لأن الأعراب المستأجرين للحفاظ على الأمن البلاد يكونون قد رحلوا عنها آنذاك ويبقى منهم غير المستأجرين وحدهم ليتعيشوا من اللصوصية.[2]

ولقد كانت لغة تلمسان كغيرها من شعوب الإفريقية حيث تستعمل لغة واحدة يطلق عليها اسم "أوال أمزيغ" أي الكلام النبيل بينما يسميها العرب "البربرية" وهي اللغة الإفريقية الأصلية الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات ولما كانت مشتملة على عدد من المفردات العربية استدل البعض بذلك على أن الأفارقة ينتمون إلى السبئيين وهم سكان اليمن لكن أنصار الرأي المخالفين يؤكدون أن هذه المفردات إنما أدخلها العرب عندما جاؤوا إلى إفريقيا وفتحوها وكانت هذه الشعوب في حالة من البداوة والجهالة.[3]

وكان لسكان تلمسان بمختلف فئاتهم وانتماءاتهم العرقية يستعملون لغاتهم ولهجاتهم الخاصة ويتم ذلك على نطاق ضيق. أما اللغة المتداولة والمستعملة بصفة رسمية في المجتمع التلمساني فهي اللغة العربية وإلى جانبها اللسان الزناتي الإسلامي، وجعل منهم مجتمعًا موحدًا في العادات والتقاليد والسلوكات يتحدث أغلبهم اللغة العربية، لأنها لسان الملّة وبها نزل القرآن الكريم. [4]

---

[1] -ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السّابق، ص ص 24-205.

[2] -الحسن الوزان، ج2، المصدر السّابق، ص9.

[3] -الحسن الوزان، ج1، المصدر نفسه، ص39.

[4] -ابن خلدون، المقدمة، المصدر السّابق، ص780.

ومن بين العائلات التلمسانيّة الكبيرة ذات الأصول البربريّة نذكر: آمغار[1]، آيت سليمان[2]، أو فريحة، بادسي[3]، بختوش[4]، بن زاغو[5]، بن مرزوق[6]، منداسي[7]، زرهوني[8] .

---

[1]– آمغار، معناه في اللهجة الشلحية كبير القرية، أو القُرى التي يَقوم بشؤونها ويَنظر في أمورها، وهذا يدلّ على أن هذه العائلة كانت ذات سُلطة سيّاسيّة في المجتمع. للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد بن عدي، **الاقتصاد والمجتمع في تلمسان العهد العثماني لا، (10هـ– 13هـ/16–19م)، – دراسة نماذج في الوثائق الأرشيفيّة، مجلّة ريماك**، المجلد05، العدد 02، مارس 2023، ص 709.

[2]– آيت سليمان، من الواضح بعد القراءة الأوليّة، أنّ هذه العائلة تنسب إلى أحد أجدادها، وبالتّالي فهي لا تُحيلنا إلى مرجعيّة انتمائيّة معلومة، وكذالك الأمر بالنّسبة لعائلة " أو فريحة" ينظر إلى: محمد بن عدي، المرجع نفسه، ص 709.

[3]– عائلة بادسي فيورد لها المتمون إليها أنّها تنحدر من نسل " باديس بن حبوس" الصنهاجي حاكم " غرناطة". المرجع نفسه، ص 710.

[4]– أمّا عائلة بختوش فهي عائلة بربريّة لاشكّ في ذلك، على اعتبار أنّ الكثير من الأسماء البربريّة تنتهي باللاحقة " وش"

[5]– فيما يتعلق بعائلة "بن زاغو" فإنّنا نرجع نسبها إلى قبيلة مغراوة البريريّة، وقد اشتهرت العديد من العائلات التلمسانيّة بهذ الإسم

[6]– يُذكر أنّ هذه العائلة بربريّة تنتمي لقبيلة " عجيسة" التي كانت تقطن منطقة المسيلة وقلعة بني حمّاد، وإقليم الزّاب، والبعض الآخر كان يَقطن جنوب غرب تون، هاجرت العائلة من القيروان إلى مدينة تلمسان، بعد أن زحفا عرب بني هلال على شمال إفريقيا، واستقرّت برباط العبّاد، وتوجد منطقة في نواحي منطقة فلاوسن تُعرف بهذه العائلة وهي "منطقة بن زاغوا"، وقد عرفت هذه العائلة بالعلم ، فاشتغلت بالتّدريس، واشتهر منها ابن "مرزوق الخطيب" وابن "مرزوق الكفيف. ينظر إلى أحمد شكيب دالي، التصنيف الاجتماعي، زحزحة وإعادة التصنيف لكبريات العائلات في مدن الغرب الجزائري – " تلمسان" و "ندرومة" من نهاية الفترة الاستعماريّة إلى يومنا هذا نموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران2، 2019-2020، ص 34.

[7]– أمّا عائلة المنداسي هي الأخرى من العائلات العلميّة بمدينة تلمسان، ومن مشاهرها سعيد بن عبد الله التلمساني المنشأ المنداسي الأصل.

[8]– عائلة الزرهوني، فأصلهم بربر من جبل زرهون، ويذهب البعض إلى القول أنّهم من الأشراف الأدارسة، وهعي قي البيوتات العلمية والسيّاسيّة الندروميّة خاصّة، اشتهر من اخل هذا البيت الشخ "قدّور بن عاشور الزرهوني" للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: الريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني، **زهر الآس في بيوتات أهل فاس**، ج1 ، ط1، منشورات مطبعة النّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 464.

2.العرب:

وهو الذي عرف في الكتابات التّاريخيّة باسم " عرب الفتح الأوّل" الذين كانوا جلّهم من أهل اليمن والحجاز، ومن أشهر العائلات التلمسانيّة المنتسبة لهذا العنصر نذكر: الشريف[1]، بن ديمراد[2]، بن طاع الله[3]، بن منصور، قيسي[4]، دريسي[5]، بغدادي[6].

---

[1]– تنحدر هذه العائلة من الشُّرفاء من العترة النبوية الشَّريفة، وتحمل هذه العائلة ألقابا عدّة: الشريف، مولاي، سيدي..الخ.

[2]– أشارت المصادر أنّ هذه العائلة " بن ديمراد"، أنّها من بُطون قبيلة مذحج اليمنيّة، ومواطنهم كانت في الجوف بين نجران ومأرب وقد جنّدهم الخليفة أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– في جُيوش فتوحات بلاد الشّام والعراق ومصر، ومن هذه الأخيرة دخلوا الدّيار المغربيّة، وهي من العائلات السيّاسيّة والعلمية في تلمسان ، اشتهر منها é" فتح بن عبد الله أبو نصر المراديّ التلمساني. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: سمير عبد الرزاق القطب، **أنساب العرب**، ط1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1968، ص 184.

- **المنجد في الأعلام**، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكيّة)، ط1، بيروت، لبنان، 1969، ص 482.

[3]– يرجع أصول هذه العائلة " بن طاع الله " إلى شُرفاء عين الحوث، وهي من البويات العلمية في تلمسان، وقد اشتهر منهم "أحمد بن طاع الله " تلميذ الشيخ " ابن زكري " ، وكذلك الأمر بالنّسبة لعائلة بن منصور التي لها شهرة بالنّسب النبوي، نقيبهم الشّريف سيدي المامون بن منصور أخ مؤرّخ المملكة المغربيّة " سيدي عبد الوهاب بن منصور الحوتي، وأوّل من ورد على فاس منهم العالم الصالح " سيدي الحاج الدّاودي التلمساني"، هاجر إلى فاس فرارا بدينه لما احتّلت فرنسا القطر الجزائري، وقد كان قد تولى قبل عجرته إليها خطة القضاء في تلمسان ، آهر أيّام الحكم العثماني بها للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى : أحمد الشّباني الإدريسي، **مصابيح البشريّة في أبناء خير البريّة** ، مكتبة دار الأمان، ط1، الرباط، المملكة المغربيّة، 1987، ص 10..

[4] – أمّا عائلة قيسي فتذكر المصادر، أنّها من أصول عربيّة مضريّة من ساكنة أطراف الحجاز، وقد اشتهرت بكونها من العائلات التعلمية في تلمسلن، ومن المنتسبين لها أبي الخليل مفرّج بن سلمة القيسي، محمد بن يوسف القيسي التّلمساني المعروف بالثّغريّ. ينظر أحمد شكيب دالي، التصنيف الاجتماعي، المرجع السابق، ص 39.

[5] – عائلة دريسي، نسبة إلى ملاي ادريس بت عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السّبط بن علي بن أبي طال –كرّم الله وجهه– دفين جبل زرهون، وقد اشتهر هذه العائلية في مدينة ندرومة ونواحيها، وقد اشنهرت من هذه العائلة أعلام مثر أبعدهم صيتا في التّاريخ، الشّريف الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس، الذي يُعدّ أوّل من رسم خريطة سليمة للعالم وصاحب كتاب " نزعة المشتاق في اختراق الآفاق، وتندرج هذه العائلة ضمن البيوتات العلمية والسيّاسية في تلمسان. للمزيد من التّفاصيل يُنظر إلى: أحمد دالي شكيب، التصنيف الاجتماعي، المرجع السابق، ص 61.

[6] – عائلة بغدادي تُنسب إلى مدينة بغداد، لمن ومن خلال مُحاورتنا لبعض أفرادها علمنا أنّهم يرفعون نسبهم إلى الإمام " عبد القادر الجيلالي " دفين بغداد. للمزيدمن التفاصيل ينظر إلى: محمد بن عدي، **الاقتصاد والمجتمع في تلمسان العهد العثماني لا، (10هـ– 13هـ/16–19م)، – دراسة نماذج في الوثائق الأرشيفيّة، مجلّة ريماك**، المجلد05، العدد 02، مارس 2023، ص 711.

عند توافد العناصر المشرقية بمدينة تلمسان منذ دخول الفاتحين المسلمين لها كانت تلمسان أيام الفتح موطن الصنهاجين وقد أسلمت زناتة البربرية واستعربت وتأثرت تأثيرًا عميقا بالغزوة الهلالية[1] وأصبح الزناتيون متعربون في أسلوب الحياة والتفكير خلال القرن 7هـ. فكما أقام اليفرنيين دولة ناحية تلمسان فقد شارك المغراويين في إقامة دولة الأدراسة. [2]

ولقد استمر العنصر العربي في التدفق إلى بلاد المغرب في عهد الولاة خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي[3] وبالتالي تلمسان توسطت قطرًا ذا كُوَر عديدة تعمرها أمشاج البربر والعرب[4] ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي رضي الله عنهم وكان هذا المغرب الأوسط قد تملكه العلويين من بني إدريس واتسموا بالخلافة[5] ولما نزل إدريس رضي الله عنه بخارج تلمسان وأتاه أميرها محمد بن خزر المغراوي الخزري وبايعه من هناك من القبائل ودخل تلمسان صارت فيما بعد تلمسان مقرًا مفضلاً للأشراف الحسنين.[6]

3.الأتراك العثمانيون:

تمثّل هذه الفئة أعلى السّلم الاجتماعي، وكانت من أصول وأجناس مختلفة اللّسان والعُرف، وكانت تجمعهم روابط الإسلام والولاء للخلافة العثمانيّة[7]، ومتمسّكة بلغتها التّركيّة وبمذهبها الحنفي، تخضع لمؤسسّة قضائية خاصّة بها كما سبق الإشارة لها، وأغلبهم ينحدرون من إقليم الأناضول والروميلي. فضلا عن الفئة التي تشكّلت من الأوروبيون

---

[1] Piesse et J. Canal ،**Les villes de l'Algérie Tlemcen**,(Extrait **de la R.A** française) Librairie Africaine Et Coloniale A. Barbier, Paris , 1889,p 67- 68.

[2] ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح: هاني سلامة، ط1مكتبة الثقافة الدينية مصر، 1421هـ-2001م، ص ص 11-65.

[3] الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: محمد زينهم محمد غرب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ، 1994م، ص11.

[4] يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص19.

[5] الحميري، المصدر السابق ص135. ينظر أيضا يحى ابن خلدون، المصدر السابق، ص21.

[6] علي الجزئاني، جَنَى زهرة الآس...، المصدر السّابق، ص14.

[7]- دغموش كاملية، **السّلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792– 1830م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، 2019- 2020، ص 216.

الذين كانوا يلحقون بفئة الأتراك العثمانيين بعد أن يعتنقوا الإسلام، وكانوا يُطلق عليهم الأعلاج، وبذلك شكّلت هذه الفئة السّلطة العليا في البلاد[1]، والمتحكّمة في الوضع السيّاسي والعسكري، كما تحتوي على امتيازات وعلاوات خاصّة أيضا[2].

وفي ذات السيّاق عرف المجتمع التلمساني حُضور هذه الفئة، إذ مثّلت قمّة الهرم، فتشكّلت النّواة الأولى من جنود الأتراك (الإنكشاريّة) التي تمركزت في الحصون والثكنات لحماية المدن، ومن جهة أخرى عرفت تلمسان انخفاظا في أعدادهم مُقارنة ببقية التشكيلات الاجتماعيّة الأخرى الموجودة فيها، خاصّة في أواخر القر(12هـ/18م)[3]، غير أنّنا لانملك الإحصائيات الدّقيقة لعددها الإجمالي. ومن العائلات العُثمانية التي وفدت لإلى تلمسان ونواحيها نذكر: "

[1] – هشام بوبكر، **جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعيّة للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانيّة، مجلة آفاق للعلوم**، العدد07، مارس 2017، جامعة الجلفة، الجزائر، ص 291.

[2]– صالح عباد، المرجع السّابق، ص 357.

[3]– فارس العيد، **التّركيبة الاجتماعيّة في الغرب الجزائري قُبيل الاحتلال الفرنسي، مجلّة عصور الجديدة**، المجلد 11، العدد01، جامعة وهران، جوان 2012، ص 07.

إينال"[1]، " دالي "[2]، " دمرجي"[3]، " شلبي"[4]، " بربار"[5]، " بورصالي"[6]. وعلى ضوء ما تقدّم، وجدنا بعض ألقاب العائلات العثمانيّة التي استقرذت بمدينة ندرومة، نذكر أهمّها والتي لاقت انتشارًا واسعًا في رحابها " عائلة قهواجي "[7]

4. الحضر والسّكان المحليين:

تتشكل فئة الحضر من المجموعات السّكانية القاطنة بالمدينة والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية، وتمثّل العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد، هذا عن المجموعة الأولى، أمّا الثانية فتخصّ الوافدين إليها من المدن الأخرى والذين

---

[1] – تنحدر عائلة إينال من السّلاطين المماليك وأمراؤهم، وهي شركسيّة الأصول، والشّراكسة هم إحدى الشُّعوب التركيّة، وعلى هذا الأساس فهي عائلة سيّاسيّة، للمزيد من التّفاصيل يُنظر إلى: حسّان حلاّق وعبّاس الصبّاغ، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبيّة والمملوكيّة والعثمانيّة ذات الأصةل العربيّة والفارسيّة والتركيّة**، المصطلحات الاداريّة والعسكريّة والسيّاسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعائلية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص 30.

[2] – أمّا عائلة دالي فهو لقب أطلق على طائفة من الخيّالة الخفيفة أنشئت في الرّوملي أوائل الرقن 10هـ/16م، لتعمل في مقدّمة الجيوش العثمانيّة بمثابة طلائع وأدّلاء، كان جندها من الجسارة بحيث يحملون أنفسهم على الأعداء لا يُبالون بالموت ليمهّدوا الطّريق للجيش، لذا لُقّبوا بدالي الذي يعني في اللغة التركية المقدام الجسور، وبالتالي فهمي عائلة عسكريّة. ينظر: محمد بن عدي، الاقتصاد...، المرجع السّابق، ص 712. أيضا: أحمد شكيب دالي، التصنيف الاجتماعي، المرجع السابق، ص 43.

[3] – يعني هذا الإسم " دمرجي " في اللّغة التّركيّة " الحدّاد" وبالتالي فهي عائلة حرفيّة.

[4] – أمّا عائلة شلبي معناه في اللغة التّركية العالم الدينيّ، و هو يدلّ على رتبة في سلك التّصوّف وما يدلّ على صحّة ما ذكر ما ورد في كتاب " حياتي " لصاحبه أحمد أمين إذ يقول " ...، وألغت الطّرق الصوفية وأغلقت الزوايا والتكايا، وحرّمت الألقاب الصّرفيّة من درويش ومُريد وأستاذ وسيّد وشلبي ونقيب..."للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى : أحمد أمين، **حياتي**، موفم للنّشر (د.ط)، (د.ت)، ص ص 211- 212.

[5]– عائلة بربار في التّركيّة فتعني الحلاّق، الأمر الذي يدّل أنّ انتساب هذه العائلة إلى القطا الحرفي.

[6] – أمّا عائلة بورصالي فتدلّ على الانتساب إلى مدينة بورصه التّركيّة.

[7] – عائلة قهواجي هي من بين العائلات العثمانية التي استقرّت في مدينة ندرومة، إلاّ أنّ هناك اختلاف في دلالتهما ومعناها، إذ يقول البعض أنّه لقب يُطلق على من يعدّ القهوة للباي، في حين ذهب البعض الآخر إلى أنّها لقب التجّار المستوردين للقهوة في العهد العثماني، غير أنّ الراجح هو الدلالة الأولى كَون أنّ بعض الألقاب أُحدث ممّا اشتهروا به من صنائع كانوا يُقدّمونها للبايات على غرار، حلوانجي، دواجي، خزناجي...الخ ينظر محمد بن عدّي، الاقتصاد، المرجع السّابق، ص 713.

أقاموا بها واندمجوا فيها، في حين المجموعة الثالثة تتألف من العنصر الأندلسي الذي يعد أحد العناصر الهامّة ضمن فئة الحضر.

شكّلت هذه الفئة في أواخر العهد العثماني فئة ذات فعالية اجتماعية، وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز، ممَا جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة ويشتغل أفرادها في المهن الصناعية "الأعمال النجارية"، ويتولَون وظائف السلك الثقافي والتعليمي وقد ظهر في هذه الطبقة الصنَاع المهرة والتجار النشيطون والبحَارة المغامرون والفقهاء والعلماء الأفاضل ومن أهم العناصر التي كانت تتشكل منها طبقة الحضر[1]:

إلاّ أنّها عرفت تراجعًا وتدهورًا، نظرا إلى التّحولات الداخلية والخارجية التي شهدتها مدينة تلمسان ونواحيها، بعدما أدّت أدوارا مهمّة بارزة مسّت جوانب تاريخية وحضارية للمجتمع التلمساني، إلاّ أنّ هذه التّحولات، التي كانت المدينة مسرحًا لها، ساهمت في انكماش وتَقلّص دور فعاليّات هذه الطبقة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[2].

ولنا في "الأب بارجيس" مثال على ذلك حين حديثه عنهم قائلاً: بأن أفرادها استقروا في الجهة الشمالية من المدينة وأنّ أصولها تعو إلى العرب الذين فتحوا افريقيا" ثمّ ينتقل إلى النشاطات التي كانت تمارسها هذه الفئة، ويحصرها في المجال الصناعي والزراعي، إلاّ أنّه يؤكّد أنّ النشاط الصناعي كان الأبرز، وهذا من خلال تخصص أفرادها في الصناعات النسيجية والحرفية، وانّها كانت تمارس نشاطها في حي السويقة، الذي أَضحى سوقا صغيرا في أحد شوارع المدينة، وكان هذا الأخير يتكون من عدد من الورشات والدكاكين والمخازن، تباع فيه الملابس القطنية والحريرية من برانس وحياك، والأسلحة و أدوات المطبخ، وهذا التنوع في البضائع جعله قبلة للتبضع من طرف سكان المدينة ونواحيها[3].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السّابق، ص 97.

[2]- الواليش فتيحة، المرجع السّابق، ص 111.

[3] Bargès L'abbé, **Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom souvenirs d'un voyage**, challamel ainé, Paris, 1859 , p204.

5. الأندلسيون:

وهي العائلات التي وفدت إلى مدينة تلمسان، إمّا أثناء تساقط الإمارات الإسلاميّة أو قبل السّقوط النّهائي لإمارة " غرناطة"، وهذا العنصر هو عبارة عن امتزاج مجموعة من الأعراق أهمّها: العرب، البربر، القوط.

وعلى ضوء ما تقدّم، فالأندلسيون هم أهل الأندلس[1] وفي الحقيقة الجُغرافية هم سكان إسبانيا الجنوبية وربّما أصل الكلمة من الوندال.

والمراد بلفظ الأندلس إسبانيا الإسلامية وبصفة عامة أطلق هذا اللفظ في بادئ الأمر على شبه الجزيرة الأيبيرية كلُها على اعتبار أنها كانت جميعا في يد المسلمين ثم أخذ اللفظ يقل مدلوله الجغرافي شيئا فشيئا تبعا للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الإسلامية حتى صار لفظ الأندلس آخر الأمر قاصرًا على مملكة غرناطة، كما أنّها تسمية أطلقها المسلمون على شبه جزيرة إيبيريا تعريبا لكلمة فندلوشيا التي كانت تطلق على الإقليم الروماني[2] باطقة BATICA الذي أقتلته قبائل الوندال ما يقارب عشرين عاما وأعطته اسم فندال Vandales.[3]

وقد قصد الأندلسيون مدينة تلمسان بعد الطرد النهائي لهم مابين السنوات 1017هـ/ 1609م، 1224هـ/ 1616م[4]، فكانت قبلتهم ووجهتهم في بادئ الأمر المدينة، أين عرفت هذه الفئة اندماجًا وانصهارًا سريعًا مع الفئات الموجودة هناك داخل المجتمع التلمساني، غير أنّ المدينة لم تعد قادرة على استيعاب كل هذه الأعداد الكبيرة، التي

---

[1]- عبد الحميد بن أبي زيان بن آشنهو، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، د ط، الجزائر، د س ن، ص31.

[2] – عبد العزيز سالم، **في تاريخ وحضارة في الأندلس**، مؤسس الشباب الجامعة الإسكندرية، 1998، ص05.

De Tassy Laugier, **Histoire du royaume l'Alger**, Editions loysel, Paris, 1992, pp 53-54.

[3] – عبد العزيز سالم، المرجع السابق،ص 05.

[4]- عبد الجليل التميمي ، **تراجيديا طرد المورسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها**، منشورات الدراسات والترجمة الموريسكية ، 2011، ص 26-32.

قاربت أعدادها في بعض الروايات التاريخية سكان تلمسان في حدّ ذاتهم، في المقابل عرفت تنقل أعداد لابأس بها إلى نواحي تلمسان " ندرومة " عين فزة" بني صميل " باب الجياد[1]" القور" بني سنوس" وحتى أولاد ميمون" .

وعلاوة على ذلك، يُمكن تفسير تزايد اهتمام الأندلسيون بتلمسان في عدّة جوانب فإذا نظرنا إلى الجانب الجغرافي لوجدنا أنّ المنطقة تتمتع بموقع إستراتيجي هام يتلخص في كونها مقابلة للسواحل الإسبانية خاصة منها ساحل المرية وهي بهذا الموقع كانت منطلقا لنشاط تجاري كبير جعلها من أكبر المراكز التجارية أهمية في بلاد المغرب الأوسط فقد كانت تلمسان تمثل ملتقى القوافل التجارية القادمة من إسبانيا والمغرب الأقصى[2]، ممَا مكّن الأندلسيون من الاتصال بسكان المنطقة وسهَل تأقلم الجالية الأندلسية معهم، فضلاً عن اتّساع مساحتها الأمر الذي ساعد على استيعابها لعدد كبير منهم وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الأندلسيين فاقوا السكان الأصليين عددًا، أمّا الجانب الآخر الذي دعم استقرار الجالية الأندلسية هو الجانب العسكري.

من ناحيّة أخرى احتفظت تلمسان بعائلات أندلسية قبل وأثناء العهد العثماني[3] على غرار "بن عمّار"، فهي تاريخيّا من كبريّات العائلات العلميّة والسيّاسيّة والإداريّة، يرجع نسبها لـ محمد بن عمار بن الحسين بن عمّار المهري القضاعي، الملقب بـ " ذي الوزارتين "[4]، "القَرمُوني" نسبة إلى قرمونة(carmona) قُرطبي نسبة إلى قُرطبة، "شَبلي"

---

[1]– هو أحد أبواب السور الذي يحيط بتلمسان، يقع في جهة الشرق الجنوبي من المدينة نحو حوز العباد والوريط. ينظر محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السّابق،ص ص 248 249.

[2] – الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص403.

[3] في هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن العائلات الأندلسية بتلمسان وحتى نوَاحيها، شكّلت نشاطا دينيّا وآخر اجتماعي، بالنّظر إلى تأثيرهم وإسهامهم في هذه الحاضرة، إذ ارتقت في عهدهم الحضارة من عمارة وصناعة وزراعة وحرف وتجارة وتعليم، وازدهرت الخطّ والوراقة وصناعة الكتب..الخ، غير أنّنا لا نملك البيانات والإحصائيات التي توثق أعدادهم بها، لغياب الوثائق والنّصوص الدذالة عليها، وعليه و هكذا شكّل الأندلسيون بمدينة تلمسان ونواحيها عُنصرا بارزا مؤثرا من السّكان، وماتزال هذه العائلات مُحافظة على مكانتها وقيمتها الاجتماعية والاقتصاديّة بهذه المدينة العريقة، إذ لا يزال أفرادها يمتهنون التّجارة والحرف والصنائع، فضلا عن اهتماماتهم العلميّة والفكريّة بها، حيث يوجد أعداد لا بأس بهم ممن درسوا الطب وتميّزوا فيه داخليا وخارجيّا أيضا، وبهذا تكون قد حافظت على ديناميتها العامة في تلمسان ونواحيها.

[4]– محمد بن عمّار بن الحسين بن عمّار المهري القضاعيّ، أبي بكر (422هـ-477هـ/1031م- 1085) ، الملقّب بـ " ذي الوزارتين"، هو شاعر وسيّاسيّ اندلسي نابه استوزره لنباهته " المعتمد بن عبّاد" حاكم إشبيلية، وقد اشتهر منها كذبك أحمد بن عمّار الأندلسي، الذي تقلّد

نسبة إلى مدينة إشبيلية، "كازي"[1] "السرقُسطية"، التي كانت أوّل محطّة لها بعد اللجوء، الاندلسي، "العَزُوني" وكذلك الأمر بالنّسبة لعائلة " الحصّار" المنجذرة من إشبيلية، والتي يُطلق على صانع الحصير أو المتاجرة به، غير أنه اشتهر منها كثير من العلماء منهم: " أبو جعفر بن عون الله الحصار"[2]، أسرة العقباني التلمسانية الشهيرة والعريقة من أصل أندلسي التي يشتهر من بين أفرادها العالم محمد بن أحمد العقباني التلمساني صاحب كتاب **''تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر''** كما أنّ شقيقات والده مُتزوجات لدى عائلات حضرية تلمسانية، من بينها عائلة الحصار المنحذرة من إشبيلية . ونذكر من العائلات التي تحوّل اسمها بلكنة عثمانية في العهد العثماني عائلة آل بن رضوان إلى برَّزْوان والتي يوجد عدد من أفرادها في تلمسان وحتى الجزائر، ويعتقد أنّ أصولها من مالقة. و في آخر وجدت عائلة العشعاشي، حيث أنهم وبعد استقراراهم بمدينة مستغانم، خاجر جدّهم المنسوبين إليه من هُناك إلى مدينة " تلمسان" عام 1725م، حسب ما أورده الحاج "عبد السّلام العشعاشي"، وعن تفاصييل هذه الهجرة يقول أخوه "الحاج عمر العشعاشي" أنّ ها التّاريخ عثرنا عليه في إحدى الوثائق التي ما تزال موجودة بأرشيف " دار القاضي" بمدينة تلمسان[3] والتي ترجع للعهد العثماني بالمنطقة[4]. وفي الوقت ذاته يُضيف الحاج عبد السلام على لسان الباحث "شكيب أحمد

الفتوى على المذهب المالكي سنة 1180هـ/1767م، بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، ثمّ نزحت عائلته إلى تلمسان خلال العهد المذكور. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى:

-http://andalus.dbzworld.org/t1304-topic (22/12/2014 - 11:44).

[1]- اللقب كازي، هو في الأصل " قاضي" منطوقة بلكنة تركية / عثمانية، أمّا كازي طاني" أو"كازي طعني" فأصلها قاضي ثاني ةمعروف أنّ العثمانيين والأتراك يلفظزن الحروف "ظ" و"ض" و"ذ" وكأنها "ز" حيث يقولون، كما يجري في مثر التي تأثرت بلسانهم " زرب" بدلا من "ضرب" ويقولون "الزنب" بدلا من "الذنب" و" الزروف "في محل "الظروف".

[2] -أبي جعفر أحمد بن الزّبير، **صلة الصلة**، المطبعة الاقتصاديّة، الرباط، المغرب، 1938، ص 49.

[3] -على ضوء ما تقدّم، ومن خلال زيارة ميدانيّة إلى دار القاضي بمدينة تلمسان من أجل الاستفادة من الوثائق والذّخائر التي تَحتويها هذع الأخيرة، حتى نُدعّم دراستنا ونتبث ما تقدّم، وجدنا أبواب هذا المقام موصدة أمامنا لأسباب تبقى مَجهولة عندنا، خاصّة وأنها توثق لمرحلة مهمة من تاريخ هذه المنطقة خلال هذه الفترة المدروسة من الوجود العثماني بها.

[4] -دالي أحمد شكيب، رمعون حسان، **النّشاط الديني للعائلات التلمسانيّة بمدينة تلمسان**، قراءة في التّموقع الاجتماعي، **مجلة سوسيولوجي** المجلد04، العدد02، الجزائر، ديسمبر2020، ص 108.

دالي" أنّ جدّهم الذي وقد إلى تلمسان اسمه "محمد العربي"، وأنذه سكن بالمنطقة المسماة " الربط" غير بعيد عن " باب زير"[1] .

وفي مُقابل ذلك، وجدت بمنطقة تلمسان أيضا، في شرقها تحديدا، توجد قبيلة بني الصُميئل أوبني صميل[2]، كما تنطق محليا، وهب فرع من قبائل مضر العربية التي كانت متواجدة في الأندلس قبل انتقالها إلى الغرب الجزائري جِيَّان واستقرارها في المنطقة التي تحمل اسمهم اليوم وهي بلدة بني صميل التابعة لأولاد ميمون.و إلى جانب هذه المنطقة توجد في سهل غريس بين تلمسان ومعسكر قبيلة أخرى أندلسية من أصل عربي تنحدر من بني حمود الأندلسيين وهي قبيلة أولاد سيدي دحُّو أبو زرفة المنتشرة بين تلمسان وعين تموشنت ومعسكر. ارتبطت قبيلة أولاد سيدي دحُّو بعلاقات احترام كبير وتعاون مع النظام العثماني حتى أنّ مساجدها كانت توفّر الحصانة لكل لاجئ إليها مهما كانت جُنْحَتُه وحتى في حال تعرضه بسوء للعثمانيين، في المقابل لم يتوفر لدينا من المعلومات التاريخية حول هذه المنطقة سوى أنها احتضنت المهاجرين الأندلسيين الذين عمّروها وحوّلوها إلى بلدة صغيرة، إلاّ أن بعض الروايات من هنا وهناك تؤكّد أنذ سكانها الأصليين الذين يعود تواجدهم بها إلى العهد العثماني ينحدرون من أصول أندلسية.

كما أن تأثير العنصر الأندلسي في تلمسان كان عميقا فقد طوَروا المدينة وكذلك المهن التي كانت بها والأشغال اليدوية واستصلحوا الأراضي وأنشأوا السواقي وجلبوا المياه كما أنهم عملوا على انتشار بعض التأثيرات الإسبانية

---

[1] – دالي أحمد شكيب ، المرجع السابق، ص 108.

[2]– نسب هذه القبيلة الأندلسية، فيرجعها أغلب المؤرخين إلى جدّهم الأول صميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الضابي (ت141هـ/734م) أمير وزعيم القبائل المضرية في الأندلس، وأحد الأمراء الدهاة الشجعان الجواد، الذي قدم الاندلس رفقة قومه في أمداد " جيش الشام" أيّام بني أميّة، فرأس بها وتزعّم قبائل مُضر العربية، عرف هذا البيت الذي بات يُعرف " ببت الصميليين التلمسانيين " بالنشاط العلمي، حيث لمع أعلام من بين هذا البيت أهمهم العلامة أبا عبد الله محمد بن الطيب الصميلي التلمساني، المتوفى سنة 1170هـ/1762م، امزيد من التفاصيل: ينظر إلى : أبو عبد الله بن أبي بكر القُضَاعِي ابن الأبَّار ، **الحُلَّة السَّيَرَاء**، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة. 1984 ، ص ص 56 – 57 .

كاستعمال العملة الفضية والذهبية[1]. وفي العناصر القادمة إشارات عن بعض العائلات الأندلسية التلمسانية في نواحي تلمسان، بتأتيراتهم العامّة بها.

– نَدْرُومَة:

ارتبطت مدينة ندرومة العتيقة هي الأخرى ارتباطا وثيقا بالربوع الأندلسيّة، أين أصبحت ملجأً للأندلسيين الهاربين من القتل والاضطهاد بعد سقوط غرناطة من جهة، ومن جهة أخرى عدم اتّساع مدينة تلمسان لأعدادهم الكبيرة خاصة خلال الفترة العثمانية مسلمين كانوا أو يهودًا، الذين كاموا يصلونها عبر ميناء هنين القريب وأيضا من مدينة وهران المحتلة.ومنذ ذلك هذا العهد أصبح ندرومة حاضِرة أندلسيّة بامتياز مُحافظةً على أصالتها وعلى روحها الإيبيرية بِتشبّثها بالعادات والتقاليد والطقوس الأندلسيّة/ الموريسكيّة، وتمسّكها الشديد بالحرف والمهن العتيقة خاصة في القرنين 16م و 17م بعد قدوم الأندلسيين و المورسكيين إليها[2].

حتى لهجة ندرومة تتميّز بطابع حَضَرِي، ونَحمل في طيّاتها بصمات اللسان الأندلسي، وإلى غاية القرن التاسع عشر 19م لم يكن ممكنًا مصادفة مثل هذه اللهجة في غير ندرومة في منطقة الغرب الجزائري باستثناء أكبر حاضرة هي تلمسان أو منطقة فلاوسن[3] التي تبعد عن مدينة ندرومة بنحو 20كلم من الجهة الشرقية لها ، وإلى حدّ ما الغزوات ومْسِيرْدَة والتي تتشارك جميعها في أنّها آوت اللاجئين الأندلسيين ، لكنّ سكّان ندرومة لهم خاصيّة إضافية على المستوى اللساني تتميّز في نطقها حرف الضاد (ض) تاءً، ونفس الشيء بالنسبة لحرف القاف، هذه الخاصيّة نجدها عند سكان بلنسية وكتالونيا في شرق إسبانيا، حيث يتميّز لستنهم بالخاصيّة ذاتها عندما يتحدثون بلغتهم حيث أنّهم لايقولون

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص98.

[2]– فوزي سعد الله، **الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم**، ج2، دار قرطبة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ص ص 240-241.

[3]–المستشرق الفرنسي وليام مارسي لاحظ التقارب الكبير بين لسان التلمسانيين والندروميين وتباينه الواضح آنذاك مع لسان المناطق المحيطة بها التي طغى عليها اللسان البدوي حيث قال " إنّ لسان تلمسان يُضاف له نظيره الندرومي هو اللسان الوحيد في إقليم وهران الذي يتوفر على خصوصيات اللسان الحضري، وفي جميع بقية مدن إقليم وهران، رغم مايبدو في ذلك من غرابة يتحدث النّاس بلسان بدوي، ينظر إلى:

Marcais William, Le dialecte arabe parle à Tlemcen Grammaire textes et glossaire, Ernest leRoux, Paris, 1902, p08.

للجامعة أُونِفِرْسِدَادْ (universidad) كما وهو الحال في اللغة الإسبانية المنحدرة من القشتالية القديمة بل (أُونِيفيرْسِتَات)، هذا التمازج والتماثل يسمح بالإستنتاج أنّ موريسكي ندرومة ينحدرون من منطقتي بلنسة وكتالونيا[1].

ومن بين العائلات المنحدرة من هؤلاء الأندلسيون في مدينة ندرومة خلال الفترة العثمانية نذكر: رَمْعُون، وهي عائلة موريسكيّة أراغونيّة، عرفت بكونها من البيوتات العلمية، من بينها الشيخ محمد رمعون الندرومي (ولد سنة1248هـ/ 1833م) سَلاَّس(نسبة إلى صالاس و بَطْلِيوس، أو سَلَّس، بن عاشور، رحّال، نقّاش، غَفور ، بوعْنَانِي، كَرَّار، غَرْنَاطِي (نسبة إلى غرناطة)، اللوشي (نسبة إلى لوشة)[2] .

– هُنَيْن:

على غرار ندرومة، عرفت بلدةُ هُنَيْن الساحلية، المتميزة بمرساها التجاري الثمين للمنطقة برمتها، مصيرا أندلسيا مشابها لِما شهدته المدن الساحلية بشكل عام والغربية منها بشكل خاص لقربها الجغرافي من سواحل الأندلس التي كانت تقلع منها سفن ومراكب اللاجئين باتّجاه الضفة الجنوبيّة للبحر الأبيض المتوسط. هنين لها ميناء صغير محروس ببرجين، كل واحد منهما في جهة، وتَحيط بها أسوار عالية متينة، لاسيما من جهة البحر، وتأتي إلى الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان خصوصا في القرن السادس عشر 16م[3].

– أَرَشْكُول:

وغير بعيد عن ندرومة وهنين، عَمّر الأندلسيون بلدة أخرى وهي بلدة أَرَشْكُول أو رَاشْغونْ، القريبة من عين تموشنت والواقعة عند مصيب وادي تافنة.

وقد كانت مدينة في غاية الحضارة، يقول فيها الحسن الوزان:**" موضحاً أنّها توسّعت وازدهرت في عهد الحكم الإدريسي ثمّ دمّرها أحد ملوك القيروان، على حدّ تعبيره فبقيت خالية من السكان زهاء مائة عاما إلى أن أعاد بناءَها قوم جاؤوا من مملكة الأندلس كع جيش المنصور (بن أبي عامر) حاجب ملك قرطبة"**[4]. ومازالت

---

[1]– فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي، المرجع السابق، ص 243.

[2]– المرجع نفسه، ص 245.

[3] الجيلالي صاري، **أضواء على أحد موانئ دولة بني زيّان، مجلة التاريخ**، المركز الزطني للدّراسات التاريخية، الجزائر 1986، ص 23.

[4] الحسن الوزان، ج2، المصدر السّابق، ص 16.

عائلات في المنطقة تنحدر من هؤلاء المهاجرين واللاجئين تُقيم في هذه المدن والبلديات إلى اليوم بعد أن اختلطت بالمصاهرة مع العثمانيين وسكان المنطقة من حضر وقبائل بدوية تأثّرت بهم وأثّرت في بعض العادات والطبائع وحتى في اللغة المنطوقة .

– الغزوات:

تُعدّ منطقة الغزوات هي الأخرى من المناطق التي استقطبت واحتضنت المهاجرين الأندلسيين، وقصدها مسلمون ويهود، ومن بين العائلات الأندلسية التي استوطنت المدينة وهي عائلة يهودية عائلة بن سوسان، التي تركت الجزائر عشية استقلالها وخروج المحتل الفرنسي ملتحقة به، حسب شهادة الكاتب آلبير بن سوسان المنحدر من هذه الأسرة، فإنّ العائلات المسلمة بها أكثر عددا، وإن تلاشت ذاكرة الجذور في الأذهان بعد كل هذه القرون ومتخللها من أحداث ونوائب، نجد منهم أسرة بَزْغُودْ[1] المسلمة فهي من العائلات القديمة المعروفة في الغزوات حيت بها قائمة من الأندلس في القرن السادس عشر 16م، وامتزجت بالمصاهرة مع العثمانيين الذين كانوا قد وطّدوا أقدامهم تدريجيًا في البلاد الجزائريّة ابتداءً من أواسط العقد الثاني من القرن ذاته ونسجوا روابط قويّة مع الجاليات الأندلسية المهاجرة أو اللاجئة، وحسب شهادة الباحثة سهام بزغود إحدى بنات هذه البلدة تقول أنّ: **"أسرتي حسب ماقيل لي، خليط تركي– أندلسي، لكنّ الأجداد الأوائل الذن حطوا الرّحال كانوا أندلسيين"**.

وعلى ضوء ماتقدّم، ومن خلال ماسبق إيراده، يتّضح لنا أنّ مسار تكوّن النّسيج الدّيمغرافيّ – الاجتماعيّ لنواحي تلمسان مُماثل لنظيره في المدينة، مع بعض الفُروقات الطّفيفة في تشكيلاتها وتركيباتها الاجتماعيّة، إذ أنّ هذه الأخيرة ونعني بالمدينة يغلب عليها في هذا التركيب العنصرين التّركي والأندلسي وقليل من المسحيين، في حين أنّ نواحيها يغلب عليها العنصرين البربري والأندلسي وحتى العنصر العربي.

[1]– في اللهجة العامية الجزائرية، وبالتحديد في المناطق الغربية وبنسبة أقل في الشرق الجزائري، كلمة " الأَزْغَدْ" تعني صاحب الأعين الزرقاء أو الأعين فاتحة اللون بشكل عام، بالنسبة للقب " بزغود" قد يكون في الأصل " ابن الأزغد".

6. الكراغلة:

تُعد أهم الفئات الاجتماعية في بعض المدن الجزائرية بعد فئة الأتراك العثمانيين والأعلاج نظرًا لما كانت تتمتع به من امتيازات مادية والتمتع ببعض التسهيلات ،كإعفائهم من بعض الضرائب ، وقد ظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن ولعل من بين الباحثين الذين خاضوا في هذا الموضوع "عائشة غطاس" التي ذكرت أنّ البدايات الأولى لظهور الكراغلة كفئة مستقلة ومتميزة كان متأخرا إذ تعود إلى سنة1596م[1]، من خلال هذا الطرح التاريخي للدكتورة عائشة غطاس نستنتج بأن تاريخ ظهور هذه الفئة يعود إلى عهد الباشوات (1588_1659م، وهذا أمر مستبعد نظرا لعدة معطيات فرضت نفسها على أرض الواقع، ولكننا عند وقوفنا على عبارة "مستقلة ومتميزة تأكد لنا على أن التاريخ الذي اقترحته ليس هو البداية الفعلية وإنما سبقتها سنوات سابقة ولكن ظهور هذه الفئة كفاعل اجتماعي مهم لم يظهر بعد[2] .

والمتتبع للأحداث التاريخية يمكنه اعتبار بدايات ظهور الكراغلة في الجزائر مرتبط ببدايات التواجد العثماني في البلاد؛ فالمصاهرة الأولى التي أنجبت أول كرغلي في الجزائر كانت بين خير الدين وإحدى العائلات الجزائرية، فقد أكّد خير الدين هذا الأمر إذ ذكر في مذكراته أنه تزوج من امرأة عربية من بنات أحد أعيان الجزائر[3].

التي تقيم بها الحاميات التركية كمدينة الجزائر و تلمسان و معسكر و قلعة بني راشد و مستغانم و مازونة ومليانة[4]، و أصبحوا في أواخر القرن 10هـ/16م يشكلون قوة متميزة تنافس الأتراك العثمانيين في الامتيازات [5].

---

[1]- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 –1830 (مقاربة اجتماعية – اقتصادية)**، منشورات ANEPالجزائر، 2007، ص 26.

[2] – محمد بن عدي، الحياة الاجتماعية...، المرجع السّابق، ص 446.

[3]- مجهول، مؤلف مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تص تع: نور الدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعالبية، د ط، 1934 ص. 156.

[4] – ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ المهدي بوعبدلي، المرجع السّابق، ص94

[5] P. Boyer ,**Le problème Kouloughli dans la régence d'Alger**, in ROM Nº spécial, Aix, 1970, p80.

كراغلة" مفردها "كرغلي"، وهي عبارة تركية متكونة من شقين "قول" "وأوغلي" وتعني "إبن العبد[1]"، ولقد اجتمعت معظم الدّراسات التاريخية التي اهتمت بدراسة تاريخ الجزائر الحديث إذا لم نقل جلّها على تعريف موحد للمصطلح الذي يفيد في مفهومه العام «الأبناء الناتجين عن زواج الأتراك من نساء الأهالي[2].

ومع اجماعهم في تعريف موحد للمصطلح إلا أنّهم اختلفوا في تحديد الانتماء، فهناك فريق من الباحثين أكد على أنّهم «أبناء الأتراك من أمهات جزائريات[3]«، فيما يؤكد فريق آخر على أنّ هذه الفئة نتجت عن مصاهرة الجند الانكشارية [4]لبعض العائلات الجزائرية[5].

فالاختلاف بين الفريقين يكمن في التعميم والتّخصيص، فالفريق الأول أكّد على أنّ ظهور هذه الفئة كان نتاجا عن زواج الأتراك المدنيين والعسكريين على حد سواء من نساء جزائريات، فيما خص الفريق الثاني العناصر العسكرية فقط هذه المصاهرة. ولعلّ هذا الفريق استند في توجهه هذا على أنّ الجند الإنكشاري منعوا من الزواج قبل مجيئهم إلى الجزائر، ولكنّ بمجرد استقرارهم بهذه الأخيرة ولطول فترة تواجدهم كان لزامًا عليهم الزواج بالجزائريات عكس العنصر المدني الذي سمحت له السلطات العثمانية باصطحاب عائلته معه إلى الولايات العثمانية عمومًا والجزائر على وجه الخصوص[6].

---

[1]- جميلة معاشي، **الإنكشارية والمجتمع بايلك قسنطينة في بداية العهد العثماني**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، قسنطينة: جامعة منتوري، 2007 -2008م، ص360.

[2] -EsterhazyWalsin, op، cit,P : 234

[3]- صالح عباد، المرجع السّابق، ص 357 .ينظر أيضا عبد الحميد بن آشنهو، المرجع السّابق، **ص** 88.

[4]- الإنكشارية: كلمة عربية حرفت عن الكلمة التركية عند ترجمتها «يني تشاري"وتكتب بالتركية "يكيجري"وهي مكونة من مقطعين "يكي " yeniبمعنى "جديد "و" جري" ceryبمعنى "العسكر . " للمزيد من التفاصيل ينظر: أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، **دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية**، دار القاهرة ط1، مصر،2007 . ص، 22

[5]- أبو راس الناصري، المصدر السّابق، ص ص36.

[6] محمد بن عدي، الحياة الاجتماعيّة..، المرجع السّابق، ص 447.

وبعد البحث والتقصي توصلنا إلى فرضية يمكننا من خلالها التأسيس لتاريخ محدد لظهور هذه الفئة، فالأغلبية يعلمون أنّه ومن بين الذين قدّموا الدّعم المعنوي والمادي لعروج ثم من بعده خير الدين أحمد ابن القاضي[1]، زعيم امارة كوكو الذي كان خير معين ومؤيد لهم. فهو من ساند العثمانين عسكريا عندما حاول الاخوة بربروس تحرير مدينة بجاية سنة 1514م ، وهو من أجبر سالم التومي[2] زعيم امارة الثعالبة على الاستنجاد بالإخوة لتحريرهم من قيود الاسبان[3] لمتواجدين في قلعة البنيون مند سنة 1511م، وهو أيضا من أوكلت له مهمة رئاسة السفارة التي حملت الرسالة إلى السلطان العثماني سليمان قصد الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية وتعيين خير الدين حاكما عليها بالنيابة عنه. فكل هذه المعطيات تؤكد على أن المقصود من ابنة أحد الأسر الجزائرية العريقة هي ابنة ابن القاضي .فنظرا لمكانة ابن القاضي الاجتماعية والسياسية رأى خير الدين أن الارتباط به بالمصاهرة سوف يمكنه من تثبيت وجوده في الجزائر و تكوين عصبية تسانده وتقف إلى جانبه خاصة وأن طبيعة المجتمع الجزائري القبلية اقتضت ذلك وقد أكّدت بعض الدّراسات التّاريخية أن حسن أغا هو أول كرغلي نتج عن زواج خير الدين بابنة ابن القاضي.

---

[1]- أحمد بن القاضي:من بين أهم الزعامات المحلية التي لعبت دورا بارزا في الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، ينحدر من أسرة أبو العباس الغبريني، عالم بعلوم الشريعة والفقه، عمل قاضيا لدى آخر حكام بجاية، ثم تمت ترقيته إلى خليفة في المنطقة الممتدة من الصحراء حتى جيجل بجبال كوكو. للمزيد من التفاصيل يُنظر: كورين شفالييه، المرجع السابق، ص.25

[2]- سالم التومي: من بين أهم الزعامات المحلية التي حكمت مدينة الجزائر، هذه الأخيرة امتدت على عهده من دلس شرقا إلى شرشال غربا. تعاون مع الاسبان خوفا من بطشهم وتجنبا لانتقامهم؛ اتهم بالخيانة وأعدم سنة 1516م . للمزيد من التفاصيل يُنظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، المرجع السّابق، ص 15.

[3]- بعد استسلام مدينة الجزائر سنة 1511م توصل الطرفين _ الوفد الجزائري والاسباني_ إلى عقد اتفاقية حددت مدتها الزمنية بعشر سنوات، أهم ما ورد فيها تسليم صخرة الجزائر أو ما عرف في تلك الفترة بـ "اصطفلة" إلى القائد الاسباني ليتخد منها قاعدة عسكرية تراقب عن قرب تحركات الملاحة الجزائرية وحتى الأجنبية للمزيد من التفاصيل بينظر.

Haedo Diego, **Topographie et histoire générale d'Alger**, Tra : A. Berbugger et D' Monnereau, **R.A**, 1870, T : 14. p 415.

وكان الكراغلة يملكون ثروات ويستثمرونها في المزارع ويترفعون عن خدمة الأرض أو القيام بأعمال يدوية[1]، وقد تكاثر عدد هذه الجماعة مع مرّ السّنين وأصبحوا يكونون فئة لابأس بها من سكان تلمسان وأصحاب الرأي فيها[2].

ففي مدينة تلمسان مثلا، كان الكراغلة[3] يشكلون الأغلبية، ويؤلفون شبه حكومة خاصة بهم، ويتقاسمون المدينة مع جماعة الحضر، ولهم ديون خاص بهم وصلاحيات واسعة معترف بها، فكان يسمح لهم جمع الضرائب من المناطق الجبلية، مثل بني سنوس وندرومة وترارة[4]. وأعتقد أنّ السبب الذي جعل السلطة المركزية تمنح وتقدّم نسبة من الحرية والامتيازات لكراغلة تلمسان يعود إلى بعد المسافة عن مركز السلطة، وإلى طبيعة بايلك الغرب، الذي كثرت فيه القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب علاوة على الوجود الإسباني في مدينة وهران، وإلى قرب تلمسان من المغرب الأقصى[5].

وبالنسبة لتوزيع الكراغلة في تلمسان حيث كان لهم حي خاص بهم يقع في الجنوب يشمل المشور، حيث كان هذا الأخير له بابان وسور ويوجد به مايزيد عن مائة منزل وبه مسجد، وفي مدينة ندرومة فقد توزع الكراغلة والأتراك عبر أحيائها الخمسة: وهي التربيعة الذي شكّل الحي المركزي وحي بن عفان في الغرب، وحي بني زيد في الشرق، أمّا المنطقة الشمالية فكانت تضمّ حي الخريبة في الشرق وحي السوق في الغرب [6]

---

[1] – عمار بوحوش: المرجع السابق، ص74.

[2] –شريفة طيان ساحد، **نُحاسيّات تلمسان في العهد العثماني (القرنان 12– 13هـ/ 18– 19م)، من خلال مجموعة المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشّعبيّة**، أعمال ملتقى دولي، تلمسان الاسلاميّة بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينيّة والأوقاف، الجزائر، 2011، ص 09.

[3] Le Commandant de Pimoden, **Oran Tlemcen Sud– Oranais (1899–1900)**, 3 édition ,Paris, 1902, p 57- 58.

[4]– ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ص 95

[5]– محمد بن عدي، الحياة الاجتماعيّة...، المرجع السّابق، ص 448.

[6]– الواليش فتيحة، الحياة ..المرجع السابق، ص 138.

أمّا عن أعداد هذه الفئة في مدينة تلمسان ونواحيها خاصة أواخر العهد العثماني فإنّه كان في تزايد مستمر، وكان يُحدد ذلك مدى ارتباط الأتراك العثمانيين بالأهالي ومصاهرتهم لهم، فقد جاء في إحدى الدراسات التي اعتمد صاحبها على التقارير التي اعدّها الضباط الفرنسيين لأغراض استعمارية، خلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي أنّ الكراغلة في تلمسان بلغت أعدادهم حوالي خمسمائة جندي في تلمسان[1]، وعلى الرغم من الإبعاد الذي طال الكراغلة من المناصب السياسية والعسكرية إلاّ أنّنا نجد البعض منهم قد انخرط في البحرية الأمر التي تؤكدها لنا حالة أسرهم مثل محمد بن إسماعيل الكرغلي الذي كان أسيرا في جنوة وتحرّر من أسره عام 1776م، و مصطفى التلمسلني الكرغلي الذي كان أسيرا في مالطة وتحرّر في أسره عام 1777م[2].

7. اليهود[3]:

تميّزت فئة اليهود في عن باقي الفئات السّكانيّة بملتهم وثقافتهم وبعاداتهم وتقاليدهم ونشاطاتهم الاقتصادية.

وأمام قلّة المادة العلميّة التي هي أمامنا تبيّن لنا أنّ طائفة اليهود في تلمسان ونواحيها، قد تكوّنت داخل المجتمع التلمساني من ثلاث مجموعات:

---

[1] -Emérit Marcel, **Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle**, **Annales Economies**, **sociétés civilisations**, N1, 1966, Année 1966, 46.

[2] – أ. و. ت، الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر رقم 2144، ص 279 280.

[3] يُطلق في العادة على اليهود اسمان: الأول " بني إسرائيل" وهو الذين ينتسبون إلى نبي الله يعقوب عليه السلام، فهم من ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة فترة من الزم، ثمّ انتزعها منهم واحلّ عليهم غضبه ولعنة جزاء كفرهم ومحاربتهم الله ورسله، أمّا الإسم الثاني الذين عُرفوا به في ما بعد والذي انتشر بين الأمم، كما نجدهم يسمون أيضا بالعبرانيين، وهذه التسمية قديمة جدّا في النصوص السماوية وتطوّرت بهذا الشكل: خابري – خابرين– العابرين (أي الذين يعبرون النهر) وقد تكون هذه التسميّة عند العبرانيين" Hebreux" في اللغات السامية ومنها العبرية، للمزيد أكثر من التفاصيل يُنظر إلى :

– ناجي نعمان، **المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي**، دار نعمان للثقافة، بيروت، 1990، ص 476.

– نجوى طوبال، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700– 1830)**، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2004 – 2005، ص 15.

المستقرة بالبلاد منذ القدم أو ممّن وفد إليها من خلال الهجرات الأندلسية أو الطائفة اليهودية ذات الأصل الأندلسي، نظرا لما لحق بهم من شتات، حيث أقاموا في مدينة تلمسان بأعداد كبيرة واستقرا بالمراكز التجارية في المدينة ونواحيه، وبالرغم من التقديرات فقد اعتبرت تلمسان ونواحيها الأعلى والأكبر في بايلك الغرب[1]، في حين بلغت أعدادهم في ندرومة 15 بالمائة من العدد الإجمالي للسكان في المدينة[2]، وهذا يُعتبر نموذجا حيّا لتعايش هذه الطائفة داخل المجتمع التلمساني، وشكّل هؤلاء جميعا ماعُرف بجماعة اليهود[3].

وفي الفترة العثمانية قام الحكام العثمانيين بمنح اليهود أحياء للإقامة فيها وذلك مقابل خدماتهم ونفس الشيء حدث في وهران حيث أنّ محمد لكبير قَدَّمَ لليهود مساحة أرض كبيرة ليقيموا فيها تحت حماية الخزناجي[4].

كما تمّ منحهم أيضا أراضي فلاحية في تلمسان تقع حول المدينة مثل الاراضي التي كانت عندهم في فلسطين، وممّا ساعد اندماج اليهود في الحياة العامة، إذ أنّهم في عام 1792م. عندما تولى الباي محمد الكبير حكم مدينةوهران، ومن تمّ إحلاؤها بالكامل من قبل الإسبان ، فكّر في إعادة إسكانها ، ومن بين التدابير الأخرى التي سنّها لهذا الغرض، دعا هناك اليهود من مستغانم ، معسكر ، ندرومة وتلمسان. باعهم موقعًا كبيرًا بسعر رخيص جدًا ، حيث بنوا منازلهم ، ومنحهم أرضًا مجانية لمقبرة. ربما ظل البيع والتبرع شفهيًا حتى عام 1801م[5] ، عندما تم تأكيدهما وكتابتهما، هذا فضلا على أنّهم تعاملوا مع العرب وعلّموهم ثقافة زراعة الزيتون فأمر ملك تلمسان من الجميع زراعة وحماية أشجار الزيتون وبفضلهم ازدهرت البلاد[6].

---

[1]- فوزي سعد الله، يهود الجزائر، هؤلاء المجهولون، ط2، شركة دار الأمة للطباعة والنّشر والتّوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2004، ص28.

[2]- الواليش فتيحة، المرجع السّابق، ص 41.

[3] بالرغم من أنّ اليهود قد كونوا مجموعة دينية هامّة في سائر البلاد العربي، فإنّ هذا لايعني أنّهم كانوا يُشكلون وحدة عنصرية عرقية، بل جماعات ترتبط بالدين والتقاليد، نظرا لإفتقارهم منذ القدم لكيان سياسي، لذلك حرصوا على أن يكون الرابط بينهم دينيا اثنيا في أي مكان من المعمورة.

[4]Saac Bloch, **Les Israélites D'Oran de 1792 a 1818**, **in** : **revue des études juives**, tome 13, paris, 1886, p 5-6.

[5]- محمد بن عدي، الحياة الاجتماعيّة...، المرجع السّابق، ص 450.

[6] Saac Bloch, op، cit p5-6.

هناك أيضا في تلمسان معبد لليهودية لايزال لحد الآن موجود يُسمى بإسم ذلك الحاخام افرايم ان كاوا[1].

كان يهود تلمسان إبّان العهد العثماني يمارسون طقوسهم الدينيّة في خمسة معابد كانت منتشرة في المدينة، إلاّ أنّ وضعيتها ومكانتها لا تختلف عن وضعية معالم المدينة التاريخية الأخرى[2]. لقد كان اليهود في تلمسان يقيمون بحي أطلق عليه اسم: الحي اليهودي[3]، كما أخبرنا عنه صاحب البستان[4]، الذي كان يتواجد قريبا من الحي الرسمي للمدينة، مقر إقامة الجهاز الإداري والعسكري وكان يتواجد بمحاذاة المشور، وعُرف هذا الحي بأهميته حيث كان يضمّ تقريبا 500منزل، وكان جلّ سكانه أثرياء، ويعتبر الحي الأكثر سكانا، وكان ذا موقع هام يتوسط المدينة، ما بين المشور والأحياء العربية الأخرى[5]. في ذات السيّاق تُخبرنا الواليش بقولها: "...حيث كان لهذه الجالية حياة حرفية وتجارية وثقافية، وكان أكبر تمركزها لها في مدينة تلمسان، حيث أيّام ازدهار هذه الجالية كانت تملك بالقيصرية 1500 محل

---

[1] Darmon, **Origine et constitution de la communauté israélite de tlemcen**, **R**.**A**, v14, paris, 1870, p380 .

[2]- الغالي غربي ، **أوضاع مدينة تلمسان وأحوازها في الخمسينات من القرن التاسع عشر من خلال كتاب** Tlemcen, ancienne capitale du royaume de ce nom : sa topographie, son histoire, description de ses principaux monuments, anecdotes، **مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 17، المجلد 11، الجزائر ، جوان 2011، 175.

[3] يذكر أن أحد الحاخامات تمكن(الحبيب افرايم) من النجات بأعجوبة من محاكم التفتيش في اسبانياوقد لجئ الى تلمسان راكبا أسد وذلك حسب الاسطورة التي جاءت في كتاب العبري المسمى meghor barokh، وهو الذي كان له الفضل في منح اليهود الاذن للبقاء في تلمسان، لان في تلك الفترة كان اليهود يسكنون منطقة اغادير التي لم تكن تابعة لتلمسان بعد وهم كانوا يريدون الدخول الى المناطق الداخلية لتلمسان. في هذه الفترة بحث ملك تلمسان على أي شخص بامكانه ايجاد علاج للأميرة وستكون له مكافئة ان شفيت، فتقدم الحاخام افرايم الى المقر الملكي وقد نفسه على أنه طبيب، استبعد الملك جميع الاطباء و ترك الحاخام بعد فترة شفيت الاميرة، فلم يعد يعتبر الحاخام من البشر انما كرسول من عند الله وطلب منه أن يطلب ما يشاء . أجابه لا أريد لا ذهبا ولا فضة و انما الحرية لأمتي، أولائك اليهود المنتشرون حول المدينة مثل القطيع اسمح لي بإدخالهم الى المدينة، وافق الملك على طلبه، فتم بناء الحي اليهودي على بعد عشرين مترا من المشور و من هنا أصبح اليهود محميين من الهجمات والشتائم، للمزيد من التفاصيل ينظر:

Darmon, op، cit, pp376-378

[4]- ابن مريم المديوني التلمساني، البستان...، المصدر السّابق، ص 269.

[5]- الواليش فتيحة، المرجع السّابق، ص 139.

تجاري، وحرفي و17معبدا، وأصبحت مدينة تلمسان منذ القرن 16م ناديا ثقافيا لليهود، حيث أنّ كل الجالية اليهودية بمختلف أنحاء الإيّالة تتلمذت على أيدي يهود جاؤوا من تلمسان[1].

إنّ المتوّفر أمامنا، لا يوفّر معلومات أو تفاصيل وافية عن مختلف الحياة الاجتماعية ليهود مدينة تلمسان ونواحيها، ومع ذلك وردت إشارات تؤكّد حرص هذه الطائفة على التمسّك بتقاليدهم وعاداتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، إذ كانت هناك لتجمعاتهم السكانية مايميّزهم، فيرتدي يهود مدينة تلمسان ونواحيها ملابس عادية واضعين عليها غفارة سوداء، وعمامات صفراء[2]، وقد ساق لنا الحسن الوزان بفوله: " أنّ يهود حارة تلمسان يلتثمون رؤوسهم عمامات صفراء " كما تحدّث صاحب كتاب وصف إفريقيا عن محزرة طالت حارة اليهود بتلمسان، التي كانت تضمّ نحو خمسمائة دار، كلّهم تقريبا أغنياء خُرّبت جرّاءها دُورهم ونُهبت أموالهم سنة 1516م، حتى صاروا يتكففون الناس...[3]

ليتعرض بعد ذلك يهود تلمسان في نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر 16م، إلى نكبة من طرف حاكم وهران الإسباني الكونت دالكودات سنة 1544م[4]، وذلك لإستحواذهم على التجارة والسياسة المالية في مخزن بني زيّان، وقد كلّف إسبانيو وهران يهود المدينة بجباية قبائل بني عامر وأعراش المنطقة المتاخمة للمدينة حينها[5]. وقد وصعد اليهود بالمدينة في القرن 11هـ/ 17م، حوالي ثلاثة آلاف يهودي[6].

---

[1]- الواليش فتيحة، المرجع السّابق ، ص 159.

[2]-رريب الله حاج أحمد، شلف...، المرجع السابق، ص 276.

[3]- الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، 20.

[4] -Georges Marcais , **Tlemcen** (**Les Villes d'art célèbres**), Librairie Reynouard, H. Laurens, Paris 1950,p93.

[5]- رريب الله حاج أحمد، شلف...، المرجع السابق،ص 280.

[6] Davity P. **Description generale de l Afrique**, Paris, 1966.pp 170- 171.

أمّا نشاط هذه الطائفة وبصفة خاصة العائلات[1] الغنيّة منها، فقد كانت تمارس نشاطها التجاري في محيط قلعة المشور، تمتهن تجارة الخردوات والملابس، مثل الجوارب والمحارم والشالات الإنجليزية، التي كانوا يأتون بها من تطوان وطنجة المغربيتين، ويذكر القسيس Barges سلوكا اتّصف به تجار اليهود، وكان شائعا بين الوسط التجاري التلمساني، وهو ممارسة التهريب والتظليل[2].

يُمكن الإشارة إلى هيكل التنظيم الداخلي لفئة اليهود:

-مقدم اليهود (يُعينه الداي): فقد عرف رئيس الجماعة اليهودية ببلاد المغرب عامّة بتسميات مختلفة فهو "الزعيم" والرئيس" والمقدم" والناجد" وشيخ اليهود".

- **المحكمة الحاخامية**: عاضم عددا من الحاخامات، عرفوا بتأثيرهم الديني والقافي والاجتماعي الكبيرلدي اليهو، وشكّلوا بذلك هيئة شبه مستقلّة بقراراتها، من مهامها نذكر: النظر في مختلف القضايا الدينية اليهودية، ومعاقبة كل من يُخالف التعاليم اليهودية. تضم كل من الأملاك المقدسة والقضاء والبيعة، فضلا عن القاضي والكاتب (الموثق).

- **مجلس الطائفة**: يُعتبر من الأصول التنظيمية للجماعات اليهودية في مُختلف المناطق ويُعرف بـ: (Labe haire)، وفيما يخص مجلس الطائفة اليهودية في مدينة تلمسان وغيرها من مختلف المدن الأخرى كمدينة الجزائر، فقد كان يعقد جلسته مرة في كل شهر. من مهامهم تعيين أعضاء المجلس، فضلا عن إشرافهم على تطبيق تعاليم التوراة والتلمود، ومن مهامهم أيضا، مساعدة المقدم في اتخاد القرارات في جميع القضايا الخاصة باليهود، خاصة فيما تعلّق بتنظيم المداخيل والمصاريف الخيرية، وجمع الجزية والغرامات. وقد أشرف أعضاء مجلس الطائفة على وظائف وموظفين من بينهم: الجباي(Le gabai) والشابر (Le chaber)والجزبار(Le guizbar)

[1]- يُمكن الإشارة إلى أنّ الإسم العائلي له مكانة خاصّة في حياة اليهود، فهو بمثابة الدليل المعنوي على أصالة وعراقة العائلة اليهودية، إلاّ أننا حاولنا الحصول على بعضها إلاّ أننا لم نتمكن من الوصول إليها من خلال تعاملنا مع وثائق سجلات المحاكم الشرعية التي تفتقر كثيرا إلى ذكر هذه الفئة ، أو حتى العائلات اليهودية داخل المجتمع التلمساني إبّان العهد العثماني، إذ لم تسمح لنا بالتعرف أكثر على نشاطات هذه الطائفة وإسهاماتها في هذه المدينة ونواحيها.

[2] Barges, op، cit

– شرطة الطائفة: أو مايُعرف "بشرطة الطائفة اليهودية"، تقوم بحفظ الأمن والانضباط بين اليهود، وكانت هذه الشرطة تخضع لسلطة المقدم مباشرة.

8.النّصارى:

إنّ القراءة الأوليّة لمختلف النّصوص تؤكّد أنّ العنصر المسيحي هو من بين العناصر الأجنبية المهمّة الوافدة على المجتمع الجزائري، وهب تضمّ القناصلة الأوروبيين، ووكلاء المؤسّسات التّجاريّة ورجال البعثات والإرساليات الدينيّة، وجماعات الأسرى...، وهي تندرج ضمن فئة الأحرار[1] الذين كانوا يعيشون في أعداد قليلة جدّا في معزل عن باقي السكان، ولايخضعون للمعاملات المالية والأحكام القضائية والقوانيين المعمول بها في البلاد[2]، وإنّما يعودون في ذلك إلى محاكمهم الخاصة[3]، وفقًا لما نصت عليه المعاهدات التي أبرمتها دولهم مع الجزائر، ومن هذا المنطلق أكّد بارجيس، أنّه قد بنيت الكثير من الكنائس في تلمسان منذ عهد الزيانيين، وتواصل تشييدها حتى مع العثمانيين الذين قدّموا ترخيصات لإقامة هذه المباني الدّينيّة للتّجار والأسرى الأروبيين، وفي مقدّمتها الكنائس، التي على ما يظهر كانت تقوم بعدّة وظائف دينيّة، منها الحكم بين الجالية المسيحية[4]، ولنا في "الأب بارجيس" مثال على ذلك حين حديثه عنهم قائلا:" أنّ الكثير من تجار مدينة فنيس البندقية الإيطالية تلقوا ضمانات تجارية ودينيّة لمزاولة أنشطتهم اليومية في مدينة تلمسان ونواحيها"[5].

9.رعيّة نواحي تلمسان:

بعد أن أحكم العُثمانيّون سيطرتهم بالجزائر، أخدوا يتطلّعون في تدعيم سُلطتهم، وفي مُقابل نجاحهم بدخول تلمسا، لجؤوا إلى إخضاع السّكان وإجبارهم على طاعة الأقلية العثمانية في المدينة ونواحيها، من خلال طريقة إداريّة

---

[1] A. Benmanssour, **Alger XVI–XVII**, **Lé Siècle**, **journal de J.B Gramaye évêque**, **d)Afrique**, éd. Du Cerf paris 1998,p135.

[2]–ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السّابق ص 105.

[3] –بوحوش، 1997، ص 71.

[4] –محمد بومدين، من مظاهر النّشاط الدّيني والاجتماعي...، المرجع السّابق، ص 86.

[5] Barges, op، cit, P 128.

مُحكمة تقوم في أساسها على حكم التلمسانيين بالتلمسانيين، عن طريق التّحالف مع الزعامات المحليّة القائمة على أساس قبلي أو ديني، لأن أهم سُلطة تخضع لها المنطقة خاصّة الرّيف هي سُلطة المرابط[1]. وسميّت بالرّعيّة لأنّها رضيت بالوجود العثماني، إذ كانت تُقيم في الأرياف والدواوير وفي الأماكن المُلائمة للزّراعة، التي كان يُراقبها قبائل المخزن، فكانت هذه الأخير بمثابة الجهاز الإداري والعسكري والاقتصادي التي اعتمدت عليها السّلطة العثمانية في كلّ مُدنها من إيّالة الجزائر، من استخلاص للضرائب وحفظ الأمن، هذا فضلاً عن استغلال أراضي المنطقة الخصبة[2].

ومن القبائل التي كان تقوم بهذه الأدوار بتلمسان، إذ وجد بها قائدان، قائد المدينة وقائد الجبل:

قائد المدينة كان يتحكّم في : بني وعزان، الغسول، أولاد العبدي، وبني سنوس، وبني ورنيد، ووهاصة[3] .

قائد الجبل ويتحكّم في: أولاد رياح، أولاد رياش، بني صميل، بني بوسعيد، وغيرها.[4]

[1]-محمد بومدين، **الدّور العلمي لبيوتات قبائل تلمسان على عهد العثمانيين، مجلّة العلوم الإنسانيّة**، المجلد11، العدد02، جامعة وهران، الجزائر، 2022، ص 46.

[2] W. Estehazy, de la domination…,op.cit,p72.

[3]-ولهاصة، هو جبل بقع شمال تلمسان على السّاحل، أشار إليها الرحالة في مُؤلفه حيث قال:" يُجاور هذا الجبل المرتفع مدينة هنين، وتسكنه قبيلة عاتية، ولكنها ريفية، وكثيرا ما حاربت أهل هنين حتى خربت مدينتهم، ينبت فيه قليل من القمح وكثيرا من الخروب، للمزيد من التفاصيل يُنظر الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص 44.

[4] -Esterhazy, De la domination, op cit, p271.

تجدر الإشارة إلى بعض القبائل الأخرى التي كانت على قدر كبير من الأهميّة، إذ أدّت أدورا لابأس بها إبّان العهد العثماني، بعضها ترجع أصولهم عربية كقبيلة " بني هديل[1]" وقبيلة "أولاد ريّاش"[2] ، وأخرى أمازيغية مثل قبيلة " بني ورنيد[3]" وبعضها من أصول شريفة كقبيلة أولاد نهار[4]، الذين شكّلوا قبائل المخزن خلال الفترة المذكورة. ناهيك

[1] –هي القبيلة المعروف حاليا بقبيلة "بني هذيل"، وهي من القبائل العربة القديمة حتى قبل الإسلام، هاجرت فرق من هذه قبيلة إلى بلاد المغرب العربي منذ عهد مبكّر، ومن بين هذه الفرق، فرقة تقطن اليوم في جنوب تلمسان، قدمت إليها من بلاد الشام، ولها فروع في الشرق الجزائري، يُسمى الجد الأول لهذه القبيلة هو مسعود السرحاني ابن محمد ابن أحمد بن ميمون الموتوفى في هضبة "موطاس" بالقرب من منطقة " تمكسالت " بـ "صبرة. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى :أبو العباس بن محمد المكي العشماوي، **السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر**، طبعة حجرية، (د.م)، (د.ت)، ص 89.

[2] –قبيلة أولاد ريّاش هي قبيلة عربية متكوّنة من 13 بطنا، جاءوا أُسراً وبيوتات إلى منطقة تافراوة" سبدو" حاليا ، قدموا من مناطق مختلفة من الجزائر والمغرب الأقصى في أواخر القرن 7هـ/ 13م، وعلى فترات زمنيّة متفاوتة، استوطنوا الجزء الممتد من أنجاد " قبيلة القور"، على سهل تافراوة والسفوح الجبلية المحيطة به، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: ابن عبد الله التلمساني، **زهرة الأخبار في تعريف أنساب آل البيت المختار**، المطبعة الجديدة– ومكتبتها، ط1، فاس، 1349هـ، ص 130.

[3] – قبيلة بني ورنيد، قبيلة بربرية الأصل عربية اللسان، من بطون دمر الزناتيين كما ورد ذكرها في تاريخ ابن خلدون:" **ولد ورنيد بن وانت بن واردين بن دمر، وأنّ إخوتهم بنو يصدرين وبنو صمغان وبنو يطوفت...**"، وجاء ذكر تضاريسها عند "الحسن الوزان في القرن 10هـ/16م، حيث أشار إلى ذلك بقوله،:" **يقع هذا الجبل على بعد نحو ثلاثة أميال من تلمسان، وهو كثير السكان، ينتج كميّة وافرة من الفواكه، لاسيما التين والكرز، وأهله فحامون وحكابون وفلاحون، بحيث إن دخل هذا الجبل أثنا عشر ألف مثقال في السنة، حسب ما أخبرني به كاتب ملك تلمسان**. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: **عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ ...، ج7، المصدر السّابق ص 72. الحسن الوزان، ج2،المصدر السّابق، ص 43**.

[4]–يرجع نسب القبيلة إلى يحي بن صفية بن عبد الرحمان بن موسى بن إبراهيم بن محمد، واستنادا إلى عديد الدّراسات، فإنّ قبيلة "أولاد نهار هي إحدى القبائل التي تنحدر في نسبها من الإمام إدريس ابن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب – مرّم الله وجهه– وفاطمة الزهراء بنت سيّدنا محمد رسول الله صل الله عليه وسلم، أمّا أصل التسمية " قبيلة أولاد نهار "فتنحدر من ذرية الشقيقين سيدي يحي، وسيدي أحمد، وسيدي موسى ، أبناء سيدي عبد الرحمن بن موسى المكنون ب: أولاد صفية سوف يأتي الحديث عنهم في باقي عناصر الدّراسة للمزيد من التفاصيل ينظر إلى : قويدر قيداري، **أولاد نهار والولي الصالح والشيخ الناصح سيدي يحي بن صفية**: سيرة تراجم وتراث مقاربات تاريخية وانثروبولوجية وفنية، دار الأفق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص 45.

عن بعض القبائل الأخرى غربا كـ قبيلة "اترارة " و "قبيلة النجاجرة " وقبيلة "مديونة"[1] . إلى جانب منطقة " سبدو" التي كانت قاعدة مهمّة للحاميّة العُثمانيّة بحكم مُوقعها الاستراتيجي، وكانت تُمثّل إحدى القبائل المخزنيّة. وفي مُقابل ذلك اعتد العثمانيون كسب ولاءات الزعمات، من خلال منح المناصب السيّاسية لزعماء القبائل النّافدة، وكذا إعفائهم من أداء المغارم المخزنيّة. وفي سيّاق آخر عَمد العثمانيين على ضرب القبائل المستقلّة، والتي شكّلت في اعتقادها خطرًا كبيرًا على التّواجد العثماني بالمنطقة، وقد ظهر هذا الأسلوب من خلال ما وقع من تخريب لناحيّة مدشر أبي ترفاس[2].

جدول يبين أصناف القبائل في تلمسان و نواحيها[3]

قبائل المخزن	قبائل الرعية	القبائل المستقلة(الممتنعة)
– قبيلة أولاد رياح	– قبائل الغاسول	– قبيلة امجاد
– قبيلة بني مستار	– قبيلة بني صميل	– قبيلة اليعقوبي
– قبيلة سبدو	– قبيلة سيدي العبدلي	
– قبيلة ترارة ولاد نهار	– قبيلة أولاد ميمون	
– قبيلة النجاجرة	– قبيلة بني سنوس	
– قبيلة مديونة	– ولهاصة	
	–بني ورنيد	
	– بني هديل	

ختامًا لحديثنا عن الفئات الاجتماعية في المجتمع التلمساني نُشير إلى مصدر مهم اقتبسنا منه إشارات في هذا الصدد ويتعلق الامر بالدفتر المحفوظ في الأرشيف الوطني التونسي تحت رقم 2144 الذي يضمّ هدايا واحسانات

[1]–مديونة: تعرف أيضا بـ: "صنهاجة الشّمس"، و"**صنهاجة مصباح**"، كما ورد في كتاب «**وصف افريقيا**»، كانت عبارة عن قبائل تقطن النّواحي المجاورة لتلمسان، ابتداءًا من جبل «**بني راشد**» إلى الجبال الواقعة قبلة «**وجدة**»، وكانت القبيلة في صراع مع قبيلة «**بني توجين**» من زناتة، وكان مواطنهم قبلة «**تاسالة**». ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر سابق، (ج7)، ص 44.

[2]–محمد بومدين، التاريخ العلمي لمدينة تلمسان...، المرجع السّابق، ص 127.

[3] – من انجاز الطالب اعتمادا على القائمة البيبليوغرافية

ماليّة ومادية قدّمها بايات تونس للجزائريين من مختلف المدت والقبائل، وقد كانت لتلمسان ونواحيها نصيب من هذه الاحسانات، استفادت منها شرائح مختلفة سنأتي على ذكرها.

ممّا يلفت نظرنا عند الاطلاع على ماورد بخصوص تلمسان في هذا الدفتر هو استفادة العديد من الأسر التلمسانيين من احسانات مالية مختلفة، حيث بلغ عدد حالات الأسر 10 حالات منها حالة واحدة لفاطمة التلمسانية، وبالنسبة لمدم الأسر فإنّنا نجد 5 حالات كانت في مالطة وحالة واحدة في كل من جنوة واسبانيا، أمّا الثلاث الحالات الباقية فلم يذكر فيها مدن الأسر، وبخصوص سنوات الأسر فقد امتدّت مابين (1182هـ/1768م-1191هـ/1777م)[1].

إلى جانب هذا وردت بعض الإشارات كانت اكثر وضوحا في تحديد الفئات الاجتماعية، حيث عثرنا على 3 حالات ترتبط بكراغلة تلمسان منها حالة اباهيم خليل الكرغلي التلمساني الذي تحصّل على 4 ريالات عام 1189هـ/ 1775م، ومصطفى التلمساني الكرغلي الذي كان أسير في مالطة بتاريخ 20محرم من عام 1191هـ/ 1777م، وأخيرا محمد بن إسماعيل الكرغلي أسير جنوة بتاريخ 20 صفر من عام 1190هـ/ 1776م[2].

لم يقتصر الأمر على ما ذكرناه فقط بل شملت الاحسانات أيضا الفقهاء والمشايخ وأعيان القبائل على غرار الفقيه رجب التلمساني الذي تحصّل على ريال واحد علم 1184هـ/1770م، ومثله الفقيه محمد بن محمد بن الخوجة التلمساني الذي تحصّل على 5 ريالات عام 1198هـ/1774م[3].

وهناك شخصيتان يظهر من خلال ما ورد بخصوصهما أنّهما كانتا مكانة اجتماعيّة هامّة، إلاّ أنّنا نفتقر لمعطيات بخصوصهما ويتعلق الامر بكلّ من الشيخ بوسماحة الذي يبدو وأنّه ....قبيلية، ومثله المدعو سي إبراهيم بن تاج الذي تحصّل على احسانات متنوعة خلال سنوات 1179هـ/ 1181هـ/1769م/ 1771م[4].

---

[1]- أ. و. ت، الدفاتر الإدارية والجبائيّة، 2144، ص 278.

[2]- أ. و. ت، الدفاتر الإدارية والجبائيّة، 2144، ص 279.

[3]- أ. و. ت، الدفاتر الإدارية والجبائيّة، 2144، ص 279.

[4]-أ. و. ت، الدفاتر الإدارية والجبائيّة، 2144، ص 280.

ثانيا: التعداد السّكاني والفئات الإجتماعيّة حسب بعض الكتابات الفرنسيّة

ويذهب القسيس Barges أنّ التّركيبة السكانية في مدينة تلمسان خلال االقرن التاسع عشر كانت تتكون من مجموعات عرقية متنوعة منها، الحضر والأوروبيون والكراغلة واليهود. أمّا التعداد السكاني للمدينة، فإنّ المؤلّف يذكر أنّ سكان المدينة قد تناقص عددهم إلى النصف طبعا هو لايقف في مؤلفه على خلفيات هذا التناقص، وإنّما يشير إلى أنّ عدد سكان المدينة قبل سنة 1833م كان حوالي 20000نسمة ليصل سنة 1846م 6826نسمة، مقسمين على 2670 كرغلي، 2070من الحضر ، و1585 من أهل الذمة، و500 من الأوروبيين[1].

عدد سكان مدينة تلمسان سنتي 1833 و 1846 حسب القيس Barges[2]

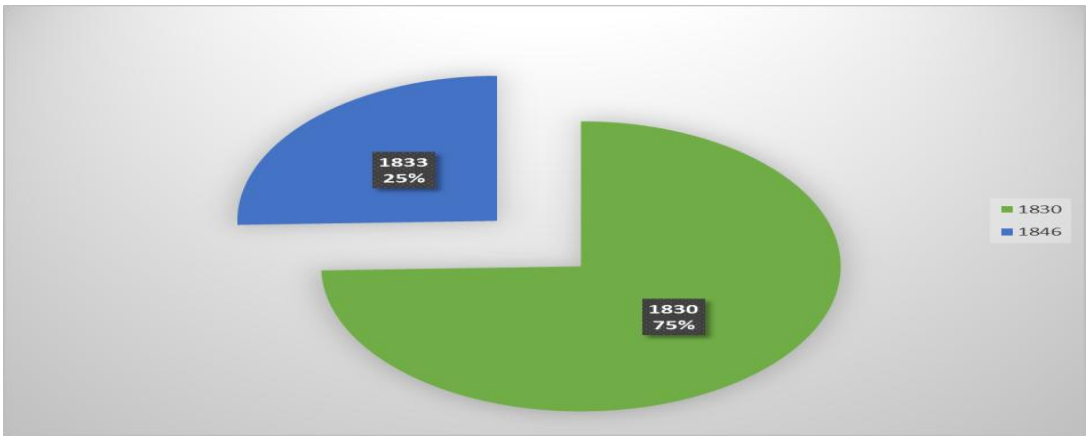

غير أنّ هذا الإحصاء الذي أورده وجاء يه Barges أنّ غير كامل باعتبار أنّه لم يتضمن كل الفئات والشرائح الاجتماعية الأخرى، مثل الأندلسيين، جماعة الأشراف ، البرانية والدخلاء، ضف إلى ذلك سكان الأرياف الذين كانوا يمثّلون فئات لابأس بها من التركيبة السكانية للمجتمع التلمساني[3].

[1] J. J. L. Bargès, Op، Cit P 205.

[2]–من انجاز الطالب اعتمادا على المصدر : J. J. L. Bargès, Tlemcen…,P205.

[3]–محمد بن عدي، الحياة الاجتماعية بتلمسان، المرجع السّابق، ص 440.

الفئات السكانية في مدينة تلمسان حسب القيس Barges

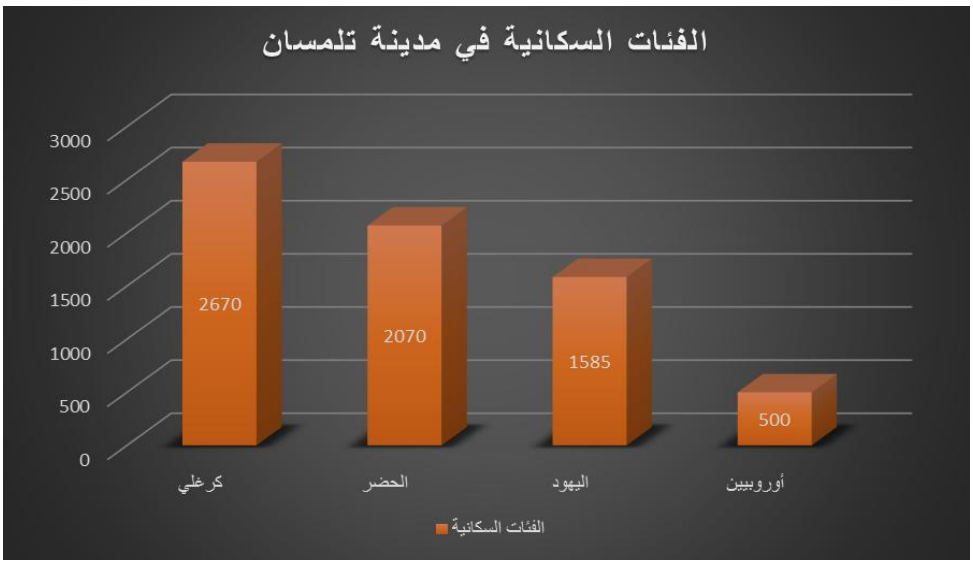

وعلى ضوء ماتقدّم يواجه الدّارس للحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني ثلاث عوامل أثرّت فيه، الأول هجرة الأندلسيين التي بدأت تتوافد خلال القرن التاسع وتقوّت خلال العاشر، والثاني الوجود العثماني نفسه، والثالث هو الوجود المسيحي واليهودي[1].

وإذا أمحصنا وفحصنا خلايا المجتمع، وجدنا العثمانيين يأتون في أعلى السلّم، حيث كانوا يحتكرون السّلطة، فمنهم البايات والبشوات والوزراء...، ولا يكاد يخلو مصدر عن العهد العثماني دون أن يصدمه شيوع الرشوة والفساد والجور والاستغلال، الذي كان يمارسه العثمانيون في الجزائر، ومنها تلمسان[2].

بينما امريت مارسيل (Emerit Marcel) قدر عدد السكان المنطقة ما بين 12000 و 14000ن يتوزعون بين 4000 كرغلي، 6000 من الحضر، 2000 من اليهود[3]، أمّا هاينرش فون ماتلستان ذكر ان عدد

---

[1]- عمر سعيدان، **علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، في الثلثين الأول والثاني من قرن14م**، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، ، 2011، ص 27- 34.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السّابق، ص 147.

[3] - emerit marcel, **l'Algérie à l'époque d'abd-kader**, Op، Cit p 87.

السكان كان يتراوح ما بين 10000 و 15000ن ينقسمون الى 3500 كرغلي، 4000 من الحضر، 2000 من أهل الذمة[1] .

أعمدة بيانية توضح الفئـات السكانيّة لتلمسان حسب امريت مارسيل (Emerit Marcel)[2]

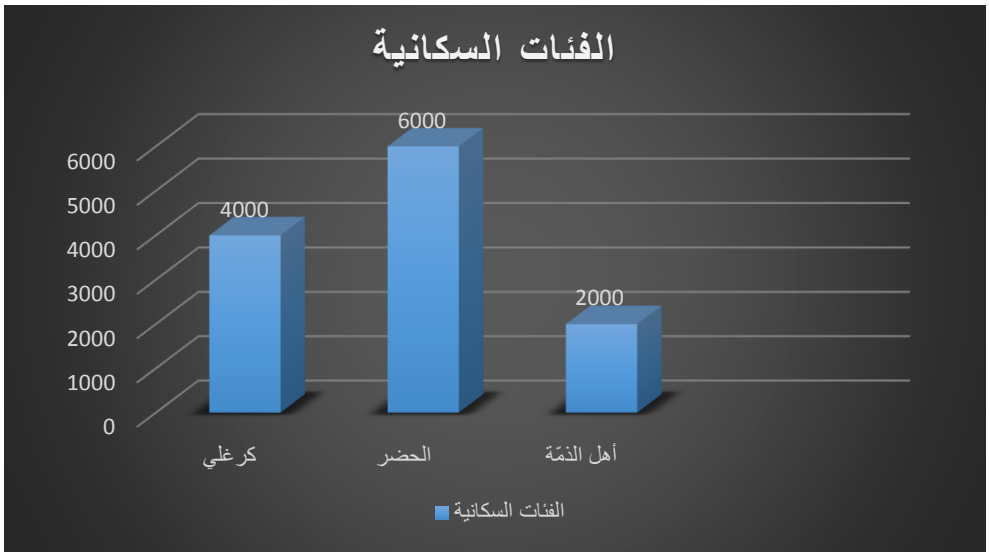

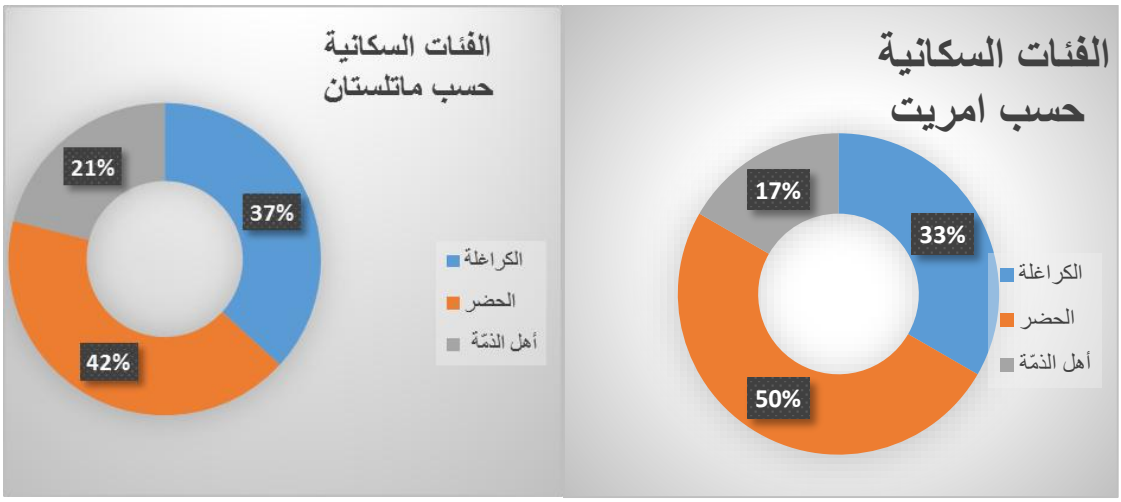

[1]- هاينريش فون ماتلستان، **ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا**، تر: أبو العيد دودو، ج1، دار الامة، الجزائر،2008، ص61.

[2]- من انجاز الطالب اعتمادا على المصدر: emerit marcel,op.cit.,p.87

منحنى بياني حول مُـقارنة بين الفئات السكانيّة بتلمسان حسب امريت و ماتلستان[1]

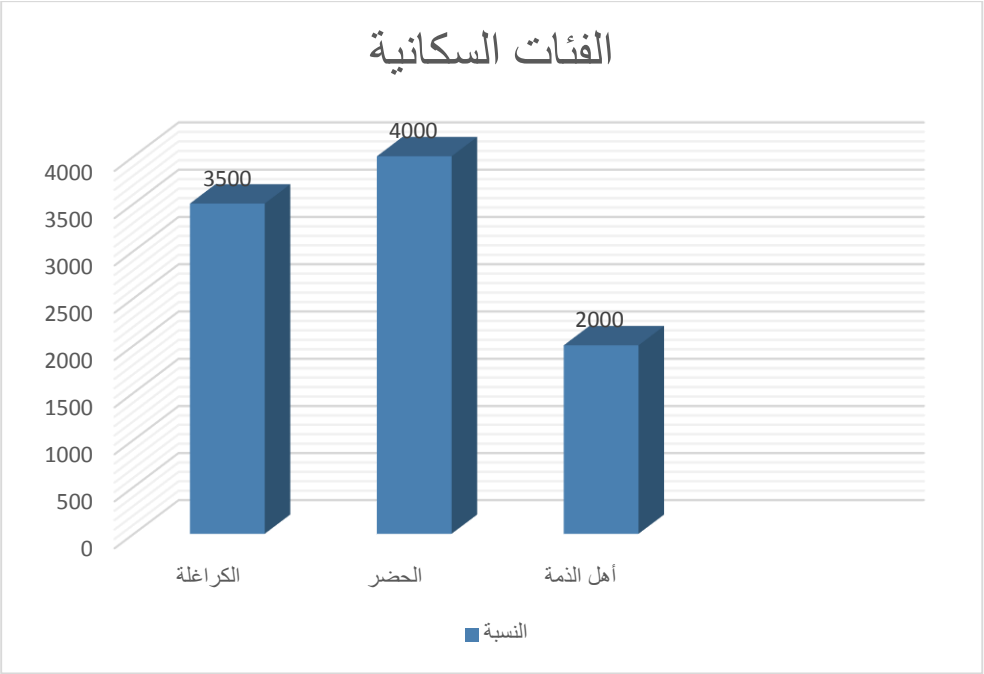

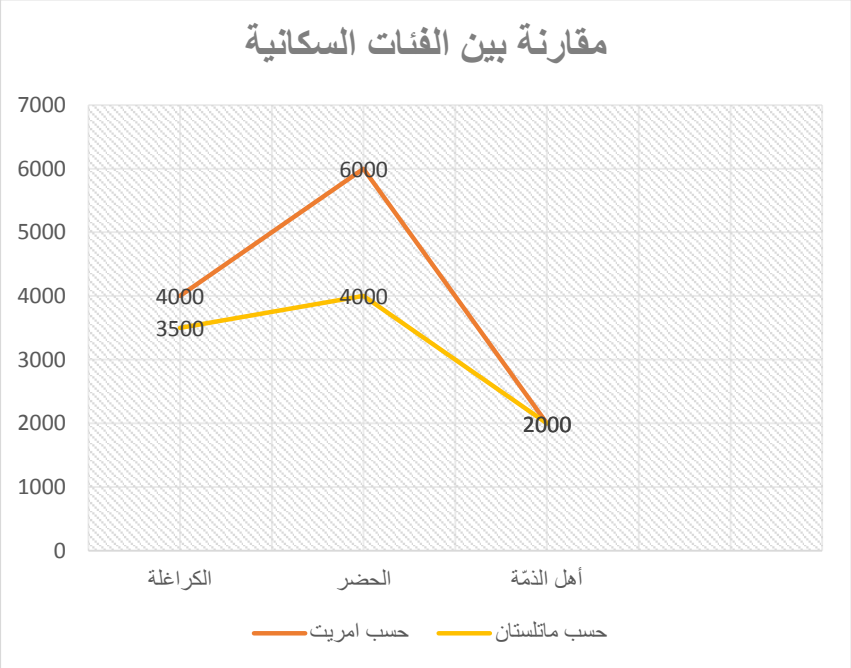

[1]– من انجاز الطالب اعتمادا على المصدرين السابقين

ثالثا: مظاهر الحياة الاجتماعية في بمنطقة تلمسان

سنحاول من خلال هذا العنصر تتبّع بعض الجوانب والمظاهر الاجتماعية لتلمسان ونواحيها في العهد العثماني، خاصة المتعلقة بخصوصيّات الاحتفالات والممارسات الدينية، في ظل النّقص الكبير الحاصل في دراسة الجوانب المختلفة داخل المجتمع التلمساني، ومن بين الاحتفالات الاجتماعية، الاحتفال بالأعياد الدينية، شأن عيد الأضحى وعيد الفطر، أو بالمولد النبوي الشريف، إضافة إلى الاحتفالات الشعبية، مثل الزواج أو بالمولود الجديد، وحتى بالاحتفال بحلول السنة الجديدة. كما سنركز على إبراز طرق الاحتفالات، وممارسة الطرق العقائدية، كإحياء ذكرى الأولياء الصالحين، وزيارة الأضرحة. مع تبيان مدى إسهام المجتمعات الوافدة إليها كالعثمانيين والموريسكيين في تطوير الثقافة الشعبية للمجتمع التلمساني بصفة عامّة، هذا أدّى بنا إلى تسليط الضوء على مجموعة من الحقائق التاريخيّة والعلميّة المتعلقة بالدّراسات الأنثروبولوجية والاثنوغرافية.

1. ممارسة الشعائر والاحتفالات الدينيّة:

1.1 عند المسلمين

تعتبر ظاهرة الاحتفالات الدينيّة في حاضرة تلمسان ونواحيها عادة راسخة في ذِهنيات المجتمع والسّلطة الحاكمة، إذ تختلف طُقوس الممارسة وطريقة الاحتفال من مجتمع إلى آخر، وتُعتبر هذه العادة بمثابة الحُضور الدّيني في المِخيال الإسلامي لَدَى المجتمعات وإبقائه حاضرا في حياة الناس، وتثبيته كتقليد رسمي يوطّد التّواصل العام بين أفراد المجتمع، وهذا ما سنبرزه في هذا العنصر.

- المولد النبوي الشريف :

يُعتبر الاحتفال بشهر الأنوار شهر ربيع الأول الذي يُصادف ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم رمزاً وتقليداً للأمّة الإسلاميّة قاطبة، ولا يزال أهل الإسلام بشهر مولده صل الله عليه وسلم ويقيمون الولائم في سبيل ذلك[1]،

[1] - محمد بن عبد الرحمان السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، ج1، تح، نجوى مصطفى ولبيبة إبراهيم مصطفى، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، مصر، 2002، ص 55.

ويُظهرون البهجة والسرور، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويقيمون المواعظ في المساجد، ويعتنون بقراءة القرآن الكريم ويُظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم[1].

تكاد تتّفق المصادر التاريخيّة إلى أنّ المجتمع التلمساني احتفل رسمياً بالمولد النبوي في عهد حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني[2](760هـ/1359م)[3]، فقد تميّز احتفال أهل تلمسان بإيقاد الشموع الملونة وتوزيع الماء الورد في الصلاة، والهدايا المتنوعة، وأصناف من المطاعم والحلويات، ومن عادة المجتمع أنّهم يرتدون لباسًا من الحرير الملون، وإظهار الزينة والتّأنّق، ويحملون بأيديهم المباخر ومرشات يخرج منها دخان العنبر و في المنشآت الدينية والعلمية يَشرح لصغارها مغزى مولد النبوي الشريف من خلال تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي وُلِدَ فيه[4] إذ قَرَنَ الله عزّ وجلّ اسمه بأسمه وشرّفه على خَلقهِ فأجلّه بأن شق له من أسمائه مادلّ على كمال صفته ووسمه، إنّ هذا الاسم مشتق من أسمائه سبحانه وتعالى، وسُمي النبي صل الله عليه وسلم محمداً وأحمد بمعنى محمود أي يحمده الآنام[5] وما نستذل به في هذا الموضع ما ذكره التنسي في نظم الدر:

---

[1]- محمد بن عبد الرحمان السخاوي، المصدر السابق، ص 55.

[2]- هو أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان ين يحي بن يغمراسن بن زيان يبن ثابت (723هـ/1323م- 791هـ/ 1390م)، هو سابع ملوك بني زيان نشأ بتلمسان ثمّ اضطرته الظروف إلى أن يخرج منها ويُقيم لاجأً عند بني حفص بحاضرتهم، ثمّ تنقّل في بلاد الجريد بين القبائل العربيّة الموالية له ليستقر به الأمر في النّهاية إلى تلمسان ويدخلها عنوةً على أبو عنان المريني سنة (760هـ/ 1359م)، وكان رجلا شجاعا ذا مروءة وشهامة، للمزيد من التفاصيل في ترجمته يُنظر إلى: يحي ابن خلدون، **بغيّة الروّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، ج2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2001، ص 39. 16-15.

[3]- قويسم محمد ، **الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف في منطقة تلمسان خلال العهد الزياني** ،**مجلة الحوار المتوسطي** ،العدد 15 ، 2017 ،الجزائر ،ص 515.

[4]- محمد برمضان الشاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بنو زيان**، ج2، ديوان مطبوعات الجامعية ص ص 373. 387.

[5]- القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليَحصُبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج1، تح: عبد السلام محمد الأمين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص 236.

نَبِـيٌّ تَسَـمَا أَحْـمَدَا وَمُحَمَـدَا وَأَطْنَبَ فِيهِ الوَحْيُ بِالمدْحِ وَالجَمْـدِ

نَبِيٌّ جَمِيعٌ الرُّسـُلِ تَحْتَ لِـوَائـه وَقَـدْ خُصَّ فَضْلاً دُنَهُمْ يلِوَا الحَمْـدِ

كَـمَا خُصَّ بِالسَّبْعِ المَثَانِي كَرَامَـةً مِنَ الله وَهِيَ السَّبْعُ مِنْ سُورَةِ الحَمْـدِ[1]

ولم تكن هذه الاحتفالات حِكرا على مدينة تلمسان وإنّما امتدّت لِتشمل نواحيها من ندرومة وولهاصة وعين الحوت وبني سنوس ...الخ فكان الناس يُقيمون م مراسيم الاحتفال بعناية تامّة، قد تدوم حتى ليلة السابع من ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم وهو ليلة الختام وبذلك تفيدنا نوازل الونشرسي في هذا الصدد بقوله:" **ومنها ايقاد الشمع ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم وسابعه**"[2]، بعد ذلك ينصرف النّاس لأشغالهم قضاء حوائجهم، وتبدأ المراسيم كل منذ المساء بعد صلاة المغرب إلى حين وقت صلاة العشاء فيعبّر النّاس خلالها عن محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد الاستماع إلى المديح والقصائد يكون الليل قد اقترب فيؤتى بموائد الطعام، ومن مظاهر الاحتفال عند النسوة، أنّهن تجتمعن في بيوتهن ليردِّدْنَ المدائح الدّينيّة ويُحضّرنَ الحلوة التَّقَنَتَّةُ أو الطَّمِّينَةُ[3]، وأمّا الشعراء أو الصّوفية فينظمون القصائد الشعريّة في مَديح الرّسول صلى الله عليه وسلم تنظم صباحًا وتُلقى أمام عامّة النّاس[4]، وفي مثل هذه المناسبات كان الباي محمد بن عثمان الكبير يستدعي فئة العلماء من كل الأقطار من بينهم علماء تلمسان، لِيثني عليهم بالهدايا والعطايا، ويُنظّم معهم المجالس العلميّة للمناظرة في أمور الشرع ويقول في هذا الصدد أحد كتابه ومستشاره أحمد بن سحنون الراشدي:"...**والأعياد فإنّه كان يعلم فيها أهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين والمدرسين**

---

[1]- محمد بن عبد الله التنسي، **نظم الدر والعيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 198.

[2]- أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب** ،ج1 ، وزارة الشؤون الإسلامية لمملكة المغربية ،المغرب،1981 ،ص471.

[3]- أحمد مريوش، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** ،منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م الجزائر ،2007 ، ص ص 226.225.

[4]- الحسن الوزان، ج1،المصدر السّابق،ص 260.

..."[1] وبذلك تنجلي وتمضي ليلة المصطفى صلى الله عليه وسلم على هذا الأسلوب، فالاحتفال بهذه الليلة كانت قناعة راسخة في ذهنية المجتمع التلمساني وعقيدة دينيّة ثابتة ، مرجعيّتها القرآن والسنة خلافا لشيء آخر.

- **الاحتفال[2] بشهر رمضان:**

يُعتبر حلول شهر رمضان من بين الشّعائر والممارسات الدينيّة ا الهامّة للمجتمع التلمساني خلال العهد العثماني فهو شهر الرحمة والبركة والإيمان والمغفرة إذ يقول رَبُّنا عَزَّ وَجلّ في مُحكَمِ تنزيلهِ **"شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ و بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ"**[3] فيه فضائل جمّة جَعل من أهل تلمسان ونواحيها يعظّمونه وبنتظرونه كل عام موسم بغية الاحتفال والتبرك وتَرقّبّ ليلة القدر، فيظل الإنسان صائما من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، من جرّاء أوّل ليلة يظهر فيها الهلال، وعلى هذا المنوال سارت عوائد النّاس في تلمسان ونواحيها إلى آخر ليلة منه، وقد بين الونشريسي كيف كانوا يُعلنون عن حُلول هذا الشهر حيث يقول :**"إذ ثبتت الرؤية في إحدى القرى البادية يبادر القوم إلى إيقاد النار لإعلام القرى المجاورة برؤيته"**[4]، كما يرى الرحالة الألماني شلوصر أنّ الأتراك كانوا يعلنون عنه عن طريق طلاقات طوبجية عند الإفطار، وعند السحور كذلك[5] .إذ كان هذا الإعلان يتم نواحي الحوض الكبير سواء للإعلام عن شهر رمضان أو للإعلان بحلول العيدين وقد توارث هذا العمل إلى غاية الاحتلال الفرنسي للمدينة. وكانت ليالي رمضان في تلمسان تعبديّة وتهجّديّة، يواظب فيها المسلمون على الذكر وقراءة القرآن ومذاكرة السنّة النبويّة. ومن العادات الحسنة في هذا الشهر الفضيل عن التلمسانيين بصفة عامة مراعاة الجوار وتفقد الغريب بالصّدقات وتعدد

---

[1]- أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السّابق، ص 97 .

[2]- الاحتفال: الاحتفال من أقدم الممارسات الإنسانيّة التي تعضد المجتمع وتعمل على توثيق الروابط الاجتماعيّة، فمنذ البدئ الإنساني والاحتفال يرافق الديناميات والتفاعلات الاجتماعيّة، في إطار ترويض الجسد والتكيّف مع الطبيعة، وبالتالي هو عادة موسميّة ترتبط بدورة الطقوس الزمنيّة، للمزيد من لتفاصيل ينظر إلى: عبد الرحيم العطري، **بركة الأولياء بحث في المقدس الضرائحي**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، 2014مص 146.

[3]- سورة البقرة، الآية رقم 184 .

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، 471.

[5]- فندلين شلوصر ،**قسنطينة أيام احمد باي** 1832- 1837،تر تق: أبو العيد دودو ، وزارة الثقافة، 2007، ص 85.

الزيارات بين الأقرباء وممّا يذكره لنا موريس فاغنر الألماني " Moritz Wagner " جملة من الأطعمة التي كان المجتمع يتناولها عند الإفطار، إضافة الى توضيح تلك الأمسيات والسهرات الليلية، فيقول في هذا الشأن :"... أما طعام الصائمين في الليل من الكسكسي بالزّيت يضاف إليه اللحم المقلي والفواكه ،وبعد الفطور ينصرفون إلى سماع الموسيقى طيلة شهر رمضان، ويتسلون بمشاهد الرقص والعروض المسرحية والهزلية المتنوعة كعروض القرقوز...."[1] ،بالإضافة إلى أكلات الأندلسية كالفداوش والدشيشية [2]، ولا يخفى علينا أن الصبيان الذين يصومون أول يوم كانت تمنح لهم الهدايا[3].

في مُقابل ذلك، كان المسلمون في شهر رمضان يَقومون بقراءة صحيح البخاري الذي يحتوي على 7275 حديثًا، ويختم في اليوم السادس والعشرين من الشهر رمضان وفي اليوم ذاته يجتمعوا التلمسانيون في المسجد بعد صلاة الظهر ويصلون على النبي[4]، وعند إحياء ليلة القدر التي قال فيها الله عز وجلّ " ...." في هذه الأثناء يقوم إمام المسجد الكبير بتوزيع الشموع على المصلين ويجوبون بها البلاد وفي هذه الليلة دَأَبَ المجتمع التلمساني على الصلاة على النبّي والتّسبيح والاستغفار فهي تعتبر من أعظم الليالي منزلة وأكرمها فضلا، وفيما بعدها يزوروا الناس أولياء الله والصالحين لينتفعوا ببركاتهم[5] ، وفي أواخر الشهر يقوم الأغنياء بالصدقات على الفقراء والمساكين حسب ما ذكره دياغو دي هايدوا (وهو يقصد بها زكاة الفطر)[6].

---

[1]- أبو العبيد دودو، **الجزائر في عيون الرحالة الألمان(1830-1855)**، الشرطة الوطنية للنّشر والتوزيع ،الجزائر، 1975، ص ص 68.67.

[2]- فوزي سعد الله ،الشتات الأندلسي، المرجع السّابق، ص 402.

[3]- محمد جفيق ،**أجمل ثماني عادات رمضانية**، موقع مدونات الجزيرة 17.45.23. algeria blogs 17 oct 2021.

[4]- إبن حمادوش عبد الرزاق ،**رحلة بن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال** ،تق تح تع: ابو القاسم سعد الله ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،1983 ،ص 125.

[5]- إبن حمادوش عبد الرزاق، المصدر نفسه، ص 125.

[6] - Haedo Fray (Diego) , Topographie et Histoire générale Op، Cit, p 212.

– عيد[1] الفطر:

في هذا اليوم تَعُمّ قُلوب التلمسانيين الفرحة والبهجة والمسرّات وذلك بمناسبةِ حلول عيد الفطر، أو ما يسمى عند التلمسانيين (عيد الصغير)، والذي يعتبر أحد الأعياد المشروعة في الإسلام، وأشادت به السنّة النبويّة في الاحتفاء والاحتفال بهذا اليوم المبارك الذي يُعرف بيوم الجائزة، الذي يكون مباشرة بعد صيام شهر رمضان في أوّل شهر شوّال، لا شكّ أنّ هذه المناسبة كان يكثر فيها الصدقات وبيع الحلوى وتقديم الهدايا وتبادل التهاني والزيارات للأقرباء وصلات الرحم بنا في ذلك زيارة طلبة العلم لشيوخهم ومعلميهم واكرامهم ولو بالشيء اليسير تعبيرًا على الفرحة، وإظهاراً للوفاء لمقام الشيخ وما يدل على هذا داخل المجتمع التلمساني ماذكره يحي بن خلدون: " فلمّا داء عيد الفطر ابتعت سميدًا وعسلاً وقلت لعمّتي اصنعي لي مشهدة[2]، يُفطرها عندي رجل من الصالحين ففعلت والتمسته في النّاس بعد صلاة العيد" وبقيت هذه العادات إلى أن امتدّت لِتشمل العهد العثماني تتقاطع وتتشارك لتكون إشارة واضحة على تقاليد الفرحة في أوساط المجتمع التلمساني وما يؤكد ذلك بارحيس "... **احتفالات التلمسانيين بالمناسبات الدينيّة، ومنها مناسبة عيد الفطر فبعد صلاة العيد، يتوافد على المدينة الآلاف من الفرسان من مختلف القبائل المجاورة أي نواحي تلمسان، وذلك من أجل التباري وتقديم استعرضات**، ويذكر المؤلف، **"أنّ سكان المدينة في ذلك اليوم يتوجهون كلّهم إلى الميدان المخصّص لذلك خارج المدينة، وهم فرحين ويرتدون أجمل الملابس"[3].**

---

[1]– العيد: العيد في معناه الديني كلمة شكر على تمام العبادة، لا يقولها المؤمن بلسانه ولكنّها تعتلج في سرائره رضى واطمئنان وفي معناه الإنساني يوم تلتقي فيه قوة الغني وضعف الفقير على اشتراكية من وحي السماء عنوانها الزكاة والإحسان، وفي معناه النفسي حد فاصل بين تقييد تخضع له النفس واسكن إليه الجوارح، وفي معناه الاجتماعي يوم الأطفال يفيض عليهم الفرح والمرح ويوم الفقراء يلقاهم باليسر والسعة ويوم الأرحام يجمعها على صلة والبر ويوم المسلمين يجمعهم التسامح والتزاور، للمزيد من التفاصيل ينظر إلى محمد البشير الابراهيمي، **آثار الامام محمد البشير الابراهيمي**، ج3، ط1، جمع وتقديم، أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 479.

[2]– مشهدة، وهي فطائر تقليدية جزائريّة قديمة كانت تُقدّم للضيوف في المناسبات وتُعرف بالبغرير.

[3]– الغالي غربي ، المرجع السّابق، ص 176.

– عيد الأَضحى:

يُسمّى كذلك بعيد النّحر يأتي كل موسمٍ في شهر ذي الحجّة وكان له وَقْعٌ وحضورٌ داخل المجتمع التلمساني، لأنّه يرتبط أساساً بإحياء سُنَّةِ "إبراهيم" عليه السّلام وما يَترتبُ عن ذلك من فرحة القلوب وأُلفة النّفوس وتَجدّد أواصِرِ المحبّة، ومن عادات المجتمع التّلمساني قَبل حلول عيد الأضحى لاسِيَما في اليوم التّاسع من شهر ذي الحجة يصوم الكثير من النّاس هذا اليوم والمعروف "بيوم عرفة"، وقبل ذلك كان الناس يتهيؤون له ويستعدون بشراء الأضحيّة ويُعتبر العيد فُرصةً سَانحة للفقراء والمساكين يَخرجون فيه للطلب عن الصدقة، وهو ما دَأَبَ عليه التلمسانيين في هذا اليوم، فَفِي هذا العيد وبعد الفراغ من الصّلاة والخبطتين يَذْبَحُ الإمام أضحيته بيده خارج الجامع عند باب المسجد كما هو معروف عند المالكيّة ويَراه المصلون ثم ينصرفون إلى دِيارهم لذبح أضحيتهم وبعدها يقَع التّزاور والتعارف بين الأقارب والجيران أو العامة وصلة الأرحام تعظيما لشعائر الله فهو بذلك فرصة للربط الأسري[1] ، وفي هذا الإطار وضح لنا العالم الألماني جون هابنسترايت " John Habbinstrait " أجواء هذا العيد إذ كان يتم فيه تناول اللحوم مع العائلة أو مع الأقارب فهو[2] ،لمدة تدوم ثلاث أيام في المدينة و سبعة في القرى[3].

في مُقابل ذلك لا بدّ لنا من الإشارة أنّ أهل تلمسان عُرفوا كغيرهم من المغاربة باهتمامهم الكبير في تأدية فريضة الحجّ، حيث كان حُجّاج مَدينة تلمسان، عند قَصدهم للحرمين الشريفين، يجتمعون أمام المسجد الكبير ويَخرجون من باب تلمسان، فيقومون بزيارة أولياء الله الصالحين، أمثال: "السنوسي" و "سيدي بومدين " ثمّ يخرج الأهل والأقارب وسكان تلمسان، في بهجة وسرور لتوديعهم، بعد ذلك يَسير الموكب إلى أن يَصِلَ مدينة الجزائر لأخذ إذن من الديوان[4]، وعند عودتهم يزورون ضريح سيدي الداودي بن النصر ويَصطحب الحاج بدويه وأقاربه لقيام مراسيم الزيارة ويقضي ليلته

---

[1]– محمد بن رمضان الشاوش، المرجع السّابق،ص ص 378.377.

[2]– –ج.أو.هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ–1732م)** ،تر وتق، وتع ناصر الدين سعيدوني ،دار الغرب الإسلامي ،تونس، (د.ت.ن) .،ص 79.

[3]– Arsene Breteuil , **Algérie francaise histoire moeur**, **coutumes** ,industrie tomel paris ,1856.p369.

[4]– بالأعرج عبد الرحمان، المرجع السّابق، ص125.

تحت الضريح الذي تقام به حفلة، ممثلةً في تلاوة القرآن وذِكر الله وإطعام الفقراء والمساكين [1]، وفي جانب آخر وعلى ضوء ما ذكرناه آنفا، يقول محمد بن عبد الوهاب المكناسي لما أحاط رحاله بمدينة تلمسان سنة 1785م، وهذا بعد عودته من فريضة الحج، قد رأى ما كانت عليه المدينة من سوء الأوضاع المعيشة، وغلائها حتى دفع بذلك حكامها إلى استغلال متاع الحجيج فيقول في هذا الأمر:" ومن قله حياء حكام البلد وكثرة حرصه و إذاية العامة ، أنّ كل من يمر من حجاج بيت الله يقبض منهم شيئا معينا على أمتعتهم وحوائجهم من غير مبالاة جبر الله حال المسلمين...."[2] ، ومن هنا نستنتج أنّ مدينة تلمسان كانت ممرًا رئيسيًا لِطُرق الحجيج خلال العهد العثماني.

2.1 عند أهل الذمّة:

ولأهل الذمة احتفالات وطقوس دينية خاصّة بهم، يستحيل علينا أن نرسم صورة صحيحة عن الأسلوب الذي كان يسيرون عليه في عاداتهم واحتفالاتهم التقليديّة الدينيّة في تلمسان، باعتبارهم مكوّن رئيسي للمجتمع التلمساني أمثال اليهود، خاصّة في ظل نقص المصادر العلميّة التي أرّخت لذلك، وعليه سنعتمد التخمين مع الإستعانة ببعض الشذرات المثناثرة عنهم، حيث تذكر الكتابات التاريخية مُشاركة اليهود الذين شاركوا سكان المحليين في الاحتفال خصوصا الانتصارات في الحروب ،كالانتصار في معركة شار لكان على مدينة الجزائر سنة 1541م، وبالإضافة الى هذا زياراتهم للضريح نقاوة اليهودي الأندلسي بمدينة تلمسان ، خلال مرة كل سنة، وهي بمثابة تأدية الحج ، فتقام طقوس احتفالية تعبديّة، حيث كان يهود تلمسان يمارسون طقوسهم الدينيّة في خمسة معابد كانت منتشرة في المدينة، إلاّ أنّ وضعيتّها ومكانتها لا تختلف عن وضعيّة معالم المدينة التاريخية الأخرى[3].

2. الاحتفالات الاجتماعية:

حَضِيّتْ الاحتفالات الاجتماعية في مدينة تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، باهتمام كبير يَقِفُ لها كل من أفراد المجتمع، ولها مظاهر احتفالية خاصة في كل مناسبة مُعبرين عن فرحهم، وسعادتهم، ووئام، من بين هذه الاحتفالات :

---

[1]- محمد بن رمضان والشاوش، المرجع السابق ،ص 358.

[2]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي، المصدر السّابق، ص 331.

[3]- الغالي غربي، المرجع السّابق، ص 175.

1.2 الزواج :

يُشكّل الزواج رُكن اجتماعي خاص وهام في حياة التلمسانيين عامّة، وهو من الاحتفالات الشعبية لهذا المجتمع، الذي يتّسم بالطابع الذوقي وهو ما رأيناه في معظم الاحتفالات القائمة عند بني زيّان، لاسيما في عرض موائد الطعام وقرع الطبول والمزامير، بما في ذلك تنظيم حفلات موسيقية وغنائيّة التي غالبا ما تكون السلطة هي الجهة المشرفة على كلّ ذلك، فالزواج يعتبر من بين أهم النظم الاجتماعية وأساس تكوين الأسرة والمجتمع ،من خلال تنشئة الأفراد تحت سقف الرابطة الشرعية بين الجنسين والأمثال للمعايير الاجتماعية والدينية ،وعليه يكون الزواج أصل الأسرة وجوهر تكوينها ،فلا يمكن لأي علاقة بين الرجل والمرأة أن تصل إلى قداسة الزواج ما دامت هذه العلاقة لم تخضع لمبادئ وقوانين المجتمع ولهذا فإن الزواج هو الوسيلة الوحيدة التي تنظم حياة الفرد[1].

ومن شروط الزواج الخطبة، وعليها يتقدم الرجل إلى أهل المرأة قاصدًا الزواج من البنت والأمر الثاني وهو العقد ويتم بموافقة القاضي بعد موافقة الأب، ووجود شاهدين، وموافقة البنت والولد وتحديد الصداق ثم يدعوا الخاطب إلى قراءة الفاتحة بالمسجد ،والأمر الثالث وهو الصداق الذي هو مقدار من المال أو المتاع يقدمه الرجل للمرأة [2]كما قال ربنا عز وجل في سورة النساء:" وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً"[3].

يقول مارمول كاربخال عن هذه العادة: " فبعد مراحل الزواج المتعارف عليها، من خطوبة وما يتخلّلها من شروط وأعراف يأتي حفل الزفاف مركزاً على اسعاد الزوجان في ارتباط وميثاق غليظ، إلا أنّ تنظيم الأعياد والأعراس والفرش والولائم أقل بهجة وأناقة ممّا كانت عليه في فاس[4]، رغم تقارب المجتمعان في الكثير من العادات الاحتفاليّة. عِلاوة على ذلك يَتمُّ الاحتفال في تلمسان فقد وهو ما ذكره الحسن الوزان وما بينّه خلال القرن 16م، فهو نفس الاحتفال الذي يعيشه المجتمع التلمساني في الفترة المعاصرة، أو الفترة الراهنة إن صحّ التعبير، ويقول في هذا الجانب: "**أنّه إذا ما تم**

---

[1]- لبلق أسماء، **التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية** ،رسالة ماجيستر في علم الاجتماع الثقافي ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران 2 ،2015، ص 46.

[2]- مختار الحساني، **تاريخ الدولة الزيانية الأوضاع الاجتماعية** ،ج3،ط2009 ،منشورات الحضارة ،الجزائر ، ص ص201.199.

[3]- سورة النساء، الآيّة 04.

[4]- مارمول كاربخال، المصدر السّابق، ص ص 300-301.

العقد بالثقة ورضا الطرفين، استدعى الخاطب جميع الطرفين لتناول طعام الغداء معه، ويقدم لهم الفطائر والمشوي والعسل كما يستدعي أبو المخطوبة من جهة أصحابه لتناول الطعام معه"[1].

ويَستعرض المؤلّف بارجيس، تقاليد التلمسانيين بالاحتفال بالزواج، حيث يرافق العريس فرقة موسيقية في تنقلاته وتوقفاته، زيادة على عدد من الشعراء والموسقيين والمدعوين الذين يوصلونه إلى بيت الزوجية وهو مرتدياً اللباس التقليدي الأشهر عند التلمسانيين وهو البرنوس ، أمّا العروس كانت ترتدي لباس يسمى الشدّة التلمسانية هو عبارة عن لباس للمرأة فاخر مكلل بالحلي والمجوهرات ترتديه العروس يوم زفافها وقد تميزت به مدينة تلمسان بصفة خاصة والغرب الجزائري بصفة عامة وهو اللباس الذي ظل معروفا إلى يومنا هذا [2].

فعندما يذهب الزوج ليأخذ زوجته إلى منزله يدخلها أولا في صندوق من الخشب مثمن الأضلاع (يقصد به العمارية[3]) ومغطي بثياب جميلة من الحرير والديباج ويحمل الحاملون على رؤوسهم ويتكون الموكب من أصدقاء أبوي الزوجة والزوج مع المزامير والأبواق والطبول وحملة المشاعل العديدة، هذا ماذكره الحسن الوزا[4]ن.

وفي هذا الحفل تحضر الموسيقى على أنواعها وأشكالها، كالموسيقى الأندلسية[5]، إذا كان الزفاف عند أسرة موريسكية، ،وكذلك الموسيقى التركية عند حفلات الأسر التركية أو الكرغلية، والموسيقى البدوية في زفاف سكان

---

[1]- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص 254.

[2] - Lombay, g de , **En Algérie Oran_ Tlemcen**, Pari, Ernest Leroux 1893,p38.

[3]- العمارية، مستوحاة من اللهجة العامية، وهي مصممة على شكل هودج ملوكي منمق بالذهب أو الفضّة، تحمل عليه العروس في الأعراس، بحيث يقوم أربعة من الشباب بحمل العمارية فوق رؤوسهم يرتدون ثياب تقليدية ويقومون بالتمايل بالهودج على نغمات ومدائح تقليديّة، فتتعالى الزغاريد وتنتشر رائحة البَخور والعطور ومن حين لآخر تنثر العروس الزهور على الحاضرين تعبيرا على الفرحة، ولازلت هذه العادة متأصلة في الجزائر والمغرب.

[4]- الحسن الوزان ،ج2، المصدر السّابق، ص 256.

[5]- لموسيقى الأندلسية أو موسيقى الحضر : تعتبر الموسيقى الحضرية أكثر تنوعا وتنغما من موسيقى البدو ،حسب الذين درسوها ذلك أن معظم أنغامها حية، وهي أيضا تعزف بعدد من آلالات يفوق عدد آلات النوعيين الآخرين ،ومن جهة أخرى كان العزف يتم من ذاكرة وليس من نوتة يتعلمها العازفون،كما أنها قد بلغت من التعدد والتنوع إلى أن أصبحت لها الفرق الضخمة البالغة العشرين أو الثلاثين عازفا ويعود تاريخ ظهور هذه الموسيقى بمدينة تلمسان إلى وجود الأندلسيين بهذه المدينة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م وبفضلهم تأسست مدرسة موسيقية تدعى

الأرياف[1]. ولا يفوتنا الأمر في هذا المقام ، أن الإحتفال بالزواج، قد كان يدوم أكثر من سبعة أيام بالنسبة للطبقة البرجوازية عند المجتمع التلمساني كالأتراك، أو الكراغلة أو الأندلسيين، أما الطبقة المتوسطة أو الفقيرة فقد تكون أيام الاحتفال لا تتعدى يومين على أكثر. يبدو أنّ عادة الاحتفال بالزواج عند التلمسانيين، كانت على درجة كبيرة من البذل والعطاء والاحتفاء عن مختلف الأجناس، وهي ظاهرة عامّة خلّدت آثارها إلى اليوم.

تجدر الإشارة أيضا، إلى الرقص الشعبي الذي يعتبر من أبرز مظاهر الفنون الشعبية وأقدمها، رافق فيها الانسان التلمساني في احتفالاته وأفراحه، حيث تعددت الرقصات الشعبية في هذه الحاضرة وامتازت كل رقصة بميزتها الخاصّة، في طريق أدائها وفي لباسها وحتى في دلالاتها وايحاءاتها. نذكر على سبيل المثال لا الحصر، رقصة العلاوي التي تُعدّ الأكثر انتشارا في الجهة الغربية للجزائر خاصّة في تلمسان ونواحيها، وإلى ذلك يُشير عبد الملك مرتاض – العلاوي- " هي رقصة خاصّة بالرجال، ولا تؤدى هذه الرقصة إلاّ بصورة جماعية، ومن خصائصها الحركة القوية السّريعة والارتفاع والقفز على نظام معلوم، وهي مشهور في تلمسان"[2].

ورقصة العلاوي ليست وليدة الأمس القريب فقط، وإنّما هي وغلة في القدم، ويكفي أن نعلم أنّها كانت موجودة في القرن 12هـ/ 18م[3]، كما أيضا يُشير إبراهيم بهلول" هذه الرقصة كانت موجودة في عهد الحاج محي الدين أب الأمير عبد القادر، إذ كانت تعبيرا عن الانتصار في المعارك، فيتعاطى هؤلاء الجنود حاملين سيوفهم وبنادقهم في عروض متقنة، واثبين مرة على خط مستقيم، وأخرى على شكل دائرة، يضربون الأرض ضربات متتالية، بالرجل اليمنى

المدرسة الغرناطية المعروفة بالطرب الغرناطي و هو نوع من الموسيقى الأندلسية إنتقل الطرب الغرناطي إلى مدنية تلمسان بعد سقوط غرناطة سنة 1492م كما توافد العديد من الشعراء والموسيقيين الغرناطيين إلى مدينة تلمسان ، ومن أبرز شعراء تلمسان الذين كانوا يتغنون بشعرهم الملحون في تلمسان نجد الشيخ زناقي و بن مسايب وبن التريكي.للمزيد من التفاصيل ينظر إلى : كمال بن سنوسي، **الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان الشيخ العربي بن صاري أنموذجا** ،موفم لنشر والتوزيع ،تلمسان ،ص ص 40. 48.

[1]- أبو القاسم سعد الله ،ج2 ، المرجع السابق ، ص 440. 444.

[2]-عبد المالك مرتاض، **العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى**، ش. و . ن. ت، الجزائر 1981، ص 91.

[3]- قويدر قيداري، **تجليات التراث الشعبي من خلال وعدة" موسم" الأولى سيدي يحي بن صفية في منطقة أولاد نهار بتلمسان –مراسلة تاريخية وفنية، مجلة الثقافة الشعبية**، العدد50، جوان 2020، ص 131.

متبوعة باليسرى، يتوقفون تارة ثمّ ينطلقون إلى الأمام...ثمّ إلى الخلف في حركو اهتزازية مستمرة للكتفين، أي في سلسلة حركات تُسيّرها إشارة الرئيس[1].

2.2 العقيقة:

اعتاد المجتمع التلمساني في العهد العثماني على إحياء عادة العقيقة، فهي تمثّل بشرى سارّة تدخل على أفراد البيت البهجة والسرور، حيث أقاموا لذلك الأفراح كتقديم الهدايا لأهل المولود الجديد وتهنئتهم بالبركة ومشاركتهم أجواء الفرحة، وبمناسبة هذه العادة يتمّ إعداد المأكولات، بما فيها الحلوى بمختلف أشكالها. وعليه وبعد أن يرزق الزوجين بمولود جديد، يؤذن له في أذنه اليمنى، وبعد ذلك تُقام له أجواء احتفاليّة وحتّى في يوم ختانه، فيأتي الأقارب لِيباركون للأمّ، فاقّم لها الهدايا أو بعض الأموال والنقود كما هي العادة عند المجتمع التلمساني، ويدعون الله أن يكون الطفل من أهل الخير والصلاح[2]، وفي سابع يوم من ولادته يتمّ ذبح العقيقة عن المولود، ويحلق رأسه في اليوم ذات، وبعد بلوغ المولود عدّة أشهر من يوم ولادته يُختن في أجواء احتفالية ممتعة، وإضفاء عليها نوع من الغبطة والسرور وإعداد الوليمة لذلك، وعادة ماكان يُقدّم المدعوون نقوداً وهدايا للصبي على مايقاصيه من ألم.

وكذلك من المظاهر الاجتماعيّة الأخرى، الاحتفال بجني الكرز في فصل الربيع، ويقول المؤلّف عن هذه الاحتفاليّة، أنّها عبارة عن لقاء سنو، إذ يخرج فيها سكان مدينة تلمسان للترفيه واستنشاق الهواء العليل والتّمتع بمباهج الطبيعة. وقول أيضا أنّ العائلات في المدينة تخرج برفقة مواكب موسيقية تُنشد وتُغني، ويُضيف أنّ هذه الاحتفاليّة تستمرّ إلى غاية نهاية جنى الكرز، لِيضيف قائلاً أنّ من الأماكن الت يقصدها سكان مدينة تلمسان للترفيه والتّنزه، منبع الوريط، وضفاف وادي المفروش، حيث تتوفر المياه وجمال الطبيعيّة[3] .

يتّضح من خلال هذا أنّ سكّان تلمسان كانت علاقتهم بالطبيعة قويّة، وأنّ هذه الأخيرة كانت تحتل مكانة كبيرة في وجدان الموروث الشعبي التلمساني وهذا تدعمه النماذج الشعريّة التي استشهد بها المؤلف، لِشعراء يتغنون بالطبيعة وجمالها. وعليه يجب ألا نخفي مظاهر الترف والبذخ التي كانت تعيشها فئات وشرائح طبقة الخاصة من العثمانيين

---

[1]- إبراهيم بحلول، **فن الرقص الشعبي في الجزائر**، تر: أسماء سفاوي، ج1، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص 06.

[2]- أحمد مريوش، المرجع السّابق، ص 227.

[3]- الغالي غربي، المرجع السّابق، ص 177.

والكراغلة وحتى الحضر، والتي تعتبر من سِمات الحياة الاجتماعيّة، وفي مُقابل ذلك كانت العامّة من الناس تعاني الفقر والعوز، وهذا التفاوت الطبقي الحاد والصارخ الذي كان عليه مجتمع المدينة.

رابعا: اللّهجات التلمسانيّة:

سنحاول من خلال هذا العنصر عرض مفاهيم اللهجة وخصائص منطوق تلمسان ونواحيها ومستوياتها وأبعادها من خلال استنباط بعض المواصفات التي تمتاز بها لهجة تلمسان ونواحيها لكونها مدينة عريقة، كما أطلق عليها اسم مدينو الفن والتاريخ لما ساهمت به في الحفاظ على التراث الإسلامي الجزائري، وتعاقبت عليها عدّة دول فتأثرت وأثّرت.

1. اللهجة:

– لغة:

إنّ اختلاف الألسنة بين النّاس من سنن الحياة وطبيعة تفرضها الطبيعة الاجتماعية وما تقتضيه من تفاوت في مستوى الاستعمال وحاجاته تبعا لحاجة الناطقين بها، يقول جلا في علاه" ....."[1]، حيث أخدت اللهجة عدّة معان واشتقاقات، فجاء في معاجم اللغوية " لهج": لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج، كلاهما أولع به واعتاده، ويُقال فلان مُلْهَجْ بهذا الأمر أي مُلع به[2].

وهناك من يَرى أنّ اشتقاقها مأخوذ من قولهم: لهج الفصيل يلهج أمّه، إذ تناول ضرع أمّه يمتصّه، ولهج الفصيل بأمّه إذا اعتاد رضاعها فهو فصيلُ لاَهِجٌ[3].

واللهجة هي لغة الإنسان التي جُبل عليها واعتادها ونشأ عليها وقد أطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها.

---

[1]– سورة الروم، الآية، 22.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ج2، الصدر السّابق، ص 359.

[3]– عبد الغفار حامد هلال، **اللّهجات العربية القديمة، نشأة وتطوّرًا**،ط2، مكتبة وهبه، القاهرة، 1993، ص 32.

- **اصطلاحا:**

يُعرفها "ferguson" بأنّها مجموعة من تنوّع لغوي أو أكثر تشترك في سمة أو مجموعة من السمات تبعدها عن التنوعات الأخرى للّغة، وتعامل على أنّها واحدة، على أسس لغوية أو غير لغوية[1].

أما إبراهيم أنيس فيعرفها بأنّها" بأنّها مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع هه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدّة لهجات، لكل منها خصائصها ولكنّها تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسّر اتّصال أفراد هذه البيئات ببعضهم البعض[2].

تُعدّ مدينة تلمسان ونواحيها من بين المدن الجزائرية العريقة التي أتبت لها التاريخ وجودا ودوّن لها حضارة وازدهارا، وقد سميّت بجوهرة المغرب العربي وبغرناطة افريقيا نظرا للرياض والبساتين التي كانت بنواحيها والمياه التي كانت تنساب بسواقيها، كما حفّتها يد الخالق بأشجار كثيرة وثمار متنوعة وهواء رطب فجلبت إليها كثيرا من طلاّب العلم وأهل المعرفة وأوى إليها عدد كبير من التّجار وأصحاب الحرف والفنون وذلك في معظم فترات تاريخها سيما الفترة الحديثة من التواجد العثماني، ممّا أدي إلى تداخل العادات وتشابك التقاليد واختلاط اللغات واللهجات وتباينها.

ممّا لاشك فيه أنّ الخصائص اللغوية التي تميّز لهجة تلمسان إنّها اكتسبتها هذه المنطقة (تلمسان ونواحيها) من خلال امتزاج سكّانها بالشعوب والقبائل التي استوطنت فيها أو ملكتها وانصهرت معها، ممّا صاحب ذلك بروز أشكال لسانيّة ومميزات لهجيّة قلّ ما نجدها ف منطقة أخرى من لجزائر.

لتوضيح ذلك بات من الضروري أن نُعطي لمحة تاريخية للمجتمع التلمساني استنادا إلى ما سبق وتماشيا مع ما تمّ ذكره في الفصل الثاني من هذه الدراسة من أجل فهم الأسباب التي تقف وراء التغيرات الفونولوجية التي نتطرق إليها من الجانب التطبيقي بالوقوف مع ما جاء في أشعار بن تريكي وبن مسايب وغيرهم.

وحيث أنّ الثابت، في تقديرنا، نجد أنّ اللغة العربية – لغة القرآن الكريم- بعد أن أصبحت لغة أهل تلمسان مند الفتح الإسلامي المبكّر، ثم على يد الهلاليين وخاصة منهم قبائل نهيك وعبد منافة وربيعة ورياح وزغبة وندرومة وبني

---

[1] - Absence of copula and notion of simplicity, A study of normal speech, baby talk, foreigner talk and pidius, ferguison,1971,p64.

[2]-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة أبناء وهبه حسان، القاهرة، 2002، ص 11.

سنوس وبني صميل، قد امتزجت بها ألسن أهاليها كثير من المفردات اللغوية وبعض الخصائص التي حملتها الأقوام المتعددة التي عاشت في هذه المدينة ونواحيها خاصة الفترة العثمانية، ونتيجة لذلك نجد في هذه اللهجة مزيجا من المفردات البربرية والأندلسية والاسبانية خلال هذه المرحلة فبعد دراسة اللسان التلمساني والتراث الشعري والشعبي للمنطقة أكّدت عديد الدّراسات الأكاديمية عمق التأثير الثقافي الأندلسي في تلمسان ونواحيها، وقيل أنّ الأشعار الشائعة في تلمسان التي سنتطرق إليها في عناصر هذه الدّراسة بما فيها الأشعار الغنائية على غرار التَّحْوِيفات[1] والحوزيَّات، لها شبه شَبه كبير بفن الزَّجل الأندلسي. وذلك، فضلا عن اللهجة التلمسانية المحلية التي تتشارك مع أطلال اللهجات الأندلسية التي اجتمعت وتلاقحت فيما بينها في غرناطة آخر ممالك المسلمين في إسبانيا، ففي تلمسان يُنطق حرف ت: "تْسَ" كالقول "مَاتْسْ"ؤ بدلا من "مَاتْ" ويصبح حرفا "ظ" و "ض": "ط"، كالقول "طَرْبُهُ" بدلاً من " ضَرْبُه" كما هو الحال في منطقة ندرومة وماجاورها وفلاوسن، و يُنطق حرف "ق": "أ"، كالقول "آلْ لِي" بدلاً من " قَال لِي". ولا تخلو تلمسان من أسماء حَومات وأحواز مُتشابهة التّسميات مع نظيرات لها في الرّبوع الأندلسية بشكل مُثير لا يمكن إرجاعه للصُّدف، ولعلّ من أكثر هذه الأسماء شُهرة حي " بني جَمْلَة" التلمساني مسقط رأس الشاعر أبي مدين بن سهلة الذي واكب الوجود العثماني في تلمسان، حيث تذكر المصادر أنّه يوجد مَثيل له في إسبانيا الأندلسية قبل أن يتم تحويره وتكييفه مع اللغة الاسبانية منذ قرون، بعد رحيل المسلمين، ليتحوّل إلى " بني جَمْبَلَة" Benigembla وهو اليوم بلدة كاملة في منطقة القَنْتْ (آلِيكَانْتِي) Alicante تقع في إقليم بلنسية في الشرق الإسباني[2].

ومن زاوية أخرى مازال ضريح سيدي الحلوي شاهدا حيث أنّه احتضن وقائع المغامرة الرومانسية التي خاضتها شخصية أخرى لامعة تنحدر من أصول أندلسية وتتمثل في الشاعر محمد بن سهلة، ففي هذه المغامرة الواقعية، صادف

---

[1]- كلمة التَّحْوَاف، ذاتها كانت من العبارات الشائعة في لهجة أهل غرناطة في الأندلس، حسب قاموس بِيدرو دي آلْكالاَ، وهي اليوم مشتركة على الأقل بين عدّة مناطق كتلمسان وندرومة وجيجل التي احتضنت جميعها عددا هاما من الأندلسيين والموريسكيين اللاجئين والمهاجرين بالنسبة لويليام مارسي، قد يكون معنى يحوَّف هو الذهاب إلى حواف المدينة، أنظر :

- William Marcais, **Textes arabes de Tanger Transcription**, traduction annotée glossaire, Tome quatrième. p274

فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي...، المرجع السابق، ص 206.

[2]- نفسه، ص ص 207- 208.

الشاعر " قَاطِمَة الهَمَّيَّة" كما وصفها بنفسه بعبارات جميلة ورقيقة في أغنيته الشهيرة " **يَوْمْ الخَمِيسْ آشْ أَدَّانِي، لَقَيْتُ فَاطِمَة مَصْبُوغَة الأَشْفَارْ...**" التي كان مستعدا لأن يبذل من أجل الفوز بحبها كلّ كنوز " خزائن العثماني"[1] على حدّ قوله، وقد أصبحت أغنيته من أكثر الأغاني شعبيّة في أواسط الشباب الجزائري في تلمسان ونواحيها والجزائر بصفة عامة، ولم تتراجع شعبيتها[2].

وبناءا على ما ذكرناه سابقا حتى لهجة ندرومة تتميّز بطابع حَضَرِي، وتَحمل في طيّاتها بصمات اللسان الأندلسي، وإلى غاية القرن التاسع عشر 19م لم يكن ممكنًا مصادفة مثل هذه اللهجة في غير ندرومة في منطقة الغرب الجزائري باستثناء أكبر حاضرة هي تلمسان أو منطقة فلاوسن[3] التي تبعد عن مدينة ندرومة بنحو 20كلم من الجهة الشرقية لها ، وإلى حدّ ما الغزوات ومْسِيرْدَة والتي تتشارك جميعها في أنّها آوت اللاجئين الأندلسيين ، لكنّ سكّان ندرومة لهم خاصيّة إضافية على المستوى اللساني تتميّز في نطقها حرف الضاد (ض) تاءً، ونفس الشيء بالنسبة لحرف القاف، هذه الخاصيّة نجدها عند سكان بلنسية وكتالونيا في شرق إسبانيا، حيث يتميّز لستنهم بالخاصيّة ذاتها عندما يتحدثون بلغتهم حيث أنّهم لايقولون للجامعة أُونِفِرْسِدَادْ (universidad) كما وهو الحال في اللغة الإسبانية المنحذرة من القشتالية القديمة بل (أُونِيفِيرْسِتَات)، هذا التمازج والتماثل يسمح بالإستنتاج أنّ موريسكي ندرومة ينحذرون من منطقتي بلنسة وكتالونيا[4].

وجدير بالذكر أنّ البصمات الأندلسية في مجال اللهجة التلمسانية مازالت حية إلى اليوم، كما ستأتي الإشارة إليها، من خلال الشولهد المادية في مجالات الحياة التلمسانية، ونافلة القول أنّ تلمسان كانت ولازالت دوما محطّة انصهرت فيها أقوام كثيرة، ظهر جليا أثر ذلك كلّه على لهجاتها ومنطوقها.

---

[1]- يُقصد بها خزائن وأموال السلطان العثماني الذي كان في ذلك العهد سيّد الدنيا...

[2]فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ص ص 211- 212.

[3]-المستشرق الفرنسي وليام مارسي لاحظ التقارب الكبير بين لسان التلمسانيين والندروميين وتباينه الواضح آنذاك مع لسان المناطق المحيطة بها التي طغى عليها اللسان البدوي حيث قال " إنّ لسان تلمسان يُضاف له نظيره الندرومي هو اللسان الوحيد في إقليم وهران الذي يتوفر على خصوصيات اللسان الحضري، وفي جميع بقية مدن إقليم وهران، رغم مايبدو في ذلك من غرابة يتحدث النّاس بلسان بدوي، ينظر إلى:

William Marcais, Le dialecte arabe parle à Tlemcen Grammaire textes et glossaire Paris, Ernest, 1902,p 8.

[4]- فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 243.

خامسا: الوضع الصحيّ بمنطقة تلمسـان

يعدّ الاستقرار السّياسي والازدهار الاقتصادي والنّمو الاجتماعي لأي مجتمع، واقف على مدى قلّة الحروب والفتن والاضطرابات الداخلية، والكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة بذلك المجتمع، هذا التّصور العام للمجتمعات بصفة عامة. ومن بوابة التاريخ مع العصر الحديث في العهد العثماني، في إيّالة الجزائر على وجه العموم، إذ تعرضت هاته الأخيرة إلى جملة من الموجات الوبائية والأزمات الصحيّة خاصة في القرنين السادس عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ممّا أثّر ذلك سلبا على واقع التركيبة الاجتماعية من خلال نمو السكان، والبنية الاقتصادية لإيالة الجزائر، حيث ساعد ذلك على ذلك على تدهور وتردي الأوضاع الصحية فانتشرت الأوبئة الفتاكة التي كانت لها وقع كبير استقرار البلاد في كل المجالات والقطاعات. والدّارس لتاريخ مدينة تلمسان على وجه الخصوص عبر مختلف المحطات والحقب التّاريخيّة وفي العصور الحديثة على سبيل التّحديد سيجده لا محال يتخبّط في دوّامة الظروف الطبيعيّة والمناخية من أوبئة وجوائح وكوارث صحيّة، التي كانت تهدد الحياة الاجتماعيّة لسكّانها طيلة التّواجد العثماني بها من القرن 10هـ/16م حتى القرن 13هـ/19م، وهو المجال الزّمني المحدّد لهذه الدّراسة، وهو ما سيأتي الحديث عنه في هذا المجال.

1. الوضع الصّحي:

1.1 الأمراض والأوبئة:

لقد سجلّت المصادر التاريخية هذه الحقائق والوقائع المؤلمة، أين تعرضت الجزائر بمدنها وأريافها للعديد من الأوبئة والأمراض المتكررة، التي فتكت بأعداد كبيرة من النّاس، ومن أخطر تلك الأمراض التي تعرضت لها البلاد: الحمى بمختلف أنواعها، الطاعون، الكوليرا، الجدري، التيفوس، داء الملاريا وخاصة بالأهالي القاطنون المستشفيات، فكانوا أكثر عرضة لهذا المرض[1]. في المقابل تأرجحت آليات السلطة العثمانية في التعامل مع هاته الأمراض مابين الصرامة تارة

[1]- عبد الله بن محمد العياشي أبو سالم عبد الله، ماء الموائد والمعروف بـ: **الرحلة العياشية إلى الدّيار النورانيّة 1661– 1663م**، تح: يعد الفاضلي وسليمان القرشي، ج2 ،ط1 ،دار السويدي للنشر والتّوزيع، الإمارات العربيّة المتحدة، 2006، ص 93.

- فلة موساوي القشاعي، **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518–** 1871، منشورات بن سنان، الجزائر، دون تاريخ نشر، ص 253.

والاستهتار تارة أخرى [1].ضف إلى ذلك ضعف المنظومة الصحيّة في الجزائر في الفترة العثمانية، بحيث اجتمع أغلب الباحثين والمؤرخين على ضعفها مقارنة مع الإمكانيات الصحيّة التي كانت تتمتع بها أوروبا، على اعتبار الاهتمام بالجوانب العسكرية على حساب المجالات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي، فإنّ مجابهة الأوبئة المختلفة في هذه الإيالة لم تتضح معاملها من خلال المصادر التاريخية[2].

أمّا عن وضع الطّب والعلاج والأطباء بالجزائر، فلعلّ أصدق تعبير ما ذهب إليه الطبيب الرحالة الإنجليزي توماس شو"**Dr thomas shaw** " الذي زار الجزائر خلال القرن 12هـ/ 8م وتلمسان وأكّد تدهور وضعيّة الطّب بالجزائر، كما في بقية الولايات العثمانية، وخلص إلى القول: أنّ " **الطّب لم يكن يسير وفق قوانين معيّنة أو مدارس، بل كان يعتمد على ما ألفه العرف** " ولكنه اعترف بقدرة بعض الأطباء الجزائريين على المعاجلة ببعض الأعشاب [3]. "أما عن عدد المشتغلين بالطب في الجزائر فهو قليل، إلى الحد الذي جعل بعض الرحالة الأوربيين يجزم بعدم وجود طبيب واحد بالجزائر من ذلك لوجي دوتاسي "**Laugie de tassy**"الذي زار الجزائر سنة 1724م، وذهب إلى أنّ:" العرب لا يعرفون طبيبا غير الطبيعة "، وأنّه " لا يوجد أي طبيب لا في مدينة الجزائر، ولا في أي ناحية من المملكة[4]، ولكن الحكم ليس على هذا الإطلاق فالواقع على الرغم من عدم وجود أطباء متخرجين من مدارس طبية، فقد وجد بعض الأطباء التقليديين المهرة، الذين أحرزوا نجاحا في معاجلة بعض الأمراض بالطرق التقليدية البسيطة، في مقابل ذلك لا يمكن والإقرار بأي حال من الأحوال ما ذهب إيه آراء الأجانب الذين كتبوا حول هذا الموضوع بالنظر إلى طبيعة العصر، وذهنية المجتمع، وطبيعة الحكّام، لأنّه رغم ذلك لم يخل الأمر من مساهمات فاعلة من طرف علماء جزائريين، أين تركوا لنا مصنفات علميّة طبيّة في هذا المجال، شهد لها الأوروبيون أنفسهم. وفي موضعٍ

---

[1]- غراف هجيرة، **السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية**، المجلد 7، العدد 02، تلمسان، الجزائر، جويلية 2020، ص 150.

[2]- غراف هجيرة، المرجع السابق، ص 153.

[3] - -L'algérie un siècle avant l'occupation française (au 18 ème siècle), tèmoignage de Shaw. Traduit par :j .Mac.Carthy. paris:Editione lmprimerie de carthage)2 e èd) ,1968.p:48.

[4] Laugier de Tassy,**Histoire du royaume l'Alger** Paris:Editions loysel,1992.p:82.

آخر، فقد أَورد الحسن الوزان في بداية القرن السادس عشر أنّ العلوم الطبيّة كانت تدرس في تلمسان بمدارس مدينة تلمسان، وهناك إقبال من جانب الطلبة على دراسة هذه العلوم حيث يقول " **وكثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد، سواء في الشريعة أو في العلوم الطبية وتتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة**[1].

وهو الامر الذي يدفعنا ويقضي منّا توضيحه في طروحات إشكالاته، التي نسعى من خلالها تفسيير الأوضاع الصحيّة في مدينة تلمسان و تمظهراتها في نواحيها وأحوازها إبّان العهد العثماني .

في سيّاق هذا الحديث، تعرضت تلمسان ونواحيها هي الأخرى إلى سلسلة من الأمراض والأوبئة التي فتكت بالمجتمع التلمساني، فلم تكن هذه الأخيرة خاليّة من هاته الآفات المختلفة والكوارث الطبيعية، أدّت إلى زعزعة استقراره الاجتماعي والاقتصادي بتناقص السكان في الأرياف والمدن، فقد كانت الحالة الصحيّة والمعاشية للمجتمع التلمساني لها تأثير حاسم على الوضع الديمغرافي للمدينة والريف (نواحي تلمسان) على حدّ سواء. إذ عرفت هذه الحاضرة نزيفًا ديموغرافيًا خطيرًا، نتيجة الأوضاع الصحيّة والمعيشيّة المزريّة منذ بداية القرن الثامن عشر[2].

وعن تفاصيل هذه الأوضاع تُشير العديد من المصادر المحلية والأجنبيّة عن وقوع الجوائح والأوبئة بكثرة في تلمسان خلال العهد العثماني، وفي هذا السيّاق يُشير " ابن مريم التلمساني " في مؤلفه "البستان " إلى الطاعون الذي حدث سنة 981هـ/ 1579م، والذي أدّى إلى وفاة عدد من العلماء والصلحاة فضلا عن عامّة الناس[3] في ذات السيّاق أشار الرّحالة أبو القاسم للزياني التي كانت له نيّة الاستقرار في تلمسان إلاّ أنّه عدل عنها بقوله " **ثُم بعد إقامتنا بها سنةً ونصفها، خَرجنا منها إلى مَدينة الجزائر، فِرارًا من الوباءِ الذي حَلَّ بها وكان عامًا في العمائر التي بينها وبين الجزائر، فَما نَزلنا منزلا إلاَّ وَجدنا أَهله يدفنون موتاهم**" [4]، وهذا يدلّ على أنّ الوباء خلّف عدداً كبيرًا من

---

[1]- الحسن الوزان، ج2، المصدر نفسه ، ص 20.

[2]- محمد بن عدي، الحياة الاجتماعية بتلمسان، المرجع السّابق، ص 456

[3]- ابن مريم، البستان...، المصدر السّابق، ص ص 264- 286.

[4]- مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، صؤ 168.

الضحايا. وعلى ضوء ماتقدّم يذكر لنا صاحب "كعبة الطائفين" بقوله: "...، **نذكر من فقدناه من الأخلاء العلماء**[1] **بالوباء سنة ثمان وخمسين (1058هـ/1745م)، وفيمن ذكرت قلت:**

ذَهَبَ الخِيَـارُ وَغَـابَ عَنِّي خِيَّارُهُـمْ وَبَقِيتُ فِي خَلْفِ آتَرَاهُـم يَخْلُف!

فرَّق الوَبَـاءُ عِصَـابَةٌ فَتَفَارَقُـــــوا وَتَلَاحَقُوا وَتَحَقَّقُوا مـاأَسْلَفُـــــوا

شَهِدْتُ عَلَيْهِم شَهَـادَةً بِشَهَـــادَةٍ وَمَفَازَةً وَرَزَانَـةً مَـا طَفَّفُـــــوا[2]

ومن هذا المنطلق، فخلال سنة 1798م اجتاح الطاعون مدينة تلمسان ونواحيها، ثمّ امتدّ إلى المغرب إلى غاية 1804م[3]، ليعود مجددًا إلى وهران في 23مارس 1799م من خلال وفاة أحد الحجاج الأربعة عشر القادمين على متن سفينة تركيّة بعد وصولها في 17 مارس[4]، وقد أكّد وجود هذا الوباء أحد الأطباء المحلّيّن، وأشارت الدّراسات إلى

---

[1]-في هذا المقام، يُمكن الإشارة على عالم من العلماء الذي كان أحد ضحايا هذا الوباء ويتعلّق الأمر بـ: **محمد بن عيّاد الراشدي (ت 964هـ/1556م)**:

محمد بن عيّاد الراشدي العمراني الشريف التلمساني، العالم الفقيه النحوي الأصولي الصوفي، أخذ عن الشيخ الولي الصالح سيدي محمد بن يحي أبي السادات مختصر ابن الحاجب الفرعي ورسالة بن أبي زيد القيروان، والفقيه ابن مالك والحساب والتلمسانية والعروض، وأخذ على الشيخ شقرون الفقه والتوحيد والتصوّف والبيان والمنطق والحساب والفرائض، وقرأ على يحي السلكسيني ألفية ابن مالك وابن البنا والتلمسانية وكان شاعرا ماهرا، كما برز أيضا في علم الحديث الذي أخذه على أبي السادات. توفي عام أربعة وستين وتسعمائة (964هـ) في الوباء الذي ضرب تلمسان. . للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى : عبد المنعم الحسني، أعلام التصوّف في الجزائر، المرجع السابق، ص 350-351.

[2]-محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجازولي، المصدر السّابق، ج2، 03.

[3]-محمد الأمين البزّاز، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1992، ص 53.

[4]-في سياق الحديث عن الأوبئة تجب الإشارة إلى طرق وصول الأوبئة إلى إيّالة الجزائر عامّة وتلمسان خاصّة، فعلى سبيل المثالا الحصر عن طريق السُّفن التّجاريّة من مختلف الميناءات، وكذلك سفن نقل الحجّاج، خاصة من الأسكندريّة، فضلا عن تنقلات التجار والعمّال. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: صرهودة يوسفي، **سياسة السلطة والمجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في إيّالة الجزائر خلال القرن 18-19م**، **المجلّة التاريخية الجزائريّة**، مج 06، ع01، 2022، 250.

- لوسات فلنزي، **المغرب العربي قبل الاحتلال (1790- 1830)**، تع، حمادي الساحلي، سراس للنشر، تونس، 1994، ص 29.

أتّ هذا الوباء كانت تنتشر بشكل رهيب، حيث تسجّل في اليوم 15 ضحيّة، ثمّ ارتفعت وتيرتها وانتدّت إلى المدن المجاوة خاصّة تلمسان[1]، فحسب الإحصائيات مع بداية الاحتلال الفرنسي لم يتجاوز عدد سكّان تلمسان 15000نسمة، بينما كانوا 25000 نسمة[2].

ومن جهة أخرى، لا يُمكن لنا أن نستبعد المصادر الماديّة المكتوبة – الآثار، شواهد القبور–، ونحن بصدد الحديث عن تاريخ الأوبئة والأمراض في مدينة تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني، وذلك مَرجعه عن افتقار المصادر الأخرى وسكوتها عن هذا النّوع من الدّراسات، وبناءًا على ذلك، اعتمدنا على بعض البحوث التي ارتكزت على شَواهد القبور واللوحات الجدارية التي سجّلت وأسّست لنا معلومات تاريخيّة قيّمة، باعتبارها سجلاً ثريًّا وخزّنًا في هذه الدّراسة، من شأنها الإفادة في البحوث التي تبحث في دّراسات العلوم الاجتماعية والانسانيّة. فقد ورد نماذج من ضحايا العائلات التلمسانية التي تعرضت إلى هذا الوباء في شواهد قبورهم، وجاء منها: **" هذا قبر الجليلة الشريفة الح، يبة أمة الله فاطمة بنت الشريف الحسن مولاي محمد بن سجلماسي، توفيت بالوباء، رحمة الله عليها، عام ثلاثة عشر ومايتين ألف"** (1213هـ/1799م)، [3]كما ورد ذكر عائلة أخرى، كما جاء في الشاهد **" هذا قبر الجليلة الأصيلة أمة الله السيدة فاطمة بنت الطالب، الأديب السيد محمد بن عبد الكريم، توفيت بالوبا رحمة الله عليها في شهر ربيع النبوي سنة أربعة عشر ومائتين بعد الألف"**. (1214هـ/1800م)[4]، لنتأكد على ضوء هذين الشاهدين، أنّهما قد عاصرتا فترة من أزهى فترات الوجود العثماني في بايلك الغرب وهي فترة حكم الباي محمد الكبير، ولكنّها اتّسمت في أواخرها باللحظات العصيبة بسبب تفشّي مرض الطاعون الذي شهدته إيالة الجزائر سنة 1207هـ/1792م وَ 1208هـ/1793م، ويتجلّى أنّ صاحبة هذا الشاهد كانت أحد ضحاياه وعاصرتا هاته

---

[1]–محمد الصديق بولغيث، **المجاعات والأوبئة وانعكاساتها على الوضع الديموغرافي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مجلة عصور جديدة**، المجلد11، العدد 01، الجزائر، مارس 2021، ص 371.

[2]–نفسه، ص 371.

[3]– يحياوي العمري، **الأوبئة في العهد العثماني في تلمسان من خلال شواهد القبور** – دراسة لبعض النماذج–، **مجلة الساورة للدّراسات الإنسانيّة والاجتماعية**، مج 07، ع 02، ديسمبر 2021 ص 135.

[4]– نفسه ص 136.

الأخيرتين فترة قصيرة ولاية ابنه "الباي محمد عثمان "سنة 1214هـ/1800م. كما وقد أطلعتنا شواهد هذه القبور على ضحيّة أخرى لهذا الوباء هذا نصّه: **" هذا قبر الشريف الحسن مولاي محمد بن الشريف الحسن بن مولاي الحاج مدين بن مولاي، توفي بالوبا، رحمة الله عليه عام خمسة وثلاثين ومايتين بعد الألف"** (1235هـ/1821م)[1].

على ضوء ماتقدّم يُشير المشرفي هو الآخر إلى وباء الكوليرا الذي ضرب مدينة تلمسان ونواحيها م في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومنع السكان الخروج في جنائز لدفن موتاهم بهدف تفادي الإحتكاك بين السّكان خلال هذه التّجمعات ، وبالتالي انتقال الوباء وانتشاره[2].

2.1 المجاعات:

لقد تَدهور الوضع المالي في إيّالة الجزائر نتيجة المجاعات المتُعاقبة من خلال عجز مصادر الدّخل على تغطية نفقات سنوات القحط والجفاف، والتي كان لبايلك الغرب الجزائري نصيب وافر منه.

وما يُمكن الإشارة إليه في هذا المقام، أنّه وفي ظل الأوبئة والأمراض التي عرفتها تلمسان خلال العهد العثماني، صاحبها أيضا ظهور المجاعات التي تكررت من الحين إلى الآخر عبر فترات زمنيّة مختلفة، فتارة تنقطع وتارة تزداد حدّتها وتتفاقم شدّتها/ ممّا كان له انعكاس واضح على الوضع الاقتصادي فيهذه الحاضرة[3].

كما وقعت في زمن محمّد المقلش مجاعة أثّرت على أهل تلمسان حتى قامت حرب بين الكراغلة والحضر، فتدخل الباي بإحضار 900جمل تحمل القمح الذي صودر من مطامير بني عامر إثر مشاركتهم مع ابن الشريف الدرقاوي في ثورته ضد البايلك[4]، حيث يذكر عنها المزاري: " **لا حادثة أشد في أيام الباي المقلش من الغلاء المفرط**

---

[1]- نفسه ص 140.

[2]- حمدادو بن عمر، **أدبيّات الأوبئة والأمراض ببلاد المغارب من خلال كتب الرّحالة والأجانب**، **مجلة آفاق فكريّة**، مج 09، ع 02، الجزائر، 2011، ص12

[3]- نفسه، ص 08.

[4] -Esterhazy, De la domination, Op Cit, p 208

وفناء الناس[1]" ، وفي منتصف سنة 1827مفي فترة حكم الباي حسن " وقع غلاء عظيم وقحط في الناس إلى أن صار الباشا يفرق الخبز صغيرا كالرغيف على الناس فسمي العام بعام خبز الباشا[2]، وهذا يُؤكّد تدهور الوضع الاقتصادي وعجز الكثير من السكّان في ظل الفقر وضعف القدرة الشرائية على اقتناء المواد الغذاءية الضرورية كالقمح ...الخ. وتمثل المجاعات من الأحداث التي وثّقها "مسلم بن عبد القادر" في كتابه " أنيس الغريب" عند وقوعها في تلمسان، بقوله: " **حتى أكل أهل تلمسان لحم الميتة والدّم...**"[3]

3.1 طرق الوقاية والعلاج:

ومن جانب آخر، وممّا دأب عليه علماء تلمسان في ميدان الطبّ والتّطبيب على حد سواء هو أن كلمة " حكيم " بدل "الطبيب" هي الرائجة والشائعة في أواسط المجتمع التلمساني خلال هذه الفترة، وكانت محل احترام وتقدير عند العامّة من النّاس، ومن الأطباء التلمسانيين نذكر: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز بن عزوز المراكشي التلمساني[4]، الذي أظهر المقدرة الفعّالة في مواجهة مختلف الأمراض بميدان مايعرف بـ" علم الحكمة "، حيث امتزجت خبراته بين التطبيب في الأحوال النفسيّة والجسميّة.

وتماشيا مع ما تمّ ذكره، تجدر الإشارة إلى إلى أنّ الأوضاع الصحيّة في مدينة تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، عرفت عجزا رهيبا وكبيرا في مواجهة الأوبئة والأمراض، نتيجة تردّي الأوضاع المعيشيّة للسّكان،

---

[1]- المزاري، مصدر سابق، ص 327.

[2]- محمد بن يوسف الزياني، مصدر سابق، 247.

[3]- أبو عبد الله مسلم بن عبد القادر الوهراني، **أنيس الغريب والمسافر**، المصدر السّابق ص ص 164- 165.

- الشيخ ابن عزوز، طبيب تلمسانيّ المنشأ، مراكشي الدار، سوسي الأصل، عباسي النسب، المعروف بلقب "سيدي بلّة" كان من الفقهاء الرحالة والعلماء المتميّزين في علم الأسماء، والحساب، له كتب في علم الحكمة منها: باب الحكماء في علم الحروف والأسماء/ من بين كتاباته أيضا في الطب، مخطوط من 118 صفحة، محفوظ بمكتبة باريس، تحت رقم 4758، المعنون بـ" ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الكطب والطبائع والحكمة"، وقد أورد القسيس " برجيس " أنّه حصل على نسخة من هذا المخطوط، توفي 1194هـ/ 1780م، ينظر إلى : أبو محمد عبد الله ابن أحمد ابن عزوز المراكشي التلمساني، مخطوط ذهاب الكسوف ونفي الظلمة عن علم الطب [4]والطبائع والحكمة، موقع أبو مريم، عدد الأوراق 118، ورقة 81.

وتراجع الحركة الاقتصاديّة بقطاعتها الثلاث في كثير من الأحيان، وفي مقابل ذلك، عمل أهل تلمسان على مجابهة هذه الظروف الصحيّة من خلال طرق الوقاية والعلاج والحد من انتشارها نذكر منها مايلي:

– **التداوي بالأعشاب:** أقبل السكان في منطقة تلمسان على العلاج بالأعشاب التي كانت تنتشر بالمنطقة، والذي يعرف بالعلاج التقليدي الذي مارسه عامّة السّكان في مدينة تلمسان ونواحيها، حيث على العكس ممّا ساد في أوروبا من طب حديث مؤسّس على التّجربة والآلات المستحدثة في هذا الشأن، على سبيل المثال كانت نساء منطقة بني سنوس تقمن بقطف مختلف الأعشاب و النباتات كالعرعار، الشيح، الكلخ و المريوة من أجل تبخيرها، بعد تجفيفها لمدة سبعة أيام.[1]

– **استعمال المياه المعدنية:** تزايد اقبال التلمسانيين على الحمامات المعدنية لاعتقادهم أن لمياهها الساخنة القدرة على علاج الامراض من بينها نذكر: حمام سيدي الشيخ، حمام سيدي سليمان.[2]

– **زيارة الاضرحة:** شاعت زيارة أضرحة الاولياء الصالحين في تلمسان لاعتقاد سكانها أن زيارتهم تجلب لهم البركة و تحميهم من الأوبئة و الامراض و تشفيهم منها، فكان الذين يعانون من داء العيون يذهبون الى سيدي محمد بن يعقوب قرب الوريط للأكل من شجرة الزيتون لكي يشفوا، وكل من يعاني من مرض الحمى يزور سيدي القيسي لمدة ثلاثة أيام متتالية و يلتقطون أوراق الأشجار التي تتساقط على القبة من اجل حرقها في منازلهم[3]، و من يريد الشفاء من الامراض العقلية أو الحمى أو لعلاج العقم فكان يذهب للشيخ السنوسي التلمساني.[4]

وممّا تجب الإشارة إليه في هذا المقام، هي مساهمة علماء وأطباء تلمسان في ميدان التطبيب زمن العثمانيين، بما تميّزوا به من حذق علمي، وبصيرة نافذة على مستوى التعامل مع الأوبئة والجوائح.

---

[1] - Edmond Destaing , **fêtes et coutumes saisonnières chez les Beni snous**, T 50, Alger ,1906 ,p 363.

[2]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص295

[3]- عثمان بوحجرة، **الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (مقاربة اجتماعية)**، رسالة ماجيستر، جامعة أحمد بن بلة، وهران،2014-2015، ص ص 71-72.

[4]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص301

سادسا: النّوازل[1] ودورها في الحياة الاجتماعيّة بمنطقة تلمسان

سنحاول من خلال هذا العنصر أن نُبرز أهميّة النوازل في الدّراسات وتدوين التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعصور والحقب التاريخيّة بصفة عامّة والعهد العثماني في المجتمع التلمساني على وجه التّحديد، والتي يمكن لها أن تمتدّ لتشمل مجالات سياسية وثقافيّة أخرى، ذلك حتى نلفت الانتباه الباحثين إلى مثل هذه المادة العلمية الثّمينة والخام بما تحتويه من معلومات تاريخيّة قيّمة وخاصّة الفقهيّة منها، ولقد كانت هاته المادة العلمية في وقت غير بعيد تعدّ كتباً فقهيّة صرفة قلما يلفت إليها المؤرخون، إلاّ أنّ الحاجة إلى مصادر بديلة غير المتعارف عليها من مؤلفات تاريخية وجغرافية في كتابة التاريخ هو الذي أملى علينا هذا الإختيار، وبما يمكننا أن نستشفه منها أيضا فيما يخص الميدان الاجتماعي في الدّراسات التّاريخيّة فهي تضمّ بداخلها مادة علميّة تُغنينا عن كثير من المصادر البحثيّة للخروج بمادّة وافيّة ووفيرة لِسَدّ وتغطيّة العجز في هذا المجال .

نتلمّسُ من النّوازل الممارسات الاجتماعية السّائدة والمنتشرة في المجتمع التلمساني التي تعلقت به الفتوى ممّا يُبرهن ذلك ما أكّدته الباحثة فاطمة بلهواري، حيث نصّت على أنّ كتب النوازل رفعت من النّاحية الاجتماعيّة الحُجب عن المجتمع بصفة عامة، وذلك بالتّعريف بتركيبته الاجتماعيّة المتنوعة وبطبقاته المتجذّرة، وقد رَصَدَتْ طبيعة العلاقات الأسرية من زواج وطلاق وميراث وبيع وشراء، ومختلف العلاقات الاجتماعية والحياة داخل الأسواق ...الخ ،حيث رسمت كذلك

---

[1]– لغة النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه. ونزل عن دابته نزولا، ونزل المطر من السماء نزولا. والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل، **اصطلاحا:** هذا معناها في اللغة، أمّا في الاصطلاح فقد وردت تعريفات عدّة، منها:

الوقائع المستجدة نوعا ما

– الوقائع الجديدة التي لم يسبق فيها نص أو اجتهاد .

– المسائل والوقائع التي تستدعي حكمًا شرعياً .

– المسائل والقضايا الدينيّة والدنيويّة التي تحدث للمسلم ويريد أن يعرف حكم الله فيها، فيلجأ أهل العلم الشرعي يسألهم عن أحكام هذه النوازل. وتسمي بالأجوبة وبالفتاوى وبالنوازل وبالأحكام أو مسائل الأحكام أو الأسئلة.

ومفاد هذه التعريفات أنّ النوازل تعني: ما يطرأ على الناس من قضايا دينية أودنيويّة لم تكن موجودة من ذي قبل، وتحتاج إلى حكم شرعي. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: محمد عميم الإحسان البركتي المجددي، التعريفات الفقهية، معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من علماء الدين رحمهم الله تعالى، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002م، ص 25.

عاداته وتقاليده وأعرافه، بِما توفّره من معلومات تتعلق بتفاعل مختلف لمكوّناته وفعالياته، حيث تُشكّل انعكاساً صادقاً لوقائع النّاس الجارية ومشكلاتهم النّاشئة، وأقضيتهم الطارئة بحسب المقتضيات النّابعة من الظّروف المختلفة بحكم خُصوصيّة المجتمعات في الزمان والمكان[1].

هذه النّوازل الفقهيّة اشتهرت بها تلمسان الزيانيّة، مثلما عرفت بها تلمسان العثمانيّة، ولئن لم تُدوّن زمن العثمانيّين في وريقات ومِسودات من أصدرها واجتهد فيها من العلماء، إلاّ أنها ظهرت بصيغة بعض الوثائق الأرشيفيّة كالتي هي بين أيدينا والتي زوّدنا بها الأستاذ الدكتور محمد بوشنافي، ممّن أرّخت لعلماء تلمسان من الفقهاء والقضاة، لقد عرفت تلمسان خلال هذه الفترة التي تغطيها الدّراسة محكمتين، المحكمة المالكية ونظيرتها الحنفية، بعد استقدام العثمانيين للمذهب الحنفي، فكان سكان تلمسان ونواحيها يلجأون إلى قضاتها للنّظر في قضاياهم سواء تلك المتعلقة بقضايا الأحوال الشخصية كالمظالم والزواج والطلاق والميراث وحل الخلافات الناشبة بين الأفراد ومعالجة المسائل الشرعية أو المعاملات كالبيع والشراء والقرض، وتمتّعت كلّ واحدة بالاستقلالية عن الأخرى، فقد شكّل ذلك شكلاً من أشكال التعايش داخل المجتمع التلمساني بصفة خاصة والذي ظهر في التعليم والقضاء والوقف وغيرها زفي مُقابل ذلك حتى الأفراد كانت لهم الحرية التّامة في اختيار المحكمة التي يقصدونها مالكية كانت أم حنفية، واستمر التعايش في كل الممارسات السياسية والدينية والتعليمية ومختلف القضايا المرتبطة بالمجتمع التلمساني سواءا في مجال القضاء أو الإفتاء خلال الفترة المدروسة.

من هنا، أصبحت بذلك هذه الإشارات العابرة، والومضات النّادرة، بمثابة مادّة أصيلة، تَحفظ الأمة التلمسانيّة بواسطتها جُهودها العلميّة، وانجازاتها التي شملت مجلات عدّة إبان العهد العثمانيّ، من خلال مجموعة من الكتابات المتعدّدة، منها ما يعرف بعلم التّراجم الّذي يتناول زمنيًّا ومكانيًّا سير حياة الأعلام من النّاس عبر العصور المختلفة، وبصورة دقيقة يبحث في أحوال الشّخصيات والأفراد الّذين تركوا آثارا في مراحل حياتهم، ويهتم أيضا بتتبع كافة طبقات

[1]– عبد العزيز وصفي، **فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغاربة (أهميّته وخصائصه مميّزاته)**، مج 04، ع04، **مجلّة الشهاب**، جامعة الوادي، الجزائر، يسمبر2018، 249.

المجتمع من الملوك والأمراء والقادة، مع تركيزه على العلماء وأعمالهم في مجمل المجالات، ويُدوّن مواقفهم في الحياة الّتي أثروا وتأثروا بها، عبر ما أصدروه من تحقيقات فقهيّة وابداعات نوازليّة .

ومن هذا المنطلق، تُعد تلمسان واحدة من المدن الّتي أنجبت الكثير من بيوتات الفقه عبر مختلف المراحل التّاريخيّة، كانت تأتيهم الأسئلة الدينيّة والدنيويّة من الشّرق والغرب، وحتّى من الجنوب، على غرار بيت الجادري[1]، والمقّري، والتّوجيني[2]، والملّيتي[3]، وغيرهم كثير، ما بين **962هـ/ 1554م ـ 1041هـ/ 1631م**[4]، والّذين ساهموا في حفظ الموروث الفقهيّ التلمسانيّ، ونوازلهم الشرعيّة من خلال فتاويهم المتميّزة في كل ما كان يأتيهم من العامّة أو أهل العلم، كما وقد حصلت مناظرات بينهم وبين علماء من مختلف الحواضر العلميّة الإسلاميّة حول بعض النّوازل، والقضايا الشائكة الّتي تخص الأمة آنذاك، مثلما حدث ذلك بين المقّري والإفراني، ما يجعلنا نكتشف الأهميّة البالغة الّتي حظيت

---

[1]- أجادير أو أغادير : هو حي يقع في الجهة الشّرقية لمدينة تلمسان، تحتوي الآن على العديد من المعالم الإسلاميّة عبر العصور، خاصة آثار العهد المرابطيّ والزّياني، خاصّة المسجد المعروف "بمسجد أغادير" الذي بُني عام عام 174هـ/783م، على يد إدريس الأول بعد دخوله إلى تلمسان وضها، وقد كان هذا الحي من أهم الأحياء بمدينة تلمسان، كَونه كان مقرًّا للسّكن للعديد من البيوتات العلميّة التلمسانيّة في العهدين الزّيانيّ والعثمانيّ. للمزيد من التفاصيل، يُنظر إلى: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 10، وأيضا، عبد الرحمان بن خلدون، ج7، المصدر السابقق، ص 103.

[2]- التُوجيني، نسبة "لبني تُوجين" إحدى بطون قبيلة «**زناتة**» الأم من بني بادين بن محمد من ولد زحيك بن واسين بن يصلتن بن مسرا بن زكريا بن واردين بن ورسيك بن الديرت بن جنا بن زناتة، كانت مواطنهم بالمغرب الأوسط الممتدة من وادي الشلف قبلة جبل ونشريس من أرض السرسو، وصارت مواطنهم بعد ذلك بين موطن بني راشد وجبل دراك. وكانت قبيلة "**بنو توجين**"، تمثل القسم القوي بين قبائل زناتة، فيعدهم ابن خلدون في المرتبة الثالثة ضمن شعوب زناتة بعد بني مرين وبني عبد الواد من حيث العدد والسلطان والملك. ينظر: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد إبن خلدون (ت 808هـ/ 1403م)، ديوان المبتدأ ...، المصدر السّابق، ص، ص 119، 120، 123، 318، 319. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ/1048م)، **جمهرة أنساب العرب**، تح: محمد هارون عبد السلام، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص ص 495 ـ 498.

[3]- قبيلة ملّيتة (الأشراف الشّهدين بتلمسان): وهم المنتمون إلى "الأشراف العمارنة السّقفيين الشّهديين"، والمعروفون بالعمرانيّين، المنتسبين إلى أولاد إبراهيم بن عثمان بن عبد الله بن سعيد بن علي بن عبد الرحمن بن داوود بن عمران بن عبد الرحمن بن علي بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن ادريس بن ادريس بن الحسن بن عبد الله الكامل. ينظر: كمال دحو مان الحسني الشريف، **أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع**، تق: المختار محمد حسن العمرو، دار الخلدونية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 223 ـ 225.

[4]- محمد بومدين، **اجتهادات علماء تلمسان النّوازليين في صنعة التّحقيق والتّصنيف الفقهيّة وشرحها والتّعليق عليها مابين 962هـ/1554م:1085هـ/1674م**، **مجلة الدراسات التاريخيّة**، المجلد 21، العدد 01، جوان 2020، ص 279.

بها هذه النّوازل في الحياة العامّة للناس، حينما بلغ فيها العلماء حد الاجتهاد، وخصّص لها السّلاطين حلقات المنافسة العلميّة بلا هوادة.

من خلال ماتمّ إيراده، تتبيّن الأهميّة الكُبرى لإسهامات علماء بيوتات العلم الصغرى أو الكبرى في تحقيق وتصنيف العلوم الفقهيّة، وتقديم الإجابات من الفتاوي الفقهيّة على كل ما كان يردهم من أسئلة خلال الفترة العثمانيّة، من خلال تقييم أدوارهم العلميّة في هذا المجال، ودرجات تفوّقهم بين العهدين الزّياني والعثمانيّ. ومن ناحية أخرى، تتّضح لنا أهميّة فقهاء تلمسان ودورهم، عندما كانوا ينالون ثقة فقهاء الأمصار المجاورة، حتّى وإن كانوا على صيتهم وباعهم في مجال الفتوى، ويتجسّد لنا هذه الصورة الفقيه أبي زكرياء يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني في العديد من النّوازل الّتي كانت تعرض على فقهاء مازونة، فيرفعونها لفقهاء تلمسان، لمعرفة رأيهم فيها وسنأتي على ذكر نماذج عنها في الفصل الرابع من هذه الدّراسة.

وفي مُقابل ذلك، في هذا العنصر سنحاول التّطرق إلى دور القاضي ومكانته داخل المجتمع التلمساني خلال فترة الدراسة، وهذا من خلال مساهمته في حل الكثير من القضايا التي ترد إليه في إطار معاملات الحياة اليومية، وقبل هذا نشير أيضا الى أهمية الوثائق المتعلقة بهاته القضايا كونها تعد من المصادر الأساسية في كتابة تاريخ تلمسان لا سيما في ظل نقص الكتابات المحلية بشكل عام ومدى مساهمة هذه الأخيرة في توضيح جوانب مجهولة، حيث اعتمدنا في هذا الشأن على مجموعة من الوثائق محفوظة في المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 2316 ويبدو أن الملف تم تخصيصه لمدينة تلمسان ونواحيها، أمّا عن أسماء القضاة فقد عثرنا على كل من القاضي **الحاج محمد بن الحاج**، والقاضي **علي بن عبد القادر**، القاضي **الشيخ محمد المزاري**، **القاضي محمد بن علي**، وكلهم لم نعثر لهم عن ترجمة شخصية، أما عن القضايا الواردة في الوثائق السّالفة الذكر فقد تعدّدت أشكالها حيث نجد قضايا تقسيم التركات، كما نجد قضايا السرقة وقضايا الخصومات والنزاعات بالإضافة إلى تأدية الأمانات، بالإضافة الى معاملات البيع والشراء، وسنسوق نماذج عن كل قضية باقتضاب، مع توضيح نصوص هاته القضايا في قائمة الملاحق من خلال نشر الوثائق الأصلية لها وغيرها من المواضيع.

1. التركات وعقود البيع والشّراء داخل المجتمع التلمساني:

تُطلعنا وثائق عقود التّركات عن الثروة التي كان يملكها المتوفى، فهي تعكس الحياة الماديّة، التي كانت تحياه تشكيلات مُختلفة في مجتمع مدينة تلمسان ونواحيها، وبالتّالي تقدّم لنا مادّة دسنة عن الممارسات الاجتماعية في تلك

الفترة. فبخصوص تقسيم التّركات نجد في إحدى الوثائق حضور القاضي في تقسيم تركة المتوفي المرحوم الحاج المختار بن علال الفخار المتمثلة في مسكنه قيمته ألف مثقال، بالإضافة الى قطعتي أرض قيمتهما أربعمائة مثقال، أمّا عن ورثته فهم زوجته الولية خديجة ووالديه كل من ابوه المكرم علال وأمّه السّيدة خديجة بالإضافة إلى أولاده الأربعة (بنتان وولدان) وقد تم تقسيم التّركة بينهم جميعا وفق ما تقتضيه نُصوص الشّريعة الإسلامية. ومن خلال هذا النّوع من العقود أمكننا تحديد مستوى الثّروة وأخذ صورة على الواقع المعيشي للمجتمع التلمساني، فضلاً عن أصناف هذه التركات التي قد تكون أموالا أو أراضي أو عقارات تختلف قيمتها حسب ثروة المتوفي[1].

وعلى ضوء ماتقدّم، أنّ قاضي تلمسان في هذه القضيّة طبّق ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيما**﴾[2].

وهذا مثال عن تقسيم تركة المرحوم الحاج محمد بن العطار على ورثته" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم بعد وفاة المرحوم بكرم الله الحيّ القيّوم الحاج محمد بن العطار، ووفاة ولده الحبيب بعده، وترك الولد أمّه فاطمة بنت الحاج قاسم وإخوته لأمّه محمد وفاطمة و... الفقيه أبي عبد القادر بن العطار، وقد خلف عن الولد ما خلفه أبوه؛ وهو: ثمانية وثلاثون درهما من الدار الكائنة في العباد، ثمّ خمسة عشر درهما غير ... من روض العطار في العباد، ثمّ سبعة دراهم ونصف غير سبع من روض...بفدان السبع...ثمّ الثمن وعشرة ونصف من روض العطار في الوريط...بعد تقويم ما ذكر تقويم عدل وسداد، وعلى الهالك دين لزوجه المذكورة مائة ريال من باقي صداقها، ولزوجة علي بن الحاج قاسم مائة ريال أدّاها على الهالك، وعليه دين أيضا انجر له من متروك أبيه مائة ريال وريالتان، وعليه أيضا من أخيه خمسة وعشرون ريالا؛ استظهر علي بن الحاج قاسم برسم بخط عدلي قاضي الزكاة...وطابعه مضمنه أنّ الزوجة المذكورة أخذت جميع متروك الهالك للأماكن المذكورة في دينها ولم يكن مستوفي الشروط المشترطة...وطال بين أبي عبد القادر بن العطار المذكور مع علي بن الحاج قاسم وزوجه المذكور من الكلام والعجاج والترافع إلى مجالس الحكام المرة بعد المرة...إلى أن قاضي الوقت العلامة أبو محمد الحاج محمد بن الحاج الواقع طابعه أعلاه نادهما للصلح الذي

[1]- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 47

[2]- سورة النساء، الآية 11

سمّاه الله خيرا ووعد لفاعله توابا وأجرا...لذلك وصية بأن أعطى أبي عبد القادر المذكور للمرأة المذكورة خمسين ريالا وقبضتها معاينة والأماكن المذكورة يأخذ أبي عبد القادر نصفها ملكا، والنصف الآخر يأخذه على مع زوجه ملكا. بهذا وقع بينهما...صلحا صحيحا تاما لازما قاطعا للنزاع...بحيث لم يبق لواحد منهم قبل الآخر حقّ من الحقوق ولا دعوى ولا مطلب بوجه ولا حال، وذلك بحضرة أبو القاضي المذكور والعلامة أبي محمد بن سعد وأبي البشير بن مزيان...شهد عليهم...بتاريخ أواسط شوال من عام سبعة وعشرين ومائتين وألف(1227)، وكتب عبد ربه (داخل الرسم):عبد القادر بن علي وفقه الله آمين[1] (ينظر الملحق رقم 06)

وهذا مثال أخر يتعلّق بأمر من القاضي الحاج محمد بن الحاج لأولاد أولاد البركة السيد محمد بن عيسى بالحضور أمامه وإحضار ممتلكات المرحوم السيد محمد بن مختار بن مزيان وقد حددتها الرسالة في "كربيلة ويطغان وكابوس ومكحلة والصرج (هكذا) والجبيرة [2] (ينظر الملحق رقم 13)

ومن جهة أخرى، وجدت عقود للبيع والشراء، التي تُعتبر هي الأخرى ثريّة بالمعطيات ذات العلاقة بالجانب الاجتماعي، تتضمن أخبارا عن الملكيات، أطراف العقد، البائع والمشتري، وعليه يُمكن التّنويه إلى الدّقة التي روعيت من قبل الموثقين في تحرير العقود، ممّا لا يدع مجالا لأي التباس أوغموض وهو مانُشير إليه في هذا المثال: **عن وهي مرتبطة ببيع أراض زراعية كان القاضي حاضرا فيها ويتعلق الأمر بكل من السيد الطاهر بن عيسى الذي باع قطعة أرض قدور بن داهم بثمن قدره 22 ريال قيمة كل ريال 24 موزونة (ينظر الملحق رقم 05)،كما باع السيد يوسف بن قنيش قطعة ارض بثمن قدره 2 ريال قيمة كل ريال ست اواق للسيد محمد بن المختار بن مزيان[3]، وأخيرا نجد بيع السيد خديجة نصف بستان لشخص لم نتمكن من قراءة اسمه في الوثيقة بثمن قدره ثلاثة عشر دورو[4].(ينظر الملحق رقم 12)**

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، لوحة 51.

[2] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة46.

[3]– مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 12.

[4]– مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 44.

2. المظاهر السلبيّة داخل المجتمع التلمساني:

1.2 السرقة :

أمّا عن السّرقات[1]، فقد وجدناها رائجة في المجتمع التلمساني خلال العهد العثماني، من خلال العودة إلى هذه العقود القضائية لسجلاّت المحاكم الشّرعيّة، والظّاهر أنّها انتشرت في مدينة تلمسان ونواحيها، وقد عُدّت هذه الظاهرة من الظّواهر الاجتماعية الخطيرة، لما تمثّله من أضرار مُدمرة على الفرد والأسرة والمجتمع، إذ كانت ترتكب بوسائل تقليدية، ثمّ تطوّرت داخل المجتمع التلمساني في هذه الفترة، وقد ظهرت بأشكال وأنواع، وأصبحت تعدّ من قضايا الجنح، لما لها آثار سلبية تتمثل في زعزعة الأمن والاستقرار، وتفكيك العلاقات الاجتماعيّة ، وكانت هذه القضايا من اختصاص الباي، باعتباره المسئول الأول على الجهاز الأمني والقضائي نيابة عن الباشا، فكان ينظر في قضايا الجنح والجرائم، كالظاهرة المتحدث عنها، أو الضرب، أو الجرائم كالقتل على مستوى البايلكات أين يصدر حكمه فيها، ويساعده في ذلك عدد من الموظفين منهم قائد الدار، الحاكم، القايد، شيخ القبيلة وعدد من المرابطين. فنجد في هذه القضايا بعض الأطراف اتهمت أطرافا أخرى بالتّعدي على ممتلكاتها ونهبها على غرار اتهام السيد عبد القادر بن السيد محمد الدغم للمدعو محمد بن عبد الله بسرقة كميات من القمح في جبل تاقمة، وقد تدخل القاضي هنا وحكم على المدعى عليه بإحضار البينة أو أداء اليمين أو إرجاع القمح، وهذا بعد أن نفى المتهم ارتكابه لهذه السرقة وكانت حججه لا تخلو من تهرب[2].(ينظر الملحق رقم 10)

كما اتّهم محمد ولد محمد المدعو قدور بسرقة كميّة من الزرع، وبعد تدخل جماعة من اهل تلمسان وبني ورنيد حكم القاضي محمد المزاري على المدعو قدور بدفع ثلاثة تلاليس من القمح، هذا الأخير الذي رضي بها وتم عقد صلح بين الطرفين[3].(ينظر الملحق رقم 11)

---

[1] السرقة، هي في اللغة أخذ الشيء من الغير خفية ومنها استرق السّمع، أس سمع متخفيّا، وفي الاصطلاح هو الاعتداء على ممتلكات الآهرين دون إذن منهم، أو موافقتهم بقصد حرمانهم من ممتلكاتهم والانتفاع بها بغرض التمليك، وتعتبر السرقة أحد المصطلحات التي تدلّ على الجرائم ضدّ الممتلكات الخاصّة، مثل الاختلاس والنّهب والسّطو والاحتيال. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى:

[2]- مجموعة 2316(قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 43.

[3]- مجموعة 2316(قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية، الجزائر، ورقة 18

ومن قضايا السّرقات ننتقل إلى قضايا تسديد الديون وتأدية الأمانات، وهي قريبة من بعضها البعض، فعن تأدية الأمانات وإرجاعها إلى أصحابها مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[1]، وفي موضع آخر يقول جلا في عُلاه : ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾[2]. ومن النّماذج عن هذه القضايا، نجد حالة مختار بن مزيان الذي سلم لابن عمه امانته المتمثلة في مجوهرات من الذهب والفضة [3]، أمّا عن الديون وكتابتها في المحاكم أو تأديتها لأصحابها، لقوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[4]. فإنّها كانت حاضرة ضمن الوثائق التي عثرنا عليه داخل المجتمع التلمساني بمختلف تشكيلاتها، إذ بيّنت مُختلف الوسائل التي استخدمها المجتمع التلمساني لضمان تسديد ديونهم، كالسندات والكفالات المالية، ورهن عقار ما، أو بيع بدين...الخ، ومن هذه الأمثلة الوثيقة التي يؤكّد فيها السيد بن الحسين أن في ذمته مبلغا ماليا قدره خمسة وثلاثون ريال قيمة الريال الواحد ست أواق اقترضها من السيد مختار بن مزيان[5]، هذا الأخير يبدو أنّه كان من ميسوري الحال حيث نجده قد أقرض أيضا السيد محمد مبلغا ماليا قدره مائة

---

[1]- سورة الأنفال، الآية 27.

[2]- سورة النساء، الآية 58.

[3]- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 2

[4]- سورة البقرة، الآية 282.

[5]- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 61.

ريال مخزنية قيمة الريال الواحد ست أواق[1]. وعن الكفالات المالية تُشير الوثيقة التي بين أيدينا، إلى أنّ جمعاة من سكان مدينة الجزائر قد أوكلت المدعو علي خوجة بن عثمان الذي أوجاقه مائتين وسبعة وخمسين والمتواجد بنوبة تلمسان، لينول عنهم في قبض مالهم المقدّر مائتا ريال وريال واحد، هذا إضافة كميّة معتبرة من الحرير بلغت عددها نحو ستة وستين حزاما[2].

2.2 الخصومات والخلافات:

ومن جهة أخرى، عرف المجتمع التلمساني كغيره من المجتمعات في إيّالة الجزائر الخصومات والنّزاعات حول قضايا عديدة، شملت القضايا الشّرعية أو قضايا المعاملات، فكانت إجراءات الصّلح تتم تلقائيًا بسعيّ من القاضي، الذي يتدخل لحلّها بالبحث والمشاركة في إيجاد حلّ توافقي للنّزاع، وإنهاء الخلاف بناء على نصوص الشريعة وتعاليم الدّين الإسلامي، تجسيدًا لفكرة المحاكمة العادلة بين المتخاصمين لقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [3] .وكان القاضي لا يصدر حكمه في هذا النوع من القضايا إلاّ بعد التحري الدّقيق في حيثيات القضية والسماع إلى كلّ أطراف الدعوى والشهود إن وجدوا، وإذا تعذر عليه إصدار حكم نهائي فإنّه يلجأ إلى الاستعانة بأهل الخبرة خاصة إذا تعلق الخصام بقضايا العقارات أو الحرف، ومثال ذلك لجوءه إلى البنائين، وعلى ضوء تقريرهم يصدر حكمه، وقد يطالب أحد الطرفين بإظهار بينة على ما يدعيه والتي تكون في معظم الأحيان عبارة عن وثيقة شرعية صادرة عن المحكمة، أو جماعة من الشهود يشهدون لصالحه[4] .

ومن نماذج قضايا الخصومات التي عرفها مجتمع تلمسان خلال العهد العثماني نذكر تقسيم الميراث، فإذا كان ذلك يتم في معظم الأحيان باتفاق ورضا كل الورثة، فإن قضايا أخرى وقع فيها الخلاف والخصام، ومن نماذج هذه

---

[1]- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ، ورقة 61.

[2]- س. م. ش، ع، 1/14.

[3]- سورة النساء، الآية 59.

[4]- بوشنافي محمد، القضاء والقضاة بالجزائر، المرجع السابق، ص 305. 14

القضايا ذلك الخلاف الذي نشب بين إخوة وهم رمضان وعلي والحاج و المدعوة عائشة زوجة أبيهم المتوفى المرحوم موسى ولد الأعرج، أما سبب الخلاف فكان مطالبة الزوجة بصداقها وحقها في الميراث، فطال الخصام بين الإخوة والزوجة وعرضت القضية على العديد من القضاة حتى تدخل بعض أصحاب الرأي والحكمة لدفع الطرفين إلى الصلح، فناب رمضان عن إخوته وناب عن عائشة أخوها، أما مضمون الصلح فكان أن يدفع الإخوة للزوجة أربعين ريالا واقتسام العقار وأثاث الخيمة والفرس"وافترقوا صلحا تاما قاطعا للنزاع والحجج صحيحا"[1]. (ينظر الملحق رقم 19)

ويظهر من الوثائق أن الخلاف حول ميراث المرحوم السيد مختار بن مزيان قد طال واشتد بين الورثة، كما نلمس منها كذلك أن ما خلفه من عقارات وأموال كان كبيرا، أي أن هذه العائلة كانت من أثرياء تلمسان وأعيانها، وقد دفع حب الاستحواذ على هذه الممتلكات ببعض الورثة إلى التزوير في العقود بالكذب والبهتان، فحسب عقد مسجل بيد القاضي السيد محمد بن الحاج مؤرخ بتاريخ أواخر ربيع الثاني 1228/ أبريل 1823م يبطل فيه عقدين كتبهما القاضي عبد القادر بن علي لابني المتوفى السيد المختار، أحمد ومحمد، متهما الأخيرين بخداع القاضي والكذب عليه، ودليله على بطلان العقدين ما يلي[2] . (ينظر الملحق رقم 15)

– التأكيد أن السيد أحمد قبض أربعين ريالا دورو معاينة، ولكن في الحقيقة لم يقبض إلا عشرين ريالا، والباقي ضمنه السيد محمد فلما طالبه بالدفع ادعى أن آجال الدفع هو شهر كامل.

– إدعاء السيد أحمد أنه وكيل عن زوجة أخيه المتوفى أمة الله آمنة بنت الفقيه المرحوم سعيد ولكن لم يكن له إثبات على ذلك.

– إدعاء السيد محمد أن دار أبيه حبس وليست ملكا، ولكنه لم يقدم إثباتا على ذلك.

– وقوع السيد محمد في الخلط، فبعدما ادعى أن أباه لم يترك شيئا، جاء في الوثيقة التي بين يديه أن أخاه أحمد تنازل له عن الأثاث والمال.

نستشف من القضية السّابقة الذكر أن القاضي كان حريصا في تحري الحقيقة، حيث اعتمد المتخاصمون على قرينة لإثبات صدق دعواهم، إنها العقود – أو الرسوم القضائية– التي تكون مسجلة من قبل قاضي آخر، غير أنّ

[1]– مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 3.

[2]– مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 53

القاضي لم يأخذ بما فيها بل عمل على التأكد من صحتها، ولما قرأ مضمونها قراءة تفهم وتوخ وجدها لا تتضمن صحة الإدعاء، وأن ما جاء فيها مبني على الكذب والبهتان الذي صدقه القاضي على حسن نية، فحكم ببطلانها ضمانا للحقوق.

ولكن في كثير من الأحيان قد تكون القضية المطروحة على القاضي معقدة، فيصعب عليه حلها وإصدار حكم فيها، أو قد يحس أحد الأطراف أن الحكم الصادر فيه إجحاف وظلم في جانبه، فيصبح من حقه طرح قضيته على الباي نفسه الذي يستمع إلى شكواه، وعندها يدعو الباي القضاة وأهل الإفتاء للاجتماع والنظر في القضية، ويسمى ذلك بالمجلس العلمي. ولكن ما يجب الإشارة إليه أن مهمة المجلس كانت استشارية فقط، فبمجرد الاتفاق على حكم مشترك يشيرون به على القاضي لإصداره باسمه، بحيث لا يصبح نافذا إلاّ بموافقته. وتطلعنا وثائق محاكم تلمسان على نماذج من هذه القضايا، فبتاريخ أوائل ذي الحجة 1226هـ/ ديسمبر 1811م، عقد مجلس علمي بدار الحكومة، حضره القاضي السيد محمد بن الشيخ المصطفى بن عمارة، والعلامة السيد أحمد والعالم السيد أبا موسى بن السيد الطالب والعالم ابن الحاج عبد القادر بن علي وحاكم البلد السيد محمد قرمانلي وأعوانه وكافة أعضاء الديوان[1].(ينظر الملحق رقم 14)

أما عن الأطراف المترافعة أمامه فهناك السيد عبد السلام الصحراوي الذي ناب عن الطالب محمد الكراري في مقابلة السيد محمد بن مختار بن زيان الذي ناب عن أخيه وأخته وزوجة أخيه، وكان مضمون القضية ادعاء الطرف الأول أن موكله وضع لدى السيد محمد بن مزيان المتوفى أمانة تشمل أموالا ورؤوسا من الماشية وذلك منذ سنين مضت، وأظهر أمام أعضاء المجلس عقدا لتأكيد دعواه، غير أن السيد محمد أنكر عليه ذلك وأكد أنه لم يضع شيئا لدى أخيه، وأظهر بدوره عقدا يثبت ذلك. وأمام ذلك طالب أعضاء المجلس من الطرف الأول إثبات عدم صدق بينة الطرف الثاني لكنه عجز عن ذلك، فطلبوا من الطرفين اللجوء إلى الصلح الذي نص على أن يدفع السيد محمد بن مزيان للسيد محمد الكراري مبلغا قدره أربعين ريالا، وبذلك أنهي الخصام والخلاف حيث تعهد الكراري بألا يطالب بشيء بعد ذلك[2].(ينظر الملحق رقم 14).

[1]- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 49

[2]- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر ، ورقة 49

الفصل الثالث:

الحياة الاقتصادية بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني

أولا :الفلاحة

ثانيـــا: الصّناعة

ثالثـــا: التّجارة

رابعـــا: العُملة

خامسا: المكاييل و الموازين

سادسا: النّظام الضرائبي (الجبائي)

إنّ التّعرض إلى تاريخ تلمسان في العهد العثماني، وتكوين فكرة صحيحة أساسًا، هو مُرتبط بإعطاء صورة واضحة للحياة الإقتصاديّة في هذه الفترة، كون هذا الجانب من تاريخ تلمسان كان له انعكاسات مُباشرة على الأحداث السيّاسيّة والإدارية والحالة الإجتماعيّة التي عرفتها هذه الحاضرة. ومن جهة أخرى، شكّل الاهتمام بالجانب الاقتصادي في مدينة تلمسان ونواحيها إقبالا مُحتشمًا، غفل عنه كثير من المؤرّخون، إذا ما قُورن بالجوانب الأخرى، وعليه رأينا أن نُساهم من هذا الباب بقراءة عن هذا الموضوع.

لقد أثر الموقع الجُغرافي وتنوّع التضاريس والمناخ على النّاحية الاقتصادية بتلمسان ونواحيها، حيث نتج عنه تنوّع في النشاط الاقتصادي والمحاصيل الزراعية والتبادل التجاري بالإضافة إلى الصّناعة، وهذا ما سمح لتلمسان ونواحيها أن تتبوأ مكانة لا بأس بها إبّان العهد العثماني.

أولا: الفلاحة

احتلت الفلاحة مكانة هامة في الاقتصاد ، وقد ساعد على ازدهار الفلاحة وتنوع المحاصيل والمنتوجات عدة عوامل طبيعية المتمثلة في الأحوال المناخية الملائمة ،التربة الخصبة والمياه الكافية. في هذا السياق يذكر الرحّالة ديفونتان بقوله: " حول تلمسان ، أو بالأحرى نواحي تلمسان بها سهل يحتوي على حدائق مزروعة جيدًا بأشجار الفاكهة الجميلة، تسقى بالمياه الذي يتدفق منه بغزارة ، توجد بها جبال كبيرة تتكون من ثلاث طبقات فوق بعضها البعض. الأول يقع على هضبة ويحتوي على صخور عارية مقطوعة بشكل حاد ، تسقط منها في شلالات عدة تيارات تتدفق أسفلها على أسرة من الخضرة المرصعة بألف زهرة. الغطاء النباتي هناك قوي، قاعدة الجبل وأطراف السهل مغطاة بأشجار زيتون قديمة"[1]، ويُضيف قائلا:" أنّه لم يُشاهد بلدا مرويا مثل تلمسان، وذلك لوجود مئة عين في مساحة..."[2]

1. مقوّمات الزّراعة:

تنوعت و تعدّدت مُقومات و ركائز النشاط الزراعي بمنطقة تلمسان ونواحيها، وهذا نظرًا لموقعها الاستراتيجي الممتاز، نذكر منها:

---

[1]- Peyssonnel et Desfontaines, **Fragmens d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger**, T2, fait de 1983 à 1786, publies par M dureau de la malle, Paris, 1838, p160.

[2] - IBID , p164.

1.1 المطر:

إنّ ماء المطر، أفضل المياه وأهمها، تنمو بها جميع النباتات، من الخضر والثمار وغيرها، وذلك لعذوبتها واعتدالها، وأيضا تقبلها الأرض قبولا حسن[1]، وإن المطر هو الأساس في تكوين أنواع المياه الأخرى، والأفضل في سقي المزروعات، والسقي بماء المطر هو أسهل طريقة للري، وهذا لكونه لا يكلف الفلاح جهدا و أي وقت، وأعتبر أفضل أنواع المياه لأنه ماء طاهر ومبارك ينزل من السماء[2]، والمصدر الأساسي للمياه العذبة هي الأمطار وكلما توفرت هذه المياه في منطقة توفرت حياة نباتية غنية، ووقت سقوط الأمطار وتوزيعها، يرتبط بعناصر المناخ، منها درجة الحرارة، فكلما ارتفعت زادت كمية المياه المفقودة[3]، وللأمطار أهمية كبيرة على غرار مصادر المياه الأخرى، وهذا ما يكمن في أن الماء هو بدوره يشكل الأنهار والبحيرات والبحار[4].

وتعدّدت أسماء المطر، فإن كان مستمرا فاسمه الوق، وإن كان ضخم القطر وشديد الوقع فهوالوابل، وإذا كان يروي كل شيء فهو الجود، وإذا كان كثير القطر فهو الغدق، وإذا أثر المطر من شدة وقوعه على وجه الأرض فهو الحريصة، وغيرها من الأسماء[5].

وتعد الأمطار أكثر أهمية من ناحية الأمطار السنوية، وهذا ما ذهب إليه المرزوقي في قوله: " واعلم أن أمطار السنة ثمانية أصناف وهي الوسمي، الشتي ،الدفيء ،الصيفي، الحميم، الرمثي والخريفي، ولكل صنف وقت"[6].

---

[1]- ابن بصال، **كتاب الفلاحة**، تر: خوسي مياس بيكروس، ومحمد عزيمات، د ط، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1955، ص39.

[2]- محمد ابن العوام، الفلاحة، دط، دن، مدريد، 1802، ج1، ص134.

[3] - طريح عبد العزيز، **الجغرافيا المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ إفريقيا ومناخ العالم العربي**، دط، دار المعرفة الجامعية، السعودية، 2000، ص ص: 493-491

[4]- محمد، عبد العزيز، **الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي**، ج1، تط، وزارة الأوقاف والشؤون الفنية، المغرب، 1996م، ص72.

[5]- نفسه، ص، ص: 76 - 77.

[6]- خيرة سباب، **المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي(7-10هـ/13-16م)**، (أطروحة الدكتوراه)، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014م، ص 22.

وهناك إحياء الأرض الميتة وذلك بواسطة الأمطار، وبعث الإنسان يوم الحساب لقوله تعالى:{ **فانظُرِ إِلَى أَثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[1].

وتميزت الأمطار في معظم الأحيان إلى تذبذب بين المناطق[2]، وتسبب أيضا في تهطل أمطار غزيرة[3] ويختلف التساقط من منطقة إلى أخرى.[4]

وبالنسبة لمنطقة تلمسان كان المطر متوفر، ساعد في سقي البساتين، وهذا الارتفاع لجبالها عن سطح البحر، هو السبب الرئيسي في غزارة الأمطار[5]، فكانت في تلمسان اضطرابات جوية في بعض المناطق فترة طويلة تتجاوز فصل الشتاء إلى فصل الربيع[6]، وتنزل بها الأمطار سنويا نحو على ارتفاع 670 ملم، ويبدأ نزول هذه الأمطار غالبا في الشهر الثاني من الخريف أي شهر أكتوبر، ولا ينتهي نزولها إلا بانتهاء فصل الربيع أي شهر ماي، يتخللها ثلوج كثيرة في فصل الشتاء، وحتى في أوائل فصل الربيع، ومع ذلك فقد يختلف المطر أحيانا أو يقل نزوله في فصل الشتاء، فيلتجئ أهل المدينة إلى حفر الآبار لسقي زرعهم وشرب مواشيهم، وذلك لعلمهم بوجود الماء في باطن الأرض، وإذا اشتدت بهم الحاجة التجؤا إلى الله تعالى لأداء صلاة الاستسقاء[7].

واستنادًا إلى ماسبق، فإنّ الموقع الطّبيعي لتلمسان إضافة إلى وفرة المياه والخصوبة جعلها مخونًا للسّلع بالنّسبة لبايلك الغرب ولجنوب غرب إفريقيا منذ أزمنة طزيلة ومستقرًا للتّجمّعات البشرية[8].

---

[1]- سورة الروم، الآية 50.

[2]- أبو بكر الزهري، **كتاب الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، الجيزة، د ت، ص141.

[3]- ابن أبي دينار القيرواني، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تح: محمد شمام، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص 19.

[4] - سليم حاج سعد بن موسى محمد، **أمصادر المياه ووسائل الري وأماكن التخزين في المغرب الأوسط ما بيت القرنين الثاني والسادس الهجريين الثامن والثاني عشر الميلاديين (2-6ها 8-12م)**، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية**، المجلد 03، العدد 01، جوان 2019، ص100.

[5]- الشاوش، المرجع السابق، ج1، ص 35.

[6]- العربي، المرجع السابق، ص 57.

[7]- الشاوش، المرجع السابق، ج 1، ص 35

[8] دباب بومدين، **بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18، دراسة سيّاسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التّاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2018، ص 72.

2.1 الثلوج:

تعتبر الثلوج مصدر من مصادر المياه، فهي تجعل الحقول مثمرة من جهة، ومن جهة أخرى تسد الطرق، فالثلوج التي تتراكم إلى ارتفاعات كبيرة فوق الجبال كل شتاء، فهي تتكون من خزانات ضخمة للمياه، فهي تغذي المجاري المائية والأنهار التي تروي الوديان والسهول، وتقوم بدور المادة العازلة بحيث تغطي سطح الأرض وتمنع توغل الصفيح فيها إلى أعماق كبيرة[1]، ومن الخصائص المهمة التي توجد بالماء هي أن كثافة الثلج تقل بنسبة كبيرة عن كثافة الماء، فهو مادة معلومة تقل كثافتها بعد التجمد، ويترتب على هذه الخاصية أن الثلج يطفوا على سطح الماء، ولا ينزل إلى قاع البحار والأنهار، ولولا ذلك لكان الماء كله قد تجمد في الخزانات المائية والبحار والأنهار، فالثلج يقوم بدور الحاجب للماء الذي تحته[2].

كانت تتساقط الثلوج في تلمسان في الأماكن المرتفعة[3]، فقد ذكرها "البلوي" عند رحلته من تلمسان إلى الجزائر، فكان يعاني من البرد ووقوع الثلج عليه، وكثرة الجليد مع شدته، وغزارة الأمطار[4]، أما "الزهري" فقد تكلم عنها أنها تميزت بسقوط الثلج وكثرة البرد[5]، فعند سقوط الثلج في تلمسان يؤدي إلى تهدم البيوت وغلق الأسواق[6]، ويصيب الناس بالبرد الشديد ويدوم فترة طويلة[7]وسجلت تلمسان البرد والجليد، لأنها تندرج ما بين الغزارة والكثرة الشدة، وكانت الثلوج الأساس الذي يعول عليه الفلاح التلمساني، ونزلت ثلجة عظيمة في تلمسان عطلت الميادين الإقتصادية، وكانت كمية

---

[1]- محمد بن عبد العزيز، المرجع السابق، ج3، ص 6.

[2]- نفسه، ص، ص: 11، 12.

[3]- القيرواني، المصدر السابق، ص 19.

[4]- العربي، المرجع السابق، ص ص 57، 58.

[5]- الزهري، المصدر السابق، ص 114.

[6] - ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص ص 100 – 102.

[7]- يحي ابن خلدون، ج2، المصدر السّابق، ص، ص: 450، 451.

عظيمة[1]، ويكون البرد قارصا أثناء شهري ديسمبر وجانفي خاصة، وقد تنزل الثلوج المتوالية بالمدينة فتغشى جبالها بحلة بيضاء بديعة المنظر، وكثير ما تنزل الثلوج حتى في فصل الربيع[2].

3.1 الأنهار والأودية:

تُشكّل الأنهار من مصادر المياه العذبة الهامّة على سطح الأرض، حيث تتصف باتساع دائرة توزيعها الجغرافي، بالإضافة إلى جودة خصائصها الطبيعية بصورة عامة وجريانها في مسارات محددة الملامح، مما يسهل كثيرا من إمكانيات استغلالها في الأغراض المختلفة منها الري أو الشرب[3]، فإنها تختلف في طبيعتها باليبوسة والرطوبة والحروشة واللين[4]، وهي من مصادر المياه العذبة الهامة على سطح الأرض عامّة[5] وبتلمسان خاصة، ولديها عدة أودية منها:

– **واد ملوية:** هو نهر كبير، يقع في أقصى غرب المغرب الأوسط[6]، ينبع من الأطلس على بعد نحو 25 ميلا من مدينة كرسلوين، ويمر في سفح جبل بني يزناسن، ويدخل في البحر المتوسط[7].

---

[1]– العربي، المرجع السابق، ص 63

[2]– الشاوش، المرجع السابق، ج1، ص34

[3]– نفسه، ص 76.

[4]– ابن بصال: المصدر السابق، ص 39.

[5] – الزوكة، المرجع السابق، ص 75.

[6]– عبد العزيز فيلالي، **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2014، ص 146.

[7]– الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ج2، ص 250.

ويعد من الأنهار المشهورة[1] بتلمسان، ويَضقع على بعد أكثر من 100 كلم غربا ويمر هذا النهر على بعد نحو 80 كلم شمال كرسلوين، على واد زيد[2]، وتوجد على ضفتي هذا النهر عدة سباع تفترس الناس والحيوانات[3]، ويجتاز بعض السهول الوعرة اليابسة ليصل إلى سهل أنكاد[4]، فيقطع في هذا النهر في الصيف خوضا على طول مجراه كله[5].

هذا النهر عليه نظرا واسع، وفيه قرى كثيرة وعمائر متصلة تسقى كلها من نهر ملوية[6]،وكان في أغلب الأوقات الحد الفاصل بين مملكتي الواد وبني مرين[7]، ونهر ملوية يصل إلى وادي صاع ويجتمعان ويصبان في البحر ما بين جراوة[8] ومليلة[9].

حيث هذا النهر يقوم عليه ثلاث سلالات، وهي أولاد طلحة، وأولاد حراش، وأولاد منصور، فكان إنتاجه في القمح والشعير ضعيف جدا[10]، ويوجد فيه سمك جيد[11].

---

[1] – مؤلف مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتق: سعد زغلول عبد الحميد، د ط، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، دس، ص 177.

[2]– الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص 250.

[3]– مارمول كربخال، المصدر السّابق، ص293.

[4]– أنكاد، منطقة متكونة من سهول عليا تقع في مدينة وجدة تهز ملوية ويخترقها نهر أسيلي. أنظر: محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان**، تح: محمود آغا بو عياد، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائر، 1985، ص 284.

[5]– الحسن الوزان، ج2، لمصدر السابق، ص 250

[6]– مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السّابق، ص 193.

[7]– محمد عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص 287.

[8] – جراوة، وهم أبناء جدا وبين الديرت بن جانا، وقد برز دور هم منذ بداية الفتح الإسلامي. ينظر: الدراجي بوزباني، **القبائل الآمازيغية أدوارها –ومواطنها– أعيانها**، ج1، د ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع بالترجمة، الجزائر، 2007، ص284.

[9]– محمود مقديش، **نزهة الأنهار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزاوري ومحمد محفوظ، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 75.

[10]– مارمول كربخال ، ج2، المصدر السابق، ص 293.

[11]– الحسن الوزان، ج2المصدر السابق، ص 250.

وذكر محمود المقديش" أن هذا النهر شربت منه خيول أصحاب كسيلة، وسبب ذلك هو قتل العرب لكسيلة، فتمادوا أصحاب كسيلة عليه و سقو خيلهم منه[1].

– واد التافنة: هو النهر الذي يتصل بمدينة أرشغول[2]، في بلاد الساحلية[3]، وينحدر من جبال الأطلس[4]، وينبع من جبال تقع في نوميديا ثم يسيل نحو الشمال عبر أنكاد إلى أن يصل ويصب في البحر الروم مارا على نحو 15 ميلا من تلمسان[5]، فمدينة أرشغول يقيل قبلتها ويستديل بشرقيها[6]، ويدخل السفن فيها[7]، ومن البحر إلى المدينة[8]، وأرضه صالحة للقمح وبها زرع يجوب فيها أعراب كثيرون[9]، ولا يوجد فيه إلا سمك صغير لا قيمة له[10]، وهو صالح للملاحة[11].

---

[1]– محمود مقديش، ج1، المصدر السابق، ص222.

[2]– أرشغول، تبعد عن تلمسان عشرين ميلا، وهي بير العنوة ويقابلها مدينة العمرية من الأندلس و عرض البحر بينهما درجتان، ينظر إلى: محمد بن عمر، أبي الفداء: **تقويم البلدان**، د ط، دار صادر، بيروت، 1830، ص124.

[3]– مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 177.

[4]– مارمول كربخال، المرجع السابق، ص293.

[5]– الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص 293

[6]– أبي عبيد، البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، د ط، مكتبة المثنى، بغداد، دس، ص77.

[7]– مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 134.

[8]– أبي عبيد البكري، **المسالك والممالك**، د.ط، دار الغرب الإسلامي ، د.م، 1992، ج 2، ص 77.

[9]– مامول كربخال، المصدر السابق، ص 293.

[10]– الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص 251.

[11]– وسيلة علوش، **الثورة المائية في ريف المغرب الأوسط، خريطتها، منشآتها، استغلالها من القرن 1هـ إلى نهاية القرن 6هـ**، مذكرة الماجستير، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2012-2013م، ص37.

– **واد سطفسيف**[1]: هو نهر يأتي من أفكان[2]، من جهة المشرق[3]، على نحو 3 أميال[4]، فينصب في بركة عظيمة، فله خرير شديد هائل على مسافة أميال، ثم يخرج من تلك البركة إلى موضع يسمى المهماز[5]، فهو ينبعث من فوق جبل البغل[6]، والسطفسيف عين بالمغرب لها زرع وعيون وثمار وفواكه[7]، ويسقي المزارع و أولاجا كثيرة تسمى أولاج الجنان، وتلك المواضع من أجمل بقاع تلمسان ويصب في نهرين هما نهر يسر وتافنة[8]، ويكون هذا النهر من الأنهار الصغيرة المجلوبة عن طريق القنوات[9].

– **واد أرشغول**: هو نهر يصب في البحر يسقى منه البساتين وثمار، وهي مقطوعة منحوتة السور من كل ناحية بنهر، ولها عين تجري بينها وبين البحر، وكان في غربها مجمع من الأدوية وادي يسر، ووادي سي، ووادي هنت، وكان لها حمام وفنادق[10]، ويسمى الآن تفنين[11]، ويعني اسم أرشغول شجر الدردار، يقع على 8 أميال شرق مصب نهر التافنة[12].

---

[1]– الصفصيف أو سطفسيف، الذي ينبع من أسفل جبل الفضل ويصب في بِركة عظيمة، غزيرة الجريان ومتفرع يصب في نهر أسر ويواصل امتداده حتى يلتقي بنهر تافنة ولهذا النهر شهرته ومكانته وقد تغنى به الشعراء، فقد تغنى بهذا النهر الشاعر ابن خميس، يُنظر: عبد الوهاب بن منصور، **المنتخب النفيس في شعر ابن خميس**، مطبعة ابن خلدون، الرباط، د.ت، ص 135.

[2] – أفكان: مدينة كان لها أرحاء وحمامات وقصور وكان عليها سور وتراب لكنه الآن تهدم وبقي أثره. ينظر إلى: الشريف الإدريسي،**نزهة المشتاق في اختراق** الآفاق، ج1، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص 251.

[3]– نفسه، ص 250

[4] - الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص20.

[5]– مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السّابق، ص 177.

[6] - البكري، ج2، المسالك والممالك، ص 76.

[7]– المقريزي، **جني الأزهار من الروض المعطار**، تح: محمد زينهم، دار الثقافية، القاهرة 1426هـ/2006م، ص 64.

[8]– مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 177.

[9]– علوش، المرجع السابق، ص 38.

[10] – البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 70.

[11] – مارمول كربخال، المصدر السابق، ص297.

[12]– محمد بن عميرة، **الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، (أطروحة الدكتوراه) جامعة الجزائر، الجزائر، 2004-2005م، ص 134.

– **واد زال**: هو نهر ينبع من الأطلس، ويسيل بسهل أنكاد، في الحد الفاصل بين مملكتي فاس وتلمسان، وماءه منخفض وليس عامر[1]، وهو نهر عميق يجري في سهل الصحراء ومليء بالمياه، ويقع على سهل البطخاء، ويسقي نهر الشلف سهول تلمسان على ضفافه حدائق وجنات وكروم كثيرة[2]، ووصفه "المقديش" في مدينة تلمسان بقوله: "وبها عين تسمى الزال"[3]، ويوجد في هذا النهر سمك كثير لكنه أهله جاهلين لا يستطيعون صيده وذلك يرجع إلى أسباب وهي: عدم امتلاكهم آلات الصيد، وأيضا كثرة صفاء ماءه ، وهذا غير صالح للصيد[4].

– **واد يسر**: هو نهر صغير يمر على شرقي تلمسان على بعد نحو أربعون كلم، وهو يصب في نهر تافنة[5].

وعلى هذا يتضح أن تلمسان كان لها أنهار كثيرة، ساعدت على سقي المزروعات والبساتين، وكذلك توفير الماء للحيوانات، حيث هذه الأنهار موجودة في كل نواحي مدينة تلمسان.

4.1المياه الجوفية (الآبار والعيون)

تعتبر المياه الجوفية من أهم مصادر المياه التي كان يعتمد عليها الإنسان ، ويقصد بها تلك المياه الموجودة في باطن الأرض، والتي تشغل بعض الفراغات الموجودة في التكوينات الصخرية، وهي جزء من مياه الأمطار والثلوج الذائبة أو المياه المتسربة من الأنهار[6]، والماء الجوفي الذي يتدفق في الآبار والعيون يكون خاليا في العادة من الموارد المتعلقة، وذلك عن طريق الترشيح خلال التربة، ويكون محملا بالمواد المعدنية الذائبة، وتشكل المياه الجوفية جميع المياه من وقت هبوطها تحت سطح الأرض حتى ظهورها منه، والواقع لولا الماء الجوفي لما وجدت حياة على اليابسة، باستثناء تلك التي تنموا في البحيرات ومجاري المياه أو تتغذى عليها[7].

---

[1] – الجسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص250

[2] – فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، المرجع السّابق، ص 146.

[3]– مقديش، المصدر السابق، ج1، ص 600.

[4] - الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 250

[5]– التنسي، المصدر السابق، ص 288

[6]– الزوكة: المرجع السابق، ص 268.

[7]– محمد بن عبد العزيز، ج3، المرجع السابق، ص، ص: 294، 295.

وللمياه الجوفية أنواع: وهي الماء الموحد، والماء الصبي، ويعرف هذا النوع الذي يتراكم عن طريق تسرب وسربان ماء المطر من خلال الصخور، ويميز هذا النوع نوعين آخرين وهما المياه الحفرية التي حجزت في الماضي داخل الرسوبات، والنوع الآخر المياه الجوفية التي تتصاعد كالبخار[1].

أما بالنسبة للآبار فهي عبارة عن حفرة عميقة، يستخرج منها الماء وهي البئر وجمعها آبار[2]، وللآبار ثلاثة أنواع وهي : الآبار المخصصة للنفع العام، سواء كانت على أرض الموات أو على أملاك خاصة، والنوع الثاني هي : الآبار المحفورة في أراضي الأموات لأغراض خاصة والنوع الثالث الآبار المحفورة في الأرض ذات ملكية خاصة، وهي التي تعد بئر ملكا خاصا[3].

وتذكر المصادر أن الآبار المتواجدة بتلمسان كما ذكرها البكري وجد في وسط الجامع الكبير بمدينة أرشغول جب كبير، وحمامات وآبار عذبة، لا تغور، تقوم بأهلها[4].

وبما أن مدينة تلمسان شيدت على تكوينات صخرية رسوبية، ويوجد تحتها خزانا مائيا هائلا ويتراوح عمق الآبار من سبعة إلى اثنى عشر مترا، وهذا ما جعلها تمتلك كما هائلا من الآبار على غرار المساجد والحمامات، بل وحتى المنازل لم يكن يخلوا أي منزل من بئر داخله[5]. وحفر أهل تلمسان في صحون منازلهم وفي مدائنهم، بحثا عن المياه حتى صار لكل منزل بئر تقريبا بالمدينة، وكانت هناك بعض المنازل لا تصلها المياه عبر القنوات ولا تتوفر على الآبار[6]، وتوجد العديد من الآبار التي تزود مياه العيون والأنهار، من أعالي الجبال الدائرة بها، وكثرة الينابيع التي تقع خارج المدينة، عن

---

[1]- محمد بن عبد العزيز، ج3، المرجع السابق ، ص 296.

[2]- سليم، المرجع السابق، ص 11.

[3]-محمد بن عبد العزيز، المرجع السابق ، ج 3، ص 177.

[4]- البكري، المغرب في ذكر بلا إفريقية والمغرب، المصدر السّابق، ص77.

[5]-محمد عطار، المنشآت الأثرية بمدينة تلمسان، **مجلة البحر الأبيض المتوسط**، المجلد 06، جامعة تلمسان، العدد 01، 2017، ص 07

[6]-فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، المرجع السابق، ص105.

طريق شبكة مائية محكمة في قنوات من الطوب مغطاة تحت الأرض، خاصة الجزء الذي يقع خارج المدينة، وتصب قناتها الرئيسية في صهاريج داخل المدينة، ويوزع على السكان والمرافق العمومية، والمؤسسات التربوية والحكومية[1].

2. نوعية الأراضي الزراعية:

لقد تحكمت في الزراعة طبيعة الملكية وكيفية استعمال الأرض التي أثرت فيها ظروف وعوامل مختلفة، وكانت هناك عدة أنواع من الأراضي أهمها[2]:

1.2 الأراضي تابعة للملاّك:

الملكيات الخاصة الموجودة بالأقاليم الريفية خاصة الجبلية كتلك الواقعة بمنطقة ترارة شمال تلمسان، و التي حافظت على اطارها التقليدي المعتمد على التنظيم القبلي و العادات المتوارثة[3]، و ملكيات خاصة بالقرب من المدينة و التي كانت تستغل من طرف العثمانيين و الكراغلة و الاندلسيين و الحضر[4].

تعتبر ملكية خاصة، تضم أحسن الأراضي المسقية والصالحة لكل أنواع منتجات الفلاحة حيث يقوم بفلاحتها بواسطة أعمال السخرة التي يفرضها الأتراك على قبائل الرعية، وإذا كانت كمية الإنتاج غير كافية فإن الباي يستغل الخماسين الذين يتلقون من الدولة الحيوانات والبذور ويتقاضون خمس كأجر لهم[5].

---

[1]- فيلالي: بحوث في تاريخ المغرب الأوسط ...، المرجع السابق، ص 148.

[2] زوليخة سماعيلي المولودة علو، المرجع السابق، ص . 110

[3]-ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية في الملكية و الوقف و الجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2001، ص80.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاجتماعية....، المرجع السابق، ص ص 15-16.

[5] Auteur inconnu, **Dictionnaire des communes de l'Algérie**, Pierre Fontana Imprimeur-Editeur, Alger, 1903, p 251.

كان أصحاب هذه الأراضي يستغلونها مباشرة، ولا يتوجب عليهم إزاء الدولة سوى فريضتا العُشر[1] وزكاة[2]، وقد كانت تتصف بعدم الاستقرار وبصغر المساحة نظرًا لخضوعها لأحكام الوراثة والبيع والشراء، لتعرضها في كثير الأحيان إلى المصادرة والحيازة من طرف الحكام ولوقوع أغلبها في المناطق الجبلية المكتظة بالسكان، أو بجوار المدن حيث يكثر الإقبال على امتلاكها من طرف سكان المدن وموظفي الدولة، مثل: الملكيات الواقعة بالقرب من مدن الجزائر، قسنطينة وهران التي أصبحت في حوزة بعض الأتراك والكراغلة والحضر واشتهرت ملكية بايات الغرب بمصرغين والدار البيضاء بالقرب من وهران[3].

2.2 أراضي البايلك (أراضي الدولة):

انتشرت هذه النوعية من الملكية في سهول تلمسان[4]، وهي الأراضي التابعة للدولة وتسمى بالعزل، وغالباً ما كانت تصادر من القبائل الثائرة تتنازل عنها الدولة لصالح كبار الموظفين والقبائل التي تدعى العزل كما تقدم المقاتلين للسلطة التركية، زيادة على تخصيص جزء من المحاصيل الزراعية للباي والفلاحين مقابل دفع الإتاوات المفروضة عليهم[5]، وأغلب أراضي البايلك توجد بمنطقة دار السلطان، قسنطينة وهران ففي نواحي هذه الأخيرة كانت ملكيات البايلك تمتد على عدة آلاف من الهكتارات أغلبها يقع بالسهول القريبة من المدينة، حيث تقيم عشائر الدوائر والزمالة التي استقرت في الأماكن التي كانت تقيم عليها القبائل المعادية للأتراك كالاحمال أو المتعاملة مع الأسبان كبني عامر وفليتة.

---

[1]- العشر، وهي الضرائب على المحصول .ينظر:عمار بوحو، المرجع السابق، ص14

[2]- الزكاة، كان باي الغرب يدفع عشرة آلآف صاع قمحًا ومثلها شعيرًا، ويوزع على أصحاب الدولة وخدامهم نحو ألفي صاع قمح وشعير، والغنم ستة الآلف رأس، ويوزع أيضًا على أصحاب الدولة مرتين في السنة، في أفريل وسبتمبر، ويعطي العوائد في العيدين الصغير والكبير، ويوم عاشوراء والمولد النبوي الشريف ,للأمير ووزرائه كتابه وجميع خدمه.ينظر: مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 47.

[3]- زوليخة سماعيلي المولودة علو، المرجع السابق، ص110 .

[4] - فارس العيد، المرجع السابق، ص 146

[5]- حنيفي هلا يلي، المرجع السابق، ص860

أما استغلال أراضي البايلك فكان يتم مباشرة من طرف الحكام الذين يستخدمون الخماسة[1] مزارع(رتب) البايلك، أو يلتجؤون إلى تسخير قبائل الرعية" التويزة "عندما يتعذر الاستغلال المباشر تعطى لذوي النفوذ والمكانة مثل: المرابطين وشيوخ القبائل الكبرى والعشائر المهمة المتعاملين مع البايلك[2].

وفي بعض الأحيان تسلم أراضي الدولة إلى عشائر المخزن لتستغلها وتقيم عليها مقابل خدمات عسكرية ومهام إدارية، ولا تدفع عنها سوى فريضة العشر، هذا و قد يلجأ الحكام إلى كراء أراضي البايلك لسكان الدواوير المجاورة وعرف هذا الكراء ب الحكور [3].

أراضي البايلك كان مردودها يختلف باختلاف نوعية استغلالها فكان يؤخذ منها محصول عيني إذا استغلت مباشرة باستخدام الخماسة وتسخير الرعية" التويزة "، كذلك أخذ كراء سنوي محدد" الحكور"[4]، وفي بعض الأحيان تعطى كإقطاع لذوي النفوذ والمكانة مقابل دفع رسم سنوي لا يتجاوز 4 ريالات عن كل جابدة باعتباره عشور أو كراء منخفضاً، كما هو شأن الأراضي التي يقيم عليها قبائل المخزن.[5]

2.2 الأراضي المشاعة(أراضي العرش):

انتشرت في جبال تلمسان، وهي شكل من أشكال الملكية للجماعة القبلية توجه بالأساس إلى استغلالها كمراعي في المناطق السهلية، وتنقسم هذه الأراضي بدورها إلى جزئيين: فالجزء الأعظم منها غير قابل للتقسيم وتستعمل من طرف جميع أعضاء القبيلة كمناطق للرعي والجزء الثاني نراه يخصص للفلاحة ويوزع بين العائلات ليستغل[6]، وتعرف هذه الأراضي في الجهات الشرقية بأراضي" العرش" وفي بعض النواحي الغربية بأراضي "السبيقة"، وهذا ما جعل طريقة

---

[1]- الخماسة، هي ممارسة الفلاح لكل أعمال الفلاحة في أراضي غيره مقابل الحصول على خمس الإنتاج. ينظر: حما8دي بن موسى :المرجع السابق، ص14.

[2]- ناصر الدين سعيد وني :الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، ج1، البصائر للنّشر والتّوزيع ، الجزائر، 2012، ص.11

[3]- نفسه، ص11

[4]- الحكور، وهو الإيجار الذي يدفعه الفلاحون مقابل استثمارهم للأراضي التي تملكها الدولة، أو هو كراء سنوي كان يدفع عادة نقدا. ينظر، توفيق دحماني :المرجع السابق، ص.805

[5]- زوليخة سماعيلي المولودة علو، المرجع السابق، ص ص114 ،118

[6]- عبد السلام فيلان، **الجزائر الدولة و المجتمع**، ج1، دار الوسام العربي، الجزائر، 2013 ص 15.

الاستغلال تخضع لحاجة أفراد القبيلة حسب مقدرتهم وإمكانياتهم، بينما تترك الأجزاء الغير المستغلة منها للرعي وعند تغيب أحد الأفراد أو إثبات إهماله لحصته من الأرض، فيتولى أعيان الجماعة تسليم الأرض لمن يقوم بخدمتها هذا ما يقوم به الدوار الدشرة[1].

تفرض الدولة على هذا الصنف من الأراضي غرامة سنوية وتأخذ منها في بعض الأحيان اللزمة[2] أو المعونة والخطية، وكانت الغرامة تدفع نقداً في الغالب، بينما اللزمة و المعونة تستخلص من الإنتاج ويضاف لها بعض المقادير من النقود، هذا بالإضافة إلى مطالبة الحكام مستغلي الأراضي المشاعة ببعض الضرائب الفصلية، التي كانت تعرف بالعوائد مثل ضيفة الباي وضيفة الدنوش، وخيل الرعية، حق البرنوس ومهر الباشا والفرس والفرح والبشارة وغيرها[3].

4.2 أراضي الوقف:

أراضي حبست للانفاق على الأعمال الخيرية أو المؤسسات الدينية أو يعود ذلك على أصحاب الوقف "وقف أهلي" أوكل التصرف فيها لناظر الأوقاف ومساعديه من الوكلاء والشواش وقد انتشرت الأوقاف في أواخر العهد العثماني، وتركزت الأراضي التابعة لها بالقرب من المدن الكبرى، وقد بلغ عدد الملكيات الزراعية الموقوفة بفحص مدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي أكثر من ألف وست مئة ملكية ما بين بستان وحديقة، حقل ومزرع، أكد البعض أن الأوقاف كانت تشمل ثلاثة أرباع الأراضي الصالحة للزراعة بالمناطق الخاضعة مباشرة للبايلك، بحيث أصبحت تشكل أحد أهم الملكية الشائعة ولا يماثلها من حيث الأهمية وسعة المساحة بجوار المدن سوى الملكيات الخاصة، أو أراضي البايلك.

---

[1]- حنيفي هلا يلي، المرجع السابق، ص 10 . ينظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية..، المرجع السّابق، ص61

[2]- اللزمة: كان باي الغرب يقدم بين يدي الأمير كما قدمنا 14 ألف ريال صغيرة كوار و هو من تقدم في الملاقاة و الضيافة، أما هديته وعوائده التي يدفعها اقل من باي الغرب وكل الخلفاء يدفعون اللزمة كل ستة (6) أشهر نصف ما يدفعه البايات. ينظر: الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص05.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ، المرجع الساب، ص61 .

على سبيل الذكر صارت أوقاف ضريح سيدي بومدين تناهز 23 وقفا عقاريا داخل مدينة تلمسان و خارجها[1]، ومن أقدم الواقفين العثمانيين في الجزائر خير الدين بربروس و خادمه الذي اعتقه و هو عبد الله صفر الذي بنى جامعا بتلمسان (المعروف بجامع سفير) سنة 1534 و أوقف عليه أرضا مساحتها 10 زويجات و هو ما يعادل مائة هكتار[2].

5.2 أراضي الموات:

هي أراضي تركت بدون استغلال، أو التي كانت غير صالحة للفلاحة رغم إمكانية امتلاكها و الانتفاع بها شريطة إحيائها، إلا أن الأهالي بالأرياف لم يكونوا يقبلون على استثمارها لاسيما أواخر الفترة العثمانية، التي تميزت بانتشار هذا النوع من الأراضي بعد عزوف كثير من السكان عن ممارسة الفلاحة امتهان الرعي[3].

نتج عن طبيعة الملكية وكيفية استغلال الأرض اضطراب في توزيع السكان واختلال في نسبة الكثافة السكانية، فأصبحت المناطق السهلية الخصبة حيث تستقر قبائل المخزن وتقيم الحاميات التركية التي تتميز بقلة سكانها، بينما المناطق الجبلية والهضاب الفقيرة، الواحات النائية تشتهر بكثرة سكانها، بذلك أصبحت مناطق الطرد البشري كثيفة السكان ومناطق الجذب البشري فقيرة من السكان، مما سيترك آثار سلبية على أوضاع الفلاحة وحالة السكان[4].

3. أهم المحاصيل الزراعية:

لقد ساهم التنوع في التضاريس و المناخ و خصوبة التربة في المنطقة الى وفرة و تنوع المنتوجات الزراعية، نذكر منها:

1.3 الحبوب:

في تلمسان كانت تحتل الحبوب المرتبة الأولى في الإنتاج الزراعي، كونها المادة الأساسية للاستهلاك المحلي في المنطقة[5]، فهي تتوافق مع طريقة تغذيتهم ولا تتطلب تكاليف مالية كبيرة ووسائل الإنتاج الحديثة، مما جعلها تستجيب

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، المرجع السابق، ص60.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص23.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية...، المرجع السابق، ص11

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي :الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص60

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص58.

لثقافة السكان الأصليين[1]، حيث تعتبر الحبوب مادة رئيسية للاستهلاك المحلي والتصدير الخارجي ، فقد عملت الدولة جاهدة للسيطرة على المساحات المخصصة لزراعة الحبوب، والتي كانت تنتشر حول اغريس، قلعة بني راشد، مستغانم وتلمسان ندرومة ،فقدرت مساحة أراضي الحبوب التي يمتلكها البايلك في الغرب ما يناهز ثلاثة آلاف وخمسمائة 3500 جابدة ، بالإضافة إلى 5212 جابدة موزعة على موظفي الدولة مقابل الأجور والترضيات في مختلف الأقاليم، علماً أن مساحة الجابدة الواحدة يتراوح ما بين ثمانية وعشر (8 – 10) هكتارات.

هذه المساحات من الأراضي المستغلة في زراعة الحبوب كانت تمد الدولة بإنتاج ضخم بعضه يستهلك محلياً من طرف الفلاحين وسكان المدن، والبعض الآخر يصدر للخارج؛ بحيث تميزت السنوات الأخيرة من القرن18 م وحتى 1815 م بإنتاجها الوفير، مما سمح للبايلك بتصدير مئة وخمسين ألف شحنة عام 1708 من موانئ الإيالة، بينما السنوات الأخيرة من العهد العثماني 1816- 1830 تميزت بقلة الإنتاج و رداءة المحصول الذي لم يعد يتجاوز عشية الاحتلال سوى سبعة آلاف وخمسمائة 7500.000 قنطار .

يعتبر قمح تلمسان من أحسن الأنواع اذ يصفه ديستري(d'estry) في قوله: **"ان أجود أنواع القمح بالجزائر يأتي من منطقة تلمسان و يسمى بالمرواني"**[2]، ويقول عنه ديفونتان (desfontaines) : **"هو قمح غير مألوف، اذ تنتج الحبة الواحدة عددا كبيرا من السيقان، فقد افاد توماس شو أن خليفة من منطقة تلمسان أحضر في يوم من الأيام الى الجزائر مخزونا من القمح يحتوي على ثمانين ساقا من نفس البذرة"**[3].

بالإضافة إلى القمح يوجد الشعير الذي انتج في جبال تلمسان بنسبة كبيرة عن القمح حسب ما ذكره حسن الوزان[4]، الا أن انتاج الحبوب بصفة عامة في الجبال كان قليلا مقارنة بإنتاج السهول[5].

---

[1] Varlet Jules, **Les céréales d'Algérie**, Giral imprimeur, Alger, 1900,p12.

[2] Stephen D'estry, **Histoire d'alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos joursmame et cie**,tours,France ,1845-1846 ,p132.

[3] Peyssonnel et Desfontaines, op، cit, p 271.

[4]- حسن الوزان،ج2، المصدر السابق، ص ص 43-44.

[5] M.Rozet, **Voyage dans la regence d'alger**,T3, arthus bertrand, Paris,1833,p316.

2.3 البقول والخضار:

يرجع الفضل كذلك الى الاندلسيين في إدخال أنواع جديدة من المزروعات إلى المغرب الأوسط مثل الليمون ،البطاطا ،الفلفل ،الطماطم ،الباذنجان ،السبانخ ،الزعفران ،الجلبان والكرنب[1]، و في استنبات مزروعات أخرى كالذرة الصفراء واللوبياء الخضراء والفلفل الأحمر[2].

لهذا اشتهرت المنطقة بمختلف أنواع البقول و الخضر كالطماطم، الخيار، البصل، البطاطس والفلفل، الدلاع والبطيخ الطويل، الذي أصبحت فحوص تلمسان تنتج منه كميات كبيرة توجه إلى أسواق المدن للاستهلاك[3]، وقد حفظت سجلات الدولة ومذكرات الرحالة أسعار مختلف هذه البقول والثمار على سبيل المثال كانت مئة حبة من البصل تُباع بثلاثين سنتيم، ومائة حبة طماطم ما يعادل فرنكاً واحداً عند نزول الجيش الفرنسي بمدينة الجزائر سنة 1830 م .

3.3 المزروعات التجارية:

انتعشت كذلك زراعة البساتين وانتشرت معها مزروعات جديدة كالقطن لما له من أهمية في صناعة النسيج[4]، بالإضافة الى الكتان، التبغ والأرز، فكان هذا الأخير ينتج بنواحي مليانة المتاخمة لنهر الشلف وبالقرب من معسكر و مستغانم، حيث بلغ ما كان ينتج منه أواخر القرن 18 م ستة آلاف صاع، وكذلك القطن كان ينبت في سهول ميناء الشلف وجهات مستغانم، يضاف إلى هذه المزروعات إنتاج العسل والشمع التي كانت تشتهر به الأقاليم الجبلية بباليك الغرب الممتدة من رأس الفكون إلى الحدود المغربية، فكان الأهالي يستهلكون جزءاً منه ويبيعون الباقي لوكلاء الباليك.

---

[1]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص163

[2]- لوي كارديك، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، تع: عبد الجليل التيمي، ط1، منشوراتالمجلة التّارخية وديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982، ص 89.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق،ج4، ص59.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ص386.

حيث شهدت منطقة تلمسان زراعة بعض المحاصيل ذات الطابع التجاري كزراعة التبغ[1]، وزراعة القطن بكثرة في ندرومة[2].

جملة القول كان المجتمع الجزائري مجتمعاً فلاحياً في العهد التركي، بحيث قدر بعض المؤرخين نسبة سكان الأرياف بأكثر من تسعين بالمائة (90 %) وبذلك تعرضت البلاد لكثير من المجاعات نتيجة فترات الجفاف الدورية، غالباً ما كان هذا الأخير مصحوباً بغزو الجراد وانتشار الأوبئة وإتلاف المزروعات، كما كانت الفلاحة تعاني من قساوة الطبيعة، كما عانت ضعف مستوى وسائل الإنتاج التي لم تسعى السلطة التركية لتطويرها إلا في أواخر القرن 18م، حينما بدأت موارد القرصنة تتراجع والحاجة لتصدير المنتجات الزراعية تزداد[3].

4.3 الأشجار المثمرة:

عمل الاندلسيون على تحديد أساليب وطرق الزراعة في ضواحي المدينة وبخاصة على ضفتي واد الوريط وهذا ما أشار إليه ابن الأعرج:" **قلدهم الناس في فلاحتهم، واعتنائهم بغرس الزيتون وسائر الفواكه حتى صارت البلاد وأهلها في حالة زاهية وعيشة راضية**"، وكانت أسرة بني ملاح من الأسر الأندلسية التي اهتمت بالجانب الفلاحي[4]، واستصلحت أراضي شاسعة فازدهرت زراعة الأشجار المثمرة[5]، التي تتمثل في أشجار التين، الزيتون، البرتقال، العنب والخوخ، حب الملوك والمشمش، وقد ارتبط هذا النوع من الزراعة بالمناطق الجبلية، وازدهرت البساتين بأراضي الفحوص المحيطة بالمدن الرئيسية كوهران، معسكر وتلمسان.

كان سهل تلمسان يحتوي على حدائق خضراء ذات أشجار مثمرة تسقى بالمياه حيث ذكر ديفونتان (desfontaine):" **أنه لم يشاهد في حياته بلدا مرويا مثل تلمسان و أرضه المحروثة تتوازى بها البساتين و**

---

[1] Charles .B, **Les Inscriptions Arabes De Tlemcen**,..Tombeau De Louli Sidi Boudjema, **R.A**, Année, 1859, p344.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص14.

[3]- صالح عباد، المرجع السابق، ص688

[4]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر...، المرجع السّابق، ص 139.

[5]- حنفي هلايل، الموريسكيون في المغرب الأوسط، المرجع السّابق، ص61.

حقول الحبوب و أشجار الزيتون الممتدة على أطراف المدينة و القرى المجاورة مثل عين الحوت، الحناية..."[1]، بينما يصفها الرحالة المكناسي قائلا: **"مدينة تلمسان هذه مدينة كبيرة مشهورة، كثيرة المياه و البساتين و الاجنة"**[2]، **أما حسن الوزان يقول: "تلمسان فيها كروم ممتازة تنتج أعناب من كل لون، وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أرى لها مثيلا في جهة أخرى، والتين الشديد الحلاوة، يجفف ليأكل في الشتاء، و الخوخ و الجوز و اللوز و البطيخ و غيرها من الفواكه المختلفة"**[3].

4. وسائل الانتاج الفلاحي:

رغم إدخال الأندلسيين زراعات جديدة وتطويرهم وسائل الري، وإنشاء الحنايا والسواقي خلال الفترة الأولى من العهد العثماني، الا انه اقتصر الفلاحين على استعمال ألآت البسيطة التي أصبحت لا تتعدى ما يلي:

1.4 المحراث الخشبي:

هو من الأدوات المستعملة في الحرث ، حيث كان يشكل العنصر الأساسي للعمل الزراعي وهو مصنوع من الخشب بسيط مكون من قطعتين قصيرتين مجتمعتين، تتكون عادة من شجر البلوط أو الزيتون ومزود في أسفله سبكة من حديد أو من خشب الزان فيها أوتاد صغيرة تساعد على قلب التربة ويكفي لجره ثور أو بغل، غير أن هذا المحراث على ما فيه من نقائص امتلك بعض الميزات الهامة[4]، فإنه يحرث الأرض بعمق خمسة أو ستة أصابع كما أنه في كل دورة يشق فيها الأرض لا يخط إلا نصف أخدود[5].

---

[1] Desfontaines, Op، Cit p164.

[2]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي، المصدر السابق، ص331

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص20.

[4]- كمال بن صحراوي ، المرج السّابق، ص190

[5]- إسمهان لعريبي ، **الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق في العهد العثماني** ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2012- 2013، ص171

2.4 المنجل:

كان بسيط جدا ،وكان يتلف السنابل أثناء عملية الحصاد واعتبر طريقة الفلاح الجزائري المعتمدة على الانحناء والاستقامة بلا توقف متعبة للغاية، وهي طريقة يفرضها استخدام المنجل[1].

3.4 السماد:

كان الفلاح يستخدم رماد الأعشاب المحروقة و فضلات الحيوانات كسماد لإثراء التربة، و حتى هذه الفضلات كانت مهملة غير مستعملة رغم انها كانت تغطي الأرض بسبب كثرة الحيوانات[2]، و عند عدم توفر هذه الأسمدة يلتجئ الفلاح الى ترك الأرض بور لمدة سنة او اكثر لتستعيد خصوبتها[3].

4.4 السدود:

هي عبارة عن حواجز بسيطة من الطين و الاخشاب، هي تقوى على الحد من الفيضانات و هي تساعد على تخزين المياه و منها السدود التي أقامها الأهالي او العبيد لصالح الباي على الاودية.[4]

5.4 نظام الري:

اهتم السكان بتنظيم عملية الري وهذا من خلال بناء السدود على مختلف الأودية والعيون، حيث أن عملية سقي الأراضي كانت عملية منظمة من خلال وجود رسوم استغلال المياه، وقد كان يعتمد الري في التل على الأمطار الخاصة بالنسبة للحبوب حيث أن وفرته وثراءه تتوقفان على كمية الأمطار المتهاطلة في الشتاء وهناك نظامين للري يستعملان في البلاد وهما :عن طريق الغمر ويستعمل للحبوب وأشجار الفواكه ،حيث الأشجار بالتراب لتشكيل أحاض يصل إليها الماء، أو عن طريق الترشيح ويستخدم لري البقوليات وفي بعض الأحيان في المنحدرات التي تخصص لزراعة الحبوب[5].

---

[1]- كمال بن صحراوي ، المرجع السابق ، ص191

[2]- نفسه، ص192

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية...، المرجع السابق، ص89

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص57

[5]- إسمهان لعربي ، المرجع السابق ، ص ص 173؛176

في الأخير نقول لم يكن الفلاح في بايلك الغرب يملك الكثير من الوسائل التي تساعده على أداء عمله، ورغم هذه الأساليب البسيطة و الوسائل البدائية الا انه استطاع ان يتماشى مع ظروف الفلاحة و طبيعة البيئة.

5. الثروة الحيوانية:

ارتبطت الحياة الزراعية في بايلك الغرب بتربية المواشي و كانت الثروة الحيوانية فيه كبيرة تميزها الاعداد الهائلة من الأغنام ، الماعز، الابقار، الخيول، البغال و الحمير، كما توفرت المراعي الغنية في الغابات تدعمها عيون المياه و السواقي المنتظم جريانها، كما هو الشأن في جبال تلمسان.[1]

شملت الثروة الحيوانية في تلمسان ونواحيها الابقار، الثيران، الأغنام ، الخيول، الماعز و البغال[2]، و كانت تستغل هذه الثروة الحيوانية في اللحوم و انتاج الحليب و الدهون و الصوف، الثيران تستغل للحرث و الاعمال الزراعية، ويعتمد على البغال، الاحمرة و الجمال في عملية حمل بضائع و التنقل و الخيول في عملية النقل فقط[3]، ويمثل مردودها مردودا هاما و أساسيا لحياة السكان في المناطق الرعوية ، و بذلك تحولت هذه الثروة الى مصدر عيش رئيسي بل وصارت منتوجاتها تصدر الى الخارج[4].

و كان في منطقة ندرومة عدد كبير من القطعان سواء من الابقار، الأغنام و البغال، بالإضافة الى النحل[5]، و يمكن إحصاء اعداد الماشية في تلمسان و المناطق المحيطة بها في أواخر الحكم العثماني من خلال الجدول و الاعمدة البيانية التالية.

---

[1]- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص211.

[2] Auteur inconnu,Dictionnaire, op، cit , p 251.

[3] M.Rozet, **Voyage dans la regence d'alger**,T1,arthus Bertrand ,Paris,1833,p265.

[4]- ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي،المرجع السابق، ص60

[5]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ص295.

جدول و أعمدة بيانية توضح عدد رؤوس الأغنام و الماعز بمدينة تلمسان و نواحيها خلال القرن 19م[1]

المدن	عدد رؤوس الأغنام	عدد رؤوس الماعز
تلمسان	16238	5709
سبدو	22658	25257
الرمشي	48440	38765
مغنية	122305	98663
ندرومة	10104	28348

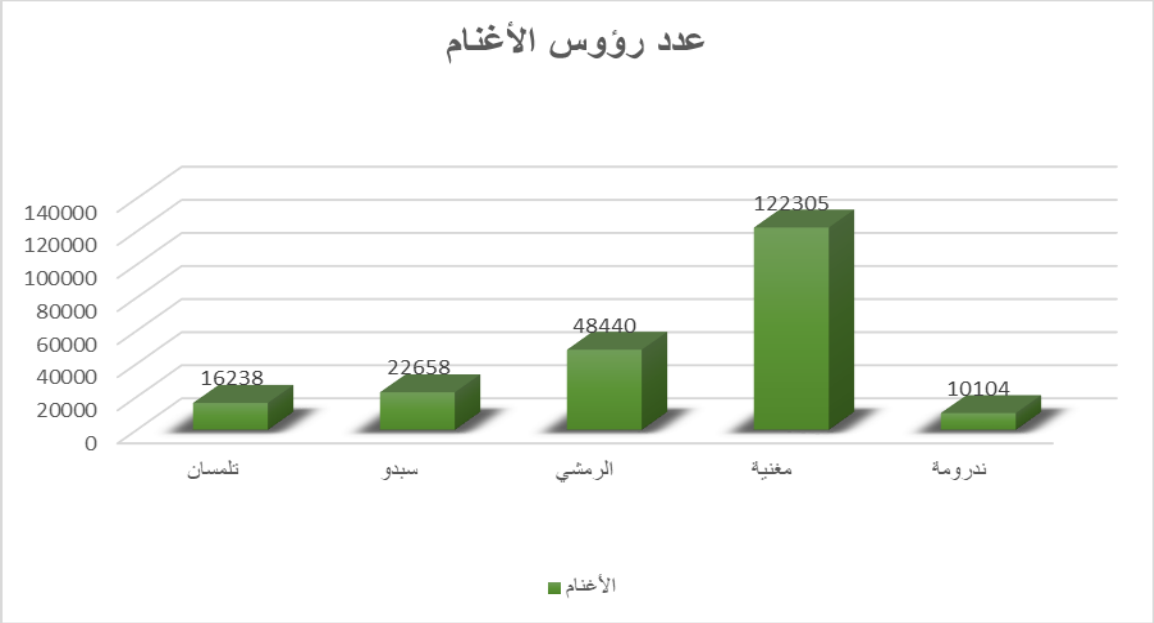

[1]– من انجاز الطالب اعتمادا على القائمة البيبليوغرافيا

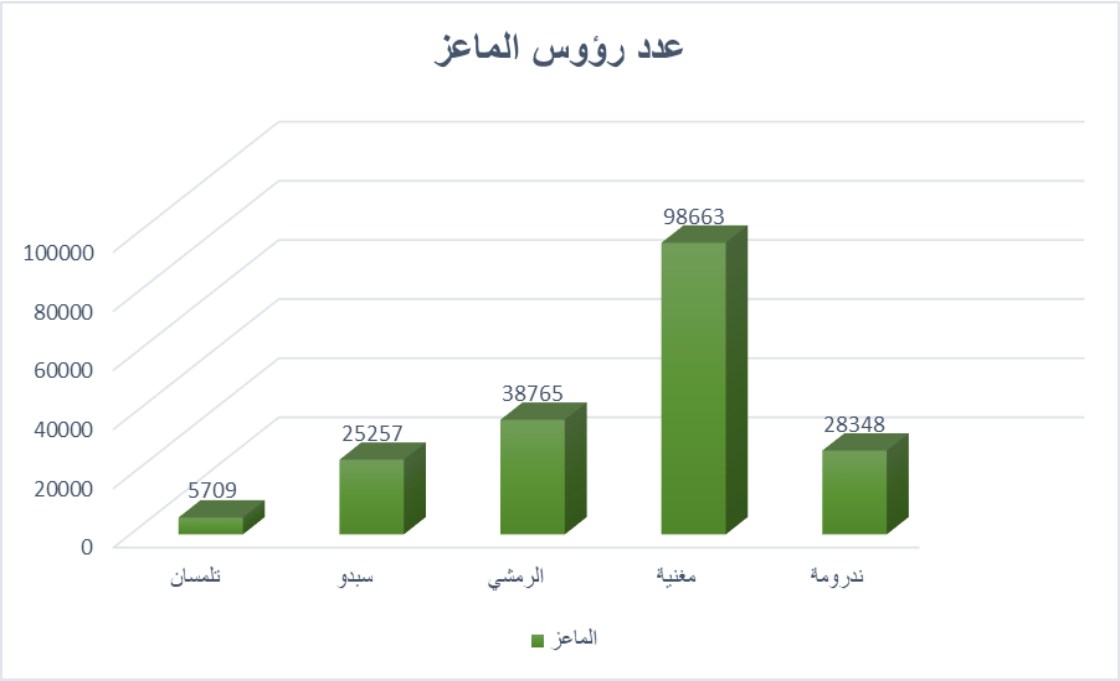

نلاحظ أنّ عدد رؤوس الأغنام والماعز بمنطقة مغنية مرتفع مقارنة ببقية المناطق وهذا راجع لطبيعة البيئة الرعوية المناسبة لتربية المواشي، واهتمام سكان المنطقة بهذا النشاط.

كان النشاط الفلاحي ضعيف جدا في جميع المستويات، فالفلاحين كانوا يستعملون أدوات بسيطة كمحراث و منجل افريقيا الرومانية اللذان لم يخضعا لأي تعديل، أما قنوات الري فقد كانت تعود الى القرن الحادي عشر، إضافة الى ذلك فقد كانت تربية الماشية تتم في الطبيعة بطريقة بدائية.[1]

6. العوامل المؤثرة في النشاط الفلاحي:

– **الضغط الجبائي**: ارتفعت الضرائب المفروضة على الفلاحين نتيجة نقص مداخيل النشاط البحري، فاصبح على اثرها يدفع الفلاحون مبالغ مالية كبيرة مما دفع ببعضهم الى ترك أراضيهم و الهجرة نحو المناطق الجبلية[2].

– **ضعف وسائل الإنتاج**: على الرغم من الوسائل و المعدات التي جلبها الاندلسيون الى المنطقة، الا ان الفلاحين احتفظوا بالطرق التقليدية في الزراعة من خلال استعمال أدوات بسيطة كالمحراث و المنجل القديم.[3]

---

[1] Lucette valenci, **Le Maghreb avant la prise D'Alger**,Flammarion,Paris,1969,p44.

[2]– أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره 1800–1830**،دار الكتاب العربي، الجزائر،د.ت.، ص60

[3]– كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص257.

– **الاستيلاء على الأراضي الخصبة من طرف الحكام**: انتهاج بعض الحكام سياسة الاستيلاء على الأراضي الخصبة، حول معسكر و تلمسان و في الهضاب العليا بشكل عام، كما احتكوا الإنتاج الفلاحي، وكان هدفهم توجيه العمل الزراعي للاحداث نوع من التوازن المالي و تشجيع التصدير لضمان دخل للخزينة، بعد ان تراجعت مداخيل الجهاد البحري، لكن ذلك انعكس سلبا على الفلاحين.

– **نظام إراحة الأرض المرتكزة على دورتين**: أولاهما لاستغلال الارض و ثانيهما لإراحتها، و هو ما يعني استغلال نصف المساحة الزراعية على الأكثر و عدم الاستفادة من النصف الثاني الا في الرعي.[1]

– **الظروف السياسية**: عرفت تلمسان عدة ثورات خاصة التي كان يقوم بها الكراغلة ضد الحكم العثماني، و التي قابلتها السلطة بالقمع، ممّا ساهم في هجرة العديد من السكان خاصة الفلاحين[2]، بالإضافة الى الصراع بين الكراغلة و الحضر حول السلطة بالمدينة و الذين كانوا يسيطرون على غالبية الأراضي الخصبة.[3]

ثانيا: الصناعة

تعتبر الحرف والصناعات وكل المعاملات الماليّة القائمة في كل مجتمع من الدعائم الأساسية لبناء حضارة واقتصاد أي دولة ما ، وكان هذا حال مدينة تلمسان ونواحيها في العهد العثماني حيث كانت حياتها الاقتصادية و الاجتماعية مرتبطة بهذه النشاطات من حرف و صناعات و بيوعات ، ومنه عرفت مدينة تلمسان نشاطا صناعيّا كبيرًا في هذا العهد شمل أغلب المهن و الحرف التقليدية التي وجدت بالجزائر خلال هذه الفترة، حيث تميّزت الصناعة بالتنوّع، والتعدد لسنعة تلمسان الكبيرة في هذا المجال، فرغم تدهوّر البعض منها الناتج عن الحالة السياسية والإدارية التي كانت سائدة إلاّ أنّها استطاعت أن تُحافظ على تقاليدها.

---

[1]– كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص207.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**،ج1، دار البصائر ، الجزائر،2007، ص162

[3]– ناصر الدين سعيدوني، **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر – تونس – طرابلس الغرب) من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)**، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية، الحولية 31، 2010، ص15

1. أنواع الصناعات:

يعرّف "ابن خلدون" الصناعة، بأنّها ملكة في أمر عملي وفكري، وبكونه عمليا فهو جسمانيا محسوس، أمّا الصنائع فمنها البسيط ومنها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات أمّا المركب فهو الذي يكون للكماليات[1] ، وتشمل الصناعة كل ممارسة تتطلب تدريبا طويلا وجدا عضليا ومهارة يدوية خاصة، وغالبا ما يقع بين أفرادها توريث للخبرات عبر الأجيال. إذ كانت مدينة تلمسان تشتهر بصناعة الاغطية الصوفية والخياطة والأحزمة الحمراء، وقد اشتهروا يهود تلمسان بصنع الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة، إذ توزعوا عبر ثلاثة محاور رئيسية هي: الأسواق التي سوف يأتي الحديث عنه إضافة إلى ما يُعرف بالسويقات[2] والأحياء السكنية، هذا فضلا عن صناعة الفخار بندرومة الذي كان معروفا بجودته..الخ.

1.1 الصناعات الحرفية:

– الصناعة النسيجية: لقد كانت الصناعة النسيجية من أهم الحرف التي لازمت مدينة تلمسان عبر العصور، فالمنتوجات التلمسانية تتميز بجمالها ووحدة أبعادها و بساطة شكلها[3]، حيث اشتهرت مدينة تلمسان بإنتاج و ترويج نوع من الانسجة الذي كان يسمى ب التلمساني، وكان على صنفين: الصنف الأول يكون من الصوف الخالص، اما الصنف الثاني فيكون مزيجا من الصوف و الحرير[4]، فهذا النوع من الانسجة ينتمي الى فئة الانسجة الصوفية العريقة بالنظر لاسمه و الذي ينسب الى مدينة تلمسان.

كما ساهم الاندلسيون بدرجة كبيرة في تطوير الحرف و الصنائع بمدينة تلمسان، حيث برعوا في الطرز و النسيج و الصناعات الحريرية أو ما يعرف بالقطيفة و الشبيكية و صناعة الشاشية و التطريز و التوشيح و القفاطين و السراويل

---

[1]– عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 371.

[2]– رفيق شلابي، ودان بوغفالة، **الحرف و الصناعات في مدينة تلمسان و ضواحيها خلال العهد العثماني (1555– 1830)**، **مجلة دراسات و أبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية**، المجلد 13، العدد1، جانفي 2021، ص 832.

[3]– حاج محمد وائل بوشعور، **أشكال الزخرفة في المصنوعات النسيجية في تلمسان بين التراث والمعاصر**، رسالة ماجيستر، تلمسان،2007-2008، ص11

[4]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، المرجع السابق، ص321

و الصدريات و الاحزمة و أغطية الرأس (البنيقة) و القردون او الكوفية ، كما عرفت المدينة أقمشة الكتان و القطيفة، علاوة على نسيج الزرابي و الاغطية التي اكتسبت أهمية خاصة، واختلفت اشكالها و الوانها و تعددت رسومها[1]، و كانت المنتوجات الحريرية تصدر الى دول المشرق و أوروبا[2]، كما كان يستعمل كميات كبيرة من الصوف لنسج البرانس و الحياك و هذه المنتوجات كانت تستهلك حاليا[3].

كانت تلمسان تملك عدد من معامل الصوف يصنع فيها نوع من الأقمشة العادية التي يستعملها الجيش، كما تصنع فيها المحازم التي بلغ عرضها أربع 40 بوصات، حيث أنها تنسج[4] نسجاً متيناً و بذلك تنقل إلى كامل أنحاء البلاد[5]، كما اشتهرت بالعديد من المصانع خُصّصت للمنسوجات القطنية و الحريرية، فتميّزت بصنع نوع من البرنس يلبس في فصلي الشتاء و الصيف.[6]

ومن أسباب ازدهار هذه الصناعة توفر المواد الأولية التي استعملت في انتاج الأقمشة والأغطية و البرانيس، وهذا ما ذكره يحي بن خلدون قائلا..."في غالب تكسبهم الفلاحة وحوك والصوف يتغايون عمل أثوابه الرقاق، فتلفي الكساء أو البرنس عندهم من ثماني أواق، والأحرام من خمس، بذلك عرفوا في القديم و الحديث، ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا [7].

---

[1] -وليام شالر، المصدر السابق، ص93

[2]- رفيق شلابي، ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص833.

[3]- اندري بريتان وآخرون، **الجزائر بين الماضي و الحاضر** تر: رابح اسطنبولي و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984،ص250

[4]- البوصة: هي الجزء الثاني عشرا من القدم .وكان القدم في فرنسا يساوي اثنين وثلاثين فاصل خمسة(11.6) سنتيم ,وانجلترا ثلاثين فاصل سبعة وأربعين(14.00) ، ينظر، حمدان خوجة :المصدر السابق، ص76

[5]- نفسه :ص76

[6]- شريفة طيان، **الفنون التطبيقية الجزائرية خلال العهد العثماني**، دراسة أثرية فنية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر،2007-2008، ص47

[7]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص ص92.

فقد كانت دون منافس على مستوى بايلك الغرب نتيجة الإنتاج الوفير و كثرة معامل الصوف بها، فمساهمة تلمسان كانت دزن مُنافس على مستوى البايلك نتيجة الاهتمام والإنتاج الهام لمعامل الصوف[1]، فقد كان بمدينة تلمسان 500 حرفة و لعل أبرزها حرفة النسيج، كما عرفت ندرومة ما يزيد عن 25 محلا للنسيج[2] التي كان يصنع فيها أجود أنواع أقمشة القطن[3] المعروفة بجمال الوانها و دقة نسيجها[4]، أمّ في مدينة ندرومة فوجد فيها ما يزيد عن 25محلاً للنّسيج[5] وراج أيضا بالمدينة صناعة الزرابي ذات الأصل الاندلسي[6]، أما هنين كان أهلها يعملون في صناعة الاقمشة و المنسوجات من القطن[7].

– صناعة الطرز: كان الطرز أحد الصناعات التقليدية الرائعة، على حسب ما جاء في قول فانتوردي باردي قائلا:" **إن الذوق الجزائري يبدو جليا في المطروزات**"، وهي قديمة تعود جذورها إلى عهد الدولة الرستمية، بسبب وجود بعض الأندلسيين امتهنوا الخياطة في مدينة تيهرت[8]، كانت المطروزات تظهر على الحرير وعلى قماش الملف بالألوان المنسجمة، و كان اللون البنفسجي بالخصوص يستعمل في الطرز على الحرير، أما الألوان الأخرى فكانت تستعمل للإضافات و اللباس المطروز لم يكن خاصا بالنساء فقط بل حتى الرجال، و كان ذلك من ميزات الثروة والذوق، وينسب البعض أن التلمسانيين هم الّذين أدخلوا الطرز إلى تلمسان، ولكن ما هو معروف أن الأندلسيين هم الّذين برعوا في هذا الفن ويمكن أن تكون لهذه الصناعة علاقة بالشام حيث كان لها علاقة وطيدة بالأندلس

---

[1] Andre, Cocq, Histoire de tlemcen ville francaise, edition internationale, tanger,1940,p 309.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية...، المرجع السابق، ص28

[3]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ص295

[4]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 68.

[5]– دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18، المرجع السّابق، ص 87.

[6]– أندري برنيان و آخرون، المرجع السابق، ص151.

[7]–حسن الوزان، ج2 المصدر السابق، ص15.

[8] De paradis (V), Tunis et Alger au XVIII siécle, paris, sindbad, 1983, P86.

Andre, Cocq, Histoire de tlemcen, op، cit,p 309.

فنونها[1]، وعليه صناعة النسيج والملابس وحياكتها من أهم الحرف الّتي اشتغل بها الأندلسيون بتلمسان صناعة الزرابي والقطيفة ذات الطابع الأندلسي[2].

وقد فاقت قلعة بني راشد جميع أصناف الزرابي الأخرى، وأصبحت تصدر للمشرق العربي وتبعث إلى إستانبول، هذا راجع إلى دقة صنعها، وتميزها بطابع محلي عريق، وأشكال أناضولية جميلة فكانت أشغال التطريز تتم باستعمال خيوط الذهب والفضة لتطريز القياطين والطفارة، وغيرها من ملابس القطيفة "المخمل "والحرير كذلك الأدوات الجلدية كالأحزمة والسروج، والمحافظ الصغير"الدزدان "والمحافظ الكبير"الجبيرة "، كما كانت تطرز السروج بندرومة[3]، بحيث أن طرز السكان عكس دوقاً رفيعاً ,وسوقت منها العديد من المنسوجات إلى الخارج، وما يمكن قوله أن أساليب التطريز ارتبطت بنسيج المعلقات و الشبكات، البنيقة أو" القردون"، " الكوفية " التي أتقنت تشكيلها الأندلسيات اللاتي توارثن فنياتها عن أمهاتهن في تلمسان وغيرها[4].

وحفاظا على هذه الصناعة من الاندثار في هذا القرن خصصت مدارس للصناعات التقليدية بغرض استعادة الأساليب القديمة في الطرز و صناعة الزرابي والسجاد و الأغطية، و قد عرفت كل من تلمسان وشرشال و قسنطينة وغرداية نماذج من هذه الورشات[5].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص359.

[2] – المقري، نفح الطيب، ج4، المصدر السابق، ص07.

[3]– عز الدين ميدون، تاريخ ندرومة ونواحيها، ط1، دار السبيل للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2007، ص 256.

[4] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص57

[5]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر..، ج2،المرجع السابق، ص359.

اذ يعتبر التطريز أحد المظاهر التي تميزت بها الصناعات النسيجية بمدينة تلمسان، لأنه يستعمل لتطريز الألبسة و المفروشات و الاقمشة الحريرية، فهو يتضمن اشكالا هندسية مختلفة و التي تعطي لهذا اللباس شكلا زخرفيا يتميز بالأناقة و الجمال[1].

–الصناعة الجلدية: من بين الصناعات التي تميز بها سكان الجزائر عامة وسكان تلمسان خاصة؛ صناعة التجليد وصناعة الأحذية والسروج والسندال والطبال والدفوف، وكان للأندلسيين أثر قوي في ارتقاء هذه الصناعة لذوقهم رفيع في اختيار الألوان والتذهيب وأنواع الجلود، وتواجدت قرب المساجد وفي البازارات و الأسواق الشعبية[2]، وصارت هذه المصنوعات الجلدية تصدر إلى خارج الدولة مثل السودان الغربي ،وكانت تشترى بالجملة وتباع بالتجزئة[3].

حيث اشتهرت مدينة تلمسان ونواحيها بجودة مصنوعاتها الجلدية، فكانت تستعمل الجلود المعالجة لصناعة السروج و المحافظ و الصناديل و أغمدة السيوف و القرب[4]، وكان صناع الجلود يصنعون ألبسة فرسان المخزن و البدو و ركاب الخيل[5]، وكانت عملية الدباغة تتم غالبا بوضع الجلد في براميل خشبية او طينية، مع إضافة الاملاح و الرماد او بعض القشور لأشجار البلوط.[6]

–صناعة الفخار والخزف: اشتهرت تلمسان بالصناعة الفخارية وعرفت تطورا و تجديدا أعطى للحضارة الإسلامية صبغة فنية مميزة، لأنّ للخزف والفخار محطة هامة في تطور الفن الإسلامي لما وصل إليه الفنانون و الحرفيون من مستوى الإبداع و الابتكار غير أن عانت من قلة الدراسات العلمية والعناية الكافية، وقد وجدت قطع فخارية و

---

[1]– رفيق شلابي، عامر شرقي، الاقمشة الجزائرية الوافدة للايالة التونسية خلال العهد العثماني، **المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية**،المجلد6، العدد1، 2021، ص64

[2] –نفسه، ص73.

[3] –خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 168.

[4] –عمر بلوط، **المؤسسات التجارية والحرفية بمدينة قسنطينة في الفترة العثمانية دراسة أثرية**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2004–2005، ص70

[5]–بومدين دياب، **بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية**، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس،2016–2017، ص90

[6]–فريدة قدور، **مساهمة الحلي التقليدية في التنمية بمنطقة تلمسان**، رسالة ماجيستر، جامعة تلمسان، 2011–2012، ص71

خزفية دلت على ثراء هذا الفن من حيث النوع و الكم في المغرب الأوسط، متأثرة بالخزف المشرقي و الأندلسي الّتي تستند على رسم زخارف تحت طلاء زجاجي تفصل الألوان بالطلاء البني المنغنيزي المبلل بالذهن لمنع الطلاءات من التسرب، ووجدت هذه الصناعة كذلك بالقليعة و بجاية التي تعود إلى الفترة الموحدية، و لكن لا يمكن تأريخ للصناعات الخزفية لهذه الفترة إلا بعض منها تختزنه متاحف تلمسان وبجاية فقط[1]، كما كان فخار ندرومة معروفا بجودته و الزليج الملون[2].

حيث كانت هذه الحرفة معروفة في منطقة بني سنوس التي تفننت فيها و أعطتها نوعا من المكانة و الرقي، وذلك بصناعة الزهريات و الأشياء الزخرفية المنزلية و الاكواب و الصحون و القلات[3]، و لقد تأسست بتلمسان المدينة ثلاثة مصانع[4] ، ووجدت بمدينة ندرومة ثمانية مصانع و ثلاثة أفران لتجفيف القطع المصنوعة، كان يصنع بها مختلف الاواني للطبخ كالقدور ، الصحون و الفناجين و القلال للأزهار، وكان كل مصنع ينتج خمسين قطعة فخارية في الأسبوع[5]، وتفنن الاندلسيون في صناعة الخزف من خلال الزليج الذي كان يستعمل لتزيين جدران المنازل و المساجد و العيون والأبواب، بالإضافة الى اقامتهم لورشات لصناعة الرخام، الاجر، القرميد المجوف المستعمل في تغطية المنازل[6].

– حرفة النقش: كان للجزائريين إسهام كبير في الفنون الجميلة التي كان لها دور في انعاش الاقتصاد، ومع تقدم العلم والفن واتصالهم واحتكاكهم بالدول المجاورة ونزوح الأندلسيين إلى المدن الجزائرية خاصة تلمسان ومعسكر، عرفت تطورا ملحوظا مثل النقوش والزخرفة الموجودة في ضريح سيدي بومدين[7].

---

[1]– مرزوق محمد عبد العزيز، **الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس**، دط، دار الثقافة بيروت، لبنان (د.ت)، ص 133.

[2] – زكرياء خلف الله، **التجارة الداخلية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1563– 1830)**، **مجلة عصور**، المجلد 21، العدد2، 2022، ص203

[3] Emile janier, Les industries indigènes de la région de Traras,**R.A**,1944,p43

[4]–ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية...، المرجع السابق، ص36

[5] –محمد الطيب عقاب، **الاواني الفخارية الإسلامية – دراسة تاريخية فنية مقارنة**–، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص115

[6] –رفيق شلابي، ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص834.

[7] –مرزوق محمد عبد العزيز،المرجع السابق، ص123.

2.1 الصناعات المعدنية:

لقد استخدم الحرفيون في تلمسان أنواعا مختلفة من المعادن في تشكيل التحف المعدنية سواء المتعلقة بالاستعمال اليومي او الزينة، او المرتبطة بالحياة العسكرية، كما استخدم الحرفيون في الصناعة المعدنية معدات يدوية، كان يظهر الصانع عن طريقها مهارته في قولبة المادة الخام، او في قطعها او قصها بشكل معين[1]، نذكر منها:

– **صناعة النحاس:** كانت الصناعة النحاسية قائمة ومعروفة في العهد الزياني، حيث أنشأوا مصانع لسبك النحاس والمعادن الأخرى، فقد اعتبرت تلمسان ونواحيها أحد أهم المراكز الهامّة للصناعة النحاسية، وقد اختصّت بصناعة الثريات وحوامل المصابيح، حيث أشار الحسن الوزان إلى هذا فقال " ...**أنّ جميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة على مختلف الساحات والأزقة، وينقسم جميع أهل تلمسان إلى أربعة طبقات : الصناع والتجار والطلبة والجنود...والصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء ومتعة ويحبون التمتع بالحياة ...، فأينما وجّهت نظرك رأيت التجّار والصنّاع**"[2]، وهذا مايفنّد إدّعاء البعض من أن صهر النحاس لم يكن في يوم ما مزدهرا، والشيء المؤكّد حقا على حدّ قول الحسن الوزان هو أن صناعة النحاسيات كانت متداولة في المجتمع التلمساني وتكفي لتلبية حاجيات السكان ذاتيا. ويضف مارمول كربخال "...السكان منقسمون إلى ثلاث طوائف: طائفة التجّار وطائفة الصناع وطائفة النبلاء التي تضمّ الصناع والمحاربين..."[3] وممّا زاد الصناعات النحاسية تطوّرا في تلمسان ونواحيها في هذه الفترة هو وفود الصناع الأندلسيين الّذين جلبوا معهم تقريبا كل الأساليب الفنية الّتي كانت مزدهرة كالنحاس بأنواعه والقصدير و الفضة، فأبدع الفنانون في صنع التحف وزخرفتها، مما جعل الإقبال على شرائها كبيرا، وقد أشار بعض الرحالة الذين زاروا الجزائر إلى وجود صناعة معدنية نحاسية متطورة ذات جودة عالية، فعملوا على صناعة الصواني والأباريق ذات المقبض والطاسات ومختلف الأواني المنزلية؛ بالإضافة إلى ما كان يصنعه القصادرة من صفائح وفوانيس وسكريات

---

[1] –محمد امحمد زهران، فنون أشغال المعادن والتحف، المكتبة الانجلو المصرية،1965، ص205

[2] –الحسن الوزان، ج1، المصدر السابق، ص 19– 20.

[3] –مارمول كربخال، ج2، المصدر السابق، ص 300.

ومصابيح والأبواب المغطاة بالنحاس المنقوش، مثلما هو موجود في جامع سيدي بومدين والجامع الكبير، واشتهرت كذلك بصناعة السيوف والسكاكين والسروج والركاب واللجام[1].

كانت مراكز الصناعة عبارة عن حوانيت ضيقة يشتغل بها عدد من الصناع و التجار ولكن ابتداء من القرن7هـ/13م أنشأ الزيانيون مصانع لسبك النحاس و المعادن[2]، وهذا ينفي الادعاء الذي يقول إن صهر النحاس في تلمسان لم يعرف ازدهارا، لأن ما يلاحظ على المجتمع التلمساني هو اهتمامه الواضح بالصناعة النحاسية محققا اكتفاء ذاتيا [3].

ومن جهة أخرى ، أنّ هذه الصناعات تراجعت، وتدهورت بحاضرة تلمسان في جميع المجالات، وذلك بسبب هجرة سكانها ذوي النفوذ الاجتماعي والتأثير العلمي بسبب احتلال الإسبان لمدينة وهران في القرن 10هـ/16م ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا[4]، حيث استقرّت الأوضاع نسبيّا فأترت في الميدانين الاجتماعي والاقتصادي في عهد محمد عثمان باشا، ومحمد الكبي، فنشطت الصناعة وحذق الصّناع النسيج والدلاغة والنحاس والأسلحة كالسيوف والبنادق[5].

كما عرفت تلمسان لمسات عثمانية تتجلى في محتويات المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالجزائر العاصمة ،من الأواني النحاسية التلمسانية التي تعود إلى القرن13هـ/ 19م، ومن بين هذه القطع قدور بمختلف أعماقها وأحجامها وطنجرات ودلاء وأبارق قهوة وصوان ذات طابع أندلسي[6].

– صناعة الحلي و المجوهرات: للحلي والمجوهرات قيمة نوعية في تاريخ الشعوب وبناء شخصية الإنسان، يتخذها بعض الباحثين وسيلة لمعرفة الأحوال الشخصية والاجتماعية والاقتصادية على مر العصور، وبواسطتها يمكن التعرف إلى نواحيها الجمالية والفنية في كل مجتمع وهي ضرب من ضروب الزينة ،عرفت المرأة باستعمالها منذ أقدم العصور وأصبحت من الأساسيات و تعد الجزائر من بين الدول الّتي تزخر بموروث ثقافي متعدد، فهو يحمل عدة أدوار

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر..، ج2، المرجع السابق، ص363.

[2] –شريفة طيان، الفنون التطبيقية الجزائرية المرجع السابق، ص 83

[3]– شريفة طيان ساحد، نُحاسيات تلمسان في العهد العثماني، المرجع السّابق، ص 07.

[4]–نفسه، ص 08.

[5]–نفسه ص 09.

[6]– جمال يحياوي، **آثار الهجرة الاندلسية على تلمسان، مجلة الوعي**،العدد المزدوج، 4، أفريل–ماي،2011 ، ص93.

،منها ما هو اجتماعي وفني ومنها ما هو اقتصادي، فالحلي كما يقال "زينة وخزينة ويسمى أيضا المتاع الذي خف حمله وغلا ثمنه" وهذه العادة لاتزال شائعة إلى يومنا[1].

ومن أنواع الحلي التي وجدت؛ الخواتم والأسوار والأقراط والعقود الذهبية والخلاخل بالإضافة إلى أشكال أخرى كانت تستعمل في المناسبات مثل الريحانة والصرمة وخيط الروح والأوسمة التي كانت تزين السلاح، واشتهر بصناعتها صائغوا تلمسان وقسنطينة، غير أنّ الصناعة انتقلت إلى يهود الأندلس بعد هجرتهم إلى الجزائر، فقد كانوا محل ثقة الباشوات في اختيار العملة الرسمية وأصالة الجواهر والمذهبات التي ترد إلى الدولة في الهدايا والغنائم[2]، حيث نشير في هذا الاطار الى ان يهود تلمسان قد اشتهروا بصنع الجواهر الثمينة و الأحجار الكريمة[3] ، نظرا لتوفر تبر السودان و السبائك الذهبية المستوردة من أوروبا و المشرق[4]، و كانت أنواع الحلي تتمثل في الاساور، الاقراط و العقود الذهبية، وسيطر اليهود على هاته الصناعة، فقد شكّلوا جماعة وظيفية نشيطة، الأمر الذي شجّعهم على مزاولة هذه الصناعة، لما توفره من أرباح وفوائد مادية، حتى احتكروا هذا المجال احتكارا تامّا[5]. واشتهر بها أيضا العائلات الحضرية الاندلسية و عرفت بدقة صناعتها و اتقانها[6]، فصنعوا الاحزمة المرصعة و الاساور المنقوشة و الخلاخل الرفيعة و الاقراط[7]، و قد شجعهم على الاستمرار في هذه الصناعة كمية الأرباح التي قدرت بالنسبة 30 الى 50% من قيمة الحلي المصنوعة و هذا

---

[1] –شريفة طيان، نحاسيات تلمسان...، المرجع السّابق، ص 10.

[2] –أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج2، المرجع السابق، ص357.

[3]– زكرياء خلف الله، المرجع السابق، ص203

[4]– ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية....، المرجع السابق، ص37.

[5]– ما يمكن قوله عبى ضوء ما تقدّم معنا ، أنّ عدم توصلنا إلى دفاتر أو سجلات تخصّ نشاط اليهود وأسمائهم في هذا المجال، باعتبارها منجما خاما، نستشفّ منه الكثير من الحقائق حول حيوية هذه الفئة في هذه الصناعة ، كما أنّ الكثير من هذه التفاصيل لم يرد ذكرها في المصادر والمراجع الأجنبية خاصة في مدينة تلمسان ونواحيها.

[6] –فريد ونيش، **المجوهرات والحلي بالجزائر**، وزارة الاعلام، الجزائر،1982، ص10

[7]–ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاجتماعية...، المرجع السابق، ص37.

بالنسبة لليهود بالمدينة[1]، والتي كانت من أبرز اختصاصاتهم يُمارسونها ويبيعونها، وقد وصل عدد اليهود بالمدينة ونواحيها في القرن 11هـ/17م، حوالي ثلاثة آلاف يهودي[2].

3.1 الصناعات التحويلية:

– صناعة الخشب: هي من الصناعات التقليدية الّتي كانت رائجة في ذلك الوقت، و البعض يضعها في الدرجة الثانية من حيث الأهمية، و هذا ما أشار إليه" حسن الوزان"، و"مرمول" و "هايدو(Haedo) الّذي قال: " **إنّ الجزائريين كانوا لا يستعملون الموائد والسفرات، وليس لهم خزائن، و ذلك باستنادهم على صندوق أو علبة تكفيهم لسد حاجاتهم**"، ولكن البعض أنكروا هذا الادعاء أشاروا إلى وجود خزائن الكتب والملابس ونوافذ المساجد في عهد الدولة الزيانية، والأرائك والمناضد وحاملات المصاحف وغيرها، زينت بزخارف وخطوط بطريقة فنية بديعة[3].

ونظرا لقرب تلمسان من السواحل، اندفع بعض الأندلسيين إلى صناعة السفن والقوارب لأنهم كانوا على دراية بهذه الحرفة، وذلك لتيسير التنقل بين سواحل العدوتين[4].

كانت تستمد هذه الصناعة في تلمسان من أشجار البلوط و الزبوج و أشجار العرعار[5]، و من بين الأماكن المعروفة بهذه الصنعة نجد جامع الخراطين الذي كان ينتشر حوله الصناع الذين يصنعون الصناديق و الخزائن و آلات الحياكة كالمنسج، زيادة على ذلك الأبواب و الشبابيك و الكراسي و الرفوف[6]، ووجدت كذلك مجموعة من القبابين

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص194

[2] Davity P, Description général de l'Afrique, Paris, 1960, pp : 170-171 .

[3] –أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر...، ج2، المرجع السابق، ص363.

[4] –بحاز إبراهيم بكبر، **الدولة الرستمية 160–296هـ/ 777هـ–909مدراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، نشر من طرف جمعية التراث الجزائر،1993 ص 165.

[5]–عبد العزيز لعرج، **الزليج في العمارة الإسلامية في العصر التركي**، دراسة تاريخية فنية، المؤسسة الوطنية للكتاب،1990 ، ص58

[6]–رفيق شلابي، ودان بوغفالة، المرجع السّابق، ص834

الذين يصنعون القباب الخشبية الكبيرة المستعملة في ملئ المياه الساخنة في الحمام، و القبيبات الصغيرة التي تستعمل في حمل الماء للشرب.[1]

– **استغلال المعادن:** يتعلق بتحضير مواد البناء، وتذويب المعادن كالحديد، الفضة و الزنك ، صناعة العملة، ومن بين هذه الصناعات استخراج ملح النترات بأرزيو وتلمسان.

– **الصناعة الغذائية النباتية:** تتمثل هذه الصناعة في تحويل مختلف المنتوجات النباتية الى مواد غذائية، ونخص بالذكر في هذا المجال صناعة وتجفيف الفواكه، وتحضير المربى و تقطير ماء الورد التي اختصت بها العائلات العريقة من الأندلسيين والبلدية التي كانت تسكن مدن تلمسان ملياناة[2]، وقد اشتهر سكان هذه الأخيرة بتحضير نوع من المعجون بعصير العنب واللوز يمكن الاحتفاظ به طوال السنة[3]، فقد عرفت تلمسان بتجفيف الفواكه و تقطير ماء الورد، ووجد فيها معصرتان للزيوت و ثلاث معاصر خارج المدينة[4].

– **صناعة الصابون:** كان يصنع الصابون بتلمسان في معمل يسمى بدار الصابون، وبلغ عدد صانعيه خمسة صناع بالمدينة[5]، كما انشرت هذه الصناعة في نواحي تلمسان[6].

4.1الصناعات العسكرية:

اشتهر بايلك الغرب بصناعة الأسلحة والمدافع و البارود، كانت توجد ورشات عديدة تُصنع بها البنادق، وأهم مراكزها قلعة بني راشد التي حافظت العائلات الأندلسية والتركية بهذه الصناعة منذ القرن16م ، وقلعة بني عباس علماً أن هذه البنادق الجيدة كانت تصنع بالفضة والمرجان؛ وكدليل على ذلك ما قام به الباي محمد بن عثمان الكبير من استيراد كميات كبيرة من البارود من جبل طارق عندما عزم على فتحها ، فقد عاد الاستقرار إلى تلمسان في عهد

---

[1] –شريفة طيان، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني، ج2، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر،2011، ص 141.

[2]– ناصر الدين سعيد وني :الجزائر في التاريخ، ج 4، المرجع السابق، ص51 ،57

[3]– حمدان بن عثمان خوجة :المصدر السابق، ص75

[4]–كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص276.

[5]–محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص8

[6]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص68.

"محمد عثمان باشا" فنشطت صناعة الأسلحة، و يرجع هذا الازدهار إلى الأندلسيين النازحين إثر الاضطهاد الإسباني المسيحي، مما دفعهم إلى الاندماج في المجتمع الذي نتج عنه تزاوج بين الأندلسيين والتلمسانيين أثمر جيل" الحضر" فكثر بذلك الصناع وعمرت الأسواق[1].

الصناعات الحرفية	الصناعات المعدنية	الصناعات التحويلية	الصناعات العسكرية
– الصناعة النسيجية – صناعة الطرز و النقش – الصناعة الجلدية – صناعة الفخار و الخزف	– صناعة النحاس – صناعة الحلي و المجوهرات	– صناعة الخشب – الصناعة الغذائية – صناعة الصابون	– صناعة الأسلحة و البارود و المدافع

2. مميزات الصناعة

ظل بايلك الغرب متواضعاً لا يتعدى الصناعات المحلية اليدوية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة ،فالصناعات المحلية التي استمدت تقاليدها من الماضي معتمدة في نشاطها على إرضاء متطلبات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية مثل: صناعة الأغطية الصوفية، الأحزمة الحمراء بتلمسان ،الفخار بندرومة ،الأحذية والزرابي بقلعة بني راشد[2].

بالرغم من حيوية النشاط الذي عرفته الصناعات المحلية اليدوية، فإن الصناعة المعدنية لم تشهد تطوراً ملموساً لا من حيث الكمية ولا الكيفية، فكانت الصناعة الأساسية مع مرور الزمن لا تتعدى استخراج الملح من سباخ وهران، ومعالجة الجير المستخرج من الحاجر الواقعة قرب المدن[3].

ومع ذلك فإن المصنوعات الجزائرية لم تكن تستطيع منافسة المصنوعات الأوروبية ولا حتى المغربية والتونسية الذين يتولون الصناعة التقليدية في المدن الجزائرية كانوا من الحضر النازحين من الأندلس، أما اليهود كانوا محتكرين لصناعة الأحجار الكريمة.

---

[1]- (ينظر الملحق رقم 26 و الملحق 28).

[2]- ناصر الدين سعيد وني :النظام المالي، المرجع السابق، ص10

[3]- ناصر الدين سعيد وني :النظام المالي...، المرجع السابق، ص10

3. معيقات الصناعة:

عانت الصناعة في أواخر العهد العثماني بالجزائر عامة و بالغرب الجزائري بشكل خاص من عدة عراقيل جعلتها لا تتطور نلخصها فيما يلي:

- عدم تشجيع الحكام للنشاطات الصناعية.
- توكيل نقباء الحرفيين بالمدن بتحديد نوعية وكمية المنتوج، هذا أدى الى ركود الصناعة.
- تشجيع البايات لاسترداد المواد المصنعة من الخارج أدى الى انخفاض مردود الصناع و الحرفيين، الذين كانوا مجبرين على رفع أسعار سلعهم لتغطية نفقاتهم[1].
- عدم مواكبة التطور الحرفي، حيث احتفظ الحرفيون في نشاطاتهم بتلك الوسائل التقليدية القديمة.
- كانت الضرائب سببا مباشرا وراء تدهور و ركود الإنتاج الحرفي.
- منافسة المصنوعات الاوربية المستوردة التي تميزت بانخفاض ثمنها و جودة صناعتها[2].
- سيطرة اليهود على المبادلات التجارية كان يعتمد على تصدير الفائض من الإنتاج و استيراد البضائع الترفيهية، دون الاهتمام بتطوير وسائل الإنتاج او ادخال التصنيع الى المنطقة.[3]

على سبيل المثال في أواخر العهد العثماني أضحت تلمسان مستودعا للمنتوجات المصنعة القادمة من جبل طارق و فاس كالاسلحة و الاقمشة و غيرها، وهذا ما أدى الى رواج المنتوجات المستوردة على حساب المنتوجات المصنعة محليا.[4]

---

[1]- اندري بريتان و آخرون، المرجع السابق، ص195

[2]- رفيق شلابي، ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص 835

[3]- فارس العيد، **الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني**، **مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، المجلد 05، العدد2، جوان 2017 ، ص145.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص64

ثالثا: التجارة

إنّ التّجارة في الغرب الجزائري كانت مثل غيرها من المدن، فهي نوعان :خارجية وداخلية، تتم الداخلية في الأسواق المحلية أو الجهوية والحوانيت والمعارض السنوية تتناول كل ما يحتاج إليه السكان من منتجات ومصنوعات محلية كانت أو مستوردة، والتجار الذين يقومون بها في المدن ينظمون ضمن هيئات يشرف عليها أمين يجمع الرسوم المفروضة على كل واحد، ويسلمها للمصالح الإدارية، أما في الأسواق والمعارض فإن التاجر يدفع الرسم قبل الدخول إليها، وعليه اعتبرت المقايضة هي أفضل طريقة يستعملها السكان في هذه التجارة، كون النقود الذهبية لم تكن منتشرة بكثرة وبما أن المستهلك يفضل الحصول على ما يحتاج إليه مباشرة دون المرور بعملية التحويل المعقدة التي لا توفر الضمانات الكافية للأطراف المتبادلة[1].

1. التجارة الداخلية:

كانت للتجارة الداخلية أهمية بالغة في بايلك الغرب، ذلك أن الاتصال كان قائما بين السكان عن طريق الأسواق اليومية، الأسبوعية و السنوية، حيث كان سكان الأرياف ينقلون منتجاتهم إلى المدن ويأتون بالمنتجات المحلية والمستوردة ،وكان الحضر واليهود يلعبون دور الوساطة بين الريف والمدينة، ولهذا كان أصحاب الحرف هم المسيطرون على النشاط التجاري[2].

1.1 الأسواق:

تُعتبر الأسواق معيارًا أساسيًا لمعرفة مَدى النّشاط الاقتصادي وتطوّرها في المدن أثناء الفترة العثمانية، باعتبارها حجر الزاوية فيه، نظرا لوظيفتها المزدوجة، فهي مقرّات للصنّاع وأصحاب الحرف هذا من جانب، ومن جانب آخر يعدّ مركزا لعرض المنتجات على الزبائن ونقطة لتسويق الإنتاج، وقد توفرّت مدينة تلمسان ونواحيها على العديد من الدكاكين أو الحوانيت التي يصطف بعضها إلى جانب بع، حيث كانت تتم المبادلات التجارية الداخلية عن طريق الأسواق في المدن و الأرياف، إذ صنّفت الأسواق بتلمسان حسب التخصص، بحيث يكون لأهل كل حرفة سوق مخصص لهم، و

[1] – محمد العربي الزبيري، المرجع السّابق، ص ص50 ،56

[2]– سميرة طالي معمر، المرجع السابق، ص61 .

كانت تقام أسبوعيا و بعضها سنويا، وتعرف عادة باسم اليوم الذي تقام فيه مضاف الى اسم القبيلة او المنطقة الجغرافية التي كان يعقد فيها، فالأسواق كانت تستخدم من قبل السلطات العثمانية لفرض حصار اقتصادي على القبائل المتمردة بمنعها من الدخول[1]، وقد عزز التبادل الداخلي عاملان هما: تشجيع البايات للأسواق التجارية سعيا لفرض نفوذهم على سكان الأرياف عندما يختلفون في هذه الأسواق، ضف الى ذلك مرور القوافل التجارية عبر أراضي البايلك في اتجاه الصحراء أو المغرب أو بلاد المشرق.

تُعتبر أسواق مدينة تلمسان ونواحيها أهم الأسواق، وذلك نتيجة وقوعها على المحاور التجارية الكبرى، حيث أنّ العملية التجارية كانت تتضمن منتوجات ومواد مصنعة مقابل مواد مصنعة أوروبية ومغربية وجنوبية، وبعد تحرير وهوران واسترجاع ميناء المرسى الكبير وإعطاء هذه الموانئ أهميّتها التجارية كموانئ لعاصمة البايلك، أصبحت تشهد حركة تجارية نشيطة لكن رغم ذلك ظلّت تلمسان وأسواقها الذي يُمثّل نقطة إلتقاء الطرق التجارية الكبرى مركزا تجاريا كبيرا، أدّت من خلاله ولازالت دورا اقتصاديا هامّا[2].

اشتهرت تلمسان بأحياء، حارات، أسواق و طرق نسبت الى الحرف التي كانت قائمة بها، و يستخدم أغلبها منتوجات الريف كمادة أولية نذكر منها :

– **حي الارحاء**: الذي كان به عدة أرحاء لطحن الحبوب، وكان يصل المدينة من باب المشور الخارجي او باب التوتية العليا.

– **حي المعصرة**: أي معصرة الزيتون، وكان يوجد بالمدينة معصرتان و خارجها ثلاث معاصر.

– **ذراع الصابون**: هو المكان الذي يصنع منه الصابون، و ينشط فيه خمسة حرفين كبار، أما المعمل الذي يشتغل فيه الواحد منهم فيسمى (دار الصابون).[3]

---

[1] Paul Boyer, L'evolution de l'Algerie mediane,Adrien Majonneuve,Paris,1960,p31

[2]– الوليش فتيحة، المرجع السابق، ص85

[3] –كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص217.

– **سوق مدينة تلمسان:** يعتبر أهم سوق على مستوى البايلك نتيجة وقوعه على المحاور التجارية الكبرى، حيث ان العملية التجارية كانت تتضمن منتوجات فلاحية مقابل مواد مصنعة أوروبية او مغربية و كذا صحراوية.[1]

– **سوق آجادير:** أكد يحي بن خلدون أن سوق آجادير بتلمسان كانت تباع فيه مختلف السلع و البضائع يوميا. (ينظر الملحق رقم 26)

– **سوق منشار الجلد:** هو سوق يومي الذي كان موضعه قرب جامع ابن البناء[2]، كان به ثلاث طوائف من الصناع مجموعة الدباغين الذين ينشرون الجلود للدبغ[3]، ومجموعة الخرازين الذين يصنعون الاحذية من الجلد و التي صارت تصدر شرقا ناحية سيق و غربا ناحية ملوية لشهرتها، ومجموعة السراجين الذين كانوا يصنعون السروج و يطرزونها باسلاك من الذهب و الفضة[4].

– **سوق الغزل:** هو سوق يومي الذي كان يوفر الصوف و الانسجة للصناعات التي تستخدمه كمادة أولية.[5]

– **سوق الدواب:** الذي كان يمول من طرف مربي الحيوانات من مختلف المناطق.

– **جامع الحلفاويين:** ينتسب الى اللذين يزاولون صناعة القفف و الاطباق و غيرها من مادتي الدوم و الحلفاء اللتين كانتا تجلبان من المناطق الواقعة جنوب تلمسان.[6]

---

[1]– زكرياء خلف الله، محمد بن جبور، المرجع السابق، ص37.

[2] –يحي بن خلدون، المصدر السّابق، ص37

[3]– ناصر الدين سعيدوني، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية...، المرجع السابق، ص167

[4] –حمدان خوجة، المصدر السابق، ص97

[5] –زكرياء خلف الله، المرجع السابق، ص206

[6]– الحاج محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص217

– سوق مدينة ندرومة: كان يعقد سوقها الاسبوعي كل يوم خميس، حيث يشهد حركة نشيطة وكان يقصده أكثر من 4000 شخص يأتون من مدن عديدة مثل: وجدة، مغنية و تلمسان و القلعة و مازونة من اجل البيع و الشراء، و كانت منتوجاتها رائجة خاصة منها النسيجية و الفخارية و الصوفية.[1] (ينظر الملحق رقم 28)

و من الأسواق الحدودية بمدينة تلمسان و ضواحيها نجد سوق عجرود و مغنية و الخميس و سبدو[2]، و كانت المبادلات التجارية في المدينة تتحرك أكثر خاصة في فصل الصيف، فطيلة هذا الموسم كانت عملية البيع و الشراء تعرف حركة نشيطة و ذلك لوجود مواصلات مزودة بفنادق الراحة[3]، كانت تسمح بمرور القوافل، غير انها كانت محفوفة بابراج الحراسة يتولى شؤونها قبائل المخزن، حيث تأخذ الرسوم عند الدخول او الخروج من المدينة على الحمولات سواء كانت خيل أو النوق[4].

و هذه الصعوبات جعلت الاسعار تختلف حسب نوعية المواد المسوقة التي بيعت من طرف المنتج، وفرتها او ندرتها او بعد تنقل طويل و حسب المواسم، حتى ان حمولة جمل من التمر تباع في تقرت ب 15 فرنكا، لا يقل سعرها في التل عن 400 فرنك[5].

اتسمت مدينة تلمسان بحركة تجارية مكثفة، حيث كانت تتردد على سوقها كل القبائل المجاورة[6]، و ذلك لوفرة المنتوجات المصنعة، وكان يتحكم في أسواق تلمسان تجار الجملة من الحضر و الكراغلة و الاتراك العثمانيين و اليهود و

---

[1] –جميلة مشرفي، ودان بوغفالة، **الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثمان (1519– 1830)**، **مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية**، المجلد8، العدد1، جوان2017، ص131؛ ينظر أيضا: بومدين دياب، **أضواء على النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م**، **مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية و الإنسانية**، العدد2، 2020، ص110

[2]– بن عتو بلبراوات، أضواء على مدينة تلمسان، المرجع السّابق، ص80

[3] –جميلة مشرفي، **الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات 1671– 1830**، أطروحة دكتوراه، جامعة معسكر،2017– 2018، ص71.

[4]– اندري بريتان، المرجع السابق، ص194.

[5]– جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص134

[6]– بومدين دياب، المرجع السابق، ص108

الفاسيين؛ حيث اتصفت المدينة بحركية يومية واسعة للنشاط التجاري ، اذ كانت المنتوجات توجه نحو أغلب مدن بايلك الغرب و الى دار السلطان.[1]

ما يلفت الانتباه أن قابض الضريبة بسوق مدينة الجزائر كان يأخذ على قافلة تلمسان دينارين لكل حمولة، وتأخذ مثلا ثمان و خمسين درهما على قافلة بني عباس، وربما كانت بضاعة تلمسان يدفع عليها الدينار بدل الدرهم لأهمية الحمولة و حجم الكمية.[2]

وبهذا ظلّت أسواق تلمسان تتحكّم في تجارة كمّيات كبيرة من القُطن والتوابل والأقمسة والجلود والأخشاب والبنادق وريش النعام والعاج والعلك، وكانت تجلب هذه المواد من جبل طارق أو فاس عن طريق ممر تازة أو تُرسل من تافيلالت مُقابل تصدير الإنتاج المحلّي من الحبوب والبلاغي والزيت.

2.1 الطرق والمسالك:

– الطرق:

إنّ الطرق التجارية في بايلك الغرب كانت أحسن من الجهات الجزائرية الأخرى، حيث كان يضم طرقا طبيعية تسمح بمرور القوافل التّجارية، وذلك بسبب طبيعة المنطقة التي كان بأحواز مُدنها سهول واسعة كسهول وهران، معسكر و تلمسان، كما كانت هناك بعض الجسور على الاودية كجسر وادي صفصاف في جهة تلمسان و جسر وادي الشلف.[3]

فقد شهدت مدينة تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني حركة تجاريّة معتبرة تجسّدت في طُرقها التّجاريّة المتنوّعة التي تُعتبر الشريان الذي يُنعش اقتصادها، إذ استفادت المدينة من موقعها على ملتقى الطرق كالتي تأتي من فاس باتجاه وهران، و تلك التي تأتي من الصحراء و تنتهي عند احدى موانئ المنطقة نذكر منها: هنين، الغزوات، مستغانم، رشقون، ثم المرسى الكبير ووهران بعد استرجاعهما.[4]

---

[1] –زكرياء خلف الله، المرجع السابق، ص206

[2]– رفيق شلابي، ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص834

[3]– اندري بريتان و آخرون، المرجع السابق، ص194.

[4]– فتيحة الواليشالمرجع السّابق، ص 37

الخط السلطاني (الجزائر– وهران):

يندرج هذا الخط ضمن طريق الشمال الداخلي الذي يصل مدن بايلك الشرق قسنطينة، ميلة، عنابة بمثيلاتها في بايلك الغرب مازونة، معسكر، وهران، تلمسان، هذا ما جعله يشكل أساس الطريق السلطاني في قسمه الغربي الواصل بين مدينة الجزائر و وهران، الطريق يساير في اتجاهه العام المسلك القديم لطريق التل العابر لمقاطعات نوميديا و موريتانيا السطايفية و موريتانيا القيصرية في العهود القديمة، الواصل بين القيروان و تلمسان في فترات الحكم الاسلامي، كما انه يشكل اليوم أساس الطريق الاولي الرابط بين تونس و المغرب الأقصى.[1] (ينظر الملحق رقم 27 + الملحق 28)

طريق مازونة – تلمسان:

يمتد الطريق من مازونة الى قرية البطحاء الواقعة بمنطقة الونشريس، ليصل الى قرية بني راشد التي بها حامية عثمانية ثم قرية البرج التي تبعد عن معسكر بنحو ساعة، ومن الأخيرة يتجه الطريق نحو الجنوب الغربي ليمر بوادي الحمام، ومنه الى قبة سيدي عبد القادر الجيلاني، ثم قرية سيدي لحسن ناحية سيدي بلعباس و يتم المرور بوادي مكرة و منه الى قبة سيدي خالد ليتم الوصول الى أولاد ميمون و العبور بوادي الحلو جبل مليح ثم تلمسان.[2]

طريق تلمسان – معسكر:

يُشكّل الطريق الذي يربط تلمسان بمدينة معسكر أحد الطرق الأكثر حيوية، حيث يشغلها تجار الأنسجة القطنية، والقماش والزرابي، إضافة إلى الأغطية، كما نجد الأواني النحاسية، ونجد العديد من الحرفيين وأكثر حي يتردد عليه الريفيون هو طريق معسكر وذلك ناجم عن تنوّع ما يبحثون عليه وماهو بحاجة إليه، ونلاحظهم على شكل أعداد هامّة يترددون على المحلات عند نهاية هذا الطريق نجد صانعي الأحذية وركائز من هذه الأخيرة، كما نُلاحظ العديد من العمال منهمكين بدون انقطاع في صناعتهم الأنيقة[3].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000، ص449.

[2]- جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص94

[3]- الواليش فايحة، المرجع السابق، ص 75.

طريق تلمسان – فاس:

يمتد هذا الطّريق باتجاه المغرب فيخرج من مدينة تلمسان عبر باب فاس، ليسير في سهول تلمسان حتى واد الزيتون لمسافة ثلاث مراحل ، ثم العبور بواد تافنة على بعد مرحلة ثم يعرج الطريق نحو قصر الباي بجانب وادي المالح ثم يتم العبور بترارة، ومنها السير الى وجدة التي تقع على بعد خمس مراحل من ترارة.[1]

ولكي تنشط التجارة وتزدهر في أي منطقة لابد من توفر عامل الأمن، وهذا ما أوردته بعض المصادر أنه كانت هناك العديد من القبائل في بايلك الغرب تمارس اللصوصية وتقطع الطريق على عابري السبيل من التجار والمسافرين، فتنصب أمتعتهم، وقد قام محمد بن عثمان باي الغرب الجزائري بمجهودات عسكرية ضدهم للنهوض بالوضع التجاري من خلال قمع تلك القبائل ومن بينها: **قبيلة الأعشاش** التي تقع قرب مدينة مغنية على الحدود الجزائرية المغربية كان أفرادها يمارسون عمليات النهب والسلب، ويذكر أيضا الراشدي أنه إذا جاءهم ضيف رحبوا به، وأطعموه وعندما يعزم الضيف على الرحيل، يقول صاحب الضيافة: " **لو علمت أن الناس تاركوك لتركتك، ولكنك مسلوب لا محال فدع لي ثيابك، ويأخذها منه**" ، لكن الباي محمد قضى عليهم بتشتيت شملهم، فالتزمت القبيلة بالطاعة والولاء[2].

لقد نجح الباي محمد بن عثمان في تأمين المسالك في الغرب الجزائري من لصوصي الطرق وأعاد للقوافل نشاطها وحيويتها، كما أن طرق المواصلات في المدن سمحت بمرور القوافل، ذلك أنها كانت مزودة بجسور على الأودية كجسر الصفصاف على جهة تلمسان، وجسر قنطرة الشلف الذي أنشأ بأمر من الداي علي باشا في سنة 1813 م[3].

إنّ التجارة الأكثر امتداد و انتشارا تلك التي كانت تأتي من الحواضر الكبرى كتلمسان ووهران، حيث انه في نهاية فصل الربيع تغادر القبائل الصحراوية اماكنها حول المدن و تتجه لتقترب من التل، وتحل الجمال بكل المواد التي تنتجها أراضيهم و انشطتهم الصناعية متجهة نحو الشمال للتبادل التجاري، فكان سكان مدن الناحية الغربية يتقايضون معها بالحبوب، الصوف الخام، الأغنام و الزبدة و المنتوجات الحرفية، وكانت هذه المبادلات تتم في موسم الحصاد حيث تكثر الحبوب في الأسواق التلية و تنخفض أسعارها و بالمقابل تتم المقايضة بالعبيد، الحايك، التمور و ريش النعام و غيرها[4].

---

[1]–زكرياء خلف الله ، المرجع السابق، ص200.

[2]– سميرة طالي معمر، المرجع السابق، ص61 .

[3]– نفسه، ص61

[4]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص217.

خلاصة القول كان للتجارة الداخلية أهمية كبرى في تلمسان حيث عملت على ربط الاتصال بين السكان عن طريق الأسواق اليومية، الأسبوعية والسنوية، وكانت تلك العلاقات تتم بين الريف و المدينة، حيث ينقل سكان الأرياف منتجاتهم الى المدينة لبيعها و يشترون منها المصنوعات المحلية و المستوردة.

2. التّجارة الخارجية:

شكّلت الموقع الاستراتيجي لتلمسان ونواحيها، معبرا بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، ضمن هذه الحركات التجارية الكبرى، هذا فضلا عن احتوائها على محطّات تجارية مهمّة، فالمنطقة تعتبر حلقة هامّة عبر كل الأزمنة سيما في العهد العثماني، وحلقة نشطة في هذه العملية، أين أسهمت مساهمة فعّالة في التجارة الخارجية في هذه الفترة خاصة بعد احتلال وهران من قبل الإسبان.

كانت التجارة الخارجية تتم مع بقية دول المغرب العربي والأقطار العثمانية بالمشرق، بالإضافة إلى الدول الأوروبية التي ما فتئت أهمية التبادل التجاري تتزايد معها[1]، حيث جاء في كتاب حمدان خوجة يقول: **"تلمسان مخزن للسلع بالنسبة لكامل الجزء الغربي، ولجنوب غربي افريقيا"**[2].

1.2 مع الدول المجاورة:

– التجارة مع تونس: لم تكن تقتصر العلاقات التجارية التي سادت بين مدن بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني فقط، بل غالبا ماتجاوزت هذا النّطاق إلى حدود الدّول المجاورة، بفعل الارتباط التّاريخي والجغرافي، ونُشير هنا إلى العلاقات التّجارية التي جمعتها مع الجارة تونس، التي مثّلت قاعدة تجاريّة هامّة للتّجار وقوافلهم، سواء عن طريق الموانئ البحريّة، أو القوافل البريّة، حيث ذكر لنا الباحثين رفيق شلبي وعامر شرقي بقولهما: " ...وقد نافست تلمسان ونواحيها مدينتي الجزائر وقسنطينة باستقطابها تجار المغرب الأقصى وتونس، خاصة تجارة الأقمشة التي كانت تصل إلى الإيالة التونسيّة، ويضيف الباحثان أنّ هته الأقمشة كانت ضمن لائحة الأقمشة الصوفية القليلة المستوردة من إيّالة

[1]– ناصر الدين سعيد وني والمهدي البوعبدلي :الجزائر في التاريخ، ج 4، المرجع السابق، ص17

[2]– حمدان خوجة، المصدر السابق، ص57.

الجزائر، والتي تناولتها وثائق الأرشيف الوطني من ين الهدايا التي قدّمت للباي خلال القرن الثامن عشر وهذا مايدلّ على قيمتها وجودتها[1].

– **التجارة مع المغرب الأقصى:** كانت اتجاه الحركات التجارية تنطلق من وهران و تلمسان نحو المناطق الصحراوية المغربية خاصة تافيلالت التي شكلت و لمدة طويلة مدينة هامة و ملتقى للطرق التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب أو العكس، ثم تتجه الى تمبكتو عن طريق الصحراء، والثانية الى مدينة الصويرة باتجاه الأطلسي و كانت صعبة و مهمة في آن واحد[2]، و لقد كانت تلمسان أ شهر المدن استقطاباً لتجارة المغرب الأقصى في بايلك الغرب حيث نافست مدينتي قسنطينة و الجزائر، وتعتبر المدينة مخزن لبضائع و منتجات البلدين و ظلت تتحكم في تجارة كميات معتبرة من القطن والأقمشة الحريرية التي كان المغاربة يأتون لشرائها[3]، وبقي ذلك قائماً حتى في سنوات الحصار الفرنسي للجزائر(1827- 1830)، حيث كانت تدفع قوافل تلمسان لسلعها المستوردة من فاس دينارين لكل حمل كضريبة.[4]

– **التجارة مع بلاد السودان:**

يُلاحظ من خلال القراءة الأولية أنّ التجارة مع السودان ظلّت رائجة ولمدّة طويلة، فالقوافل تنطلق مرورا بسجلماسة، وتافلات، وجدة، وفاس قاصدة تلمسان من أجل المنتوجات التلمسانية والمتوجات الأوروبية، وتأتي بحمولات العج والذهب، حيث كانت تلمسان تتبادل مع إفريقيا السوداء مُقابل العاج والذهب والعبيد مواد مصنعة شملت حتى الكتب التي كانت تُطبع في تلمسان.[5]

كان تُجار تلمسان يذهبزن إلى بلاد السود للتّزوّد بالسّلع وتموين مخازن تلمسان وعن طريق الشّركات التّجاريّة كانوا يزودون المسحيين في القرنين 17م و 18م، إذ أقام الإحوة المقّري الخمسة تجارتهم فنتهم إثنان في تلمسان، وإصنان

---

[1] – رفيق شلبي، عامر شرقي، الأقمشة الجزائرية...، المرجع السّابق، ص 64

[2]– و ليام شالر، المصدر السابق، ص103

[3]–وليام شالر، المصدر السابق، ص103، ينظر أيضا: جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص71

[4]– عبد الله بن محمد الشويهد، **قانون أسواق مدينة الجزائر (1695– 1705)**، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2006، ص40.

[5]– الواليش فتيحة، المرج السابق، ص 81.

في ولهاصة على بعد400كلم عن تمبوكتو وواحد في تافيلات، أين أقاموا باستحداث وتهيئة الماسرات وحفر الآبار ونظّموا القوافل وفتحوا ملحقات، وهكذا أصبحت الأسواق عامرة بالتّجار وممبوءة بالسّلع الآتيّة منها.[1]

اعتمدت على الحاجات الضرورية للعيش إلى جانب بعض المواد الكمالية مقابل استيراد العبيد وريش النعام، المنتجات المدارية الإفريقية، لكن هذه التجارة أصابها الضعف والانكماش في مطلع القرن 19 م بعد انفتاح بلاد السودان على المحيط الأطلسي وانعدام الأمن بالطرق الصحراوية نتيجة التنافس بين أهل البدو من جهة والتوازن من جهة أخرى، وبهذا فإن التجارة مع الأقطار الإفريقية والإسلامية تمثل جزء ضئيل بالنسبة للتبادل التجاري مع الدول الأوروبية وإيالة الجزائر[2].

كانت للطرق و المسالك التجارية دور في ربط العلاقات بين منطقة جبال القصور والجنوب الغربي وتلمسان عاصمة الدولة الزيانية وبلاد السودان الغربي، حيث لم تكن الصحراء تشكل عائقا دون الاتصال الحضاري المثمر الذي استفادت منه القارة الإفريقية، وكانت المبادلات التجارية بينهم تتم عبر طريقين رئيسيين[3]:

الطريق الأول: الطريق من تلمسان إلى تازة ففاس ثم تادلا فشعب الصفا ،ومنها إلى تقريش ثم إلى سجلماسة فبلاد السودان الغربي، وحسب ابن حوقل أيضا فإن القوافل التجارية القادمة من تلمسان كانت تعبر بلاد السودان الغربي عبر سجلماسة ، وذكر أنها كانت تجتاز بلاد المغرب إلى سجلماسة كي تعبر بعد ذلك إلى السودان ،ورغم طول هذا الطريق إلا أن القوافل التجارية كانت تقصده لأنه آمن من اللصوص وكان طريق سجلماسة أودغست أو سجلماسة تغازي تمر به القوافل التجارية ، وهناك طريق آخر ينحدر من سجلماسة إلى تغازي ومنها إلى تمبكتو[4].

الطريق الثاني: الطريق الذي يربط تلمسان بتوات عبر وادي مفروش باتجاه سبدو، حيث يمكن للقوافل اجتياز السهول العليا ومنها تتجه نحو توات ثم بلاد السودان الغربي، وهناك طريق غدامس غات إلى إير ومنها إلى ممالك الحوصة، ولم يظهر طريق فزان كوار إلا قليلا ، ولكنه لا يوجد شك أنه هو أسهل طريق للقوافل عبر الصحراء كان استعماله دائما،

---

[1] – قصي زاوي ، تلمسان مدينة تجاريّة، مركز الفنون والمعارض، تلمسان، (د. ت)، ص 15.

[2]– ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص17 .

[3]– خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن ، المرجع السابق، ص. 249 .

[4]– نبيلة حسن محمد، **في تاريخ إفريقيا الإسلامية** ، دار الألمعية الجامعية ، الجزائر ، 2013 ، 141..

وبالرغم من أن الطريق فزان كوار كان يحمل كمية كبيرة من الملح في اتجاه الجنوب، فإن كان أساسا طريقا للعبيد الذين كانوا يمثلون حينذاك سلعة من أهم السلع[1].

كان المغاربة يمرون من تونس وطرابلس وتديكلت وقورارة تمنطيط ثم عين صالح مشرية وعين الصفراء وفاس ليصلوا إلى عواصم السودان الغربي ، كانت الطرق البرية التي تربط منطقة جبال القصور والجنوب الغربي بتلمسان وبلاد السودان الغربي تمر بالحمادات التي تحولت فيما بعد إلى مدن تجارية مثل سجلماسة وتوات وتغازي ، فكانت هذه القوافل التجارية تجتاز المغرب إلى سجلماسة باستمرار دون انقطاع وهذا دليل على غزارة التبادل عبر هذا الطريق.

لعبت الطرق التجارية دورا كبيرا في تنشيط التجارة بين بلاد السودان الغربي ومنطقة جبال القصور وتلمسان، مما جعل التجار يندفعون نحو هذه التجارة وأقاموا علاقات جيدة وقد وصلوا بها إلى السنغال والنيجر، حيث كان السودان الغربي دعما لبعض جوانب الحضارة الاسلامية لما وفره من العاج الأسود الأبنوس[2].

مكنت القوافل التجارية بين تلمسان والسودان الغربي من اختراق مفازة الصحراء التي كانت تشكل عائقا طبيعيا بين المنطقتين نظرا لشاسعة مساحتها ومخاطرها[3]، من حيث ندرة المياه التي لا توجد إلا بعد فاصل زمني يقدر من يومين إلى أربعة عشر يوما[4]، ويكون ذلك بعد قطع القوافل مسافة تزيد عن مائة أو مائتي ميل، مع ملوحته، وشدة الحرارة، وكل ذلك قد يؤدي إلى فقد الحياة، وقد وصف الحسن الوزان الصحراء التي تسير بها قوافل تلمسان بأنها: " أكثر وعورة ووحشة، يمر بها التجار الذاهبون من تلمسان إلى تمبكتو ويقطعونها من أبعد طرقي قطرها، فتؤدي صعوبة المرور إلى موت العديد من الناس والدواب، لفقدان الماء"[5].

---

[1]- نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص 144.

[2]- عمار غرايسة، **الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية، وارجلان أنموذجا**، حوليات تاريخ وجغرافيا، المجلد 03، العدد 5 ،المركز الجامعي الوادي ، جوان 2012، ص99 .

[3]- الحسن الوزان :المصدر السابق، ص153 .

[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، المصدر السابق ص 18.

[5]- الحسن الوزان، ج2، المصدرالسابق، ص 150.

ومن مخاطر الصحراء كذلك العواصف الرملية التي تذهب معالم الطرق في المفاوز الشاسعة[1] والوحوش والحيات، والغارات، وحتى الضرائب والإتاوات الكبيرة التي كانت تفرض على القوافل واتساع المسافة، حيث قدرت المسافة المستقيمة بين تلمسان تفرض على القوافل وتمبكتو بأكثر من ألفي كيلومتر.

2.2 مع الدول الاوربية:

لم تنقطع المبادلات التجارية عن طريق البحر فخلال مرحلة الاحتلال الاسباني لوهران كانت تلمسان مركزا للتصدير و الاستيراد عبر ميناء هنين و ميناء الغزوات و رشقون نظرا لتوفر الامن للسفن، فقد مثلت منتوجات الصحراء ما يقارب 18000 حمولة أي ما يعادل 18000 جمل محمل بسلع مختلفة يتم تصديرها في اتجاهات مختلفة خاصة نحو إيطاليا[2]، حيث نشطت عمليات التبادل مع الموانئ و السفن الاسبانية و الفرنسية، والسفن القادمة من جبل طارق ، لكن لما تحررت وهران أصبح ميناء هذه الأخيرة هو المتنفس الرئيسي للتجارة التلمسانية مع أوربا[3].

فقد يعتبر ميناء هنين المستودع البحري للسلع و البضائع الاوربية و هذا من خلال الرحلات المتكررة للتجار الاوربيين عليها خاصة البنادق و الجنويين[4]، و حسب قول الرحالة حسن الوزان انه تصادف أثناء مكوثه في تلمسان قدوم سفينة جنوية محملة بالبضائع الاوربية التي تكفي لتمويل المدينة لمدة خمس سنوات[5].

حيث سلم باي الغرب عثمان بن محمد لتجار جبل طارق الحبوب و المواشي بأسعار جيدة عن تلك التي كان تقترحها شركة بكري، كما اذن لموانئ وهران و ارزيو وهنين بتموين جبل طارق و مالطة بشحنات من القمح و الشعير و الفول و عدد كبير من الثيران.[6]

---

[1]- الإدريسي، ج2، المصدر السّابق، ص 18.

[2]-بومدين دياب، المرجع السابق، ص112.

[3]- بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص80.

[4] F.Elie de la Primaudaie, le commerce et la navigation de l'algerie avant la conquete française,ch,lahure et cie, Paris,1861,p311.

[5]-الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص16.

[6]- اندري بريتان و أخرون، المرجع السابق، ص195

3. الصادرات والواردات:

تميّزت مدينة تلمسان ونواحيها في العهد العثماني، بكونها مركزا تجاريّا هامّا لمختلف البلدان العربية والأجنبيّة، وسوقا رئيسيا في بايلك الغرب، فعن طريق مرساها وطرقها ومسالكها كان يتمّ استراد السّلع والبضائع من وإلى المدن والحواضر الجزائرية والدول المجاورة، هذا فضلا عن الدّول الأوروبيّة.

1.3 بلاد السودان:

أدى ازدهار التجارة في تلمسان و بلاد السودان الغربي الى تنوع السلع التي يتم الاتجار فيها وكان هذا التنوع محكوما بطول الرحلة التي كانت تستغرق ما بين سبعين وتسعين يوما، مما يعني أن السلع سريعة التلف لم يكن ممكنا أن تنتقل عبر الصحراء، كان لتلمسان شأن هام في علاقاتها التجارية بالصحراء والسودان[1]، ومن بين السلع التي تصدرها نحو السودان الغربي:

– **القمح**: كانت تلمسان مدينة كبيرة سهلية[2]، وفي بسيط مستوى[3] ومزارعها كثيرة[4] وفيرة القمح وكثرة أرحائه في أحواز تلمسان[5]، حيث كانت صادرات بلاد المغرب الأوسط تعتمد بالدرجة الأولى عليه، فقد كانت حبوب تنس تخرج منها الى كل الأفاق في المراكب[6]،عكس بلاد السودان الغربي الذي كان انتاج القمح فيها قليل بفعل العوامل

---

[1]– محمد أبي رأس ناصر، عجائب الاسفار...، المصدر السّابق، ص 28 .

[2]– محمد العبدري البلنسي، **الرحلة المغربية**، تقد: سعد بوعلاقة،منشورات بونة للبحوث و الدراسات،الجزائر، 2007 ،ص 28 .

[3]– أبي عبد الله محمد العبدري، **رحلة العبدري**، تح:علي إبراهيم كردي، تق:شاكر الفحّام، ط 2 دار سعد الدين للطّباعة للنّشر و التوزيع،دمشق، 2005م، ص56 .

[4]– الادريسي، المصدر السابق،ص. 54 .

[5]– أمين توفيق الطيبي، **دراسات و بحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، ج2، الدار العربية للكتاب، 1997 ،ص. 18 .

[6]– الادريسي، المصدر السابق، ص 83 .

المناخية التي تتميز بها المنطقة[1]، كما كان للقمح قيمة كبيرة حيث كان منتشرا بين الطبقات الغنية والحاكمة وبين التجار والسلاطين[2]، بسبب ثمنه المرتفع اذ كان سعر قنطار من القمح يساوي ستة مثاقيل[3].

– **النسيج**: اشتهرت تلمسان بصناعة الصوف، حيث وصفها الزهري " وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات، والأبدان، وأحاريم الصرف، والسفاسير، والحنابل المكلكلة وغير ذلك"[4]، كما ذكر المرزوقي أن ملوك افريقية و المغرب" أنهم يلبسون حينئذ ما كان يعمل في تلمسان من رفيع الصوف[5]"، وازدهرت في عدد من المدن صناعة الأقمشة القطنية والكتانية والصوفية و الحريرية[6] مثل مدينة ندرومة التي وصف فيها الوزان" وينسجون على الخصوص أقمشة القطن لأنه يوجد بكثرة في الناحية"[7]. وعلى ضوء ما تقدّم معنا تُشير الوليش بذكرها: " اشتهرت تلمسان كبقية مدن المنطقة بفن النسيج، وامتازت بتقنيات فنيّة، عريقة في فن النحت والنجارة"[8]

وكانت الأقمشة تصدر الى بلاد السودان الغربي على نوعين: المنسوجات الصوفية ونسيج القطن، حتى أصبح معظم لباس سكان بلاد السودان الغربي من الأقمشة القطنية، وكانت قطعة قماش من ذراع وستة أشبار تساوي مثقالا واحدا من الذهب[9].

– **النحاس**: كان التجار يدخلون بلاد السودان الغربي محملين بقناطير من النحاس الأحمر والملون ،حيث كانت المصنوعات النحاسية من بين صادرات تلمسان الى بلاد السودان الغربي وكانت على شكل قضبان[10]، بسبب افتقاد

---

[1]– مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. 324 .

[2]– لطيفة بن عميرة، المرجع السابق، ص. 89 .

[3]– عبد الله سالم بازينة، **انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء**، دارالكتب الوطنية ،بنغازي،ليبيا، 2010 م،ص. 130 .

[4]– أبي عبد الله الزهري، **الجغرافية**، تح:محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد،ص. 125 .

[5]– ابن مرزوق التلمساني، **المناقب المرزوقية** ، دراسة و تح: سلوى الزهري،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، 2008 م،ص. 189 .

[6]– أمين توفيق الطيبي، المرجع السابق،ص. 187 .

[7] –الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق،ص. 14 .

[8] –الوليش، المرجع السابق، ص 166.

[9] –مبخوت بودواية ، المرجع السابق،ص. 326.325 .

[10] –جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9–10م)**، د. م. ج، بن عكنون،الجزائر،ص. 217 .

هذه المادة في بلاد السودان الغربي، حيث كانت تمر قوافل النحاس عبر الواحات لتصل الى أسواق بلاد السودان الغربي[1].

– **الملح**: يأتي تصدير الملح الى بلاد السودان الغربي في المرتبة الأولى بسبب الندرة و ارتفاع ثمنه خاصة بعد تزايد طلب السودانيين عليه، فأصبح تجار تلمسان يحصلون من بيعه على أكبر كمية من الذهب[2]، فقد كان سكان بلاد السودان الغربي يدفعون ثمن الملح ذهبا، ونفس الوزن[3]، وكانت مدينة تغازة هي المصدر الرئيسي له[4]، وكان الحمل من الملح يباع بعشرة مثاقيل الى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا الى عشرين و يصل حتى أربعين مثقالا، فكان سكان بلاد السودان الغربي يتصارفون بالملح كما يتصارفون بالذهب و الفضة[5]، وازدادت أهميته بالنسبة لتجار بلاد المغرب الأوسط باعتبار أنه السلعة الوحيدة التي يمكن أن تسدد ثمن الذهب المجلوب من السودان[6].

– **الخيل**: كما كان الخيل من أهم الصادرات الى بلاد السودان الغربي باعتبار ظروف تربيتها في بلاد السودان غير ملائمة، اضافة الى ثمنها المرتفع حيث في بعض الأحيان يصل ثمن الحصان الواحد خمسة عشر عبدا، بالإضافة الى الجمال[7] والبغال التي كانت مطلوبة بكثرة في الصحراء بسبب ضخامتها وقوتها، حيث كان البغل الواحد يباع بخمسة عشر الى عشرين عبدا في بورنو، بالإضافة الى الأسلحة المختلفة للدفاع والهجوم والكتب المخطوطة والمنسوخة وبضائع

---

[1] –مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. 327 .

[2] –مختار حساني، المرجع السابق، ص. 157 .

[3] –خوان جوزيف، المرجع السابق، ص. 52 .

[4]– زاهر رياض، الممالك الاسلامية في غرب افريقيا و أثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى،مكتبة الانجلو مصرية،القاهرة، 1967 م،ص . 181 .

[5]– زاهر رياض، المرجع نفسه،ص. 182 .

[6] –جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق،ص. 220 .

[7]–قاسي عبد الرحمان، **القوافل التجارية بين حاضرة تلمسان واقليم توات وممالك السودان الغربي**، الملتقى الوطني الأول، جامعة أدرار، الجزائر، 15 أفريل 2009، ص. 4– 3 .

الامارات الأوربية كالبندقية وميلان وبرشلونة، كما كانت العطور من السلع المصدرة الى بلاد السودان الغربي[1]، والتمور حيث ذكر الادريسي: " **كانت تمور أوجلة أكثر فتمور ودان أطيب ،ومنها يدخل إلى السودان** "[2].

من جهة أخرى ساهمت السلع القادمة من السودان الغربي بتنشيط الحركة التجارية بين السودان الغربي وتلمسان ومن بين هذه البضائع نذكر:

– **الذهب:** كان السودان الغربي الممول الرئيسي للذهب في العالم منذ القرن الثامن ميلادي[3]، فقد سيطرت غانة على مناجم الذهب و الطرق التجارية المؤدية اليها[4]، فقد ذكر ابن حوقل:" **أن ملك غانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والتبر[5]**"، حيث كان يتزين بالجواهر وبغطاء ذهبي للرأس يقف حوله عشرة من الخيول المغطاة بسروج مزركشة بالذهب[6].

كان التجار يحصلون على الذهب على نوعين: التبر وتتداوله العامة وسبائك يشرف على إنتاجها الملوك[7]، ويقوم تجار بلاد المغرب بترتيب السلع الذين يريدون مبادلتها على شكل أكوام على ضفاف النهر، ثم يختفون عن الأنظار فيأتي السكان المحليون ويضعون قدرا من الذهب على كل كومة وينسحبون فإذا رضي التجار بذلك أخذوا الذهب وغادروا[8].

---

[1]–يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص47 – 46 .

[2]–الإدريسي، المصدر السابق، ج 1 ، ص. 312

[3]– جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق،ص224 .

[4]– نورالدين شعباني ،المرجع السابق،ص40 .

[5]– ابن حوقل، المصدر السابق،ص97 .

[6]– بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، ط2، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م، ص149 .

[7]– قاسي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص5 .

[8]– بوفيل، المرجع السابق،ص151 .

– **العبيد:** كانت تجارة العبيد تلي تجارة الذهب أهمية و يمكن القول أن 90 في المئة من صادرات بلاد السودان الغربي عبارة عن ذهب وعبيد[1].

كانت القوافل التجارية للمغرب الأوسط تأتي وهي محملة بالعبيد السود ،ولم يقتصر استعمالهم محليا بل كان يتم تصديرهم الى مختلف الجهات[2]، وقد أدى تعاظم قوة العرب الى طلب متزايد على الرقيق في شمال افريقيا لاستخدامهم كجنود وعمال وخدم[3]، ومع أواخر القرن الخامس عشر هجري تبوأت تجارة الرقيق أهميتها و مركزها الكبير كعملية تجارية مربحة[4].

وأشارت المصادر أن ثمن العبد كان رخيصا جدا حيث أن قيمة العبد لم تصل قيمة الحصان كما ذكرنا سابقا، ولم يكن التجار يدفعون قيمته نقدا بل مقايضة بالسلع التي يحملونها الى بلاد السودان[5]، غير أن هذه التجارة كانت مأساوية بالنسبة الى قارة افريقيا حيث انخفض عدد سكانها مما تسبب في أزمة اقتصادية حادة[6]، وتدمير الهيكل السكاني للمنطقة[7].

– **العاج:** كانت سلعة العاج من السلع المتوفرة بكثرة في بلاد السودان وتكون عادة من أنياب الفيل وفرس النهر ووحيد القرن[8]، يقول الوزان: " **فاذا دخل الفيل في السياج الذي ينصبه الصيادون بين الأشجار، جذبوا الحبل بقوة ووقع بين السجن فينزل الصيادون من الأشجار ويقتلون الفيل بالنبال ثم يأخذون أنيابه ليبيعوها**"[9]،

---

[1]– كولين ماكيقيدي، أطلس تاريخ افريقيا، تر:مختار السويفي،مراجعة: محمد العزب موسى ،الهيئة المصرية للكتاب ، 1987 م،ص137 .

[2]– جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق،ص227 .

[3]– ر.ج.هوبكنز، المرجع السابق، ص161 .

[4]– أحمد طاهر، المرجع السابق، ص51 .

[5]– جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق،ص227 .

[6]– يوسف روكز، **افريقيا السوداء سياسة وحضارة**،ط 1 ،المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر و التوزيع، لبنان، ص53 .

[7]– عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، شوقي الجمل:دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث و المعاصر،القاهرة، 1997 م،ص34 .

[8]– عطية عبد الكامل ،**الروابط التجارية بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية و الرحالة الأوربيين بين القرنين 19– 15** (م)،**دورية كان التاريخية**، العدد 23،2013 ، ص5 .

[9]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ص. 258 .

وكانت مادة العاج تستعمل في مجالات كثيرة مثل الترصيع وحشوات المنابر و يدخل في صناعة الأثاث الفخم، وكان العاج من السلع التي يتهافت عليها الأوربيين من أسواق بلاد المغرب الأوسط[1].

– **ريش النعام**: كان تجار تلمسان يجلبون ريش النعام بكثرة من بلاد السودان الغربي ولاقت هذه التجارة رواجا كثيرا في الأسواق حيث أنه كانت تحشى به الأرائك والمخاذ، وكان يستعمل للزينة أو مراوح للتهوية[2].

لم ينقطع التجار عن تلمسان حتى في الأوقات العصيبة اذ كانوا يتزودون فيها بمنتوجات بلاد السودان الغربي أي العاج والذهب والعبيد الذي تأتي بهم القوافل مرورا بمسالك حفرت على طريقها أبار، وكانت تلمسان تصدر مقابل ذلك الصوف والأسلحة والكتب وهي الى ذلك ممر للبضائع الافريقية والأوربية[3].

جدول و دائرة نسبية يوضحان الصادرات و الواردات بين تلمسان و بلاد السودان الغربي[4]

الصادرات	الواردات
القمح	الذهب
النسيج	العبيد
النحاس (الأسلحة)	العاج
الملح	ريش النعام
الخيل	العنبر الأسود
الجمال	
البغال	
العطور	
التمور	
الكتب	

[1]– مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص. 333 .

[2]– نفسه،ص. 332 .

[3]– شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية،تعريب:محمد مزالي،البشيربن سلامة ،الدار التونسية للنشر، 1983 م،ج2 ،ص202 .

[4]– من انجاز الطالب اعتمادا على القائمة البيبليوغرافية

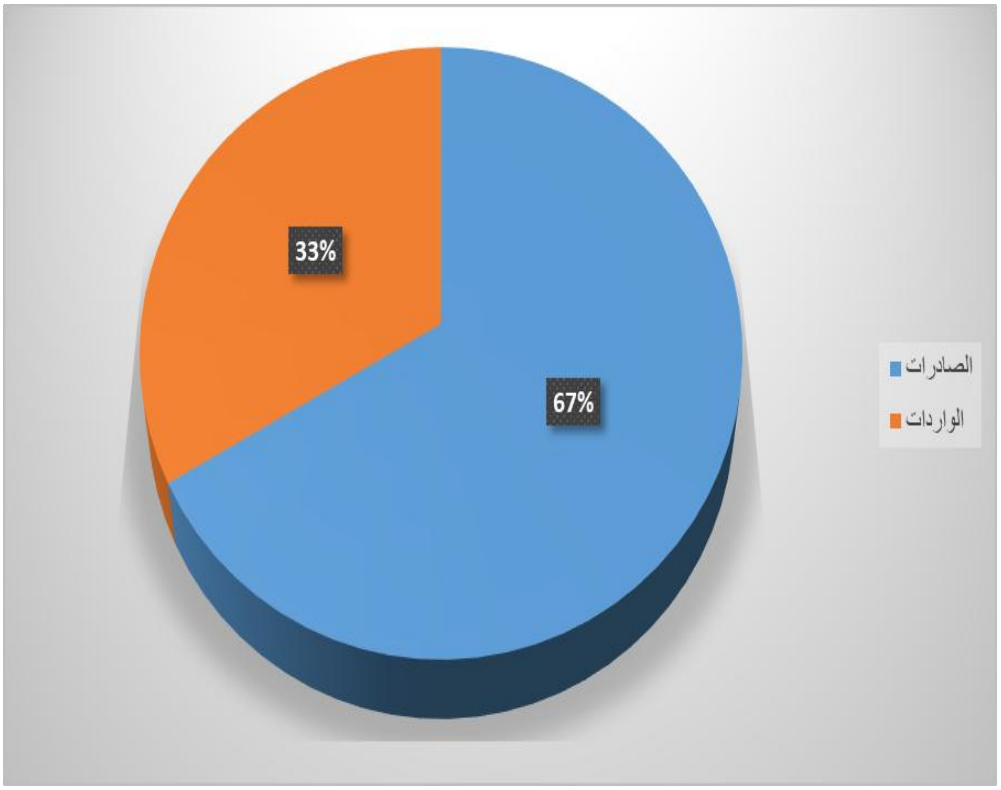

2.3 المغرب الأقصى:

كان المغرب الاقصى يزود غرب الجزائر بالثيران، الخيول، الأغنام ، الاصواف، الجلود، الشعير، الحناء، التمر، الحياك، الفليج، البرانيس، الطاقية الحمراء، الخف الجلدي (البلغة)، الأسلحة، الحديد، الاغطية القطنية و أدوات العطارة خاصة مشط المرأة و مادة الطْفَلْ المستخدم كالصابون، اما بايلك الغرب كان يصدر الى المغرب الاقمشة القطنية، الشموع، الاغطية، المواد الحريرية المستوردة من تونس، المواد الصوفية المصنوعة في الواحات، و كانت الواردات أكبر قيمة من الصادرات.[1]

و كانت قوافل وهران و تلمسان تتلقى من مدينة سلا و طنجة و تيطوان سلعا أوروبية هامة لتتجه بها مباشرة الى داخل افريقيا، كما كانت مدينة تلمسان تتلقى كميات هامة من الصوف و القطن و الاقمشة الحريرية لتموين

[1]- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص231

المحلات الحرفية، علما ان هذه المواد الأولية كانت تنتشر في أعالي منطقة ملوية و ذات نوعية رفيعة عن تلك القادمة من المغرب.[1]

أما عن المغرب الاقصى مولت السوق المحلي بالأحذية والأقمشة الحريرية، والمصنوعات الجلدية فكان هناك تُجار مغاربة في الغرب الجزائري، كما كان تُجار تونسيون في الشرق، وبذلك كان التجار الجزائريون في كل من المغرب وتونس[2].

مدينة تلمسان التي استقطبت عدة وجهات من الجزائر و قد ساعدها على ذلك نشاط تجارتها و صلابتها القديمة عبر إقليمي الساورة و تافيلالت و مع تضاعف كميات التبر و العنبر الأسود و المسك و العبيد[3]، اثر سقوط الدولة الزيانية الا ان أسواق تلمسان و مخازنها ظلت تتحكم في تجارة كميات كبيرة من القطن و الاقمشة الحريرية[4] و الجلود، إضافة الى أخشاب البنادق و ريش النعام و العاج و العلك و التوابل، وكانت تجلب هذه المواد من جبل طارق او فاس عن طريق ممر تازة او ترسل من تافيلالت مقابل تصدير الانتاج المحلي من الحبوب و الزيت و البلاغي،[5] التي صدر منها الى المغرب سنويا ما يقارب قيمته 400 ألف فرنك ذهبي[6]، و لاخذ فكرة عن مدى فوائد و أرباح هذه التجارة نذكر ان التاجر التلمساني يصبح غنيا اثر قيامه برحلة او رحلتين الى مختلف الولايات.

جدول يوضح الصادرات والواردات بين تلمسان و المغرب الأقصى[7]

الصادرات	الواردات
الحبوب	**القطن**
الزيت	**الاقمشة الحريرية**

[1]- اندري برنيان و اخرون، المرجع السابق، ص196

[2]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر..، المرجع السابق، ص866

[3]- امين محرز، الجزائر في عهد الاغوات (1659-1671)، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر،2007-2008، ص70.

[4]- توفيق دحماني، النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني (1779- 1830)، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر،2003-2004، ص19

[5]- بومدين دياب، المرجع السابق، ص113.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص72

[7]- من انجاز الطالب اعتمادا على القائمة البيبليوغرافية

البلاغي	الصوف الجلود التوابل أخشاب البنادق ريش النعام العاج العلك

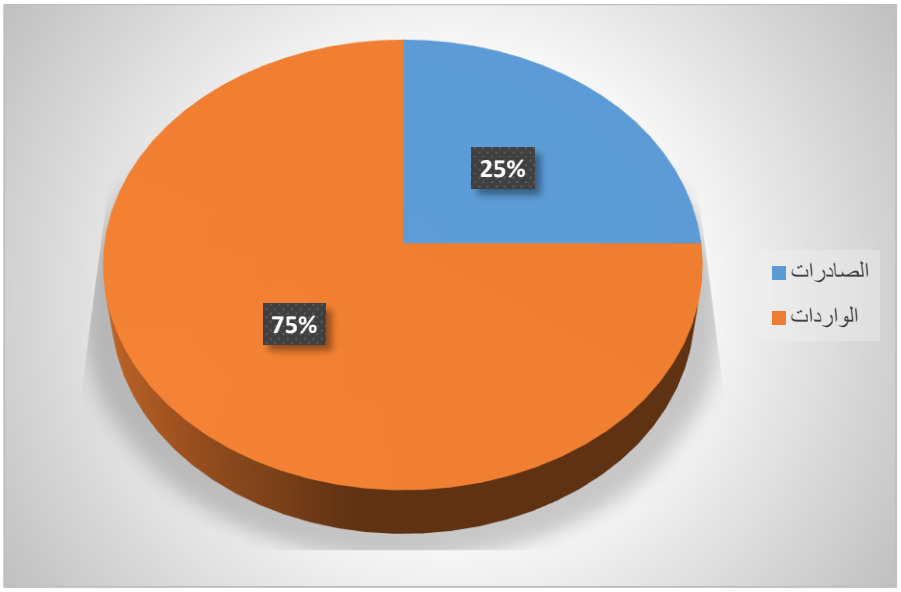

نلاحظ من خلال الجدول و الدائرة النسبية انه كانت الواردات أكبر قيمة من الصادرات بين تلمسان و المغرب الأقصى.

3.3 تونس:

تقول الباحثة التونسية سكينة القنوني على الاقمشة النسيجية الصوفية خاصة "التلمساني" انه كان ضمن لائحة الاقمشة الصوفية القليلة المستوردة من ايالة الجزائر، وكانت من بين الهدايا التي قدمت للباي التونسي خلال القرن 18م، وهذا ما يدل على قيمتها و جودتها، حيث في سنة 1800 قدم محمد البرادعي لحمودة باشا باي زوج برانس تلمساني،

وبالتالي فان وجودها في قائمة هدايا البايات دليل قاطع على القيمة و المكانة المميزة لهاته الاقمشة الصوفية[1] ، و كانت تونس تمول السوق الجزائرية بالشاشية وبعض المنتجات الأخرى.

4.3 مع الدول الأوروبية:

كانت تلمسان تعدّ الممر الرئيسي في المبادلات التجارية نحو أوروبا قبل تحرير وهران، حيث كانت تصدر الى الدول الاوربية كميات من الحبوب، الصوف، العسل، الزيت، ريش النعام، البقوليات، و تستورد في المقابل العتاد و الآلات الحديدية، العقاقير، الادوية، العطر، الرصاص، الكبريت، مواد البناء[2]، بالإضافة الى الخشب و الاقمشة[3].

الصادرات	الواردات
الحبوب	**العتاد و الآلات الحديدية**
الصوف	**العقاقير**
العسل	**الادوية**
الزيت	**العطور**
ريش النعام	**الرصاص**
البقوليات	**الكبريت**
	مواد البناء
	الخشب
	الاقمشة

[1]- سكينة القنوني، **الأقمشة والأغطيّة بالإيّالة التونسية خلال القرنيين 18 و 19م**، رسالة ماجيستر، جامعة تونس،2005 -2006، ص33.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص211

[3]- أندري برنيان و أخرون، المرجع السابق،ص 195

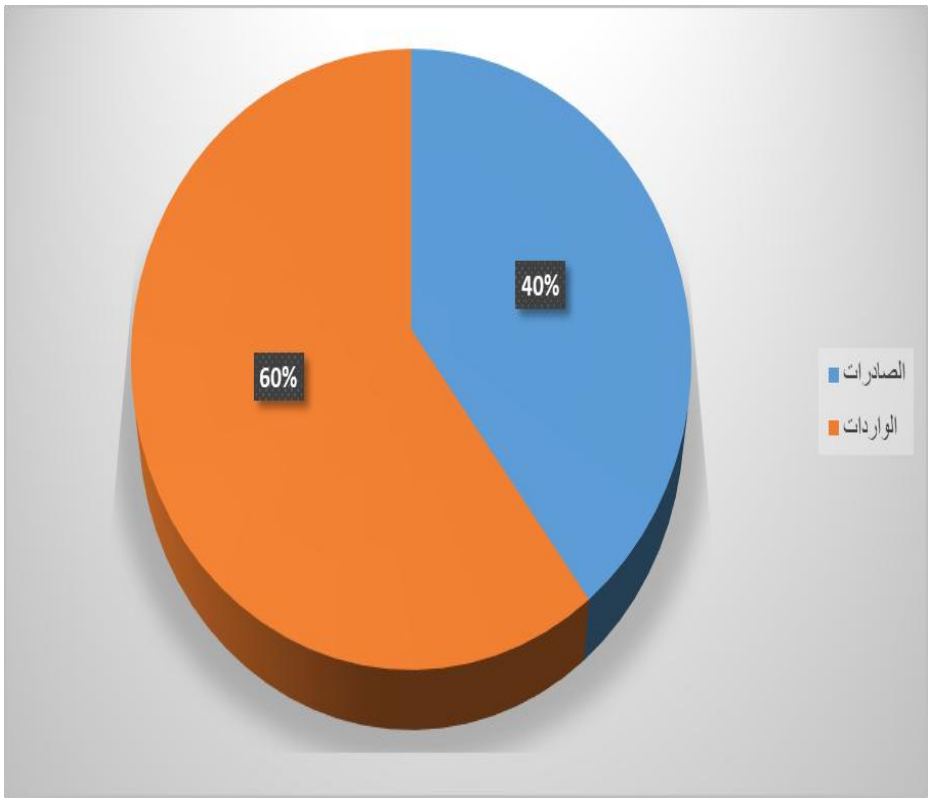

رابعا: العملة

إن الحديث عن النشاط التجاري لابد من التطرق إلى أدواته المتمثلة في العملة ...، ودراستها من حيث أنواعها وقيمتها والتطورات التي طرأت عليها.

تعدّدت وسائل وطرق التعامل للتبادل التجاري في مدينة تلمسان ونواحيها، إبّان العهد العثماني، فبالرغم من شيوع استعمال النقود أو العملة كأهم وسيلة لهذا التبادل، إلاّ أنّ هناك طرق أخرى استعملت: كالقروض والمعاوضة[1] والبيع بالمزايدة والبيع بالأجل[2] والوكالة.

---

[1]- وتُسمى أيضا بالمقايضة، وهو بيع العين بالعين أي مبادلة مال بمال غير نقدي، والمعاوضة هنا بمعنى الاستبدال أي استبدال العقارات بعضها ببعض دون أن يحص تقييم نقدي لها، وهي من المعاملات الشرعية لدى المسلمين للمزيد من التفاصيل ينظر إلى:

[2]- ونقصد ببيع الأجل تعيين مدّة للوفاء بثمن سلعة معينة، ونُسجل شيوع التعامل بهذه الطريقة ما بين التجار المسلمين واليهود، ويقوم هذا النوع من المعاملات أساسا على الثقة بين الطرفين المتعاملين، حيث يقوم التاجر بشراء سلعة معينة دون أن يدفع ثمنها ويكتفي بكتابة عقد يعترف فيه بما عليه من ديون ويحدد مدّة معينة لقضاء دينه. للمزيد من التفاصيل يُنظر:

يُمكن لنا أن نشير في هذا المقام أن الجزائر سكّت في بداية العهد العثماني أنواع مختلفة من النقود سواء الذهبية أو الفضية منها على السواء تسك باسم السلطان العثماني، هذا فضلا عن النحاسية، التي بقيت تتعامل مع الموروثة عن العهود السابقة نذكر منها:

1. العملة المحلية:

كانت العملة المحلية تضرب بدار النقود التي تعرف بدار السكة، وتعتبر من أهم المؤسسات التي لها علاقة بالنظام المالي في الجزائر وتعرف بدار الضرب أو الضربخانة[1]،وكان مقرها بالقرب من قصر الداي غير بعيدة عن جامع كتشاوة وتحول فيما بعد موقعها بعدما أختار لها الداي علي خوجة مقرا جديدا بالقصبة ملحقا بالخزينة العامة[2]،وكانت القطع النقدية المحلية مختلفة منها العملة الحسابية والفعلية التي تنوعت بين الذهبية والفضية و النحاسية:

1.1 العملة الحسابية:

وهي تقليد عالمي قديم وقد كانت مستخدمة في الأقطار المغاربية والعربية، حيث كانت هذه الوحدة النقدية الحسابية تدعى الدينار العشري واستمر استخدامه في بداية العهد العثماني، وبعد انخفاضه مع الوقت حل محله الدينار الخمسيني يعرف بالصايمة، ثم ظهرت العملة الحسابية جديدة تسمى ريال دراهم الصغار تعرف بدقا الشيكا، وهناك وحدة حسابية أخرى تسمى بالموزونة وقد حلت محل ريال الدراهم صغار كوحدة حسابية[3].

2.1 العملة الفعلية: توجد أنواع مختلفة للعملة الفعلية منها:

– الذهبية: تتمثل في :

السلطاني العثماني: هو دينار ذهبي جزائري أتخذ أسمه هذا نسبة إلى السلطان العثماني ، وكان يدعى في الفترة الأولى من العهد العثماني بالدينار أو الدينار السلطاني وأخيرا أخذ تسمية السلطاني ويعرف أيضا بالسكوين السلطاني،

---

[1] –الضربخانة، مكان سك النقود أو ضربها وأشهرها في اسطنبول، بدأ من عهد السلطان مصطفى الثالث وكان مسؤول عنها يسمى أمين الضربخانة ، ينظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة: عبد الرزاق محمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،2000 ، ص146

[2] –إسمهان لعريبي، المرجع السابق ، ص215

[3] – نفسه ، ص ص 216–217

وهو أول عملة ذهبية بالجزائر العثمانية وكان وزنه يتراوح ما بين 3.25- 3.5 غ، لها انصاف و ارباع، تم تداولها في تلمسان من خلال التجار الذين كانوا ينتقلون الى مدينة الجزائر[1]، وقد كانت له مكانة عالية بين العملات المحلية.

الدينار الزياني: يساوي 100 درهم ولهم نصف يسمى نصف الزياني و الربع الزياني وهي ذهبية أيضا مع مزيج من النحاس، وتستعمل في جميع الأقاليم حتى بسكرة وصحراء ومملكة كوكو وبني عباس ،وقد أستمر سكها بعد دخول العثمانيين[2]، حيث كانت النقود المضروبة في تلمسان يتراوح وزنها ما بين 4.20 غ الى 4.70 غ، وقطرها ما بين 32 الى 35 ملم، تتميز بالخط النسخي من النوع الاندلسي المغربي[3]، ومع مطلع القرن 17م بدأت نسبة الذهب في هذه العملة التي أصبحت لا تقدر ب 0.5%.[4] كما نسجّل، استمرار تداول هذا النوع من العملة طيلة القرن السابع عشر الميلادي، من خلال وثيقتين الأولى مؤرخة في سنة 1620م والثانية في 1673م، وحصل هذا التضارب، بفعل استمرار ضرب النقد الزياني بمدينة تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني حتى القرن السابع عشر الميلادي.

– الفضية: كانت الفضة أداة التعامل الأساسية في العملة الجزائرية، وكانت القطع الفضية تسك بدرجة فنية كبيرة ومن خليط صاف ومحتواها من الفضة كان عاليا جدا ،أنواعه:

الريال بوجو: كان يسمى أيضا الريال الصغير وبدقة شيك أو قرش الجزائر أو قرش الصغير وقد تراوحت قيمته ما بين 1.6 إلى1.86 ،أما شكله فقد كان قطعة صغيرة الحجم تراوح قطرها ما بين 19و28ملم.

الدرهم أو الدرهم الصغير: تسميه المصادر الفرنسية الاسبر وهو عملة فعلية فضية لكنها صغيرة جدا لدرجة أنها تنزلق من الأيدي[5].

الربع بوجو: سمي أيضا باسم الرابي كمثله من العملات السائدة بالجزائر خلال العهد العثماني، خضع ربع بوجو إلى جملة من التطورات التي مست شكله، كان وزنه ما بين 2.4إلى 4.4 غ وقدرت قيمته ب0.45إلى 0.75 .

---

[1] -زكرياء خلف الله، محمد بن جبور، المرجع السابق، ص209

[2] -إسمهان لعربي ، المرجع السابق ، ص218

[3]- جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص113؛ ينظر أيضا: زكرياء خلف الله، المرجع السابق، ص211.

[4]المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: العملة، الأسعار و المداخيل،ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009،ص32

[5] – إسمهان لعربي ،المرجع السابق ، ص219

- **النحاسية:**

هو عنصر فلزي معروف رخوي بعض الشيء قابل لطَرق والسحب يقاوم الأحماض وناقل سريع للكهرباء والحرارة ،يعد من أقدم المعادن التي عرفها الإنسان[1]،وأهم النقود النحاسية المستعملة هي :خروبة، غرامس، زوجغرامس دراهم صغار، اسبر شيك دراهم صغار.

3.1 العملة الأجنبية:

كما نُسجّل تنوع الوحرات النقدية المتداولة بمدينة تلمسان، فإلى جانب القطع النقدية المحلية نجد أيضا قطع نقدية أجنبية، إذ يُخبرنا " سعيدوني ناصر الدين " امتازت بتنوّع أصنافها وتعدد مصادرها ذلك أن الجزائر كانت تحصل على هذه النقود جراء تعاملها مع الشركات الأجنبية وحصولها على حصتها من الإتاوات والهدايا الدولية، ومن جهة أخرى نتج عن إجراءات عتق الأسرى المسيحيين أنها كانت توفر كميات من النقود الأجنبية بالجزائر ،ومن أهم العملات الرائجة آنذاك العملة الإسبانية وتونسية والأقطار العثمانية بالمشرق[2].

– **العملة الإسبانية:** من بين العملات الأجنبية التي حظيت بمكانة خاصة وتداول واسع في الأسواق الجزائرية وهي النقود الإسبانية[3]،وقد ساعدها في ذلك تدفق المعادن الثمينة على شبه الجزيرة الإيبيرية ،وهذا ما أبرز العملة الإسبانية في شكل ظاهرة عالمية لم يقتصر انتشارها على بلدان شمال إفريقيا بل امتد إلى المحيط الأطلسي وإلى بحر البلطيق ومنه إلى الصين.

لقد ساعد على شيوع العملة الإسبانية وتبنيها من طرف السكان واكتسابها ثقتهم اتجاه الكثير من الأندلسيين واليهود المطرودين من إسبانيا إلى المدن الساحلية للإيالة الجزائرية واستقرارهم حاملين معهم ما يملكون من النقود الإسبانية

---

[1] – فهيمة رزقي ، **سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سيرتا –قسنطينة ، دراسة أثرية فنية** ، رسالة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية ، قسم التاريخ والآثار ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة منتوري ،قسنطينة ، 2010-2011 ، ص76.

[2] – ناصر الدين سعيدوني،النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق ، ص183

[3] – عبد القادر فكاير، **العملات الإسبانية المتداولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية** ، **مجلة العصور الجديدة** ، المجلد 02، العدد 5 ، أفريل 2012 ، ص171.

[1]، ومن بين العملات الإسبانية المتداولة في الجزائر وهي :الدوبلون الفضي، الدورو الإسباني ،القرش الإسباني ، الدولار الإسباني، الريال الإسباني، بالإضافة إلى عملات الإسبانية الأخرى وهي قرش إشبيلية كان يطلق عليه الجزائريون إسمقرش بومدفع.

– **العملة المغربية:** كان لها رواج في بايلك الغرب خاصة نواحي تلمسان و ندرومة بسبب تعامل تجار فاس و تلمسان بها، من بينها نذكر: البندقي أو العشراوي، ونصف البندقي أو نصف العشراوي، المثقال، الموزونة، الفلس، الريال و الدرهم.[2]

لقد أوضحنا فيما تقدّم معنا، على توفّر وتداول القطع النقدية الأوروبية في التبادل التجاري، فإننا لم نعثر على أية إشارة تُفيد باستعمال الأوراق النقدية الأجنبية أو التعامل بالسندات المالية، بالرغم من أنّ أوروبا عرفت رواجا وإقبالا ملحوضين على التعامل به إبّان العهد العثماني.

رابعا: المكاييل والاوزان والمقاييس

لقد كان لأسواق مدينة تلمسان مكاييل وموازين معينة يتم التبادل و التعامل بها في المنطقة على اختلاف انواعها:

1. المكاييل:

تعددت أنواع المكاييل المستخدمة من طرف التجار التلمسانيين نذكر منها:

1.1 الصاع: وهو من المكاييل المستعملة لكيل الحبوب و الملح و بعض المواد الغذائية الأخرى، و هو يتراوح بين 48 كلغ و 150 كلغ، حسب المواد و الأسواق، وينقسم الصاع الى النصف، الربع و الثمن[3]، و يساوي 106 كلغ بالنسبة للقمح و 80 كلغ بالنسبة للشعير و 135 كلغ بالنسبة للملح.[4]

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني ،النظام المالي... ،المرجع السابق ، ص184

[2]–نفسه، ص199.

[3]– زكرياء خلف الله، المرجع السابق، ص212

[4]– جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص136

2.1 القفيز: و هو مكيال ضخم خاص بالحبوب، نجد استخدامه شائعا و بشكل خاص في مجال التصدير، وان القفيز يساوي 10.50 صاع جزائري و يساوي 650 لتر بالنسبة للبايلك.[1]

3.1 المزورة: هي تعريب للكلمة الفرنسية "Mesure" كما هو واضح، و هي وحدة لكيل الحبوب، انها تساوي ما بين 155 و 160 لتر.[2]

4.1 القلة: تستخدم كوسيلة لكيل الزيت، تتراوح سعتها بين 12 و 18.6 لتر.[3]

5.1 المطر: **وسيلة مستعملة لكيل الزيت، يساوي 20 رطل كبير او 30 رطل عطاري أي 16.38 كلغ.**[4]

2. الاوزان:

1.2 الرطل: **أداة موازنة تتكون من 14 الى 28 أوقية**[5] **حسب السلعة، و الرطل أنواع وهي:**

الرطل العطاري: يستخدم في التوابل، و يساوي 546.08 غ.

- **الرطل الصياغي**: يستخدم لوزن الذهب، الفضة و القطع النقدية و يقدر ب 497.433 غ[6].
- **الرطل الخضاري**: يستخدم لوزن الخضر و الفواكه، اللحوم و الخبز، و يساوي 614.34 غ[7].
- **الرطل الكبير**: يستخدم لوزن السلع التي يأتي بها سكان الريف الى المدينة كالفواكه المجففة، العسل، الويت، التمر والصابون، ويساوي 921.510 غ.

وينقسم الرطل بأنواعه الى اوقيات يختلف عددها باختلاف الارطال.

---

[1]- منور مروش، المرج السّابق ص154.

[2]- جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص137

[3]- وليام شالر، المصدر السابق، ص260

[4]- جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص137

[5]- أوقية: وحدة وزنية تساوي 28.3 غ؛ ينظر: وليام شالر، المصدر السابق، ص260.

[6]-جميلة مشرفي، الأسواق في بايلك الغرب...، المرجع السابق، ص138

[7]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص292.

2.2 القنطار: وهو ما يشتق عن الرطل و نجده في ثلاث أنواع منه القنطار العطاري يساوي 54.608 كلغ و القنطار الخضاري يساوي 61.434 كلغ و القنطار الكبير يساوي 92.151 كلغ وهو مخصص للاوزان الثقيلة.[1]

– **المثقال**: وهو من الاوزان الصغيرة الخاصة بالاشياء الثمينة، توزن به الحلي الذهبية المصنوعة و الجواهر يزن 4.669 غ .

– **القراط**: يستخدم في وزن الاحجام الكريمة يساوي 0.207 غ.[2]

3. المقاييس:

تختلف المقاييس باختلاف انواعه حسب المكان و العرف و المواد في بايلك الغرب، وهي تخضع لمراقبة جهاز من الموظفين يعرفون بالامناء و يقومون بمهام في الأسواق، و المقاييس تقوم على أساس الذراع و تنقسم الى نوعين هما:

1.3 الذراع العثماني: يقاس به الحايك، الاقمشة الحريرية، ينقسم الى 8 أرباع و الربع الى نصف و ربع، ويساوي الذراع التركي 0.636 مترا، بينما يساوي الربع 0.79 مترا.

2.3 الذراع العربي: يستخدم في قياس الحبال و الشرائط الحريرية، الاقمشة و المنسوجات القطنية و ينقسم الى نصف و ربع و يساوي 0.476 مترا.[3]

خامسا: النظام الضرائبي (الجبائي)

أصبحت الضرائب منذ أواسط القرن 18م تمثل المصدر الرئيسي لدخل الدولة بعد أن تناقصت غنائم الجهاد البحري، وتقلصت ثروات سكان المدن؛ ومع تنوعها واختلاف تسمياتها كانت ترتبط بوضعية الأرض ونوعية حيازتها، وكيفية استغلالها، وطبيعة علاقة سكانها بالحكام[4].

---

[1]– زكرياء خلف الله، المرجع السابق، ص213

[2]– جميلة مشرفي، المرجع السابق، ص138

[3]– نفسه، ص140

[4]– زوليخة سماعيلي المولودة علو، المرجع السابق، ص114

تمثلت مصادر دخل الخزينة العامة في أموال الزكاة العشر، الغرامة، العوائد و هي بمثابة هدايا إجباريا تقدم في المناسبات والأعياد، رسوم الحكور المفروضة على أراضي البايلك واللزمة[1]، وضرائب أراضي العرش التي تدفع مرة في السنة[2]، إلى غير ذلك من الضرائب.

أما عن ضرائب المناطق المحيطة بتلمسان فكانت تجبي من قبل قائدين قايد البلاد أي قايد المدينة و قايد الجبل أي قايد المناطق الريفية، و كان يدفعان للباي 10000 ريال بوجو مقابل لبس القندورة، أما اللازمة التي كان يدفعانها لخليفته كل عام فكانت 40000 ريال بوجو يحصلان عليها من قبائل الرعية باستخدام المخزن من حضر و كراغلة.

فقايد الجبل كان تحت يده الجويدات: أولاد الرياح، أولاد ورياش، بنو صميل و بنو بوسعيد، وكان على هذه القبائل ان تقدم للباي عوضا عن الخيول التي لا تربيها كميات هامة من الحياك و البرانس و الكسي ذات الشهرة العالية، والتي كان الباي يبيعها بأثمان باهضة.[3]

1. ضرائب سكان الريف:

1.1 ضرائب الملكيات الخاصة:

– العشور: هو صاع من القمح والشعير للجابدة[4] الواحدة[5]، و هي ضرائب على المحصول المعتمد أساسا تقديراته على مبدأ "الزوبجة" التي هي عبارة عن مساحة أرض زراعية يمكن ان يقوم بحرثها ثوران و هي تقدر بثماني الى عشر هكتارات حسب طبيعة الأرض، فبهذا الاعتبار تحدد كمية المحاصيل الزراعية المأخوذة كعشور على الأراضي

---

[1]– لزمة من اللزوم والالتزام، وألزمه إياه فألزمه وهو لزمة، أي إذا لزم شيئا لايفا رقه، أنظر :توفيق دحماني :المرجع السابق، ص855

[2]– عمار عمروه، المرجع السابق، ص111 .

[3]– كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 162

[4]– الجابدة او زوبجة: هي وحدة قياس خاصة بالمساحة الزراعية و هي محددة بما يستطيع حرثه زوجان (ثوران) خلال عشرة أيام من الحرث ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الملكية و الجباية...، المرجع السابق، ص137.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، الملكية و الجباية...، المرجع السابق، ص11

الزراعية مبدئيا بعدد الزويجات أو الجابدات المحروثة[1]، و في بايلك الغرب كان مقدارها 10 آلاف صاع من القمح و مثلها شعير[2].

– **الزكاة:** كانت الزكاة واجبة في الإسلام استنادا لقوله تعالى: { فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وآتُواْ الزَّكَاةَ[3]}، باعتبارها الركن الثالث من أركان الإسلام؛ لهذا حافظ عليها الحكام العثمانيون و رأوا عدم إسقاطها فبسقوطها يسقط ركن من أركان الإسلام.

هي ضريبة شرعية و تجب على الحبوب و غيرها من الأموال العينية و النقدية و على المواشي بأنواعها ما عدى الخيل ، البغال و الحمير.[4]

فالملكيات الخاصة كانت تؤخذ عليها ضريبة العُشر والزكاة التي كانت تحدد حسب عدد الجابدات بحيث كان يؤخذ على الجابدة صاع من القمح والشعير، وتضيف بعض القبائل حمولتين من التين ومقدار من الزبدة وبعض الدواجن كالدجاج[5].

كان باي الغرب يدفع عن وطنه الزكاة و العشر ما يقدر بعشرة آلاف صاع قمحاً ومثلها شعيراً، يوزع على أصحاب الدولة وخدامهم نحو ألفى صاع قمحاً ومثلها شعيرًا؛ أما الأغنام 5 ألاف رأس، كما يوزع أيضا على أصحاب الدولة وخدامهم مرتين في السنة في أبريل وسبتمبر، ويمنح العوائد في عيد الفطر وعيد الضحى ويوم عاشوراء، والمولد النبوي الشريف للداي ووزرائه وجميع خدامه[6].

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، الملكية و الجباية...، المرجع السابق، ص127

[2]– توفيق دحماني، **الضرائب في الجزائر (1206– 1282هـ/1792–1865م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر**، الجزائر،2007-2008، ص167.

[3]– سورة الحج، الآية 78

[4]– جهيد بوعزيز، **الصراعات الداخلية و أثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771– 1837)**، رسالة ماجيستر، 2011-2012، ص53.

[5]– زوليخة سماعيلي المولودة علوش، المرجع السابق، ص114

[6]– أحمد الشريف الزهار :المصدر السابق، ص 47.

2.1 ضرائب و عوائد أراضي البايلك:

– **نظام الخماسة:** هو نظام يمكن الفلاح من العمل في الأرض لفائدة الدولة مقابل خمس الإنتاج[1]، وينال مالك الأرض في حالة استئجارها أربعة أخماس المحصول و يترك الخمس الباقي للمستأجر الذي يعرف بالخماس.

– **الحكور:** وهو الإيجار الذي يدفعه الفلاحون مقابل استثمارهم للأراضي التي تملكها الدولة[2]، يتم مقابل منافع عينية أو نقدية تسلم للجباة آخر السنة، والذي بلغ في أغلب الأحيان اثني عشر (12) صاعا من القمح و اثني عشر (12) صاعا من الشعير على الجابدة الواحدة، أي حوالي خمسين بالمئة من انتاج الأرض[3].

فكان مردود أراضي البايلك يختلف باختلاف نوعية استغلالها، يؤخذ منها محصول عيني إذا استغلت مباشرة باستخدام الخماسة كانت إلى بعض الضرائب الإضافية تفرض على قبائل الرعية وتؤخذ عنوة من القبائل الممتنعة والمستقلة، وذلك باللجوء إلى الحملات العسكرية، واستعمال قبائل المخزن، مثل ضرائب ضيفة الباب وضيفة الدنوش وخيل الرعية وحق البرنوس ...وغيرها[4].

3.1 ضرائب الاراضي المشاعة:

– **الغرامة:** هي ضريبة مستحدثة عينية او نقدية حسب الظروف والأحوال، تعبر عن خضوع القبائل الجبلية للسلطة المركزية، كما انها تؤخذ كل سنة و قد تؤخذ مرة واحدة في بعض السنين.

– **اللزمة:** هي مطلب عيني و مساهمة مالية لتدعيم مساهمة المقاطعات في مداخيل الخزينة العامة للجزائر، المعروفة بالدنوش الصغرى (المساهمة الفصلية)، و الدنوش الكبرى (السنوية)[5]، كانت تستخلص من قبائل الرعية بصفة منتظمة و مستمرة.

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص87

[2]– عمار بوحوش، المرجع السابق، ص14

[3]– ناصر الدين سعيدوني، الملكية الجباية...، المرجع السابق، ص11

[4]– زوليخة سماعيلي المولودة علوش، المرجع السابق، ص114

[5] – سعاد عقاد، **الفلاحون الجزائريون و السلطة العثمانية في الجزائر (1519– 1830) دار السلطان انموذجا**، رسالة ماجيستر، جامعة وهران،2013– 2014، ص 108.

المساهمة الفصيلة والسنوية للبايلكات تتمثل فيما تقدمه للبايلكات الثلاث إضافة إلى مردود أوطان دار السلطان وقيادة سابا وإذا كان الباي ملزم بإرسال مبالغ نقدية ومواد عينية، وهو مطالب شخصيا بالحضور إلى مركز السلطة ومعه مردود مقاطعته مرة كل ثلاث سنوات وهذا ما عرف بالدنوش الكبرى[1]، كان قدوم الدنوش الكبرى عيد حقيقي بحيث يقدره سكان مدينة الجزائر و ينتظرنه، وفيها يخص دنوش باي الشرق يدخل إلى الجزائر في فصل الصيف كل ثلاث أعوام فيدخل ويلبس الخلعة مثل باي الغرب، إلا أن هديته التي يهديها للباشا في اليوم الأول حين يذهب لملاقاته نحو ثلاثين ألف محبوب ذهباً، وبعض المصوغ والملبس عدد المواشي التونسية ومن الطيب عطر الورد وعطر الياسمين وتسبيح العنبر والمرجان البرانس، وأشياء أخرى من الأثاث والخيل،[2]أما الدنوش الأصغر هو عبارة عن ضرائب وهدايا يحملها الباي كل ستة أشهر في فصلي الربيع والخريف[3].

– **المعونة**: كانت تفرض على قبائل الرعية، بهدف تموين المحلة في الأرياف او سد نفقات الموظفين، وكانت تستخلص عينا، وفي حالات نادرة تحصل نقدا، أما القبائل الجبلية الواقعة في المناطق الوعرة، فكانت تفرض عليها ضريبة سنوية رمزية في شكل معونة.[4]

– **الخطية**: عقوبة تدفع نقدا او عينيا للتكفير عن خطأ فردي او جماعي، و عادة ما تفرض على الجماعات التي تلجأ الى حمل السلاح ضد غيرها[5]، و كانت الخطية بمثابة الدية التي كانت محددة ب 10آلاف فرنك يجمعها أعيان المنطقة، و توزع على و رثة الشخص المغتال، واذا لم يترك ذلك الشخص ارثا، توضع تلك الدية في صندوق بيت المال[6].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص17 ،18

[2]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السّابق، ص05

[3]- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص801

[4]- توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر، المرجع السابق، ص181.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص184

[6]- توفيق دحماني، المرجع السابق، ص87.

– **معونات بلاد القبائل**: تتكون من كميات محددة من التين و الزيتون و الأغنام مع بعض الكميات من الحبوب و مقادير من الفضة[1].

4.1 ضرائب إضافية (العوائد)

– **ضيفة الدنوش (ضيفة الباي)**: هي مساهمة قياد الأوطان في الدنوش الذي ترسله المقاطعات الى الباشا مرة كل ستة أشهر[2]، و كذلك تتمثل في أموال لشراء حاجيات الباشا و يساهم فيها الآهالي[3]، ويترك للباي فرض قيمة هذه الضريبة على القبيلة حسب أهميتها[4].

– **الفرح او البشارة**: و هي بمثابة رمز الفرح و الابتهاج بتولية الباي او اقراره في منصبه او بمناسبة أحداث سعيدة أخرى[5]، وتكاد تكون سنوية و توفر للخزينة ثروات مهمة، وكانت هذه الضريبة تفرض على قبائل الرعية و تؤخذ عنوة من القبائل الممتنعة او المستقلة و ذلك باللجوء الى الحملات العسكرية[6].

– **خيل الرعية**: و تلتزم بها قبائل الرعية بالناحية الغربية بالخصوص، و هي عبارة عن مساهمة مادية(ضريبة عينية) من طرف هذه القبائل، وتشمل على عدد من الخيل يكفي لركوب هيئة كبيرة من الفرسان و مجموعات من دواب النقل لتكون في خدمة البايلك، و بفضلها تتمكن السلطات من تعويض خيل فرسان المخزن عند موتها او ايقادها في مهمات، وقد يباع قسم من هذه الخيل و الدواب إذا لم تكن الحاجة ماسة اليه.[7]

– **ضريبة حق البرنوس**: هدية تقدم بمناسبة تسلم الشيوخ رمز اسناد المنصب او تجديده.

– **حق الزمام**: هي ضريبة اعتيادية يتسلمها قائد العشور كتعويض له على خدماته أثناء جمع العشور.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص92.

[2] – ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية...، المرجع السابق، ص191

[3] – فاطمة الزهراء سيدهم، **موارد إيّالة الجزائر المالية في مطلع القرن 19م**، **مجلة كان التاريخية**، العدد 13 ،2011، ص25

[4] – جهيد بوعزيز، المرجع السابق، ص31.

[5] – ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص93

[6] –ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص50.

[7] – ناصر الدين سعيدوني، الملكية و الجباية...، المرجع السابق، ص137

– **مهر الباشا و الفرس:** هي مساهمة إضافية تلتزم بها بعض القبائل الخاضعة التي لا تمارس زراعة معتبرة، وهي تتمثل في فرس حربي.[1]

أما قايد المدينة كان يشرف على رعية تتكون من القبائل التالية: بني وعزان، الغسل، أولاد سيدي العبدلي، بني سنوس، بني ورنيد، ولهاصة، وكل قبيلة كانت تدفع زيادة على اللازمة النقدية 12 حصان قادة و 12 حصانا عاديا و تضيف بعض القبائل كميات من الظفائر المنسوجة عندها للخيول[2].

2. ضرائب سكان المدن:

1.2 الدنوش و العوائد : هي حصة نقدية و عينية يقدمها البايات الى الخزينة العامة كل ثلاث سنوات، بالإضافة الى ما يقدمونه كل سنة من بضائع و أموال.[3]

و حسب الاحصائيات فان دنوش بايلك الغرب في أوائل القرن السابع عشر حوالي 100 ريال، وأواخر القرن 18م 237.000 قرش، وفي الربيع الأول من القرن التاسع عشر أصبحت 4.000 قرش.[4]

2.2 عائدات بيت المال: تعود مداخيل بيت المال الى عدة مصادر أهمها:

– **مردود الأملاك العقارية:** والتي تعود ملكيتها مباشرة للبايلك.[5]

– **التركات والودائع العمومية:** والتي تعود الى بيت المال عند موت أصحابها الشرعيين او فقدانهم حقوق الغائبين و الورثة.[6]

---

[1]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص94.

[2]– توفيق دحماني، المرجع السابق، ص175

[3]– صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر...، المرجع السّابق ص125

[4]– ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر،2013، ص135.

[5]–ناصر الدين سعيدوني، الملكية و الجباية...، المرجع السابق، ص143

[6]–ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 98.

3.2 عوائد سكان المدن: من أهم عوائد سكان المدن هو ما كان يعرف بضيفة متاع الدار السلطان أو ضيفة متاع خير الدين التي كانت تقدم لآغا النوبة عن طريق شيخ البلد بمناسبة تغيير الحامية[1]، ويتراوح بين 800 و 2000 ريال، يضاف اليها أربعة عشر حصانا كانت تدفع في مدن بايلك الغرب بداية من 2000 الى 5 آلاف ريال و أحيانا بين 1500 الى 3000 ريال.[2]

4.2 الرسوم المفروضة على اليهود و النصارى: يتكفل بدفعها أمين جماعة أهل الذمة نيابة عن أفراد الطائفة بمعدل قرش واحد عن كل فرد.[3]

5.2 رسوم النفايات المهنية و الدكاكين التجارية: يتكفل شيخ قائد الدار بجمعها من أمناء النقابات المهنية المختلفة الموجودة بالمدن الكبرى، وقدرت عام 1822 م بما يعادل ثلاثة آلاف 3000 دولار إسباني؛ كذلك كل دكان ملزم بتقديم رسم شهري مقابل نشاطه التجاري قدر عشية الاحتلال الفرنسي بثلاثين سنتيم عن كل دكان[4]، بالإضافة الى تقديم بعض الخدمات الاقتصادية و تزويد موظفي الدولة بمواد مصنوعة من طرف الحرفيين مجانا.

6.2 الفوائد عن التعامل التجاري: و تأتي بالخصوص من حقوق الجمارك و رسوم المكس[5] على الأسواق و أرباح تصدير المواد الأولية التي تحتكرها الدولة[6]، فحقوق الجمارك و التي تصل الى 10% بالنسبة للموارد المستوردة و المصدرة، تتغير تبعا لطبيعة المنتوج و الفترات الزمنية، وقد تصل إلى 15.5% زيادة على رسوم دخل المرسى.

---

[1]- توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر، المرجع السابق، ص186

[2]- ناصر الدين سعيدوني، الملكية و الجباية...، المرجع السابق، ص144

[3]- نفسه، ص145

[4]- زوليخة سماعيلي المولودة علوش، المرجع السابق، ص111

[5]- حيث كان لكل سوق قائد ينظم جباية الضرائب، فقد كان لكل سلعة موظف خاص يستخلص الضرائب المستحقة عليها، فقنطار الكتان مثلا كان يدفع عنه خمس و عشرون درهما و حمل التمر خمسون درهما، كما ان احتكار سلطات البايلك لاتجار بعض المواد الأولية خول لها الاستفادة من أموال ضخمة، كانت تصل الى حوالي 60% من سعر ثمنها الأصلي و أهم هذه المواد الحبوب، الجلود، الزيوت و الملح؛ ينظر:
Paul Boyer, l'évolution de l'Algérie médiane ,Adrien majonneuve ,paris,1960,p38.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص101

حقوق الجمارك كانت تدفع لقائد المرسى و الترجمان و بعض القباطنة، ومن هذه الضرائب نذكر ضريبة الرسو بالميناء و التي كانت محددة ب 20 قرشا عن السفن الجزائرية و العثمانية، و 40 قرشا عن السفن التابعة للدول المسالمة للجزائر، و 80 قرشا عن السفن التابعة للدول المعادية للجزائر[1].

3. المصادرات: لقد كانت الدولة تلجأ الى هذه المصادرة والتغريم رغبة في الحد من سلطة بعض الموظفين و معاقبة بعضهم بالحد من نفوذهم[2]، وكان يتعرض لها بعض الأغنياء من الحضر و اليهود و كثير من موظفي الدولة و مستخدميها.

4. غنائم الجهاد البحري: ظل الجهاد البحري لمدة طويلة موردا للرزق و مصدرا للثروة و عاملا مهما في تنشيط الاقتصاد الجزائري[3]، حيث ساهم بقسط وافر في تغطية العجز المالي للخزينة.

5. الاتاوات و الهدايا: هي عبارة عن ترضيات مالية يقدمها الدبلوماسيون مقابل اطلاق حرية الملاحة و نيل الاحتكارات و الامتيازات التجارية[4]، و الهدايا و المنح التي كان يقدمها القناصل الاوربيون أو أثناء ابرام المعاهدات فقد تنوعت و كانت مصدر لتدعيم الخزينة[5].

وما يمكن قوله في الأخير كنتيجة لاضمحلال المدخول المالي للدولة أبدى الداي وحكومته اهتماماً خاصاً بالشؤون الداخلية للبلاد، وصمم على تعويض المداخل الآتية من الغنائم التي كان يحصل عليها رياس البحر من الغزو وفداء الأسرى والرسوم الجمر وكية على الواردات وكذلك الهدايا التي كانت تقدم للباي بمداخل محلية يتحمل أعبائها السكان.[6]

جملة القول فقد تميز النشاط الاقتصادي الجزائري خلال العهد العثماني عامة و تلمسان خاصة بالضعف، وذلك بسبب عدم تنوع و تحديث النشاطات الاقتصادية المختلفة كالفلاحة و الصناعة و التجارة من قبل العثمانيين الذين كانوا يعتمدون على مداخيل النشاط البحري و اهملوا بقية النشاطات الاقتصادية الأخرى.

---

[1]- فارس العيد، الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص155

[2]توفيق دحماني، الضرائب في الجزائر، المرجع السابق، ص203

[3]-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص106

[4]- نفسه، ص108

[5]- فاطمة الزهراء سيدهم، المرجع السابق، ص27.

[6]- عمار بوحوش :المرجع السابق، ص14

الفصل الرابع:

الحياة الدّينيّة والثقافيّة بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني

أولاً: المُؤسّسات الدّينيّة والثقافيّة

ثانيا: نِظام التّعليم بمنطقة تلمسان

ثالثا: البُيوتات العلميّة بمنطقة تلمسان

رابعا: التَّصوّف والطّرق الصوفيّة بالمنطقة

خامسا: تَراجم علماء منطقة تلمسان

سادسا: الجَانب الفنّي والعمراني بمنطقة تلمسان

سابعا: المَرافق الحضارية والإجتماعيّة

ثامنا: صُورة تلمسان ونواحيها من خلال الرّحالة المغاربة

ممّا لا شك فيه أنّ الحياة الثقافيّة ترابطت إلى حدّ بعيد بجميع أنشطة الحياة الأخرى، من سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة...الخ، ولا نكون مُبالغين في الرأي إذا قلنا أنّ الثقافة هو انعكاس حقيقي لتلك الأنشطة المختلفة ولقد أصيبت الحياة الثقافية خلال الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر بما أصيبت به أوجه الحياة الأخرى (الخدمات العامة). والدّارس للحياة الثقافية في مدينة تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني يَعِي تماماً أنّها كانت تعيش حركة علميّة راقيّة، أيّام دولة بن عبد الواد بصفتها عاصمة لهم آنذاك طيلة الفترة الممتدة من بين القرنين (7هـ/13م/10هـ/16م)، مكتسبةً التّفضيل عن غيرها من الحواضر في المقصد العلمي وشدّ الرّحال إليه، وهذا دليل على العمق التّاريخي والزخم الحضاري الذي عرفته المنطقة في هذه الفترة، إلاّ أنها عرفت تراجعاً في نهاية العهد الزياني والتّواجد العثماني في الجزائر، وعليه فالحديث عن التّاريخ الثقافي والحياة الدّينيّة بتلمسان ونواحيها هو ضرب من المجازفة العلمية إن صحّ قول ذلك، خاصّة في ظل شحّ المصادر التي تتعرض إلى هذا الجانب.

فإنّ هذه الأخيرة، لَمعت فيها الكثير من الأعلام العلمية والأدبية، وبرزت إسهاماتها العلمية بشكل لافت للانتباه في ميادين العلوم العقلية والنقلية سواء على مستوى العلماء أفرادا كانوا أم بيوتات علميّة بكاملها آنذاك، انطلاقًا من المعطيات التّاريخيّة الوارد في مختلف المصادر المحليّة والأجنبيّة.

وعليه، موضوع الحياة الدّينيّة والثقافيّة في تلمسان لا يزال محل تجادب اتّجاهين رئيسين على الأقل: أحدهما يجعل منها قبلة للمثقفين والطلبة والمتعلمين ويَعتبرها مَنارة إشعاع علمي وفكري ثقافي، خاصّة إبّان العصور الوسطى في العهد الزياني وتواصلت هذه السّمة واستمرت حتى الحقبة العثمانيّة في الفترة الحديثة، والآخر يَصفها بالجمود الفكري وينعتها بالركود الثقافي على اختلاف أشكالهم وخلفياتهم.

أولا: المؤسّسات الدّينيّة والثقافية لمدينة تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني:

أدّت التطوّرات التي مسّت المؤسّسات الثقافيّة بتلمسان، منذ النصف الأول من القرن 10هـ/16م، إلى التّأثير بشكل سلبي على الحركية الفكرية وعلى الرحلة العلميّة الوافدة إليها، التي تعطّلت وقَلّت كونها تُعدّ مرآة عاكسة للمستوى العلمي في وجهتها وهدفيتها، وكان ذلك راجع أساسا بتلاحق الاضطرابات السياسية، والعسكرية، وانعدام الأمن وهواجسه الزمنية والمكانية محليًا وخارجيًا، لتعيش المدينة ونواحيها في كَنَفِ ذلك مرحلة استنزاف فكري عميق[1]، لم يكن ليجد من الاجتهادات العلميّة الكثير من العلماء راكبين هول الصّعاب ومعايشين ومسايرين لواقعهم المرير ومحافظين من

[1] – محمد بوزواوي، **مآثرُ تلمسان – ماضيا وحاضرا**، القافلة للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 45.

جهة أخرى على الموروث التلمساني، هذه الحركية التي شاء لها أن تُعايش المرحلة المتأخرة من التواجد العثماني في الجزائر ولم تكتمل بعد الاحتلال الفرنسي لتأثرها بسياسته وأنظمته الجديدة.

مع مطلع القرن 16م، بدأت حركة التعليم والثقافة منحى جديدًا، فلم تعد مراكز التعليم محصورة في الحواضر، وإنّما أخذت تنتقل من الريف، وتنتشر في كافة أنحاء البلاد، فتأسست الزوايا العلمية والدينية، والمدارس الفقهية والعلمية، وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين: " ... إنّ العصر العثماني امتاز في الجزائر بانتقال المراكز الثقافية من المدن إلى الجبال والقرى، واشتهرت عدّة معاهد إذ ذاك في كامل القطر، كمعاهد بين يعلى، وعبد الرحمان اليلولي... ثمّ معاهد الراشدية ومازونة والونشريس واليعقوبي كما تحوّلت الزوايا الدينية القديمة إلى احتضان التعليم، بعدما كانت تقتصر على الإطعام وإيواء عابري السبيل[1]، ومن أهم المؤسسات الثقافية مايلي:

1. الكتّاب:

من أكثر المؤسسات التعليمية انتشارا في الأرياف وتُسمى الشريعة وأيضا في المدن، وتُسمى المسيد[2]، ويُسمها أهل توات بأمصورطة[3]، وذلك لأنها تجمع البساطة والأهمية، تُدار من طرف معلم القرآن أو ماَ يُعرف بشيخ الكتاب الذي يقوم على تهيئة الحجرة وفرشها2[4]، يقتصر دور الكتاب على تعليم الأطفال الصغار مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ

---

[1]- ميلود ميسوم، **مدرسة مازونة " دراسة تاريخية فنية"**، مذكرة ماجيسر في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2003 ،ص08

[2]- كلمة شائعة بين أهل المغرب والمشرق للدلالة على المسجد أو مكان تعليم القرآن في الكتاب ذكرها كثيرون منهم أبو حفص الصقلي (ت501ه) في تثقيف اللسان: (ومن ذلك قولهم للمسجد: مْسِيد، حكاه غير واحد) وكذلك الزبيدي (ت 1205ه) في تاج العروس، فذكر (أنّ المِسِيدْ لغة في المِسْجِدِ بلغة أهل مصر، أمّا بلغة المغرب فهو المكتب أو الكُتّاب)، والصفدي (ت 274ه) في اصحيح التصحيف وتحرير التحرف(قول العامة للمسجد مسيد هو جائز، حكاه غير واحد، إلاّ العامة تقوله بكسر الميم، والصواب فتحها)، يُنظر إلى أبو حفص عمر الصقلي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990/ محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ج1، مطبعة حكومة الكويت، 1960، ص2273 أيضا إلى صلاح الدين الصفدي، **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، تح: السيد الشرقاوي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1987، ص 50.

[3]- أحمد أبا الصافي جعفري، **اللهجة التواتية الجزائرية**، منشورات الحضارة، الجزائر، ص 49.

[4]- عثمان الكعاك، **محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 إلى القرن 19م**، معهد الدّراسات العربية، بغداد، 1958، ص66.

القرآن الكريم[1] 3، تكون الكتاتيب في الدكاكيين وفي حجرات المساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس[2] وذلك تَجنّبا لضوضاء الأطفال والحفاظ علة نَقاوة المساجد وهدوئها أثناء تأدية الصلاة.[3]

2. المساجد:

1.2 مفهوم المسجد:

– لغة

المِسْجِدُ بكسر الجيم هو مفعل من سَجَدَ يَسجُدُ والمسجد بكسر الميم هو الخَمرة وهي الحصير الصغير[4] قال أصحاب المعاجم كل موضع يتعبّد فيه فهو مسجد وهو يلفظ بفتح الجيم وكسرها وبهذا استعملها العرب في جاهليتهم ثم في اسلامهم، قال جواد على" وقد وردت اللفظة أي المسجد في نصوص بني أرم وفي النصوص النبطية والصوفية وردت على هذه الصورة (مسجد) وقد عنت به معبداً[5].

– اصطلاحا:

فكل موضع من الأرض لقوله صل الله عليه وسلم **"جعلت لي الأرض مسجداً "** وهذا من خصائص هذه الأمة، لأنّ من قبلنا كانوا لا يصلون إلاّ في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلاّ ما

---

[1]- Yvonne Turin, Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, Ecoles médecines, religion, 1830- 1880,Paris1971 ,p237.

[2]- محمد بن ميمون الجزائري، **التّحفة المرضيّة في الدَّولة البكداشية ببلاد الجزائر المحميّة**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 58.

[3]- يحي بوعزيز، **أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19م و 20م**، **مجلة الثقافة**، المجلد 11، العدد 63، 1989، ص 15.

[4]- **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري(1830–1954)** سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 16.

[5]- أبو الحسن بن عبد الله العسكري، **كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه**، ج1، مطبعة الظاهر، القاهرة، 1998، ص 113.

تيقّنا نجاسته[1]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: " أحبّ البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"، وروي الطبري في أوسط معاجمه من حديث الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: " تذهب الأرضون كلها يوم القيامة إلاّ المساجد فإنّها ينظم بعضها إلى بعض"[2].

والمسجد نوعان واحد لا تُقام فيه صلاة الجمعة بينما تُجرى في الآخر، وهو المسجد الجامع أو الجامع الكبير أو مسجد الجمعة[3]، والجامع في اصطلاحا أكبر حجماً من المسجد، فهو الذي تُؤدي في الصلاة الجامعة أو الجمعة أو العيدين، وكثيرا ما كان يُسمى جامع الخطبة وبعض هذه الجوامع كانت تُسمى بالجامع الكبير أو الأعظم

2.2 نماذج عن مساجد تلمسان ونواحيها:

تُعتبر المساجد من المظاهر والمنشآت المعماريّة التي لا يُمكن أن تخلوا أي مدينة من المدن الإسلامية منها، فهمي تعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلاميّة لأهل المدينة، فقد كانت المساجد من أبرز ميزات مدينة تلمسان ونواحيها التي تجلذت فيها معالم الحضارة الإسلامية والتأثيرات العثمانية في المنطقة[4]، وعليه المساجد منارة الإسلام، وهي رابط أساسي بين المسلمين، ولقد لقيت اهتماما ورعاية بعد أن أوصى بها القرآن والسنّة لقوله تعالى**{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ فِيهَا بِالغُدُوّ وَالاصَال}**[5]، فمن هذا المنطلق تطوّرت المساجد لتصبح مركزاً هاماً للإشعاع العلمي والثقافي وصَرح لأجمل وأبدع الصّور المعمارية.

---

[1]- خيرة بن بله، **المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني**، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلاميّة، جامعة الجزائر. 2008/2007، ص 32.

[2]- حسين مؤنس، **المساجد**، عالم المعرفة، المجلس العلمي للثقافة والفنون والأدب، الكويت، جانفي 1981، ص ص 21-22.

[3]- أبو الحسن بن عبد الله العسكري، المرجع السابق، ص 113.

[4]- محمد بوزواري، المرجع السّابق، 46.

[5]- سورة النور، الآية 36.

وعن دور المسجد يقول أبو القاسم سعد الله: **" إنّا مُلتقى العِباد ومَجمع العيان ومشط الحياة العلمية والاجتماعيّة وهو قلب القرية والريف وروح الحي في المدينة إذ حوّله تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب كما أنّه كان الرابطة بين أهل القرية والمدينة والحي لأنّ الكل يشترك في بنائه"**[1].

كانت المساجد من أبرز مراكز الإشعاع الثقافي في تلمسان ونواحيها خلال الفترة العثمانيّة، حيث كانت مقصداً للنّاس في مختلف فترات اليوم لأداء فريضة الصلاة، لكنّ المساجد آنذاك لم تكن أماكن للعبادات فحسب، بل كانت تؤدّي دوراً تربوياً تعليميا من خلال حلقات الدروس التي كان يعقدها الشيوخ يومياً فضلا عن خطب الجمعة والأعياد التي كانت تتعرض لمختلف المناسبات والتي كانت تَجلب لها الجموع الغفيرة من المسلمين، والمهم أنّ المساجد كانت تُحظى بالعناية والإهتمام من طرف كل أفراد مجتمع مدينة تلمسان ونواحيها وبما في ذلك الحكام العثمانيين، وقد تجسّد ذلك في الحرص على المساهمة في بنائها والمحافظة عليها من خلال تحبيس الحبوس، وهذا دليل على مكانة الدين الإسلامي في حياتهم والتزامهم بأداء الفريضة المتوجبة على أحسن وجه.

ومن بين المساجد التي وجدت في مدينة تلمسان ونواحيها، والتي أحصاها أبو القاسم سعد الله أواخر العهد العثماني[2]، من أبرزها **المسجد الكبير** الذي يقع في قلب تلمسان **ومسجد المشور** الذي يقع داخل قلعة المشور الضخمة، ومن أشهر المساجد في **ندرومة** الجامع الكبير الذي يوجد بحي التربيعة والذي يعود تاريخه إلى القرن الحادي عشر ميلادي[3]. في هذا الصدد يذكر لنا أبو علي بن محمد الوزان وهو يؤرّخ لنا بالمشاهدة المباشرة بوصفٍ عن مساجد تلمسان ونواحيها، حيث قال **" ...مساجد عديدة جميلة صينة، لها أئمة وخطباء، وخمس مدارس حسنة، جيّدة البناء مزدانة بالفسيفساء، وغيرها من الأعمال الفنيّة، شيّد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس..."** [4]، هذا وفي مُقابل ذلك يذكر لنا مارمول كربخال (ت 1019هـ-1611م) الدي يُعدّ مُتقدما عن الأول بحوالي 30سنة عن رحلة

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 246.

[2]- المرجع نفسه، ص 250.

[3] -Conal.J, Monographie de L'arrondissement de Tlemcen, in, B. S. G. A. O.N : Vll, 1887, p 107.

[4]- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 20.

الوزان أين تحدث عن المساجد بإشارات طفيفة وعابرة نقلها واستمدها مباشرة من كتاب الرحالة الحسن الوزان حيث يقول " ...**ويوجد عبر المدينة كلّها عدد كثير من المساجد الفخمة... وهي مجهزة بجميع مايلزم... علاوة على خمس مدارس رئيسية مزخرفة من إنشاء بعض ملوك زنانة**" [1]

– المسجد الكبير بتلمسان:

يقع هذا المسجد في قلب المدينة العتيقة أسس في عهد المرابطين– علي يد يوسف بن تاشفين– (530هـ– 1136م) و أشرف على ذلك القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي يَمتاز هذا المسجد بهندسة معمارية رائعة مُزجت بين الرّونق و الإبداع، و تميّز بقبابه المستوحاة من قبل جوامع قرطبة بالأندلس و القيروان بتونس إلاّ أنّ قبّته تختلف بعض الشيء لتشكلها من 16 ضلعا ترتكز على إفريز مربع بواسطة أربعة عقود و زوايا ذات أصل فارسي أدخلها المرابطين من الشرق و نشرها الأندلسيين[2]، تُقام فيه حلقات الدّروس و ينتصب فيه العلماءّ للقاء ما اكتنزوه من العلوم الدينية و اللسانية على عدد كبير من الطلبة، و شكّل المسجد الكبير بتلمسان مثالاً حيّا على استمرارية تأثير العمارة الأندلسية بإبداعاته ورفعة زخرفته و لقد كان المسجد الكبير رغم بساطته جامعة اسلاميّة كبرى شارك في نهضة البلاد أيّام عزة في عهد المرابطين والموحدين و الأتراك العثمانيين و قاوم الفرنسيين[3]

– مسجد أبي مدين بالعباد[4]

بُنِيَ مسجد ابن مدين سنة 739هـ/ 1339م بأمر من السلطان أبو الحسن المريني كملحق لضريح سيدي أبي مدين، يقع في الشمال الشرقي لمدينة تلمسان على سفح جبل شديد الانحدار نواته عبارة عن رباط لمقر الصوفية

---

[1]– كاربخال، المصدر السّابق، ج2، ،ص 298.

[2]– رشيد بورويبية، **جولة عبر مساجد تلمسان**، **مجلة الأصالة**، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ال عدد26، ص 172.

[3]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 481.

[4]– العباد: قرية صغيرة قرب تلمسان وهي مَدفن القُطب أبي مَدين، ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2 المصدر السّابق، ص 24.

والمتزهدة وسُمي على الوالي الإشبيلي أبو مدين شعيب بن الحسن الذي توفي هو قادم من مدينة بجاية نحو فاس في مدينة تلمسان[1].

تَميّز مسجد العباد بتصميماته المعمارية ذات الطابع الأندلسي له باب رئيسية واسعة من الجهة الغربية ومدخلان جانبيان واحد على اليمني والآخر على اليسار بالإضافة إلى مدخل رابع خاص بالصّلاة على الموتى، زُيّنَت جدرانه ومحرابه بنقوش وآيات قرآنية كريمة. وامتاز سقفه المزركش بقبة مقوسة تُعدّ من أجمل قباب العالم الإسلامي إلى مئذنته وميضأته و حمّامه[2]. اعتبر مسجد أبي مدين للعباد من أهم المؤسسات العلمية التي شدّت إليه العلماء و الحكماء خلال القهرة العثمانية ومن بني أهم و أشهرهم الرحالة المغربي "الزياني" الذي زاره في القرن 18 وتحدث عن الحياة العلمية و الفكرية التي كانت تنبع منه في قوله **"" ولما انتقلت من تلمسان ونزلت بجوار أبي مدين بالعباد، واخترت العزلة عن العباد، انهال علي طلبة البلاد من ذلك المصر، وفقهاء ذلك العصر ..وقصدونا للأنس والمذاكرة، والمسامرة والمحاضرة و، واتحفونا بما عندهم من كتب الأخبار ... فأتحفني الفقيه الأديب السميذع الأريب خطيب مسجد أبي مدين بالعباد بتاريخ الإمام المؤرخ أحمد بن يحي البلاذري في ستة أسفار..." [3]إلى أن قال: " وطالعت بها تاريخ سليمان بن إسحاق المطماطي، وتاريخ هاني بن يصدور القوصي وتاريخ كهلان بن أبي لؤي الأوربي وتاريخ العقباني في دولة بني زيان" [4]**

[1]- يحي بوعزيز، أوضاع المؤسّسات..، المرجع نفسه ، ص ص 117 -118.

[2]- رشيد بورويبية، جولة عبر مساجد تلمسان، المرجع السابق، ص178.

[3]- بالحميسي، المرجع السابق، ص 22.

[4]- نفسه، ص 161

– مسجد سيدي الحلوي:

يُنسب مسجد سيدي الحلوي إلى العالم عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي [1]الذي تولى القضاة في أشبيلية و على إثر حرب الاسترداد الصليبية توجّه مع الكثير من أهل المدينة إلى تلمسان1266م ولُقّب بالحلوي لصنعه للحلوى و بيعها لأبناء الحي وفي المساء يوزّعها مجّاناً[2].

شُيّدَ هذا المسجد بأمر من السّلطان المريني أبو عفان عام (754هـ/1353م) تكريماً لهذا العالم الأندلسي الجليل، يَقع خارج مدينة تلمسان القديمة من النّاحية الشمالية البحرية في سفح الجبل جاء تصميمه مطابق لمسجد العباد، لأنّ والده السلطان أبو الحسن المريني هو الذي أمر بناء مسجد سيدي بومدين، ويَقع وجه المسجد على جهة الشرق صوب جرف الجبل و له 3 أبواب واحدة منهما مزخرفة بالفسيفساء و الأشكال الزهرية المختلفة وفوق حاشيته مزينة بخط أندلسي[3].

– مسجد إبراهيم المصمودي[4]:

ليس هنالك تاريخ معلوم لتأسيس هذا المسجد ولكن بما أنّ الشيخ ابراهيم المصمودي قد توفي سنة (805هـ/ 1402م) فإنّ هذا المسجد يكون قد أسّس خلال القرنين 8هـ/14م وهذا حسب يحي بوعزيز. ولا شك أنّه فاخر بالأمجاد الفكرية والدينية الأدبية وإذ ما صحّ من أخبار ومعلومات فإنّ هذا المسجد كان في الأصل هو المدرسة اليعقوبية التي أسسها السلطان الزياني أبو محو موسى خصّصها للعالم والفقيه التلمساني أبي عبد الله الشريف الحلوي الحسني ليدرس بها .ويقع هذا المسجد شرق مسجد أبي الحسن فوق أرض منبسطة مستطيلة، في قسمها الشمالي وهو جزء من

---

[1]– هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسلن تولى قضاء إشبيلية في أواخر عهد الدّولة الموحديّة ثمّ فرّ من القضاء وآوى إلى تلمسان في زي المجانين، أنظر يحي بن خلدون، المصدر السّابق ، ص ص 127-128.

[2]– بن عبد الله بن عبد العزيز،

[3]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 57.

[4]– هو إبراهيم بن موسى المصمودي، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، أخذ علومه على الآبلي وغيره، ثمّ نزل تلمسان ولازم أبا عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبية، وبعد وفاته أخذ عن سعيد العقباني بالمدرسة التاشفنيّة ثمّ انقطع للعبادة وللتدريس، ولما توفي دُفن لضريح الأمراء الزيانيين بجانب المدرسة اليعقوبية، أنظر ابن مريم التلمساني، البُستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان المصدر السّابق، ، ص ص 64-66.

مجمعها المعماري، يحتوي على فيناءان واحد بجوار المحراب والأخرى بالوسط وله بابان لا يُفتحان إلاّ أيّام الجمعة و الأعياد، توافد عليه العديد من الطلبة و الفقهاء على رأسهم الشريف التلمساني و الشيخ ابراهيم المصمودي.

– مسجد سيدي اليدون:

يُعتبر مسجد اليدون من أبرز و أهم المشاهد الأثرية في تلمسان الذي يعود إلى الحقبة العثمانية و هذا المسجد لم ترد أيّة معلومات كافية لسنة تأسيسه أو مؤسسه، و الرّاجع إلى ذلك أنّه أسّس خلال فترة الباي حاج عثمان ابن ابراهيم في القرن 18 ميلادي[1]، موجود بقرب ساحة الشهداء بدرب سيدي اليدون يحتوي على قاعة الصلاة وثلاث أروقة و ثالث بلاطات ،امتاز بهندسة معمارية بسيطة له مئذنة في واجهته الشمالية و جعل المحراب في الجدار القبلي من أوساطها و يوجد ضريح سيدي اليدون قرب الجدار المقابل المحراب محاط بسياج من الخشب مُلوّن بألوان مختلفة[2].

و من الطبيعي أن يقوم هذا المسجد بدوره الديني والتعليمي في المنطقة و عليه يمكننا القول بأنّ تاريخ المساجد في الجزائر عامة و تلمسان خاصة في الفترة العثمانية أنّه كان حافلاً من تنوير لعقول و غرس الأخلاق الفاضلة في نفوس الأجيال الناشئة وترقية الفكر والثقافة و ترسيخ الدين الإسلامي فهو منارة علمية لكل الجزائريين[3].

---

[1]– يحي بوعزيز، مدينة وهران... المرجع السابق، ص 147.

[2]– الحاج محمد بن رمضان الشاوش، **باقة السوسان في التّعريف بحاضر تلمسان عاصمة دولة بني زيّان**، د . م . ج، الجزائر2011، 219.

[3] من المساجد التي حظيت بالعناية والرعاية من قبل العثمانيين " مسجد سيدي عمران " الكائن بحي باب الجياد شرق مدينة تلمسان، وتمثلت تلك العناية في أعمال الصيانة والترميم، فضلا عن الأملاك الوقفية التي حُبست له، من حوانيت وأراضي زراعية وبنايات ونقود وغيرها، أضافة إلى "مسجد سيدي السنوسي"، الذي يعدّ هو الآخر معلما دينيا وتاريخيا طال عهد العثمانيين في تلمسان، من توسعة وتطوير وأحباس جُعلت له، من السكة وهي عبارة عن قطع أرضية، وبنايات وبساتين ودكاكين..الخ، "مسجد لالة الرّؤيا" الذي يعدّ من المساج التي بناها العثمانيين في حاضرة تلمسان خلال القرن 18م، الذي يقع في شارع الموحدين، حيث أنّ هذا المسجد حظي برعاية خاصة من قبل العثمانيين، حيت جعلت له أملاك وقفية كثيرة، من أموال، وحوانيت وبساتين وسكك...في هذا السيّاق يمكن الإشارة أيضا إلى مسجد سيدي زكري، 1741م، الذي يعتبر من أجمل مساجد تلمسان حسب ماذكره صاحب مؤلف " تحفة الاعتبار"، وكان هذا المسجد يتمتع بمداخيل أقلّ ما يُقال عنها مُعتبرة، ومصدرها الأوقاف الموقوفة عليها. ويتضح لنا ممّا سبق أنّ عدد المساجد في تلمسان نواحيها لم يكن قليلا وذلك لاشتراك الأهالي والعثمانيين على السواء في تأسيسها .

3. الزاويـا:

لقد عرفت تلمسان ونواحيها تنوّعا في التعليم خلال العهد العثماني بين تعليم نظامي وآخر حر، مثّلت هذا الأخير الزوايا والكتاتيب، حيث اشتهرت تلمسان بزواياها منها: زاوية سيدي الطيب الوزاني (الزاوية الطيبية)، وزاوية سيدي بومدين وزاوية عين الحوث، وزاوية محمد بن عبد الجبار المسعدي الفجيجي التلمساني...الخ، حيث أدّت أدوارا متميّزة في تعليم العلوم النقلية والعقلية من نحو وصرف وتفسير وفقه ...الخ، بادلةً في ذلك جهدًا كبيرًا في الحياة العلمية والفكرية في تلمسان، باعتبارها مراكز الإشعاع الروحي والعلمي ومنبعا للهداية والفضيلة والأخلاق، حيث أنّها حققت نهضة علمية، فاعتنت بالعلم و تكوين العلماء، وتنوير أفراد المجتمع اعتناء بالغا هذا فضلا عن الوظيفة الاجتماعية من خلال التوسط لقضايا قضائية بين السكان.

1.3 تعريف الزوايا:

– لغة:

الزاوية مشتقة من فعل "زوى" الشيء يزويه (زيا) جمعه وقبضه، وفي الحديث النبوي الشريف " إنّ الله تعالى زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها "، زويت لي الأرض: جُمعت. ومن دعاء السفر، وازو لنا البعيد أي اجمعه واطوه. وزاوية البيت : ركنه والجمع زوايا[1]. كما يرجع أصل كلمة زاوية إلى الانزواء والانعزال الذي له أصل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فأمّا بالنسبة للقرآن الكريم، فمن الأمثلة والآيات الدالة على ذلك قوله تعالى " وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ"[2]، وقوله أيضا " وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ"[3]. أمّا في السنة الشريفة فهناك أحاديث عدّة تدعوا إلى العزلة عند فساد الأحوال والخوف من الفتن والوقوع في الحرام، ومن بين الأحاديث، ماورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: " قال رجل أي الناس أفضل يا رسول الله، قال: مؤمن مجاهد نفسه وماله في سبيل الله، قال ثمّ من، قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربّه.

---

[1]– الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مُختار الصّحاح**، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ص 124.

[2]– سورة مريم، الآية 48.

[3]– سورة الكهف، الآية 16.

– اصطلاحا:

تُعرّفُ الزاوية حسب بعض المهتمين والباحثين، أنها عبارة عن بناية ذات طابع معماري إسلامي، يقوم فيا المتصوّفة بالاعتكاف والتفرّغ للعبادة، وتعليم المردين مختلف علوم النقلية والعقلية، وكذا تحفيظ القرآن الكريم للناشئة وتهيئتهم للمعاهد الإسلامية العالية، وكذا إيواء وإطعام الفقراء وابن السبيل. ولا يفوتنا أن ننوّه أنّ قبابها شيّدت على أضرحة الاولياء الصالحين أو بنيت تخليدا لذكراهم، أمّا عن تسمية الزاوية فهناك من يرى انّها جاءت إمّا لانزوائها عن المدينة باعتبار أنّ العديد من الزوايا كانت في مناطق قروية، أو لأنّ وجودها كان في الأغلب في أطراف المدينة، أو ركن منزوي بها[1]. في هذا الصدد يذكر دوماسDaumas تعريفا للزاويّة في كتابه منطقة القبائل عام 1847م، يقول فيه: " إنّ الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانيّة للضيافة تتحتوي عادة على مصلى وغرفة لتلاوة القرآن الكريم، ومدرسة لحفظ القرآن، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تضمّ غرفا ومراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، وبلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح، ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية[2]. وتأسيسا على ذلك يُمكن القول أنّ الزاوية كما هو معلوم هي مؤسسة تربوية تعليمية تقوم بذاتها وعلى ذاتها وبمساعدات وتبرعات المحسنين في دعم وظيفتها الأساسية التي تجمع بين الدور الديني والتربوي التعليمي.

2.3 نماذج لبعض الزوايا في تلمسان في العهد العثماني:

شكّلت الزوايا إحدى المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية ، ويعتبر العهد العثماني من أهم العهود الذي بلغت الزاوية فيه أوجها خاصة خلال القرن السابع والثامن عشر الميلاديين، حيث شهدت تلمسان انتشارا واسعا للزوايا، بحكم قربه من المغرب الأقصى مهد الزوايا والمرابطين، هذا فضلا لازدياد الحملات الصليبية على سواحل الغرب الجزائري، باعتبار أنّ الزاوية أصبحت مؤسسة تنشئة اجتماعية ومحضن من محاضن التربية والتعليم.

---

[1]– أحمد مريوش، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص 149.

[2]– عبد العزيز الشهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب، وهران، الجزائر، 2007، ص ص 13– 14.

– زاوية سيدي بومدين:

تعتبر زاوية سيدي بومدين من أشهر الزوايا في تلمسان الذي ذاع صيتها محليًّا ووطنيًّا. توجد هذه الزاوية في منطقة العباد التي كانت تابعة لمجمع سيدي بومدين، حيث يذكر ابن مرزوق في هذا الصدد قائلا: " ...برسم الطعام بزاوية العباد عمرها الله للفقراء والحجاج المقيمين ثلاثة أيام والواردين عليها..."[1]

ولكن تحديد موقع الزاوية بالضبط يعدّ صعبا، حيث يذكر ابن قنفذ القسنطيني في وصفه لضريح سيدي بومدين، أنّ الزاوية تقع على مقربة من الضريح قائلا:" وقبره في بيت صغير...فهو أنّك إذا دخلت البيت، فارجع على يمينك مستقبلا، فالذي يقع على يسارك هو قبره...وتحت هذا البيت وبجواره قبور كثيرة متزاحمة لالتماس بركة الشبخ أبي مدين رضي الله عنه، وزاويته قريب منه...وبجواره جامع للخطبة، ومدرسة للعلم[2].

وفي نفس الصدد، يؤكد الحسن الوزان على وجود مكان للإيواء الغرباء ولكن يسميه فندق وليس بزاوية في وصفه لمنطقة العباد قائلا:" العباد مدينة صغيرة شبه ربض، تقع في الجبل ...وبها دفن ولي كبير...يوجد ضريحه في جامع...وهناك مدرسة جميلة جدا، وفندق لإيواء الغرباء، أسّسها بعض ملوك فاس من بني مرين، حسبما يقرأ ذلك في الرخامتين المنقوش عليهما أسماؤهم[3].

بينما يُشير الأخوان مارصي أنّ الدار معروفة اليوم بـ" دار الوكيل" الواقة في الجزء الشمال–ي – الغربي للجامع، كانت حتى نهاية القرن 12هـ/18م زاوية تستقطب الزوار الوافدين على الضريح، وكان تخطيطها الداخلي مغاير لما هي عليه، وذلك اعتمادا لأقوال شيوخ منطقة العباد خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

---

[1] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني : **المناقب المرزوقية** ، تح: سلوى الزاهري ، ط1 ، مطبعة النّجاح الجديدة ، الدار البيضاء المغربية ، 2008م ، ص 151.

– رقاد سعدية، **المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني 1700–1830** ،أطروحة دكتوراه في الطور الثالث ، جامعة وهران ، 2018–2019، ص 176.

[2] أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح – تع: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979، ص ص 22– 32.

[3] الحسن الوزان، ج2، المصدر السّابق، ص 24

– زاويــة عيــن الحــوث:

لقد بذلت زاوية عين الحوث[1] جهدا كبيرا في الحياة الثقافية للسّاكنة، ممّا أثّر في كل من عايش هذا المجهود وعاصره، فأثنوا عليه، حيث كانت أنها كانت تسمى بقرية العلويين مثلما وردت في كتاب البستان لابن مريم يؤكّد أنّها من التجمعات السّكانية العريقة ضاربة جذورها في التاريخ الغابر للمنطقة فهناك من يذهب أنّ للمنطقة أكثر من 12قرن، فإن قورن موقع عين الحوث بموقع تلمسان الذي أشاد به الكثير من المؤرخين والشعراء لوجدناهم متشابهين إلى حدّ ما تنظران إلى الشمال مستقبلتان الهواء البحري الرطب المحمّل بالأمطار وهي محميّة من التيارات الهوائية الجافة الآتية من الجنوب[2].

وقد ظلّت زاوية عين الحوث منذ دخلها سليمان بن عبد الله[3] واستقرّ بها حاضرة للعلم والعلماء، ومركزا لإطعام الطعام وإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإصلاح ذات البين، وتقديم الصدقات والهبات، ورعاية الأيتام، فكانت من الضروري أن تكون لهذه الزاوية أملاكا خاصة بها أو محبسة عليها تستثمرها للوفاء بهذه الالتزامات، وخدمة الصالح العام، فاستطاعت هذه الأخيرة أن تتحوّل إلى مؤسسة اجتماعية لرعاية المحتاجين واستقطاب الوافدين والزائرين إليها[4].

---

[1]– عين الحوث هي القصبة الجديدة التي أنشأها محمد بن سليمان لتكون مقرا له قرب العاصمة تلمسان لأن سور تلمسان قد أصابه عطب نتيجة فتنة (199– 201م) فتمّ إخراج القصبة إلى عين الحوث، ولم تزل تلمسان دار العلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله مثلما ذهب إليه المؤرخ المغربي البكري في كتابه المغرب في بلاد افريقية والمغرب، المصدر السّابق، ص ص 76– 77.

[2]– حكيم بن يلس، **مراكز التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية خلال القرنين (السادس والثامن عشر) – دراسة فنية تحليلية–**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2020–2021، ص 106.

[3]– هو سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى، بن الحسن السيط، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفطمة الزهراء، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم تحدد المصادر ولا الوثائق التاريخية مولده، لكن التقديرات تُشير إلى احتمال مولده سنة 110هـ/738، أمّا سنة وفاته، فهي بين سنة 195هـ/200هـ/814/809م، بعين الحوث، نشأ سليمان بن عبد الله في أسرة عُليَةِ القوم، جمعت بين العلم والأدب والوجاهة، والكفاية والرزق، للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الرحيم بن منصور، **عين الحوث مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان**، نشر ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، 2011، ص ص 32 – 33– 36.

[4]– حكيم بن يلس، المرجع نفسه، ص 108.

ذاع صيت زاوية عين الحوث، فأتاها الناس من كل حوب وصوب ، حيث كانت تمثل همزة وصل بين عدّة مراكز إسلامية، حتى لقّبت حسب ما قيل "بالأزهر الصغير" وندرومة " بالقرويين الصغير" وبني سنوس" بالزيتوتة الصغيرة". دليلا على كثافة علمائها وخبرتهم غي علوم المنقول والمعقول، ومن بينهم سليمان وإخوته وأبناؤه، ومحمد أبو عبد الله الشريف التلمساني صاحب كتاب " مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول" وسيدي عبد الله بن منصور[1]، ومن ذريته محمد بن محمد بن علي، ومحمد بن عبد الله بن سحنون المدعو " مولى عين الحوث"، ونجد كذلك عند آخر أقطاب عين الحوث المشهورين بعده، مثل محمد بن محمد بن علي بن العربي بن حمو بن عبد الله بن منصور (ت 1160هـ/1761م)، الذي ترك مؤلفا " في كيفية خول ضعفاء العوام ومساكين الطلبة الذين لهم فليل الإلهام في دائرة أهل الإيمان".[2]

لقدّ أدّت زاوية عين الحوث دورا هاما خاصّة إبّان العهد العثماني، حيث بلغت أوجّ ازدهارها خلال القرنين السابع والثامن عشر ميلادي، حيث قامت بوظائف تعليمية وعلمية هامّة، هذا إلى جانب نشاطها الصوفي الذي تميّزت به، إلاّ أنّ مساهمتها الفكرية ظلّا حبيسة المخطوطات والوثائق الدفينة، وعليه يمكن لنا أن نشير أنّها كانت تمثل وبحق الفضاء الثقافي والاجتماعي والديني في المنطقة، من خلال بناء وتكوين شخصية المجتمع التلمساني بخاصة والمجتمع الجزائري عامّة في ظل القيم والمبادئ الإسلامية التي تتميز بها[3]، فهي أماكن مقدسة يلجأ إليها الفرد ويعتصم بها، ومن أشهر الأشخاص الذين لجؤوا إليها الشاعر الشعبي محمد ابن مسايب في سنة 1753/11060م، حيث كان وقتها سيدي محمد بن علي على قيد الحياة، أين كتب قصيدة مطوّلة خلال مقامه بحرم عين الحوث فرارا من عقاب العثمانيين مطلعها " يا أهل الله غيثوا الملهوف" .

---

[1]- سيدي عبد الله بن منصور الحوتي بن يحي بن عثمان المغراوي، الولي الصالح صحاب الكرامات البديعة والأخلاق الجيدة مجاب الدعوة وكان معاصرا لسيدي أحمد بن الحسن الغماري ، وفد إلى تلمسان في بدايات القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي)، للمزيد من التفاصيل: ينظر، ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، المصدر السّابق، ص 136.

[2]- عبد الرحيم بن منصور، عين الحوت...، المرجع السابق، ص 83.

[3] محمد شاوش بن رمضان، مرجع سابق،ص 556.

نُحاول أن نقتبس منها الأبيات التي تُشير إلى صلحاء عين الحوث:

وِيــن أَهْـــلُ الله كُلّهُـــم	**وَعَـسَى تَحْضَــر برَكَتُـــهم**
مِنْهـُم سِيـــــدِي عَبْــدْ الله	**التُّهَامـــِي الحَسَـنِي سِبْطــه**
وِين الحُـــوتي بَنْ مَنْصُـــور	**صَاحِبُ البُــرهَانْ المـَذْكُـور**
شـَاعَتْ أَخْبَارَه فِـي البُلـــدَان	**قَـــالُوا لَـــو صَبْنَاه نْـــزُورُوه**
كُـــلْ مـَنْ زَار يـَا ســَادَات	**مـَايْـــرُوحْ بْلَاش هَيْـهَــات**
بِــهِ عـِين الحُـــوث اتْهَنّات	**أَلْـطَف اللهُ بِهِـــم حَمـــْدُوه[1]**

– زاوية سيدي الشيخ يحي بن صفية النهاري التلمساني (935هـ/1529م– 1016هـ/1607م):

تقع زاوية سيدي الشيخ يحي بن صفية في ناحية سبدو[2] جنوب تلمسان، حيث كانت قبلة للكثير من الطلبة من كل نواحي تلمسان وحتى من خارجها من حواضر الجزائر ، ينحدر الشيخ يحي بن صفية من تلك الدّرة الطيّبة، والسلالة النقيّة الصّافية، ومن ذلك النسل الشريف الفيّاض، فقد كان مفتاحا للرحمة ومعدنا للحكمة في عهده، فهو ابن الشيخ أبو عبد الرحمن بن موسى الفجيجي[3]، والولية الصالحة لالة صفية التواتية، نشأ في أسرة عالمة وعاملة، في

---

[1]– أبو عبد الله الحاج محمد بن أحمد المسايب التلمساني، **دوانه**، إعداد وتق:: السحنوني الحفناوي أمقران وسيفاوي أسماء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

[2]– سبدو" sebdou"هي كلمة بربرية الأصل مشتقة من " سبدت" أو " سبدة" ويقصد بها منطقة نباتية جذابة للماشية أونبات بارز شقوليا مغطى بالثلوج، وفي رواية أخرى أنّ هذه الكلمة ظهرت خلال الحقبة الاستعمارية تحت اسم سهب 2 (sehb2) ذلك أنّ الفرنسيين لا ينطق عندهم حرف H"، تتميز بمخططها الشطرنجي وبأزقّتها الواسعة وبناياتها الحجرية تعلوها أسقف قرمدية مائلة، كانت قاعدة مهمة للحامة العثمانية بحكم موقعها الاستراتيجي، وكانت تمثل إحدى القبائل المخزني. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى حاج محمد حبيب، **أسماء الأماكن الأمازيغية بتلمسان، – جمع ودراسة طبونيمية** – دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، 2012، ص 101.

[3]– أبو زيد عبد الرحمن بن موسى الفجيجي، (ت أواخر القرن 10هـ/16م)، هو الشيخ عبد الرحمن بن موسى الفجيجي الملقب بـ: " نهار" بن سيدي محمد بن أبي العطاء الذي جاء في أوائل القرن 10هـ/16م، إلى الولي سيدي سليمان بن أبي ساحة البوبكري الصديقي، الجد الجامع

رحاب زاوية جدّه لأمه الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة، فحفظ القرآن الكريم، ومبادئ اللغة، وأخذ عن تعاليم الدين وتربى تربية أسلافه حتّ شبّ واكتهل، فتخرّج على يد معلّمه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي[1]، في زاوية " مولى السهول " بالقرب من مدينة بوذليب" بالمغرب الأقصى.

حيث كان الشيخ منذ صباه تقيا، عاملا بالسُّنة، آخذا بالعزم في أمور دينه، اشتهر بين قومه بالصّدق والأمانة وعلوّ الهمّة والنَّزاهة والاستقامة ، ذا غيرة وشهامة يقضي أوقاته في العبادة متكلا على الله، معتنيا بما يصلح حاله من أمور دنياه، فهو يعدّ من أعطى شهرة وصيتا لأسرة وسلالة أولاد نهار[2].

وتأسيسًا على ما سبق، واستنادًا لوصية شيخه، و بعد رحلة طلب العلم، التي نهل فيها من العلوم والمعارف ما نهل، قفل راجعا إلى تلمسان، ناحية الشمال، لنشر هاته العلوم، حتى استقرّ به المقام بجبال بني سنوس جنوب تلمسان، حيث باشر في بناء زاوية أخذت فيه سمعته تتنامى بسرعة، حيث كثر تلاميذه، ومريده ، فأصبحت زاويته مزدهرة وعامرة وبلغت شأنا كبيرا[3].

اشتهر الشيخ سيدي يحي بن عبد الرحمن وذاع صيته في النّواحي، وأصبح الملاذ الرّوحي للنّاس يقصدونه من كل الجهات ، يقول الجلاني عبد الحكم :" ولما استقر – سيدي يحي – بالبلد واشتهر أمره في سائر الأقطار أتته الناس من كل جهة أفواجا، وهرعت إليه جميع النواحي والأصقاع للأخذ عنه وخدمته والجوار له، حتى تكونت منهم قبيلة ترحل

لقبائل " الزوي" الذين ينزلون بمناطق عدّة من الجزائر والمغرب الأقصى، عُرف عنه حسن السيرة والمعشر.للمزيد من التفاصيل ينظر إلى محمد بومدين، **الطريقة البوشيخية في تلمسان خلال العهد العثماني**، **مجلة تاريخ المغرب العربي**، المجلد 8، العدد 1، جوان 2022، ص114.

[1]– أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان السهلي، هو عالم جليل من علماء المغرب الأقصى، عُرف بعمله الغزير، أقام في بداياته بأرض الزريقات، تولى الإمامة وقتا طويل، بعد ذلك نزل في أرض الدخيسة، فسأل الناس عن اسم المكان فأجابوه بأنّ اسمها صعب، فردّ عليهم " سهلها تسهال" فسميت منذ ذلك الحين بالسهلي وهو المكان المعروف بناحية بوذنيب من جهة الشرق، والذي يوجد به زاويته وضريحه المعروفة باسمه " زاوية السهلي"، من تلامذته سيدي يحي بن صفية وسيدي أحمد بن موسى الكرزازي، توفي في سنة 990هـ/1582م، للمزيد من التفاصيل يُنظر: إلى عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلاني، **المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية**، تح: الجيلاني بن فرح حسين، (د.ت)، ص 32-33.

[2] نفسه، ص 34.

[3]– قويدر قيداري، تجليات التراث الشعبي من خلال وعدة" موسم"...، المرجع السّابق، ص 124.

برحيله وتنزل بنزوله..." والذي أصبح يُحظى اليوم عند أولاد نهار الحاليين بموسم تكريمي المعروفة " الوَعْدَة" في فصل الخريف من كل سنة، يحضرها أحفاده وأتباعه وافدين إليها من جهات مختلفة، أين أصبحت هادة إنسانية من أصل طبائع الأمم، ومناسبة هامّة من مناسبات الانتعاش الثقافي والنفسي والاجتماعي و "الفُرجوي"، حيث أصبحت هذه الظاهرة من أهم المواضيع التي تناولها الباحثون الاجتماعيون والأنثروبولوجيون بالدّراسة والتحليل[1] .

ومن زاوية أخرى، أما في الجانب السياسي فقد أصبحت زاويته البوشيخية تُشكل قبائل المخزن، وذلك ما جاء عند عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلالي، بقوله: "...فأقول أنهم كانوا على سريّة محمودة معتبرين عند الخاص والعام من قبل احتكام الدولة الفرنسية وفي عهد الأتراك كانوا مخزنا لها وعمدة لها لشجاعتهم وكرمهم وسياستهم مع الخلق ونصحهم للدولة وبقوا على هذه الحالة إلى أن استولت الدولة الفرنسية على شمال إفريقيا[2].

– زاوية سيدي ابن عمر:

تُشير بعض الدّراسات التي اهتمت بتاريخ زاوية سيدي بن عمر أنّ شيوخ هذه الزاوية ساروا في البداية على الطريقة القادرية المنسوبة إلى الولي الصالح عبد القادر الجيلالي، وفي عام 1027هـ/ 1618م، نهجت هذه الأسرة الصوفية منهج دار الضمانة بوزان المغربية التي كان على رأسها الشيخ عبد الله الشريف الوزاني صاحب الطريقة الطيبية، وهذا ما أكّده شيوخ زاوية سيدي ابن عمر بالتواتر[3].

نقلت الروايات الشفوية المنقولة عن طريق مشايخ الزّاوية، أنّ تأسيس الزّاوية كان سنة 1104هـ/ 1690م، وهو تاريخ وفاة الشيخ سيدي محمد بن عمر الأول جد هذه الأسرة الذي عرف عنه أنّه كان صوفيا من أولياء الله، والذي دامت ولايته لهذه الزاوية حوالي سبعين سنة، الذي كان متمسكا بنهج أبيه، الشيخ داود، الذي عرف أنّه قدم من فاس واستقرّ بجبال ترارة[4].

---

[1]– نفسه، ص 125.

[2]– قويدر قيداري، **بُستان الأزهار في سيرة سيدي يحي بن صفية ومسيرة أولاد نهار –دراسة تاريخية وأنثروبولوجية–** ، دار الغرب الجزائري للنّشر الجزائر، ط1، وهران، 2009، ص 70.

[3] مختار بزاوية ومحمد لوسرة، **مكانة الزاوية ودورها الرائد في الحفاظ على الهوية الوطنية، مجلة البحوث والدراسات**، المجلد19، العدد02، جامعة الوادي، 2022، ص 470.

[4] نفسه، ص 470.

تولى القيام بشؤون الزاوية بعد وفاة الشيخ محمد بن عمر إلى إبن الشيخ سيدي محمد وحفيد الشيخ سيدي محمد بن عمر الذي توفي سنة (1209هـ/1794م) بمكّة، الذي عيّن ابنه الحاج محمد العلم خليفة له على مشيخة الزاوية، عاش هؤلاء الشيوخ في العهد العثماني، وفي فترة الصّراع القائم بين العثمانيين وسلاطين المغرب الأقصى، إذ أصبحت هذه المنطقة محلّ نزاع بينهم، فملك المغرب حاول تجنيد أبناء المنطقة إلى جانبه، ما دفع بالداي حسين إلى القيام بحملة عسكرية، فاستقبله الأهالي فرضي بالأمر، اهتمت الزاوية على مدى السنين بالمحافظة على حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وحفظ المتون(متن الأجرومية، ألفية ابن مالك)[1]. وتذكر بعض النّصوص أن مقدّم الطريقة الطيبيّة لم يكن يكن يقبل جوائز العثمانيين لكنّ شفاعته مقبولة عندهم، ولم يكن لهم أيّ نشاط معادٍ للعثمانيين[2].

4. المكتبات:

تتميّز المكتبات على غرار المؤسسات العلمية والثقافية الأخرى بمكانة خاصّة، بالنّظر إلى المهام والأدوار الموكلة إليها في حماية التراث الفكري وحفظه من التّلف والضّياع وتبليغه للأجيال، من الباحثين والمؤرخين كل على حسب حاجاته العلمية والفكرية، فهي بذلك جزء لا يتجزأ من هوية الأمم والحضارات على اختلاف تموقعها وفتراتها.

لقد ظهرت بالجزائر بوادر حركة التدوين والتأليف وجمع الكتب منذ عهود قديمة، على الاحتفاظ بما دونوه من أخبارهم وأعمالهم وعلومهم ونشاطاتهم، واستمرّ الحال حتى الوجود العثماني ، حيث عُرف المكان الذي يحتفظون فيه بتلك النوادر والمخطوطات باسم خزانة الكتب أو المكتبة بنوعيها العامة والخاصّة[3].

---

[1] مختار بزاوية ومحمد لوسرة، المرجع السابق، 472.

في هذا المقام يُمكن الإشارة إلى بعض الزوايا التي كانت واسعة الانتشار في تلمسان خلال العهد العثماني، حيث نذكر زاوية سيدي الطاهر التلمسان من علماء القرن 11هـ/17م ، حيث كان لهذا الولي الصالح زاوية بسهب تافراوة – سبدو حاليا، حيث يذكر إدموند دوتي في كتابه الصلحاء "أنّ سيدي الطاهر الشريف كان يُلقّن الدروس والعلوم الشرعية في زاويته، التي جعلها ملجأ أهل العلم والفقراء وعابري السبيل. إضافة إلى زاوية سيدي علي بوشعيب في مدينة الرمشي وهو ولي صالح وهو أيضا من علماء القرن السادس عشر،ضلا عن زاوية سيدي ورياش.للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى إدموند دوتي، **الصلحاء**، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التّاسع عشر، تر: محمد ناجي بن عمر، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 70- 71.

[2] دباب بومدين، المرجع السّابق، ص 71.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، المرجع السّابق، ص 285.

شكّلت المكتبات في تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني الركيزة الأساسية والمهمّة التي بُنيت عليها الحياة العلمية في هذه الحاضرة، حيث أنّها أسهمت في تغدية الفرد التلمساني والمجتمع بشكل عام، والحديث عن هذا الموضوع هو في الحقيقة ضرب من المجازفة العلمية، خاصة في ظل شُحّ ونُدرة المصادر التي تتعرض لهذا الجانب، فضلا على أنّها تحتاج الكثير من التحليل والتقويم، رغم العمق التّاريخي والحضاري للمدينة ونواحيها.

وسنورد في هذا العنصر نموذجين من المكتبات في تلمسان العثمانية، الأولى عامّة، والأخرى خاصة، حيث لا يسع المقام لجردها وحصرها.

1.4 نماذج عن المكتبات بمنطقة تلمسان:

– مكتبة مدرسة أولاد الإمام:

تُشير مختلف المصادر والدّراسات التي اطلعنا عليها، إلى أن تأسيس مدرسة أولاد الإمام، التي كانت تُسمى "بالمدرسة القديمة"، تمثّل إحدى المدارس الزيانيّة، وهي أوّل مدرسة تؤسس من طرفهم، حيث أسّسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (700– 714هـ/1308– 1318م)، تكريما منه لفقيه تلمسان أبا زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الامام (ت 743هـ/1342م)، فنسبت إليه ولأخيه موسى عيسى (ت749هـ/1349م)، وكان موقعها بالقرب من باب كشوطة غرب مدينةتلمسان[1].

اكتسبت مدرسة أولاد الإمام شهرة علمية منذ تأسيسها ، وأدّت أدوارا مميّزة في الحفاظ وصيانة الثقافة العربية الإسلامية، ليس على الصعيد المحلي فحسب، بل على نطاق واسع من نواحي المدينة، ومن مدن أخرى وحتى من المغرب الأقصى، حيث استقطبت طلبة وعلماء نهلوا من مكتبتها ومن قرائح علمائها وأشياخا ،بدءا من بني زيان، وصولا إلى العثمانيين[2].

شكّلت مكتبة أولاد الإمام في وجودها أحد عوامل والدوافع التي جعلت منها قبلة للعلم والعلماء، فضلا عن نجاح الحركة التعليمية بها، فقد احتوت هذه المكتبة على عدد هامّ من التآليف والمخطوطات، ليتراجع هذا الإشعاع

---

[1]– ابن خلدون يحي، بغية الرواد...، المصدر السابق، ص 130.

[2]– بوخضار فايزة، **مدارس المغرب الأوسط، – دراسة نموذجية مدرسة أولاد الإمام بتلمسان–، مجلة دراسات إسلاميّة**، المجلد 13، العدد1، الجزائر، 2018، ص 54.

والبريق العلمي ، ويأفل نجمها إبّان العهد العثماني، في هذا الصدد يذكر لنا أحمد المقري في زيارته إليها سنة 1600م، رفقة الفقيه والشاعر أبي الحسن علي بن محمد بن علي البهلول، وهو أحد العلماء التي استقطبتهم هذه المدرسة العريقة، وبعد أن طافوا حولها، ولفت انتباههم مكتبتها التي تحوّلت على فول المقري بلسان أبي الحسن"... ولما قدم علينا حضرة تلمسان، الفقيه سيدي عبي بن محمد بن علي البهلول في حدود سنة 1010هـ، ذهب معنا في جملة من العلماء والأعيان من أشياخها وأصحابها إلى المدرسة الشهيرة الصيت بالمغرب المعروفة بمدرسة أولاد الإمام فسرحنا النواظر في محاسن المدرسة المذكورة، وطفنا على رسومها الباقية حتى وصلنا خزانة الكتب المشهورة فألفيناها بيانا خاوية عللى عروشها وقد ملئت بالزبل، فقال سيدي المذكور مستجيرا للجماعة:

خِـــــزَانَةٌ لِلكُتبِ مَملـــوءَةٌ بِالزَبلِ فِي مَدْرَسَة أَولَاد الإمَام"[1].

فقلت مجيزا له بديهة وأنا إذ ذاك صغير السن:

"وَذَاك يَقضِي أنّ أرجاءها لـــمْ يَبْـــقى فِيـــها فَاضـــل ..."

ويُضيف قائلا " فلما انصرفنا إلى المحل الذي كان به، كتب إلى قصيدة طويلة في البحر...، وأجبته عنها، ولم يحضرني الان شيء منها، لأنّ ذلك كلّه تركته في المغرب، والله المستعان ".[2]

وممّا تقدّم يمكن أن نقول إنّ مكتبة أولاد الإمام أظهرت التّدهور الفكري والعلمي في تلمسان، الذي بلغ مبلغه في هذا العهد، نتيجة الإهمال والتسيّب التي طالتها، حيث جُمّدت القرائح وضعف المستوى العلمي والثقافي بصورة عامّة في بدايات القرن 11هـ/17م، تجذر الإشارة في هذا الموقف، من خلال قول محمد دادة قائلا: "...وليس الذنب ذنب العثمانيين وحدهم فهم لم يقفو في وجه العلم والتعليم ولم يحولوا دون الابتكار والتأليف، بل تركوا الحياة الفكرية تسير

[1]- أبي العباس أحمد المقري، **رحلة المقري إلى المشرق والمغرب**، تح: محمّد بن معمر، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 140.

[2]- نفسه ، ص 140-141.

في مجراها القديم المألوف..."[1] استمرّ الوضع على حاله حتى يعاد الاعتبار أيّام حكم الباي محمد الكبير، بعد اصلاحاته في بايلك الغرب، أين كان لتلمسان ونواحيها نصيب في ترميم المدرسة والمكتبة، فضلا عن مدرسة السجد الكبير ومكتبته، وجعل لهما أحباس للاستفادة من مداخليها، على قول كاتبه ابن سحنون الراشدي: " وقد وجدد المدرستين القديمتين يتلمسان، وأحيا ما أماته الزمان من آثارهما، فأعاد لهما الشباب بعد التعنيس، وأبدى للعيون منظرهما النفيس..."[2].

– مكتبة موسى بن علي اللاتي التلمساني:

هو موسى بن علي بن موسى اللاتي، يرفع نسبه الشريف إلى الحسن بن علي كرم الله وجهه، وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ في إحدى قصائده:

اسمَعُوا لُغز عَين ولاَم هـاَشمِي الأَصـلْ

والصّـلاَةُ والسّـلاَمُ عَـلى تَاجِ الرُّسُـــلِ.[3]

أحد أجداده دفين حمام الراشدية وروضته وزاويته مشهورتان هناك، صاحب القصيدة المسمات " حزب العارفين"، الذي شرحها تلميذه أبو عبد الله محمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بـ: " الجازولي" في كتابه كعبة الطائفين، الذي يذكر فيه أنّه التقى بشيخه في – جامع زاوية سيدي أحمد العبدون بـ: أوزيدان– بعد أن رحل من ساحل ولهاصة قاصدا حرم أبي مدين لينزل بالعبّاد، كما أمره المصطفى سيد الخلق والعباد عليه الصلاة والسلام في رؤيا رآها في المنام.[4]

---

[1]– محمد دادة، **التّدوين التّاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني، خصائصه وموضوعاته، مجلة عصور جديدة**، العدد 3–4، الجزائر، 2011– 2012، ص 124.

[2]– أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الرّاشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص .141

[3]– قيداري قويدر، **كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي (ق17م)**، – دراسة وتحقيق– ج1 أطروحة دكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة تلمسان، 2012– 2013، ص 9.

[4]– عبد المنعم القاسمي، **أعلام التصوف في الجزائر مند البدايات إلى غاية الحرب العالمية**، ط1، دار الخليل القاسمي، 2005، ص 412.

يشير ذات المؤلف أنّ شيخه موسى اللاتي بلغ درجة القبطانية في التصوّف، والمؤلف يسبل عليه كثيرا من عبارات التبجيل التي توحي بسمو منزلته وعلو كعبه في التصوّف كقوله" أنشدنا شيخنا وبركتنا وقدوتنا سيدي موسى بن علي أفاض الله علينا من أنواره"، وهو من العلماء الذين نقموا على الحياة السياسية والاجتماعية بتلمسان زمن العثمانيين، حيث يذكر لنا الشيخ الجازولي قائلا "أنّه تنبأ بوقوع أحداث دامية في تلمسان، التي تعرف بثورة السوسي، وكانت حوالي 1037هـ/ 1626م، أين أنذر الشيخ اللاتي تلميذه وأخبره بأن يرحل منها رحيل العافية"، لكن محمد بن سليمان تردد في الخروج إلى أن وقعت الواقعة، بقول في هذا الموقف " طلبت الرحيل، فلم أجد مخلصا واعتذرت للعامة...و فررت بديني إلى البادية حتى قضى الله ما قضى ومات القائم – أي محمد بن أحمد السوسي زعيم الثورة- ومات من الخلائق ما لا يحصى"[1] .

ومن بين الآثار الذي خلّفها الشيخ موسى اللاتي مكتبته المعتبرة التي امتلكها، حيث كان هذا الأخير مولع بالمطالعة، وجمع الكتب[2]، قيل عنه " إنّ موسى بن علي برق المحبوبين، وبرقه جالب لأحوال المجذوبين، وكلام المحبوب سلب للقلوب، فناهيك عن هذا الشرف، في هذا الصدد يقول أيضا تلميذه بن سليمان " فاحتَلْتُ عبى إخراج الكتب وما عزّ وخفّ، وتركت الباقي في دار الغرور[3]. تجدر الإشارة أن هذه المكتبة كانت تحتوي على إنتاج فكري هام تدول موضوعاتها حول نصوص مدحية للرسول صلى الله عليه وسلم، يتحدث فيها عن مولد ومعجزاته، وصفاته الخُلُقيّة والخَلقيّة...الخ، وهناك أيضا نوع من القصائد له التي تعرف ما نسميه "الاتجاه الرمزي"، ويمثّل هذا الرصيد العلمي سجلاّ حيّا في الحفاظ على الذاكرة الصوفية الجزائرية، كما يُزودنا بمعلومات عن طبيعة النشاط العلمي والديني بمدينة تلمسان ونواحيها[4].

---

[1]- قيداري قويدر، كعبة الطائفين...، المرجع السابق، ص11.

[2]- عبد المنعم، المرجع السابق، ص 412.

[3]- قيداري قويدر، المرجع السابق، ص 11.

[4]- نفسه، ص 569.

توفي في يوم آخر شهر من ذي القعدة سنة 1045هـ/1635م، بالمقبرة السنوسية يطلعنا تلميذه عن مكان قبره قائلًا: **" وهو بالعمارة السنوسية بين قبرين متلاصقين متباينين، شاهده منقوش فيه اسمه بخط خفي لا يكاد يرى...عن يسار قبر السنوسي الإحساني الحسني رضي الله عنه"**[1].

على ضوء ما تقدّم، فقد عرفت تلمسان ونواحيها عدّة مكتبات عامّة كانت أم خاصّة[2]، وهذا ما يؤكّد انتشار حركة التأليف والنّسخ والوراقة في هذه الحاضرة، حيث كانت تُضاهي حسب ابن سحنون أعظم وأشهر خزائن العالم الإسلامي، إذ في عهد الأتراك عثَر المؤرّخ "أبو القاسم الزيّني" لما نزل بتلمسان على تآليف "سليمان بن إسحاق المطماطي"، وَ"هاني بن يصدور القوصي" وَ "كهلان بن أبي لُؤي الأوربي"، وكلّها في تاريخ وأنساب البربر، وأيّامهم في الجاهلية والإسلام[3]. وفي سيّاق آخر ورد عن " الأب برجيس" لما نزل تلمسان ودخلها ، عن وجود مكتبات عند العائلة التلمسانيّة، حيث ذكر أنّه كان هناك يهوديا يدعى "صامويل" في تلمسان منزله يقع بجانب ساحة المشور يَملك مكتبة قديمة جدّا، بها عدّة كتب نادرة مثل كتاب القضايا الحاخامية و مجلد يحتوي على عدّة رسائل وكتابًا بالعبرية طبع في ليفورنو، تعليقات حاخامية على الكتاب المقدس[4].

5. الأوقاف والحبوس:

شهدت مؤسّسة الوقف بالجزائر إبّان العهد العثماني عمومًا، وفي أواخره خصوصًا تطوّرا كبيرًا لم تعهده من قبل، لتتشارك في عملية بعث التنمية الاجتماعيّة والحيوية الاقتصاديّة والحركة الثقافية لأفراد المجتمع، فانتشر نظام الوقف وتوسّع وتكاثر في هذه الفترة، في الجزائر عامّة وحاضرة تلمسان ونواحيها خاصّة، إذ عرفت هذه الأخيرة نموّا كبيرا نتيجة عدّة تحوّلات، فتزايدت هذه المؤسّسة حتى أصبحت معلما، على اعتبار أنّها أحد المظاهر الحضاريّة لتعدد وظائفها وأدوارها

---

[1]- قيداري قويدر، المرجع السابق، ص 11- 12.

[2] ما يُمكن الإشارة إليه في هذا المقام، أنّ ما وجد من هذه المكتبات بنوعيها في تلمسان ونواحيها إبّان العهد العُثماني، هي في مُجملها مكتبات تعود فترة بنائها على عهد بني زيّان، وإنّما امتدت حتى عهد العثمانيين وإن كان نشاطها تراجع مُقارنة بالعهد الأول، وذلك ما يُفسّر أنّ آل عثمان غلب عليهم النشاط العسكري والسيّاسي على النشاط العلمي والفكري ليس في تلمسان فقط، وإنّما في كل إيّالة الجزائر.

[3] بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...، المصدر السّابق، ص 61.

[4] L'abbé J.J.L. barges, Op، Cit, p 91,92.

في العهد العثماني، وهو مادفع بالقائمين على الجهاز القضائي في تلك الفترة إلى إحداث هيئة علميّة خولت الحق في اتّخاذ كل الإجراءات التي من شأنها أن تُحافظ على ممتلكات الوقف من الضياع أو الإلغاء.

1.5 مفهوم الوقف:

– **لغة:** هو الحبس أو المنع، ويُقال وقف أي حَبَسَ يَحْبِسُ حَبْسًا، والحبس بالضمّ ما وقف والحبائس هي جمع حبيسة، وهي ماحبس في سبيل تحقيق الخير والمنفعة العامة[1].

– **اصطلاحا:** يُقصد بهِ حبس العين على ملك الواقف بالتصديق والمنفعة في سبيل الله، والمقصود بإمساك العين ومنع تملكها بأي سبب كان من أسباب التملك، ومن ذلك لايتصرّف فيه سواء عن طريق البيع أو الهبة[2]

2.5 أهمية الأوقاف بمنطقة تلمسان:

لقد ارتبط الوقف في مُجمله على الحياة الثقافية والدينيّة إلى حدّ كبير، من تشييد المدارس والمساجد والزوايا وصيانتها ورعاية شؤون الطلبة والتكفّل بهم، ودفع أجور المدرسين، وإسعاف الفقراء واليتامى، هذا فضلا في تنشيط عملية التبادل التجاري بفضل ماكانت تنتجه من مواد قابلة للتسويق، على اعتبار أنّ معظم المتوجات كانت زراعية كالحبوب من قمح وشعير، وتحويلة كالجلود والصوف...،والتي شكّلت معظم ممتلكات مؤسسة الوقف، وبذلك تكون قد ساهمت في حصول على مداخيل ماليّة إضافية تنشط من خلالها المؤسسة وتتوسع، ومنه حلّ جملة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بظروف الزمان والمكان. فكان نتيجة هذا كلّه التوجّه إلى وقف الكتب المختلفة بالتخصصات، وقف الحيوانات، الحلي، النقود للقرض العام، ووقف المرافق العامّة من بساتين وأراضي زراعية، ومنازل...، وكذا المساهمة في الرعاية الصحيّة من خلال الحمامات الوقفية العمومية وما توفره من وقاية صحيّة، بتوفير عنصر مهم وهو النظافة.

واستنادًا لما سبق ذكره، عرفت تلمسان عديد الأوقاف في العهد العثماني، إذ يعود مصدر هذه الأملاك إلى عطايا بعض الأشخاص من مدينة تلمسان، وكانت السّمة البارزة فيما يخص مصادر هذه الأملاك، أنّها لم تتعلق بأحباس مدينة تلمسان فقط، وإنّما امتدت لتشمل نواحيها، في قُراها وأريافها، ممّا أحدث توازنا بين المدينة والريف في

---

[1] السيّد سابق، **فقه السّنة**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984، ص 505.

[2] محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، راجعه أنس الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، مصر، 2008، ص 220.

هذا المجال، وفي هذا السياق يُشير Brosselard، إلى لوحة وقفية عثر عليها سنة 1016هـ/1608م، وقام بنشرها في المجلّة الإفريقية، والتي تتمثل في وقف أرض كبيرة ذات بساتين من الفواكه والخضر، حيث يقول فيها: **" بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، حبس السيد محمد، علي الشيخ الولي الصالح سيد بجمعة، الله علينا من ذالك النصيب الواحد شايعا من جميع الروض المسمى برحاب الريح مع جميع ما اشتمل عليا حبسا أبديا على أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين بمن بدل وغير فبالله حسبه وكان هذا التحبيس أوائل عام ستة عشر وألف"**[1]، وفي ذات السيّاق يُخبرنا بن روستان في كتابه تحفة الاعتبار... أنّ جامع الرُّؤْيا قد أشتمل على أوقاف، تتمثل في أراضي زراعية، بساتين، حوانيت تجارية، فنادق، حمامات، منازل بقوله: "الحد لله بيان حُبس جامع الرُّؤْيا (كذا) الكائن بحارت (كذا) الرمات...فمن ذلك ثلاثة قلل ورطل زيت في كل سنة من تازدايت...ثم فرد شركت (كذا) سيدي محمد المطماطي...وحانوت فوق فندق خليل ثم حانوت في الحدادين...ثم حانوت برحبة الزرع ثم في اشتوان الثمن شركة بن صالي، ثم الربع وستة دراهيم في حمام درب احلاوة...ثمّ دارين صغيرتين متقابلتين لباب المسجد الزنقاي ..."[2]، ليضيف المؤلف نفسه على وجود حبوس بجامع سيدي زكري، إذ ضمّ هذا الأخير مجموعة من الأملاك الوقفية، في مدينة تلمسان وحتى نواحيها، التي حُبست لصالحه، تتمثل في أموال نقدية، حوانيت، دُور، بساتين، حيث يذكر قائلا:" الحمد لله أماكن حبوس جامع سيدي زكري، البراج الكبير سكة...، شركت أولاد الساحلية، ثمّ سكّة تحت الحناية تسما شانك...، ثم رقعة الكيس الثمن فيها ثم في جنان مزروع الربع وخروبة...، ثم حانوت في القيسارية، شركة أحمد الصطنبولي مزروع في عين الحوت...، جنان العديسي في الكيفان...، في رجب أربعة وخمسين وماية ألف (سبتمبر 1741م)[3]" .

---

[1] Charles, B, Les Inscriptions Arabes De Tlemcen.Tombeau De Louli Sidi Boudjema, R A, Annee 1859, p257.

[2] سي حمو بن روستان، **تُحفة الاعتبار فيما وُجد من الآثار بمدينة الجدار**، جامع الكتبات الأثرية التلمسانيّة، تق و نح وتع: علاوة عمارة وَ فارس كعوان، دار الهدى للنّشر والتّوزيع، الجزائر، مارس 2021، ص 87.

[3] نفسه، ص 92-93.

وعلى ضوء ما تقدّم، سجّلت لنا دفاتر البايلك[1] بعض الأملاك الوقفية الخاصّة بتلمسان ونواحيها، فقد حاولنا من خلال بعض المعلومات المتناثرة في مختلف هذه السجلات، الإحاطة إلى مضامينها، حيث تشير الوثيقة في العلبة رقم 23، السجل 148، إلى الغرامة التي يدفعها صاحب الأرض مصطفى بن الأحمر في نواحي تلمسان والمقدرة بـ 12صاع نصفها قمحا ونصفها الآخر شعير في سنة 1124هـ/1712م[2]. كما نُسجل في وثيقة أخرى

و عِلاوةً على ذلك، لم تتخلف النساء على المشاركة في الوقف، إذ ساهمت النساء بمدينة تلمسان في الوقف في وقت مبكّر، فتشاركت العدد منهن في تحبيس أملاكهن في هذه الحاضرة إبّان العهد العثماني، كتحبيس دار مُلك لإمرأة من تلمساذ لدارها لصالح فقراء الحرمين الشريفين ، وذلك بإشراف القاضي الحنفي[3].

ثانيا: نظام التّعليم بمنطقة تلمسان

من خلال عَرض المؤسّسات الثّقافيّة في تلمسان، تتّضح لنا طبيعة التّعليم الذي كان سائدًا فيها، على اعتبار التعليم القاعدة الأساسيّة لكلّ تقدّم حضاريّ وفكريّ، وعلى قدر انتشاره ونوعيته تُقاس حضارة الأمم، فقد شهدت الحركة العلميّة في تلمسان خلال العهد العثماني واحدة من أخصب مراحل الثقافة التي عرفتها إيّالة الجزائر نسبيّا، وهو ما أشار إليه" ابن مريم" في مؤلّفه البُستان بقوله:**" وأمّا أولياء تلمسان وفقهائها لايقدر أحد على إحصاء عددهم لكثرتهم، نفعنا الله بهم، ولو رمنا استيفاء ذكرهم لضاقت الدفاتر عمّا انتهى إلينا خبرهم رضي الله عنهم أجمعين"**[4]. وفي مَوضع آخر يخُبرنا صاحب "كعبة الطائفين" بقوله: **" ...والعلم بها يفور ويغور..."**[5]، وفي نصّ آخر أورده "ايمريث مارسي" نقلاً عن كتاب **" الجزائر في التاريخ العهد العثماني جاء فيه: " إنّ تلمسان كانت مركزًا**

---

[1] دفاتر البايلك هي عبارة عن سجّلات رسميّة لموظفي إدارة البايلك، تتعلق مجملها بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وأغلبها هذه الدفاتر باللغة العربية والقليل منها كتب باللغة العثمانيّة، يبلغ عددها 386دفترا موزعة على ست وثلاثين علبة مرقمة من 1 إلى 386، تغطي فترة تزيد عن القرنين تبدأ مع منتصف القرن السابع عشر وتنتهي مع الثلث الأخير من القرن التاسع عشر.

[2] س، ب، ف 29، ع 23، رقم الوثيقة 148.

[3] س، م، ش، ع: 52، رقم الوثيقة 138.

[4] ابن مريم، المصدر السّابق ص 507.

[5] ابن الصائم، كعبة الطائفين، المصدر السّابق ، ص 119.

ثقافيًا، وهذه المدينة التي كان يَسكنها مابين 12.000 و 14.000نسمة، كانت تحتوي على خمسين مدرسة، يتعلّم بها ألف تلميذ، أمّا التعليم الثانوي والعالي فكان يتبعُهُ حوالي يت مائة تلميذ في مدرستين، الجامع الأعظم وأولاد الإمام، ونواحي تلمسان كان التعليم بالزّاوية الشهيرة في عين الحوت، وفي الفحص كان التعليم مُنتشرًا إذ يوجد فيه ثلاثون زاوية، تختلف شهرته قوّة وضعفا...''[1]. في حين يَنظرُ بعض الأقلام والبحّاتة للحركة التعليميّة في الجزائر عامّة وتلمسان خاصّة، على أنّها سارت في دَرب الإنحطاط والركود الثقافي، في هذا الصّدد يُشير "أبو راس النّاصري" بقوله: **'' ...،أمّا الآن فهي كأمس الدابر والميت، قد استولى على أكثرها الخراب، وناح على خاوي عروشها الغراب... ، يا تلمسان ! اصبري على كمد الزمان وكدّه، وقلب مِجَنَّة، وذهاب رفده، فعسى الله أن يأتي بالفتح وأمر من عنده''**[2] ونَستدّل بِما ذكره أيضا عن وضعيّة التّعليم في إيّالة الجزائر بقوله: **'' إذ في زمن عطلت فيه مشاهر العلم ومعاهده، وسُدّت مصادره وموارده وخَلت ديّاره ومَواسمه وعفت أطلاله ومعالمه.**

وتماشيًا مع ماتمّ ذكرهُ، على أنّه وبالرّغم من ذلك كلّه، كان التعليم في تلمسان ونواحيها، قد امتاز بأساليب وطُرق تَدريس تقليديّة، الذي يَقوم أساسًا على الدّراسات الدينيّة واللّغويّة والأدبيّة وقليل من الدّراسات العلميّة. إذ أنّ التعليم فيها ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

1. الطّور الإبتدائي:

تُعتبر المرحلة الأولى من التعليم، وتُسمى مرحلة التعليم الإبتدائي، حيث يلتحق فيها الأطفال بالكتاتيب، حيث يتلقو فيها القراءة والكتابة ومبادئ اللغة وحفظ القرآن وتجويده[3]، فضلا عن تربية الأطفال وتأديبهم، في هذا الصدد يذكر صاحب "البستان" بقوله: " ...، **يَجتاز صباحاً ورجع مساءً، وأنا في الكتّاب أعلم الصبيان في باب علي من مدينة تلمسان...**،"[4] إذ وكان الأطفال يَجلسون فوق الحصائر والسّجاجيد حَول المُعلّم، الذي كان يَجلس في صر

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي، المرجع السّابق، ص 144.

[2] محمد أبو راس الناصري، فتح الإله ومنّته...، المصدر السابق، 108.

[3] عبد الرحمن بلعرج، **الحياة الثقافيّة في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة كان التّاريخية**، العدد 36، أوت 2015، ص 59.

[4] ابن مريم التلمساني، المصدر السّابق، ص 248. ورد هذا الإقتباس عن ابن مريم في كتابه البُستان في حديثه عن الشيخ أبي عبد الله محمد البطوئي التلمساني في مَرحلة تردّده إلى كتّاب بيت ابن مريم الكائن في رحاب باب علي، الواقعة في الركن الشمالي الشرقي لتلمسان.

الكتّاب (الخُربيش)، وبيده عصا يَستعين بها لحفظ النّظام ولإثارة انتباه التلاميذ، فيما يـُملي عليهم أجزاءًا من القرآن الكريم، وكانت الأدوات الأساسية المستخدمة في هذه المرحلة تتمثل في الألواح الخشبيّة والأقلام القصبيّة والصلصال، وصمغ مصنوع من الصوف المحروق، وبعد كتابته وتصحيحيه (السلكة) في الفترة الصباحيّة، يتمرّن الأطفال على قراءته قراءة أوليّة ثمّ يتلونه جماعيًا في المساء (التكرار)، على أن يقرءو ما كُتب في ألواحهم بأصوات مرتفعة جوهريّة، حتى يحفظونه ثم يمحوه صباح اليوم الموالي ويكتبوا غيره، وهكذا بصفة دوريّة ودائمةٍ[1].

2. مرحلة الإجازة:

تَجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ مراحل التّعليم لم تكن متميّزة مثل المفهوم الحالي، وإنّما كانت مُتداخلة بَعْضُهَا بِبَعض، إذ كان يُمارسُ هذا النّوع من التّعليم في المساجد والمدارس والزّوايا، يتعلّمون من خلالها اللّغة وفروعها من نحو وصرف إضافة إلى علوم أخرى كـ الحساب والذي كلن الغرض منه دينيّ بالدّرجة الأولى، وهو معرفة الفرائض وقسمة التركات بين الورثة، هذا فضلاً عن كونها مَساكنٌ للطّلبة[2].

فالتّعليم في إيّالة الجزائر أو في تلمسان ونواحيها في العهد العثماني عرف خُصوصيّة، فالمتتبّع لمسارهِ يُلاحظ أنّ التعليم كان مُقتصرًا بشكل كبير على تعليم المبادئ الأولية وهو ما يُفسّر الانتشار الواسع للتعليم الابتدائي، كما عَرف انتشارًا واسعًا للمدارس القُرآنيّة، ممّا أعطى للتّعليم الصّبغة الدينيّة، هذا فضلا على أنّ مسألة الاهتمام بالتّعليم من قبل العثمانيين كانت غائبة تماما في كل حواضر إيّالة الجزائر بما فيها تلمسان[3]، في هذا الصدد يُخبرنا وهو ما نجده في قول

---

[1] عبد الرحمن بلعرج، المرجع السّابق، ص 59.

رشيدة شدري معمر، **التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهدالعثماني**، **مجلّة المعارف**، المجلد16، العدد02، ديسمبر 2021، ص 990.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السّابق، ص ص333- 334.

[3] في هذا السّياق، تجب الإشارة إلى سياسة العثمانيين وموقفهم من التعليم في إيّالة الجزائر عامّة وتلمسان خاصّة، حيث أنّ هموم الدّولة وقتئذ كانت مُنحصرة على المُحافظة على الاستقرار السيّاسي والدّفاع عن حدود الدّولة، وجمع الضرائب لبيت المال، إذ لم تكن هذه الأموال وغيرها تُستعمل في نشر التعليم وترقيته، ولو جاز لنا الاستلقاء في العهد العثماني لوجدنا بعض الإسهامات لصالح باي في الشرق، ومحمد الكبير في الغرب، بالنظّر إلى بعض المشاريع الحضارية لهذا الأخير له في تلمسان، منها إكرام العلماء وصيانة بعض المؤسسات الدينيّة من مدارس ومساجد، ومانجدر الإشارة إليه هو أن هذا الباي قام بتنصيب أبو عبد الله محمد الزقاي مُدرّسًا على مدرسة العباد وفوّض له أمر تسيير أحباسها وأوقافها، في هذا الصدد يقول ابن سحنون: " وقد جدّد المدرستين القديمتين بتلمسان وأحيا ما أماته الزّمان من آثارهما فأعاد لهما الشباب بعد التعنيس، وأبدى

"ايمريث مارسي": ...، **إذ كانت لاتُقاس بحالتها التي بلغتها في عصرها الذهبي (تلمسان)، فالأتراك تقاعسوا عن الاهتمام بالحياة الثقافيّة، ولهذا كان شُبّان الطلبة الراغبين في تثمين ثقافتهم يلجأون إلى معاهد المغرب الأقصى"**[1].

وبالإستّناد على ماتقدّم، فالتّعليم كان يَنبع من حاجة المجتمع التّلمساني لتربية أبنائه، لذلك اعتمد على جهود الأفراد والعائلات والمؤسسات الخيريّة، من حيث الإشراف والتمويل، وقد ساهم ذلك في تنشيط الحركة العلميّة والتعليميّة في تلمسان ونواحيها، حيث حرص مُعظم المعلمين على تأمين قوتهم وكسب معاشهم سواء عن طريق الأوقاف والأحباس التي تمثّل العمود الأساسي لمعاشهم، وقد ورد في هذا الموضع أمثلة كثيرة عن تحبيس العائلات التلمسانية أملاك وقفيّة لصالح هذه المؤسّسات التعليمية من حوانيت، ودُور، وبساتين...الخ، ونسادّل بما ماجاء به **"سي حمو بن روستان" حيث قال:" الحمد لله هذا حُبس جامع سيدي عمران...،حانوت الخضارين، ثم ثلاثة أفراد تراب في وطن عمير يسمونه بالسويقة، ثمّ سكتان في وطن العوام عند السيد المخفي...، ثمّ نصف الروض المُسمّى بالسكندر...،"**[2] أو عن طريق ما يَدفعه الأهالي، وكان المعلمون إبّان العهد العثماني صنفين: **"معلموا الأرياف"** (المؤدب للصبيان إذا كان يُباشر التعليم الإبتدائي) **" ومعلم المُدن"** (مُدرس إذا كان يُباشر التعليم للفتيان) [3]،وممّا تجدر الإشارة إليه، أنّ مهنة التعليم لم تكن من المهن المرغوب فيها أو المربحة فقد كانت مهنة تجلب الفقر لصاحبها.

للعيون منظرهما النَّفيس وتتبع أحباسهما التي استولت عليها أيدي المنتهبين ..." للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: ابن سحنون الرّاشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق، ص ص 141- 142.

- الزقاي، إتمام الوطر، ورقة 9.

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المرجع السابق، ص 144.

[2] بن روستان سي بن حمو، المصدر السابق، ص 83.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السّابق، ص 322.

وقد بَرو في مدينة تلمسان نواحيها عدد من المعلّمين والمُدرّسين من أمثال الشيخ الزقاي الجد، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي التي سبقت الإشاره إليهما في عناصر الدّراسة، فضلا عن الشيخ أبو علي الحسن التلمساني[1].

وعلى ضوء ما تقدّم، يُمكن القول أنّ التّعليم في تلمسان ونواحيها شَهد مرحلة صُعود منذ النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، في ظلّ استقرار الأوضاع فيها، هذا وبالرّغم من الصّراع السّياسيّ الذي عانته هذه الحاضرة في القرن السادس عشر الميلادي، الأمر الذي أدّى إلى هجرة واسعة لعلمائها.

ثالثا: البيوتات العلمية في تلمسان إبّان العهد العثماني

إنّ المتتبع لظاهرة بيوتات العلماء بتلمسان يجدها تمتد قبل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد ، فبعد القراءة الأولية لمختلف الدّراسات والنصوص والوثائق التاريخية التي تؤرخ وتدوّن للحركة العلمية والثقافية وعلمائها في تلمسان ونواحيها على عهد العثمانيين، الذين تميّزوا بعمق التفكير، وغزارة التّحصيل، فكانت لهم مساهمات وإسهامات جادّة وفعليّة في النهضة العلمية، وبخاصة مع حواضر الدول المجاورة سيما المغرب وتونس ومصر، أين حافظت بشكل أو بآخر على مكانتها العلمية حتى بعد سيطرة العثمانيين عليها، ومن خلال ماتقدّم معنا من خلال الإشارة إلى الوضع الثقافي في الجزائر خلال هذا العهد الذي انعكس وضعه على الواقع العام السياسي وطبيعة النظام الحاكم، متأثرا بالتقلبات الأمنية الداخلية والخارجية، وحتى الاقتصادية كما جاء الحديث عنها سابقا، فلا بأس أن نشير إلى بعض نمادج البيوتات العلمية التلمسانية الكبرى والصغرى إبّان العهد العثماني:

[1] أحمد بن عيسى الورديني، نسبة إلى قبيلة بني ورنيد إحدى القبائل الهلاليّة التي استقرّت جنوب تلمسان، وخل كثير من أفرادها إلى تلمسان فيما بعد، ويُسمى الجبل المُطل على تلمسان باسم هذه القبيلة جبل وزنيد، اشتهر بـ" أبركان"، وليّ صالح عالم مُدرّسٌ من أصحاب المعّلمين علم الظاهر وهلم الباطن، كما اشتهر بزهده وورعه، ومناقبه الكثيرة وكراماته العديدة، أخذ عن عبد الرحمن الزّكوطي، الحاج سعيد البيدري، وهلي بن يحي الجاديري، تُوفي قبل 1020هـ/1610م. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى: عبد المُنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوّف في الجزائر...، المرجع السّابق، ص 90.

1. بيت المرازقة:

يُعتبر بيت ابن مرزوق أحد البيوتات الكبرى التي سجّلت حضورها في الساحة العلمية في تلمسان منذ الفترة الزيانية ثم أثناء الوجود العثماني بالمدينة، ما جعل عديد شخصيات وأعلام هذا البيت ذائعة الصّيت قد نالت حيّزا كبيرا من البحث في المصادر والدّراسات الأكاديمية المتخصصة، إذ قدّمت لنا مادة دسمة حول نشاط هذا البيت، وتأتي حضوة آل مرزوق أيضا من الإنتاج الفكري الذي تركه أبناء هذا البيت في مختلف تخصصات العلوم العقلية والنقلية، خاصّة في الفترة الوسيطة، دون الفترة الحديثة، حيث لم تُشر هذه المصادر عن تواصل نشاطهم العلمي. في هذا السيّاق يذكر سي حمو بن روستان في مؤلّفه تُحفة الإعتبار...، حيث أحصى لنا سبعة من العلماء من المرازقة بمدينة تلمسان من خلال شواهد قبور أبنائهم وحتى بناتهم حيث قال: " الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أمّا بعد فهذا قبر الحرة الجليلة الشريفة...توفت رحمة الله عليها تسعة وسبعين وألف(1669م)"[1]

يُذكر أنّ بيت المرازقة كان لها شأن كبير بتلمسان كما تمّت الإشارة إليه أعلاه، وإذا كان المقريّون والعقبانيّون عرفوا بهذه الأسماء نسبة لأماكن مسقط رؤوس أجدادهم فإنّ المرازقة عرفوا بهذا الإسم نسبة إلى جدّهم مرزوق ومن هنا جاء التعريف ببني مرزوق أو المرازقة[2]. وعلى ضوء ماتقدّم معنا وممّا جاء في شواهد القبور التي تعتبر سجلا ثريّا بالمعلومات القيّمة التي يحتاج إليها المؤرخ، نذكر نمادجا من العلماء من هذا البيت العلمي في العهد العثماني من خلال ماجاء في هذه الشواهد:

– **سيدي المختار بن أبي عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني**: من علماء القرن 11هـ/17م، لم تحتفظ المصادر التي ترجمت له بكثير من المعلومات، غير أنّه كان فقيها، عرف به قبر ابنته السيدة فاطمة في هذا السياق يذكر

[1] سي حمو بن روستان، المصدر السّابق، ص 128.

[2] نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/ 16م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2009-2010، ص 92.

بن روستان قوله: هذا الضريح من لاحت ولمعت عليه حلل الأنوار المعروف عند أهل الاستبصار السيدة الصالحة الشريفة أمة الله فاطمة بنت الفقيه سيدي المختار نجل عالم العماء أبي عبد الله محمد بن مرزوق توفت عام 1625/1034.[1]

– الشيخ ابن مرزوق القطب(ت 1182هـ/1769م): من علماء تلمسان الأجلاء، تولى الإمامة والخطابة في المدينة المذكورة، مان أديبا من الأدباء، عزيز النظم والنثر، كان ذا مكانة هامّة وخصال حميدة، شهد له كبار العلماء والمشايخ، وهذا ما تمّ كتابته في شاهد قبره في النص التالي: " الحمد لله وحده أمّا بعد فهذا (كذا) قبر الشاب الأسعد الخطيب الأديب الحسيب النسيب سيدي المختار ابن الولي الصالح العلامة البحر الفهّامة القطب ابن مرزوق توفي رحمة الله علينا وعليه في شهر الله ذي القعدة الحرام عام اثنين وثمانين ومماية وألف"[2] .

2. بيت الزقاي:

من البيوت العلمية التي استوقفتنا في نواحي تلمسان خلال العهد العثماني بيت "الزقاي" أو الزجاي " الذي جمع بين أحضانه جلّة من العلماء والفقهاء، والذين اشتهروا بإنتاجهم الفكري والعلمي، ويُعدّ هذا البيت من البيوت التي ساهمت في بعث أواصر التلاقح العلمي بين مدينتهم ومختلف الحواضر العلميّة، يتصدّرهم العلامة :

– الشيخ محمد الزقاي" الجد ": في هذا السيّاق يقول صاحب مخطوط "إتمام الوطر" في الطبقة الأولى عن ترجمته لجده التي استغرقت واحدا وثلاثين 31ورقة، استفاض فيها في ذكر اسمه كاملا ونسبته وبلده ونشأته ، حيث قال : **" منها جدّي لأبي الذي هو أحق بالتقديم وأغدق عليه بالأوصاف الكثيرة، والنعوت الجليلة، ما لايسع المجال لذكره، على عادة الصوفية والأدباء، في نعت الأكابر، ووصف الأفاضل"** وصرّح باسم جدّه في الورقة الخامسة حيث قال: **" شيخ الطريقة وركن الشريعة والحقيقة، والولي الصالح، والمرشد الناصح، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد (فتحا) الزقاي النجار العبادي الوجار"[3].أمّا عن مولد يُخبرنا الزقاي الحفيد، أنّ مولد جدّه، قائلا :**

---

[1] حمو بن روستان، المصدر السابق، ص 128.

[2] نفسه، ص 128.

[3] لأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي (الزقاي)، المصدر السّابق، ص ورقة 05.

" ...**وأمّا ولادته في النصف من ربيع الثاني عام 1161هـ/ 1748م، لالقرية المعروفة بأسفونة** [1]، من مؤلفاته: كتاب السيوف القاطعة المستخرجة من الكتاب والسنة النافعة، المرائي المكية، الرحلة الفاسية، آداب الطريق والأذكار والأدعية، الجامع في النحو على ألفية السيوطي، شرح نونية صاحب الشذور، وغيرها كثير[2].

ممّا يذكره لنا صاحب المخطوط "إتمام الوطر" أنّ كان يملك خزانة عظيمة، من أكبر الخزانات بتلمسان، وانتهبها ابن الأحرش الذي ثار على الباي محمد الكبير، ومن الشيوخ الذي أخد عنهم في تلمسان ومنها إلى فاس الشيخ أبي الزيان الذي أخد عنه القرآن، والفقه والنحو والبيان على الشيخ محمد بن عبد الرحمن اليبدري، وابن لؤلؤ، وحمد الطالب الفرغلي، ولما سافر إلى فاس أخد عن الشيخ محمد بناني، والشيخ التاودي بن سودة، والشيخ عبد القادر بوخريص، والشيخ عمر الفاسي، وأخد الطريقة الحبيبة على الشيح عبد الله بن عزوز السوسي المراكشي الحبيبي،نسبة إلى طريق السيد أحمد الحبيب[3]. ومن تلامذته: الحاج محمد بن تاشفين الساحلي والفقيه العربي بن أويس، الحاج محمد بن عمر العابدي ...الخ، تولّى إدارة مدرسة الشيخ صالح أبي مدين شعيب بجبل العباد، بأعلى تلمسان[4]. انتقل إبنه عبد لله من العين الكبيرة من جبل ترارة إلى قرية أخرى تلقاءها، فاختط بناءها، وعمر فناءها وهي زاوية سيدي بنعمر، القائمة إلى الآن. كما ترجم هذا الجد لإثنين من أعلام تلمسان، وهما الأديب الكاتب أبو العباس أحمد بن محمد بن هطال التلمساني، وللحاج السنوسي، استغرق الشيخ في ترجمته لهذين العلمين اثنان وعشرين ورقة، وهذا دليل أنّ الشيخ كانت له مهارة وطاقة كبيرة بالنساخة وحسن الخط، بدون كلل ولا زلّة قلم[5].

– الشيخ محمد أبو عبد الله موسى الزقاي "الحفيد": لم تسعفنا المعلومات الموجودة بين أيدينا في التعرف على صاحب مخطوط " إتمام الوطر فيمن عرف في القرن الثالث عشر" (تاريخ رجال تلمسان ووهران في القرن الثالث عشر)، فكلّ مايُعرف عن هذا الشيخ أنّه واكب المرحلة الأخيرة من الوجود العثماني في تلمسان وبداية الاحتلال

---

[1] الزقاي، المصدر السابق، ورقة 22.

[2] نفسه، ورقة 15.

[3] نفسه، ورقة 21 و 28.

[4] نفسه، ورقة 29.

[5] نفسه، ورقة 36- 52.

الفرنسي للمنطقة، أي نهاية القرن الثامن عشر و النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلاديين ، مؤلّف كتاب " إتمام الوطر""، كما تمّ الإشارة إليه أعلاه، من خلال التطرّق إلى الطبقة الأولى من المخطوط، في حين جاءت الطبقة الثانية منه التي اشتملت على اثنا وأربعين ورقة(42) بذكر" الحفيد" لعدد التراجم بلغت نحو سبعة من الأعلام[1]، نأتي على أهم ما ذكره في كل واحد منهم:

العلم الأول: أبو عبد الله محمد بن أبي مدين الفخار، الذي ذكر أن أصله من الأندلس واستوطن تلمسان، أين تولى الخطابة بالجامع الأعظم، ثمّ جامع الشيخ أبي مدين شعيب بالعباد، توفي عام (1250هـ/1831م)[2].

العلم الثاني: الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي، ولد بتلمسان وارتحل إلى فاس ثمّ رجع إلى تلمسان، صاحب الفخّار في رحلته في طلب العلم، كان فصيحا ومليحا في إشارته، درّس بالجامع الأعظم بتلمسان، توفي بالمغرب، ودفن بطنجة قبل عام (1262هـ/1843م)[3].

العلم الثالث: أحمد بن عبد الله المجاوي: هو أخ الشيخ الذي سبق ذكره، سافر مع أخيه إلى فاس ثمّ رجع إلى تلمسان، تولى التعليم والتدريس بالجامع الكبير بتلمسان، توفي قبل عام (1250هـ/1831م)[4].

العلم الرابع: السيد أبو عبد الله محمد بن سعد، وصفه بأنّه من بيت علم وولاية، من ولد السيد أحمد بن الحاج اليبدري، من قرية بيدر (جنوب شرق تلمسان)، كان ذا مكانة عالية، درّس بالجامع الكبير، ثمّ تولى القضاء[5].

---

[1] ماحي قندوز، **إتمام الوطر فيمن عرف في القرن الثالث عشر**، (تاريخ رجال تلمسان ووهران في القرن الثالث عشر)، مجلة الآداب، العدد14، نوفمبر، 2008، ص 262.

[2] الزقاي، إتمام الوطر، ورقة 58.

[3] نفسه، ورقة 63-76.

[4] نفسه، ورقة 76-.77

[5] نفسه، ورقة 77.

إضافة إلى أعلام ثلاثة تطرقنا إليهم من أهل الطبقة الأولى. تحدّث الشيخ في مؤلّفه عن عصر البايات الذي كانوا يحكمون تلمسان، وهم الباي محمد الكبير وابنه عثمان، كما ذكر أماكن وقُرى منها: تلمسان، ندرومة، وهران، فاس، طنجة، تازة، مستغانم، العين الكبيرة، بني سنوس، العباد، جبل ترارة، بيدر، المشور[1].

3. بيت التُوجيني (1554م– 1603م):

يُمثّل هذا البيت أحد أهم البيوتات العلمية الصغرى التي أفل نجمها في سماء تلمسان في النّصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، والنصف الأول نت القرن السابع عشر الملادي، وإن كانت الكتابات التاريخية التي تتحدث عن عراقة ومنزلة هذا البيت قد غيّبت، بسبب انقراض أخبارهم وتوقفها، إلاّ أننا وجب علينا أن ننوّه إلى مكانته من بين البيوت العلمية في تلمسان، التي ساهمت في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية في هذه المدينة إبّان العهد العثماني[2].

فقد أنجب هذا البيت ثلّة من العلماء التي استفادت تلمسان من علمهم من خلال اسهاماتهم ونشاطاتهم المختلفة، خاصة في ميادين العلوم النقلية، حيث يتقدّمهم الشخصيّة البارزة في تولي الإمامة والفتوى في المدينة:

– أبو عبد الله محمد بن موسى الوجديجي التوجيني التلمساني: كان من علماء المتقنين، لا نعرف عن تاريخ مولده ووفاته، غير أننا نعلم يقينا أنذه من علماء النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، من أكابر أولياء تلمسان وعلمائها، شغل الإمامة وتصدر الفتوى ، نهل العلم عن الشيخ الإمام، العالم، المفتي، النوازلي عبد الله بن جلال الوعزاني (ت 981هـ/ 1574م)، وله تقاييد في الفقه، أين اشتهر بتضلعه فيها، وله تحقيقات وشروحات في بعض النوازل، وتوضيحات الشيخ خليل على مخاصر بن الحاجب، فضلا عن علم التوحيد، كما يذكر عليه أنّ صاحب كرامات كثيرة[3] .

---

[1] ماحي قندوز، المرجع السابق، 265 – 266.

[2] محمد بومدين، **مؤسسات الإفتاء الرسمية وغير الرسمية وأعلامها في تلمسان خلال العهد العثماني**، **المجلة المغاربية للدّراسات التاريخية والاجتماعية**، المجلد14، العدد02، سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2022، ص 37.

[33] القاسمي، المرجع السابق، 376.

– **أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن موسى الوَجْديجي التُجيجي التلمساني**: من علماء تلمسان، مواليد (929هـ/1523)هـ العالم المحقق، المحدث، النحوي، الشاعر، أخد الذين كانت لهم دراية بالوثائق وتحقيقها، وبالنوازل، وله اليد الطولى في الفقهيات[1]، قال عنه "أبو القاسم سعد الله ": أنّه من الشعراء الأوائل المؤيدين للعثمانيين في جهادهم ضدّ الإسبان، توفي يوم الجمعة 19 شعبان من سنة 1011هـ/1603م.[2]

فطبيعة النظام الحاكم كان عسكريا توسعيا وضع جلّ اهتمامه بعمليات الجهاد البحري وجلب الدعم للخزينة عن طريق فرض الضرائب والجبايات دون الاهتمام بالجوانب الثقافية والعلمية[3]، إضافة إلى ثقافتهم الحضارية وأصولهم التاريخية، فهم دُعاة حرب لا دُعاة ثقافة وعلوم، وبالتالي ففاقد الشيء لا يُعطيه[4]، وهذه أهم أسباب عدم مواكبتها للتطوّرات الفكرية العلمية التي حصلت عصر النهضة الأوروبية، وتراجعت قوّتها وتقلّصت قُدرتها وفشلت في التّصدي للهجمات الأوربية على العالم الإسلامي، خاصة مع بداية القرن الثامن عشر[5]، ويُمكن اعتبار عامل اللّغة الذي أثّر في تدخل الأتراك في الوضع الثقافي، خاصّة أنّ اللغة **التركيّة** (العثمانية) كانت تُعتبر اللغة الرسمية للسلطة والحكم والإدارة، فقلّل ذلك العناية والاهتمام بالمسائل الثقافية والأدبية للدّايات والبايات نظرًا لثقافتهم المحدودة[6]، لذلك فقد عرفت الحياة الثقافية في الجزائر عموما جمودا كبيرا ولم تخرج عن التقليد والتّركيز على الجوانب الدينيّة النقلية والتصوّف، فكثر الدّجل والشعودة والخرافات، وهذا ما جعل الرحالة الأوربيون الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني، في هذا السيّاق يُشير د.شو Dr Show في وصف الحياة الفكرية بقوله" أنها مازالت كما كانت منذ وقت طويل متدهورة، فالفلسفة

---

[1] محمد بومدين، مؤسسات الإفتاء، المرجع السابق، 37.

[2] في سيّاق آخر، وبعد الاطلاع على مختلف البيوتات العلمية في تلمسان ونواحيها من خلال المؤلفات والنصوص والوثائق، لم تردنا معلومات عن البيوتات العلمية ذات الأصل التركي كـ بيت آل صاري ، وبيت البريكسي، وبيت باربار ، وبيت تركي، وبيت عثماني، وغيرها من البيوتات العلمية التي امتهنت العلم بعلومه العقلية والنقلية وذلك راجع لسبب واحد وهو عدم وجود تآليف خاصّة بهم تبرز مآثر وإسهاماتهم في هذا المجال، ونحن بدورنا لا ننفي بعدم وجود علماء من هاته البيوت العلمية.

[3]– حنفي هلايلي، أوراق في تايخ الجزائر...، مرجع سابق، ص 255

[4]– محمد بن ميمون، مصدر سابق، ص 46.

[5]– نادية مصطفى، **التّاريخ والعلاقات الدولية**، ج1، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2015، ص 472.

[6]– عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 426.

والرياضيات والعلوم الطبيّة التي اشتهر بها العرب قديما أصبحت الآن من العلوم التي لا يُعرف عنها أي شيء، وأصبح اهتمام هؤلاء العثمانيين منصبًا حول ميادين التجارة والقضايا المالية، والتي تعوض اهتمامهم بالعلوم والمعرفة"[1].

ومن هذا المنطلق، فقد تركّزت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني في ثلاث حواضر كبرى وهي تلمسان في الغرب، ومدينة بجاية وقسنطينة في الشرق، حيث كانت منارات تَشّع بالنّشاط العلمي والمعرفي وقبلة للطلبة والعلماء من داخل الجزائر وخارجها، رغم أنها عرفت نزيفًا وتراجعًا سِيَما مدينة تلمسان ونواحيها أين عبّر عن ذلك أبو القاسم الزياني بقوله: " وهؤلاء الطلبة الذين بتلمسان ليس فيهم من يُحسن منطقا ولا لُغة ولا عربية لإصلاح اللّسان، ولا يتعاطون الفروع الفقهيّة، والأحاديث النبوية"

شهدت تلمسان ونواحيها في العهد العثماني تراجعا في مكانتها الثقافية والفكرية، بعد أن كانت قِبلة للطلبة والعلماء، ومحطّة مُريحة للتدوين والتأليف، غير أنها فقدت هذه المكانة بسبب الاضطرابات السياسيّة وكثرة الفتن، من الصراع على السلطة وتأثرها بالاعتداءات الإسبانية المتكررة، بعد احتلالهم العديد من الموانئ خاصة ميناء هنين عام 1531م، الذين قاموا بتخريبه، فضلا عن احتلال بعض المدن الساحلية الغربية للجزائر[2]، إلى أن دخلها العثمانيين بعدما قضوا على حكام بني زيان والنفود الاسباني على المدينة ونواحيها، وتمّ تنصيب حاميّة عثمانيّة بها، غير أنّ الأوضاع كما ذكرنا لم تستقر، فسرعان ما اندلع لهيب الصراع بين العثمانيين والمغاربة في صورة السعديين وبعدهم العلويين من جهة، والعثمانيين والاسبان من جهة أخرى[3]، ممّا أُجبر الكثير من العلماء هذه المدينة العريقة وحتى نواحيها على الهجرة إلى الحواضر المغربية كفاس ومكناس، هروبا من جور العثمانيين في أواسط القرن 10هـ/16م، ولنا في فرمانات مهمة دفتري مثال عاى ذلك هذا نصّه: **"تورّط قائد تلمسان بأعمال الفساد والجرائم واعتداؤه على الأهالي وتجاوزه على المال العام، والأمر باستدراجه وتقصّي أحواله ومعاقبته في حالة ثبوت ما نسب إليه"**[4].

---

[1] - Shaw, Thomas. op.cit.p150.

[2]- عمار بن خروف، العلاقات...، مرجع سابق، ص 158.

[3]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 73.

[4] ف. م. د، 23/ص102/حكم 208: في 22 رجب 981هـ/17 أكتوبر1573م.

هذا لحكم يبرز تلك التجاوزات التي كان يقوم بها بعض القادة وضلوعهم في أعمال الفساد.. ومنها هذا الحكم إذ أبلغ بكلربكي الجزائر الديوان الهمايوني بما يقوم به قائد تلمسان واتهامه بقتل الكاتب للاستيلاء على أمواله وممتلكاته...وبالتالي صدور الأمر السلطاني إلى بكلربكي الجزائر وقاضيها لاستدراج القائد والتحقيق معه؛ مع توخي الحذر من حدوث اضطرابات في منطقة تلمسان عند اعتقال القائد...

وعلى ضوء ما تقدّم، فقد ضاق العلماء من تسلّطهم وقسوتهم، حيث ظهرت طائفة منهم معارضة لوجودهم في المنطقة وأظهروا العداء لهم، وهاجروا جراء ذلك، مثلما هاجر علماؤها وكبار رجالاتها، ومهم على يبيل المثال الشاعر التلمساني سعيد بن عبد الله المنداسي الذي يُعتبر من أشد علماء تلمسان عداء للعثمانيين وحاربهم بشعره قد قال في الترك شعرا يهجوهم فيه هجاء مقذفا[1]، وحرض الناس ضدّهم فقال:

أَمَـنْ قَادِرًا بِاللهِ يَحْمِي تَلَمْسَانَـا فَـإِنَّ بِهِم قَـومٌ يَـا جُـوجَا إِخْوَانَـا

بَنَى السَّدُ ذُو القَرنَيْنِ للنـــاَّس رَحْمَةً فَيَا لَيْتَهُ مِنْ شَوْكَةِ التُّرْكِ هَنَّانَـا

سَمِعْنَا حَدِيثًا صَادِقَ النَّقلِ رَبِّـهُ بِأَنّ لِجِنْسِ التُّـرْكِ فِي الأَرْضِ إِخْوَانَـا

وَلَكِنْ وَرَاءَ السَّد عَمَّ فَسَادُهُـمْ وَهُمْ أَفْسَدُوا فِي الغَرب كُفْراَ تِلِمْسَانَـا[2]

ولابأس أن ننوّه إلى هجرة بعض القبائل التلمسانيّة، حيث قبائل عرب الشراقة، الذين كانوا يستوطنون منطقة تلمسان ووجدة إلى المغرب فرارا من سلطة العثمانيين عليهم، وهروبا من دفع الضرائب الباهظة إليهم، وأثروا الدخول في خدمة الأشراف السعديين[3].

في مُقابل ذلك، عرفت تلمسان ونواحيها ازدهارا ثقافيا ونَشطت الحركة الفكرية والعلمية في المنطقة، بعدما عرفت تدهورًا كما أتى الحديث عنها سابقا في كل المجالات، وسارت بتسارع نحو ركود علمي وأدبيّ رهيب، في ظلّ

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ...، مرجع سابق، ص 428.

[2]- أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...، مصدر سابق، ص 54.

[3]- الوفراني، نزهة الحادي...مصدر سابق، ص 124.

البيئة الجديدة ومعاولها الهدّامة التي لم تعد تنظر في النتاج العلمي ورجاله. رغم أنّ هذا الازدهار الفكري لم يصل إلى ما كانت عليه سابقا في عهد دولة بني عبد الواد، خاصة في فترة الباي محمد بن عثمان الكبير في الجانب العلمي والثقافي، حيث كانت له علاقة حسنة مع رجال العلم والفكر، أين أدخل مجموعة كبيرة من الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكان له عناية كبيرة بالمؤسسات التعليميّة كالمساجد والمدارس والزوايا[1].

رابعا: التصوّف والطرق الصوفية بالمنطقة

يُمثّل التصوّف من الموضوعات المهمّة والهامّة في حياتنا الفكريّة، لما تميّزت به من مكانة مرموقة، حيث شكّلت جزءا لابأس به من تراثنا، وقد عدّ من القضايا الشائكة في تاريخنا الثقافي والديني، أين أسال حبر الكثير ولايزال، حتى أننا لم نتمكن إلى يومنا هذا أن نفصل في هذا الموضوع برأي نهائي، فالكثير من الباحثين مازال يتردد بين الإعلاء من قيمة هذه الظاهرة الدينيّة وبين الحط منها. وربما هذا يعود إلى أنّها مرتبطة بميول النفس البشرية و أهوائها، ومنهم من لم يستطع التخلص من ذاتيته والحكم على الأشياء بعيدا عن الأهواء والمنطلقات والخلفيات.

وتلمسان ونواحيها بدورها –كبقية الحواضر في الجزائر العثمانية – عرفت انتشار ظاهرة التصوّف، أين ساهمت في إثراء التجربة الصوفية، فقد عرفت هذه المدينة العديد من الأعلام و العلماء الصوفية الذين تأثّروا وأثّروا في هذا الحقل. وسنحاول في هذا العنصر أن نعرف بمفهوم التصوف وأعلامه، مع ذكر أهم الطرق الصوفية التي قامت وظهرت في تلمسان ونواحيها.

1. **مفهوم التصوّف:**

– لغة:

اختلف الباحثين في أصل كلمة التصوّف واشتقاقها على عدّة أقوال، نُدرج أهمها:

[1]– بلبروات بن عتو، **الإصلاح الثقافي للباي محمد بمدينة معسكر**، حولية المؤرخ، العدد ¾، 2005، ص 125.وكذلك عبد الرحمن بالأعرج، الحياة الثقافية...، المرجع السّابق، ص 57.

التصوّف مشتق من " الصفاء " أي أنهم سموا الصوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم[1]، وهو مانجده عند الكثير من أعلام المتصوفة من أمثال الإمام الغزالي وابن عطاء السكندري وغيرهما[2].

التصوّف مشتق من " الصف " أي سموا لأنّهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجلّ بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه[3].

التصوّف مشتق من" الصوف "[4] فيقال تصوّف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، وقد اختار هذا المفهوم أغلبية مؤرخي التصوّف منهم "سراج الدين الطوسي" و " أبو بكر الكلاباذي " و " ابن القيم " و " ابن خلدون" و " ابن تيمية"[5].

– اصطلاحا:

يعرّفه الإمام الجنيد القواريري بقوله: "هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به" ومعنى يميتك عنك: أي عن نظرك لنفسك ويحييك به أي بذكره ومناجاته. ويواصل الجنيد أيضا: التصوّف هو : أن تكون مع الله بلا علاقة. وقيل التصوّف هو الدخول في كل خلق سنّي، والخروج من كل خلق دني. والخلق السنّي هو الخلق الرفيع كالورع والزهد والتوكل والرضا...الخ والخلق الدني كالرياء والعجب والكبر والحسد وسوء الظن[6].

---

[1]– أبو بكر محمد الكلاباذي، **التعريف لمذهب أهل التصوّف**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص 09.

[2]– بوغديري كمال، **الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذج – دراسة أنثروبولوجيا بمنطقة بسكرة** –، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دبّاغين، سطيف 02، 2014- 2015، ص 150.

[3]– شهاب الدين أبي حفص عمر السّهروردي، **عوارف المعارف**، ضبطه وصحّحه محمد عبد العزيز الخالدي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 65.

[4]– الهوجويري، **كشف المحجوب**، در و تر وتع: إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1980، مصر، ص 227.

[5]–كمال بوغديري ، مرجع سابق ، ص 151.

[6]– أحمد بن أحمد بن عجيبة الحسني، **كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، المطبعة الجمالية بحارة الروم، مصر 1913،ص 04.

وقد وجدنا تعريفا آخر مختصرا للتصوّف بقول : " التصوّف هو التخلّق بالأخلاق الإلاهية "[1]

المقصود بـ" التصوّف " من خلال هذه المفاهيم هو ذلك الاتجاه الفكري الداعي إلى اخلاص النية لله في العبادة وتطهير النفس البشرية من الأدران والأمراض الباطنية، الداعي إلى الوصول إلى مقام الإحسان وإلى المبدإ الأساسي عند الصوفية ويتعلق الأمر بالولاية[2] والكرامة[3].

واختصت الكرامة بالخصب والغلال في منطقة تلمسان ونواحيها، وكذلك الإطعام والنَّهامة، وارتبط ذلك الوصف لغويا في استخدام السّنة والعام، حين تأتي كلمة عام للإشارة على الرخاء (الصّابة) والخير، وفي الدعاء قصد حصول النماء، وكأنّ الثنائية تجلى جدلية الحمد والشكر. فالكرامة رغم أنّها لا تصدر إلاّ من كريم، فهي تشرق الإنسان نحو الأمل، تلتمس المخارج اجتماعية معقدة عن طريق تطلعات رمزية وحلول جاهزة تتجاوز العقل البشري. سُميّ المنتسب إلى الطريقة بالفقير احتقارا للنفس، وتركيزا على رجاء الاستغناء بالخالق عن المخلوق، ورموزا بالخرقة إلى التقشف والانتساب.

---

[1]– عكاشة الشايف، **الحضارة العربية الإسلامية بين التطور والتخلف**، د. م. ط، بن عكنون، الجزائر، 1994، ص 86– 87.

[2]– الولاية: جمع ولي وهو المتمسّك بالطاعة على وجه القربة والولّي له معنيان: – المعنى الأول أنه: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره ، قال تعالى : " وهو يتولى الصالحين" فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه وتعالى رعايته — والمعنى الثاني: فعيل مبالغة من فاعل، وهو الذي تولى عبادة الله وطاعته، فعبادته اجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا في ولايته، كما أنّ من شرط النبي أن يكون معصوما، وقد وردت في حق الأولياء آيات عديدة منها قال تعالى " ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" لمزيد من التفاصيل ينظر كمال الدين عبد الرزاق القاشاني، **من صوفية القرن الثامن الهجري: إصلاحات الصوفية**، تح و تع: محمد كمال إبراهيم جعفر، مركز تحقيق التراث، الهيئة العامة للكتاب 1981، ص 54.

[3]– الكرامة: لفظها في اللغة مشتق من التكريم والإكرام، بمعنى الفضل أو التفضل، فهي أمر خارق للعادة يظهر على يد الوليّ من غير دعواه، يعقبه وقوع العلم بالتصديق ضرورة، والكرامات لاحقة بمعجزات الأنبياء، فكرامات كلّ أمّة لاحقة بمعجزات أنبيائها، فكرامات هذه الأمة لاحقة بمعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. لمزيد من التفاصيل ينظر إلى ابن منظور، لسان العرب...، المجلد الخامس، ص 406 –407. مهتاري المولودة زرقة فائزة، **أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري، دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2005– 2006، ص 05.

فمن الطقوس الصوفية التي لم تأخذ حقّها من الدّراسات هي القصعة أو النصفيّة أو المترد كما عند أهالي تلمسان ونواحيها، (تُسمى الفريحة عند أهل الصحراء) لم تكن مخصوصة بوليمة من الولائم كانت تُحضّر وتُهدى كمأدبة لطلبة الزاوية، وهي تحضير جفنة كبيرة من الكسكس (الطْعَامْ) فارهة تسرّ الناظرين بكلّ صنوف ما لذّ وطاي حسب المستوى المادي لكل أسرة، فالعرب تقول : " ادع إلى طِعانك من تدعو إلى جِفانك" أي استعمل في حوائجك من تخصه بمعروفك ثمّ تطرّرت هذه الشعيرة الصوفيّة إلى شعيرة اجتماعية، حيث صارت تُهدى للعروس والعائد من الحجّ.

فالفقير أو الدرويش ليس من لايستطيع أن يفعل شيئا ولا يملك شيئا في ذاته، فذاك المفلس، لكن لدى الفقير كل القوى الموهوبة من الله وأوامره لايمكن إلغاؤها. إنّ حقيقة الفقر ألا تفتقر إلى من هو مثلك، فالفقر هي تلك الوسيلة العملية المطلوبة التي تُقشّقِش القلب ممّا إلتطخ من دنس إلتماسا للصفاء، افتقار إلى الله وانكسار بعد توبة ورجاء في عفو وتطلّع إلى استقامة. فالفقر هو افتقار النفس بالفطرة لربّها بالعبودية، المتمثّل في تلك الحاجة الأبدية الملحّة إلى عفو الله تعالى. وقد يكون معناه مشتقا من كلمة الفُقرة وهي القُربة، كما يرتبط معناه ومجراه بالتّصفية والتّطهير[1].

وقد امتدّت التّسمية لتشمل فئة من النساء اختصصن بمدح النّبي ليتبوأنّ مقاما في المجتمع يُطلق عليهن لإسم الفقيرات خاصة في المدن الكبرى لاسيما تلمسان وترارة ورياح يَقُمْنَ بتنشيط مناسبات الأفراح والأعياد على.

2. نشاط لأهم الطرق الصوفية في تلمسان ونواحيها:

عرفت مدينة تلمسان ونواحيها في العهد العثماني الكثير من الطرق الصوفية، كنتيجة لموقعها الاستراتيجي، الذي كان مقصداً لعدد من رجال التصوّف كإشارة عن الحركة الفكرية والدينيّة التي كانت رائجة في هذه الحاضرة.

ومن أهم الطرق الصوفية التي ظهرت في تلمسان نذكر ما يلي:

1.2 الطّريقة الشادليّة:

يُشير الرّصيد الببليوغرافي الذي اعتمدنا عليه، أنّ مؤسّس هذه الطريقة هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشادلي المولود بالمغرب الأقصى في بلدة "غمارة" القريبة من سبتة سنة 593هـ/1197م، أخذ تعاليمها

[1] – رريب الله حاج أحمد، المرجع السّابق، ص 63.

الشيخ الصّوفي "الكبير عبد السّلام بن مشيش" الذي يُعدّ من كبار التّصوّف بالمغرب الأقصى[1]، وتشكّل هذه الطريقة من أقدم الطّرق استقرار بالجزائر، استقطبت إليها كبار العلماء، عبد الرحمن الثعالبي، وَ أحمد بن يوسف الملياني، وَ إبراهيم التّازي، سيدي بلقاسم بن موسى التّلمساني المدعو " بن صابر"، وَ محمد بن سليمان الصائم التّلمساني " الجازولي".[2] وانطلاقًا من هذه الزّاويّة التّاريخيّة لم تنل الانتشار الواسع بتلمسان، مُقارنة ببقية الطّرق الصّوفيّة الأخرى. شكّلت الطريقة الشاذليّة المصدر الرّسميّ، فهي الطريقة الأم لجميع الطّرق المنتحلة بالمغرب وقد تفرع منها نحو خمسة عشر طريقة هي:(الجزولية، الزروقية اليوسفية العيساوية البكانية، الأحمدية (الكرزازية)، الشيخية، الناصرية، الوزانيّة، الطيبيّة، الزيانيّة، الحنصالية، الحبيبية، العروسية، البكرية، الدّرقاوية، الرّحمانية، السنوسية)[3]، لمعظم الطّرق الصوفية بالجزائر على وجه العموم، وتلمسان خُصوصا في وقت مُتاخّر في العهد العثماني، فامتد إشعاعها إلى نواحيها سيما مدينة ندرومة، التي عرفت هذه الطّريقة وغيرها فوجدت بها زاويّة واحدة[4].

2.2 الطريقة اليوسفية:

تنتسب هذه الطريقة إلى سيدي أحمد بن يوسف الملياني(1442م- 1524م)[5] الراشدي دفين مليانة ، تتلمذ على أحمد رزوق البرنوسي الفاسي في زاوية العيدّلي بناحية بجاية، سافر إلى عدّة نواحي في الجزائر من بينها تلمسان، معسكر، مازونة، ووهران...الخ. وقام بتأسيس زاويتين الأولى في بني منجلات، والثانية في قلعة بني راشد حيث استقرّ هناك.

---

[1] صلاح مؤيد عقبي، المرجع السّابق، ص 149.

[2] – قيداري قويدر، كعبة الطائفين..، المرجع السّابق، ص 19.

[3] – رييب الله حاج أحمد، المرجع السّابق، ص 341.

[4] صلاح مؤيّد عقبي، المرجع السّايق، ص 150.

[5]– أحمد بن يوسف الملياني، هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم، أبو العباس بن يوسف الراشدي نسبا الملياني دارا، من أعيان مشايخ المغرب العربي، وعظماء العارفين، وأحد أوتاد التصوّف الإسلامي، ولد بقلعة بني راشد التي تقع بين غليزان ومعسكر، أخد عن علماء تلمسان ووهران، تولى القضاء، ثمّ انتقل إلى بجاية وتتلمذ للشيخ زروق، تزامن وجوده مع نهاية الدولة الزيانية ، عمّن نفوده الصحراء الجزائرية والمغرب الأقصى، توفي الشيخ أحمد بن يوسف في سنة 931هـ/1524مودفنه ابنه محمد بن مرزوقة في مدينة مليانة، وبنى له باي وهران " محمد الكبير" ضريحا ومسجدا في القرن الثاني عشر الهجري، وقبره مشهور يزار إلى يومنا هذا، للمزيد كن التفاصيل ينظر إلى : عبد المنعم الحسني القاسمي، المرجع السّابق، ص ص 123- 124.

تمتع أحمد بن يوسف الراشدي الملياني بصيت واسع على أنّه من الأولياء الصالحين ذوي البركة، وهو من أكثر شيوخ التصوّف تأثيرا في العقول في عهده. انتشرت طريقته اليوسفية الشاذلية واشتهرت، وكوّن عدد من أتباعه جماعة تسمى "بالشراقة" أو اليوسفية، وقد انحرفوا عن الدين فعاب عليه الفقهاء، إلاّ أنّ الملياني تبرأ منهم وقداومهم.

أسس زاويته بـ" رأس الماء" بوادي الشلف، وكوّن فيها المريدين اتصل بعلماء عصره مثل الخروبي والخياط وغيرهما، زار المشرق وتعرف على علمائه الكبار، ثمّ عاد إلى وطنه وراسل العلماء في تلمسان وفاس والقاهرة ودمشق.....

3.2 الطريقة الشيخية أو البوشيخية:

مؤسسها عبد القادر بن محمّد بن سليمان بن أبي سماحة البكري المشهور بـ: سيدي الشيخ (1024هـ/1616م) المؤسس الفعلي للطريقة البوشيخية، بالجنوب الشرقي لإيّالة الجزائر منذ القرن 11هـ/17م، أين امتدت وتوزعت فيما بعد في كامل مدن الجزائر العثمانية بما فيها تلمسان ونواحيها بداية من القرن 12هـ/18م، وترجع أصول هذه العائلة إلى[1] نزحوا من مكة إلى تونس، ثمّ خرج جدّهم وذهب إلى الصحراء واستقرّ بالبيض، وهناك أسس زاويته المعروفة[2].

أظهر سيدي الشيخ منذ صغره ميلا إلى الدّراسات الدينية، ولم تلبث هذه العائلة حتى ذاع صيتها، فعيّن له مقدمين في مدينتي الجزائر وتلمسان (سبدو) ، وزادت أتباعه بتأسيس مؤسسات الزوايا البوشيخية والاهتمام بها، حتى أنّها اخترقت الآفاق في المشرق والمغرب.

---

[1]- قد أجمع الباحثين في كتبهم وتراجمهم، على أنّ النسب العائلي لأولاد سيدي الشيخ النهاري، يرجع إلى الشيخ " سيدي يحي" الملقب بـ: سيدي بن صفية بن عبد الرحمان بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن زيد بن محمد بن العطاء بن زيان ين عبد الملك بن عيسى بن أحمد بن محمد بن علي بن أبو القاسم بن عبد الملك ين عيسى الراضي بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق ين علي بن زين العابدين بن عبد الله بن حمزة بن أحمد بن محمد بن ادريس بن عبد الكامل بن الحسن المثنى ين الحسن بن علي بن أبو طالب بن عبد المطلب بن (واسمه شيبة) بن هاشم (واسمع عمرو) بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي (واسمه زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (واسمه قيس) وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (واسمه عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. لتصبح بذلك أسرة أولاد سيدي

[2]- عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والغرابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب، الجزائر، (د.ت)، 133.

كان حُضور هذه الطريقة في تلمسان من خلال الجد الأول لهذه الأسرة، وهو الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة، الذي انجب الولية الصالحة لالة صفية التواتية التلمسانية (993-/ 1585م)، التي نقلت أولادها فيما بعد إلى جنوب تلمسان مع نهاية القرن 10هـ/16م، مكان المنشأ الجديد لهذه الأسرة العلمية ومؤسسته " لالة صفية" خالة الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي (1024هـ/ 1616)[1].

اتّسع الإشعاع الصوفي للشيخ السماحي بين القبائل البعيدة والقريبة إلى أن توفي سنة 1616م، فتولى أمر زاويته أحد أبنائه الأحد عشر الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي وبعد وفاة هذا الأخير تولى الزاوية بوصية منه أخوه الحاج عبد الحكم، ثمّ ابنه أبو حفص الحاج الحفيد، وبعده ابن عمّه الشيخ ابن الدين[2].

استنادًا لما سبق، فإنّ انتشار علماء بيت سيد الشيخ (شيخ الطريقة البوشيخية)، هو كما ذكرنا يرجع للأم " لالة صفية"، بعدما نقلت أبنائها إلى تلمسان في ناحيتها الجنوبيّة، مكوّنة بذلك بيت علمي أصيل، كانت لهم اسهامات كبيرة ومميزة في الحفاظ على التراث الفكري والثقافي في تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، أين مارس علمائها وأعلامها التعليم بها في زواياهم، ومساجدهم ، ومعمراتهم، التي احتضنت عابري السبيل والهاربين من ظلم وسيطرة السلطة التركية[3].

4.2 الطريقة العيساوية:

تنتسب الطريقة العيساوية إلى الشيخ محمد ابن عيسى، لُقّب "**بالشيخ الكامل**" وعاش بمدينة مكناس الزيتون المغربية إلى أن توفي سنة 1526م، تشتهر الطريقة العيساوية باللهج بحزب "سبحان الدّايم" الموروث عن الشيخ الجازولي الولهاصي، وباستعمالها للأمداح بصوت عال واستخدام آلات موسيقية لاسيما المزمار (**الغايطة**)، انتشرت في الحواضر

---

[1] – رشيد بكاري، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر ، أدوار التنظيمات الصوفية الطرقية خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (من المقاومات الشعبية إلى المقاومة السياسية والثقافية) دراسة تحليلية نقدية 1832/ 1954) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، تخصّص علم الاجتماع الديني، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، 2012- 2013، ص 172.

[2]– محمد بومدين، **روّاد الطريقة البوشيخية في تلمسان خلال العهد الثماني**، **مجلة تاريخ المغرب العربي**، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، المجلد 08، العدد01، جوان 2018، ص ص 128 133.

[3]– نفسه، ص 133.

أكثر من البوادي، ولابدّ التأكيد في هذا المقام أنّ "رين" في كتابه الكبير ذكر أنّ شيخ الطريقة محمد بن عيسى له رسالة يستنكر فيها مايقوم به الأتباع من أعمال لا علاقة لها بالطريقة ويوصيهم بعدم الخلط بين السحر والتصوّف، غير أنّ بعض الإشارات المقتضبة التي اهتمت بالحياة الروحية إجمالا تلوّح بأنّ زاوية " وزرة" الواقعة بالمدية هي الباب الذي مهّد لدخول الطريقة إلى الجزائر سنة 1571م، من طرف حفيد الشيخ محمد ابن عيسى نفسه والذي يحمل نفس اسم جدّه، دفين مقبرة الزاوية، كما أنّه مازالت حواضر الغرب الجزائري تحتضن هاته الطريقة سيما تلمسان ونواحيها وبني صاف ومستغانم وغيرها...[1]

خامسا: تراجم لعلماء منطقة تلمسان في العهد العثماني

1. سعيد بن أحمد المقري: ت 1025هـ/1616م.

هو سعيد بن أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمان بن بلعيش المقري[2]، القرشي أبو عثمان[3]، الشيخ العلامة، ينسب إلى مقرة من قرى بلاد الزاب[4]، ولد سنة 928هـ/1522م[5]، بينما يذكر ابن القاضي أنّه ولد في سنة 930هـ[6]، بتلمسان من بيت علم وصلاح[7]، نشأ في هذه الأخيرة، أين تعلّم من والده[8]، ومن بعض علماء تلمسان، نذكر منهم الشيخ بن

---

[1]- ريب ، المرجع نفسه، ص 260.

[2]-ابن مريم التلمساني، البستان...مصدر سابق، ص140.

[3]- أحمد بن القاضي، **درّة الحجال في غرّة أسماء الرجال**، ج3، تح: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة (د.ت)ص 300. ومقرة هي واحدة من قرى الزاب الشرقي، تقع ما بين المسيلة وبريكة، ونسب إليها المقري (بفتح القاف المشددة والميم المفتوحة).

[4]- محمد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر...، المصدر سابق، ص 101.

[5]- ابن مريم التلمساني، البستان...، المصدر السابق، ص 104.

[6]- أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس...المصدر سابق، ص5200.

[7]- محمد الطيب القادري، التقاط الدرر ومُستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانيّة عشر، تح: هشم العلوي القاسمي، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973، ص38،

[8]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر...المرجع السّابق، ص 311.

وهبة الوجديجي[1] وغيرهم، حيث درس مختلف العلوم والمعارف من الفقه، واللغة العربية والتصوف والأصول والمنطق[2]، حتى أصبح أشهر علمائها، وأكبر فقهائها، فلقب بالفقيه المفتي[3]، وإمام العلوم[4]، (إمام الفتوى بتلمسان، بل بالمغرب)[5]، تولى الفتوى والإمامة والخطابة بمسجد الكبير بتلمسان، وكان قد رحل قبل ذلك إلى فاس فيمن رحل من علماء تلمسان مع بداية التواجد العثماني في الجزائر خلال القرن السادس عشر، وسيطرتهم على تلمسان، فمكث بها مدة قبل العودة إليها، ومن العلماء الذين أخد منهم بفاس نذكر منهم صهره أبو مالك بن أحمد الونشريسي[6] وعبد الوهاب بن محمد الزقاق التجيبي[7]، وعلي بن هارون[8]، كما تتلمذ على يده العديد من علماء المغرب والجزائر، نذكر منهم ابن عمّه أحمد

---

[1]- هو الشيخ الفقيه الفهامة العالم محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التجيني التلمسان، من مواليد 1503م/1575م، ولد وتعلّم بتلمسان، كان عارفا بالأصليين والبيان والمنطق، انتقل إلى المغرب سنة 967هـ، استقرّ بمراكش وفاس، تولى الفتوى فيهما وأصبح من أشهر الفقهاء وخلّف وراءه عدّة أعمال من بينها شرح على رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض، توفي بفاس سنة 983هـ/1575م. لتفاصيل أكثر ينظر إلى : ابن مريم التلمساني، البستان...، المصدر السابق، ص 134.

[2]- نفسه، ص 104.

[3]- أحمد بن القاضي، درة الحجال...ج3، المصدر سابق، ص 300

[4]- محمد الصغير الإفريني، صفوة من انتشر...، المصدر سابق، ص 101.

[5]- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة...، ج2، المصدر سابق، ص 255

[6]- أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، ت955هـ، أصله من تلمسان، وهو ابن الونشريسي صاحب كتاب المعيار، من أشهر فقهاء المالكية، جمع بين الفتوى والقضاء والخطابةبفاس أيّام السلطان أبة العباس أحمد المريني، توفي مقتولا بسبب الصراع على العرش، ينظر لمحمد بن عسكر، دوحة الناشر، المصدر السّابق، ص 52.

[7]- عبد الوهاب بن محمد الزقاق التجيبي، ت 960هـ، من فقهاء فاس، تولى القضاء والفتوى والخطابة بعد مقتل عبد الواحد الونشريسي، قتله السلطان الشريف السعدي بعد اتّهامه بمولاة الوطاسيين، ينظر لمحمد بن عسكر، دوحة الناشر، المصدر نفسه، ص 55من نظمه:

من أخمل النفس أحياها وصونها ولم يبت طاويا كشحا على حذر

إنّ الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر

أحمد بن القاضي، درة الحجال...،ج3، المصدر سابق، رقم 150.

[8]- أبو الحسن علي بن هارون المطغري، ت 951، أصله من تلمسان هادر إلى فاس، وفيها تعلّم ونشأ ولازم علماءها وكان منهم أمثال الونشريسي وابن غازي والمنجور، توفي في فاس وحضر جنازته السلطان المريني . ينظر للأحمد بن القاضي، درة الحجال ...،ج3، المصدر سابق، رقم 254.

المقري وسعيد قدورة وأحمد بن القاضي[1] وعيسى البطوئي الذي سبق الإشارة إليه وغيرهم، كما وقد برز الشيخ في العلوم العقلية من حساب ومنطق وفرائض وهندسة وطب وتنجيم وفلاحة[2].

3. أحمد بن محمد المقري التلمساني:986هـ/1578م– 1040هـ/1632م.

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمان بن أبي عيش بن محمد أبو العباس المقري التلمساني المولد، المالكي المذهب، نزيل فاس ثمّ القاهرة حافظ المغرب، وحافظ البيان ، لايوجد له نظير في علم الكلام، يمتاز بجودة القريحة، وصفاء الذهن، وفوة البداهة، وكان آية باهرة في التفسيير والحديث، معجزا في الأدب والمحاضرات. ولد بتلمسان سنة 986هـ /1578م وتوفي سنة 1632م .

نشأ بتلمسان، وتعلّم بها، حيث درس في بداياته على عمّه أعلاه الشيخ أبي عثمان سعيد المقري، الذي ساهم في تكوينه تكوينا علميا وأدبيا، كما أخد عن الشيخ أحمد بابا التنبكتي و أبو الحسن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلامي وعبد الرزاق بن تاج الدين بن علي بن زين العابدين المناوي وغيرهم من المشايخ. ترك العشرات من التصانيف والتآليف في فنون شتى وعلوم متنوعة، وله حسب إحسان عباس ثمانية وعشرون مؤلفا أشهرها، موسوعة الاندلس الموسومة بـ" **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب**" وكذلك كتاب " **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** " هاجر إلى فاس سنة 1601/1009م، واشتغل بأمور الإمامة والفتوى والخطابة وغيرها بجامع القرويين، واتخذها مقرّا لإقامته فيها حتى عام 1619، قضى فيها متجولا يسن مراكش التي استقبله فيها السلطان المنصور السعدي،وبين مدن أخرى بالمغرب كسبتة ومكناس، ثم قصد القاهرة وأقام بجامع الأزهر الشريف، وكان من تلامذته الشهاب أحمد العجمي، الذي أجازه المقري، وبعد مصرا عاود الترحال إلى بلاد الشام، ليستقر به المطاف في الحجاز، أين درس الحديث في مدينة رسول الله صب الله عليه وسلم، ثمّ عاد إلى رحاب مصر، اين استمر التدريس فيها إلى أن وافته المنيّة.

[1]– ابن مريم التلمساني، البستان...،المصدر السابق، ص ص 104– 105.

[2]– محمد مرتاض، **من أعلام تلمسان، مقاربات تاريخية وفنيّة**، دار الغرب للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، 2004، ص ص 285_ 288.

4. إبراهيم بن أحمد الشريف (1207– 1285هـ/ 1792– 1868).

ومن العلماء الذين ساهموا مساهمة فعّالة ومتميّزة في حقل العلم والمعرفة نذكر العالم الفاضل الولي الصوفي الكامل الخطيب المنيف الغوث سيدي إبراهيم بن أحمد بمحمد بن عيسى الشريف المعروف بـ: "برهوم الوالي"، وبـ: "إبراهيم الغوث:"، ويعرف ب "إبراهيم النفطي "، يتّصل نسبه بآل البيت الطاهرين، وهو من سلالة الولي الصالح الشيخ عبد القادر الجيلالي[1] التي استقرّت بتلمسان.

كان والده أحمد الشريف على خلاف مع السلطة التركية بتلمسان ، فلجأ إلى مدينة نفطة [2]، وهناك تزوّج من إحدى شريفات سلالة سيدي بوزيد الذين لجئوا بدورهم إلى الجريد التونسي، وبالضبط إلى مدينة نفطة.

ولد سنة 1207هـ/1792م بمدينة نفطة، اتّصف بالعلم والزهد والصلاح ، أخد الطريقة القادرية من شيخه أبي بكر بن أحمد الشريف، عن شيخه محمد الإمام المنزلي، ثمّ أذن له شيخه أبو بكر الشريف بتأسيس زاوية[3].

5. أحمد بن عثمان التلمساني (ت 1151/1737م).

أحمد بن عثمان بن علي بن محمد التلمساني من علماء تلمسان وصوفيتها المعروفين، من أصل أندلسي ، المعروف بالشيخ الأزهري المالكي[4]، ولد ونشأ بتلمسان، وأخد العلم من مشايخها، رحل إلى المشرق وحج، وأخد عن علماء

---

[1]– الشيخ عبد القادر الجيلالي: هو عبد القادر بن موسى الجيلالي أو الكيلاني أو الجبلي، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان بطبرستان سنة 471هـ، وانتقل إلى بغداد شابا سنة 488هـ، تلقى الطريقة من حماد الدباس، وأخد الخرقة من سعد المبارك، واشتغل بالقرآن وتفقّه على مذهب الإمام أحمد، تصدّ للإفتاء في بغداد سنة 528هـ، من أهم كتبه : الغنية لطالب طريق الحق/ الفتح الرباني...، توفي في بغداد سنة 561هـ، أنظر عبد المنعم الحفنى، **الموسوعة الصوفية**، أعلام التّصوّف والمنكرين عليه والطرق الصوفيّة، ط1، دار الرشاد للنّشر والتّوزيع، (د.م. ن) 1992، ص 113– 116.

[2]– نفطة، مدينة تقع في منطقة الجريد بالجنوب التونسي، ومعنى نفطة (معبد الشمس)، واشتهرت في العصور الإسلامية باسم الكوفة الصغيرة، لما برز فيها من أعلام الفقه والأدب واللغة وسائر العلوم الأخرى.

[3]– عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السّابق، ص 42– 43.

[4]– أبو القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر،1906، ص 64.

مصر بجامع الأزهر[1] من أمثال أبي العباس أحمد بن محمد النخلي المكي الشافعي (ت 1130هـ/1722م)[2]، وغيره، كما تلقى على بعضهم في الشام والحرمين، من أمثال أبو المكارم نجم الدين محمد بن سالم بن أحمد الحنفي الشافعي الخلوتي (ت 1181هـ/1768م)[3]، وأخد من علماء المشرق والمغرب، توفي بالقاهرة سنة 1151هـ/1738م[4].

6.أحمد بن ملوكة الندرومي التلمساني: (ق 10هـ/ 16م).

هو أبو العباس أحمد بن ملوكة الندرومي التلمساني، كان عالما ماهرا سيّدا فاضلا مجاب الدعوة.

لما عتى عروج بتلمسان وساء السيرة وأفحش في القتل، فثار به أهل تلمسان، ثمّ أوقع بهم وخرج إلى جبل يزناسن، فأشفق أهل تلمسان على أنفسهم وخافوا من رجوعه إليهم، فلجئوا إلى الشيخ ابن ملوكة وشكوا إليه ما نالهم منه وما تخوفوه، فانقبض الشيخ انقباضا عظيما ثم ضرب الأرض بيده وقال : لا رجع إلى تلمسان أبدا بإذن الله فكان كما قال وقتل عروج. توفي في أواسط العشرة الرابعة وقبره مزارة بتلمسان.[5]

---

[1]- جاكع الأزهر، هو جامع وجامعة، أنشئ على يد " جورج الصقلي " عندما تمّ فتح القاهرة عام 378هـ/970م، بأمر من " المعز لدين الله " أول الخلفاء الفاطميين بمصر، وقد اختلف المؤرخين ق أصل تسمية هذا الجامع، الذي سُمي في البداية بـ: " المنصورية " ثمّ " جامع القاهرة" ، ولكن الراجح أنّ الفاطميين سموه بالأزهر تيمنا بفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمثل هذا الجامع أوّل عمل معماري أقامه الفاطميون في مصر وهذا الجامع يعدّ ثالث أقدم الجوامع بعد القيروان والقرويين، وأحد المعاقل التاريخية لنشر العلم وتعليم الإسلام، ينظر إلى محمد عبد المنعم خفاجي، علي صبح علي، **الأزهر في ألف عام**، ج1، المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة، 2012، ص 95.

[2]- شهاب الدين أحمد بن محمد النخلي المكي الشافعي(ت 1130هـ/1722م)، المعروف بالنخلي، ولد عام 1044هـ/1636م، وتوفي سنة 1130هـ/1722م، ينظر أبو زيد عبد الرحمان بن الحسن الجبرتي، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار المسمى بـ: تاريخ الجبرتي**، تح: عبد الرحيم عبد الرحيم عبد الرحيم، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1977، ص 98.

[3]- أبو المكارم نجم الدين محمد بن سالم بن أحمد الحنفي الشافعي الخلوتي – الحفناوي- ت (1181هـ/1768م)، ولد بقرية " **حفنا** " **بـ: " ببليس"** عام 1100هـ/1688م، ونشأ بها ونسب إليها، من أشهر مشايخه محمد البديري الدمياطي، توفي يوم السبت 27ربيع الأول سنة 1181هـ/1767م، ينظر إلى أشرف فوزي صلاح، **شيوخ الأزهر**، ج1، الشركة العربية لنشلا والتوزيع، القاهرة، 1977، ص ص 42- 49.

[4]- نفسه، ص 81- 82.

[5]- نفسه ، ص 118

7. حدّو بن محمد المناوي: (ت 998هـ/ 1583م)

حدو بن محمد بن السعيد المناوي[1]، من كبار علماء تلمسان وصوفيّتها المعروفين. كان فقيها عالما أستاذا في القراءات السبع، يحفظ الشاطبيتين [2]الكبرى والصغرى، عارفا بأحكام القرآن واللغة العربية والرسالة ومختصر ابن حاجب وألفية ابن مالك، أخد عن والده محمد بن سعيد الحاج، وعن علي بن يحي السلكسيني ومحمد بن يحي المديوني أبي السادات الكبير وعن ولده أبي السادات الصغير، كان يدرس الخراز[3]، والآجرومية وألفية ابن مالك والرسالة، له منظومات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. توفي عام ثمانية وتسعين وتسعمائة (998هـ/1583م) ودفن في روضة سيدي أحمد بن الحاج، في بني إسماعيل من جبل بيدر بتلمسان.[4]

8. عبد الرحمن بن عبد الله اليعقوبي : (ق 10/ 16م)

هو الولي الصالح العارف عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي التلمساني من أولاد يعقوب بن طلحة إحدى القبائل المستقرّة قرب تلمسان، كان صاحب كرامات عديدة، وكان يسعى للصلح بين الناس وفك الخصومات بين القبائل ويعقد الصلح بينهما: أولاد طلحة، أولاد يعقوب، ترارة ...الخ، كان على خلاف مع السلطة العثمانية في تلمسان، مشاركا في الأحداث السياسية في عصره، حيث أرسل إليه الباشا حسن بن خير الدين يطلب منه العودة إلى الجزائر، حينما همّ بالهجوم على مدينة فاس " اقعد عن الحركة لفاس ما لك بها حاجة، ولا يحصل لك شيء منها " ولم يمتثلالباشا لأمر الشيخ، ولم يحصل له ما أراد وعدّ ذلك من كرامات الشيخ، أخذ عنه ابن مريم التلمساني، الذي ترجك له ولم يذكر تاريخ وفاته[5].

---

[1] المناوي، نسبة إلى وادي مينا، وهو واد ينبع من الجبل الأخضر الواقع شرقي فرندة، ويصبّ في وادي شلف، وعلى ضفافه بني الرومان مدينة شيّدت بجانب آثارها لاحقا مدينة غليزان ، ينظر أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ج7، المصدر سابق، ص ص 44- 659.

[2]- الشاطبيان، قصيدتان للشيخ القاسم بن قرة الشاطبي المتوفى سنة 590هـ، وهما في القراءات الكبرى تسمى " حرز الأماني ووجه التماني"

[3]- الخراز، من كتب القراءات الشهيرة، وعنوانه الأصلي " مورد الظمآن في رسم القرآن " لمحمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز (ت 718هـ/ 1318م).

[4] عبد المنعم االقاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 135.

[5]- نفسه، ص 196- 197.

9. محمد بن سليمان التلمساني (ابن الصائم) (1014–1066/1605– 1656م)

محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن زروق بن محمد بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري التلمساني، المعروف بـ: ابن الصائم "، ولد سنة 1014هـ بتلمسان، وبعد ولادته أخذه والده إلى شيخه محمد عاشور السلكسيني (ت 1014هـ)، فمسح على رأسه وسماه " محمد بن سليمان الجازولي " تيمنا بصاحب " دلائل الخيرات" وكان أبوه شابا طائشا مغرورا بماله وقوّته، وعندما بلغ الثلاثين رجع إلى الله وتاب على يد شيخه عاشور السلكسيني، وتخلى عن ثروته وخالط أهل التصوف وذهب إلى الحج، وسهر وحرص على تربية ابنه تربية صالحة.

ورث عن أبيه الثروة والتصوف معا، واشترى دارا بتلمسان، وكان يخرج إلى الصحراء، وقرأ على شيوخ عدّة بتلمسان منهم الجيلالي بن رقية، خليفة بن عيسى الراشدي، عمر التراري، عمر بن يوسف، محمد بن علي أنكروف ...،وغيرهم، كما أخد التصوّف عن شيخه موسى بن علي اللالتي[1]، وسلك على يده.

له كتاب " كعبة الطائفين وبهجة العاكفين" الذي شرح فيه قصيدة شيخه الشهيرة " حزب العارفين " الدي تحدث فيه عن التصوّف والنتصوّفة ودعا فيه إلى الإلتزام الحقيقي الخالي من الخرافات والبدع وله أيضا " حياة القلوب وقوت الأرواح في عمارة الملوين وأوراد المساء والصباح" أتمّه سنة 1054هـ، توفي بعد 1066هـ / 1656م.[2]

---

[1]– الشيخ موسى بن علي بن موسى اللالتي (ت 1045-/1635)، حسني النسب، تلمساني الدار والمنشأ. ناظم قصيدة " حزب العرفين " التي شرحها تلميذه محمد بن الصايم ، في كتابه " كعبة الطائفين "، كان من شيوخ العلم والتصوّف، وكان في الأصل من سكان البوادي، ثمّ نزل بتلمسان وسكنها، حيث قدم إليها من " **ولهاصة" – بالقرب من تلمسان –**، وقد ذكر أنّ سبب الانتقال، هو إشارة من الرسول صبى الله عليه وسلم بوجوب الإقامة بالعباد، كان زاهدا وناقما عن الحياة السياسية والإجتماعية بتلمسان في ظل الوجود العثماني في المنطقة ، أولع بالمطالعة وجمع الكتب، بالرغم من فقره وكثرة عياله، نالت قصيدته آنفة الذكر شهرة كبيرة، وتصدى لشرحها الكثيرون، لعلّ أشهرهم تلميذه ابن الصايم، وقد حفظ لنا التاريخ هذا الشرح، وعرفنا عليه الدكنور سعد اللع أبو القاسم، توفى اللالتي أواخر ذي القعدة سنة 1045هـ/1635م، ودفن شرق ضريح أنس الوحيد الإمام السنوسي صاحب التوحيد، ينظر عبد المنعم، المرجع السابق، 412.

[2]– نفسه، ص 311.

10. محمد بن عبد الله المنور التلمساني (1173هـ/1760م).

محمد بن عبد الله بن أيوب، أبو عبد الله المعروف بـ: " المنور التلمساني " محدث كبير، أديب، رحّالة صوفي، من فقهاء المالكية، ومن أتباع الطريقة الشادليّة، ولد بتلمسان عام 1130هـ/1722م ونشأ بها، وأخد

الفقه عن الشيخ مصطفى الرماصي[1]، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ بن أبي زيان القنادسي[2]، ثمّ رحل إلى المشرق، فأخذ عن كثير من علمائه وأجازوه، منهم أحمد اللمطي[3]، محمد المسناوي، بن زكري...وغيرهم.

تولى التدريس بالجامع الأزهر، وأخذ عن أعلام منهم: بن عبد الرحمن الأزهري، أحمد بن عمار، الزبيدي، عبد القادر المشرفي...الخ قال الحافظ الزبيدي[4] في ترجمته من ألفية السند له:" العالم الفاقد للأشباه – الجهبذ البارع في الفنون

---

[1]– أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن المؤمن الرماصي (ت 1136هـ/1724م)، من قرية " رماصة " احدى قرى معسكر بالغرب الجزائري، تلقى تعليمه على يد شيوخ زاوية مازونة، ثمّ إلى القاهرة حيث تتلمذ على شيوخ المالكية، أمثال: الشيخ أبو محمد عبد الباقي الزرقاني، أصبحت له مكانة علمية في مصر ، وترك مؤلفات منها: "حاشية على شرح التتائي لنخاصر خليل "، توفي سنة 1136هـ/1724م، ينظر إلى إسماعيل بن محمد أمين بن أمير سليم البابانى البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، ج2، تصحيح، محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمر الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت)، ص 374.

[2]–أمحمد بن عبد الر حمن بن محمد بن أبي زيان القنادسي، ولد عام 1039هـ/1631م، بقصر " تاغيث" بولاية بشار، أين درس وأخذ واعلم بالزاوية الرحمانية، وبعدها انتقل لأداء فريضة الحج، فمكث بالمدينة المنورة لكلب العلم، وبعد عودته مرّ بالأزهر، ثمّ الزيتونة، توفي 1145هـ/ 1732م، ينظر إلى أبو عبد الله محمد بن الطيب الجيلاني القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج4، تح، حجس محمد وآخرون، مكتبة الطالب، الرباط،، 1986، ص 286.

[3]– أبو العباس أحمد اللمطي السجلماسي، ولد في حدود 1090هـ/1682م، ببلدة سجلماسة، تلقى تعليمه على يد الشيخ أبي العباس أحمد الحبيب للعلامة الفقيه، الي نبغ غي علوم كثيرة ، تآليف عدّة أهمّها: "كشف اللبس عن المسائل الخمس"، توفي سنة 1156هـ/1748م، ينظر إلى أبو عبد الله محمد بن الطيب الجيلالي القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، ج4، المصدر السابق، ص 40.

[4]– الحافظ الزبيدي، الأديب العالم ، ولد في بلدة " بلكرام " بالهند، منشأه في " زبيد " باليمن، سافر إلى بلاد الحجاز، وأقام بمصر ونزل بها، وأوّل من أخد عنه هناك، علي المقدسي الحنفي، ترك مؤلفات علمية أدبية فاقت 107مؤلفا، أهمها " تاج العروس"، توفي بمرض الطاعون في شهر شعبان من سنة 1205هـ/1790م، ينظر، كحالة رضا، **معجم المؤلفين**، ج3، مؤسسة الرسالة، 1992، ص 681.

– علم قطر المغرب الميمون" ، له مجموعة من إجازات مشايخه، ذكر بعضها الشيخ الكتاني في فهرسه، توفي 12شوال سنة 1173هـ/1760م بمصر بعد رجوعه من الحج[1].

11. محمد بن عبد الله الزقاي[2] (ق 13هـ/18م):

من أبرز علماء تلمسان، كان معاصرا للباي محمد الكبير، اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر الهجري بعلمه وتصوّفه، حيث اتّبع طريقة الإمام الجنيد في فاس يُخبرنا حفيده في كتابه " إتمام الوطر" أنّ مولد جدّه، قائلا : " ...وأمّا ولادته في النصف من ربيع الثاني عام 1161هـ/ 1748م، لالقرية المعروفة بأسفونة، إلى أن انتقل إلى تلمسان ونوى بها الاستطان " [3]، وحين استولى الحكام العثمانيين على أوقاف مدرستي تلمسان، كتب الزقاي إلى الباي محمد الكبير في ذلك فأجابه إلى طلبه وأعاد إليهما الأوقاف[4].

بعدما تضلّع بمعارف العلماء والأخذ من علومهم، وتفجّرت ينابيعها من مداركه، أصبح عالما معروفا، تولى الإفتاء فنال بها شهرة عظيمة في مختلف نواحي تلمسان، أين راسله الناس حتى من السواحلية، ومن ذلك ماقا له حفيده بقوله"....كانت تأتيه الفتاوي حتى من منطقة السواحلية[5].

اشتهر بالنساخة وحسن الخط، حتى أصبحت له مهارة وطاقة كبيرة حتى أنّه كان يكتب ويحدّث الجالس معه بدون كلل ولا زلة قلم، وكان ينسخ الكتب لنفسه، واشتهرت مكتبته التي كانت تحتوي أحمالا من المجلدات والأسفار،

---

[1]– الحافظ الزبيدي، المرجع السابق، ص 327.

[2] – يعود لقب الزجاي على ما أكّده صاحب المخطوط باللغة العامية (الدّارجة) " الزّقاّ" بمعنى "يْزَقِي" وباللغة العربية الفصحى " يصيح" على النّاس، وهو ما جاء على لسان حفيده بقوله: "...نسبة إلى الوقا بمعنى الصياح ويزقي بمعنى يصيح بالنّاس كالمستغيث..." ، لمزيد من التفاصيل ينظر لأبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا الزجاي، مخطوط، إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D.9307، 1867، ورقة 21.

[3] – المصدر نفسه ، ورقة 22.

[4] عبد المنعم، المرجع نفسه، ص 328

[5]– الزجاي، 1867، المصدر السابق، ورقة 9.

والتي تبعثرت أثناء حروب درقاوة وثورة ابن الأحرش، وقال صاحب " إتمام الوطر" : " **إنّ خصوم الشيخ الزقاي دفنوا كتبه في الثرى** "[1]

ألّف كتبا عديدة في التّصوّف منها: المرائي المكيّة في آداب الطريق والأدعية، وشرح لأسماء الله الحسنى ...، وله كتب أخرى في التفسير والنحو[2].

12. محمد بن محمد البطيوي : (ق 10هـ/16م).

محمد بن عيسى البطيوي أصلا التلمساني دارا، الولي الصالح الفقيه المحدث الصوفي، صاحب الكرامات العليّة والأحوال المرضية. كان فقيها في علم الحديث وعلم التصوّف، أخذ عن عالم تلمسان ووليها محمد بن موسى الوجديجي (ت بعد 930هـ)[3]، وكان يحضر مجلس محمد بن يحي أبي السادات في التوحيد زمجلس محمد بن زائد القبلي، كان عارفا بالبخاري يقرأه الناس في الجامع الأعظم، حجّ بيت الله الحرام هو ووالده وجميع عيالهم.

كان من أهل الخير والصلاح، قليل التصنّع، مؤثرا في الاقتصاد منقبضا عن الناس، مكفوف اللسان واليد، منشغلا بما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصفا في المذاكرة حريصا على الإفادة والاستفادة، مثابرا على تعلم العلم وتعليمه في كثير من العلوم العقلية والنقلية، واطلاع وتقييد ونظر.

كان يسبح في النهار فلا يدري أحد أين يذهب، وكان في ابتداء أمره يتعبد في مسجد "ستي الوصلية"، وبعد ذلك كان يتعبد في غار "بوهناق". توفي بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع[4].

---

[1] الزقاي، إتمام الزطر، المصدر السابق، ورقة 27.

[2]- عبد المنعم، المرجع نفسه، ص 329.

[3]- محمد بن موسى الوجديجي التحيني، فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها، من أكابر علمائها وأوليائها، أخذ عن الشيخ محمد بن عيسى وعبد الله بن جلال الفرعي، أخذ عنه الإمام أحمد البجائي، شقرون بن هبة الله، محمد بن يحي أبو السادات، يحي بن عمر الزواوي ومحمد بن محمد البطيوي، وبن عبد الرحمن الوزاعي...، توفي بعد 930هـ/ 1524، ودفن في مدشر " بني بو بلال" قرب المنصورة. ينظر لعبد المنعم...، أعلام...، المرجع السابق، 370-380.

[4]- المرجع نفسه، ص 361-362.

13.محمد بن محمد المديوني (ابن مريم): (ت نحو 1020–هـ/1605م).

هو محمد بن محمد أبو عبد الله بن مريم المديوني التلمساني، نسبة إلى مديونة إحدى قبائل تلمسان من رجال القرن الحادي عشر، وهو في هذا القرن مثل محمد بن يوسف السنوسي في القرن التاسع، ولد بتلمسان في منتصف القرن 10الهجري من عائلة تنتسب إلى أشراف مليتة. تلقى تعليمه بمدارس تلمسان، وأخذ عن أبيه مبادئ اللغة العربية والفقه، ثمّ تحوّل إلى المغرب الأقصى ثمّ عاد إلى تلمسان، اشتغل بالتدريس خلفا لوالده عام 985هـ/ 1577م، وأثناء ذلك اهتمّ بتقييد الأخبار وقراءة الشروح الأدبية واللغويّة، كان كثير المطالعة للكتب، وكان يقول " **ما أدركت كتابا إلاّ ومكنني الله منه دون تعب**"، أخذ عنه تلاميذ كثيرون، منهم: عيسى البطيوي، الذي ترجم له في كتابه " مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح في عدّة صفحات.كما تمّ الإشارة عنه سابقا. له ثلاثة عشر تأليفا منها: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، وهو أشهر مؤلفاته على الإطلاق، تضمّن تراجم مفصلة 182 عالما ووليا صالحا جلّهم نشأوا أو عاشوا بتلمسان أو تعرفوا عليها[1]...، تولى التدريس وظلّ مواضبا عليه، أين كان مهتما بالتأليف حتى وافته المنيّة حوالي سنة 1020هـ[2].

حين نجد أنّ أبا راس المعسكري الذي أوتي لسانا لذقا عجيبا في الإتيان بالسجع المنمّق العجيب التركيب قد أتى علة ذكر مدينة تلمسان " مدحا لها وتفخيما إيّاها في قوله: " تلمسان وما أدراك بتلمسان، فبقعة الظل الأبرد ونسيجه المنوال المفرد، وكناش الغيد الخرد، وكرسي الإمارة، وبحر العمارة، ومهوى هوى الغيث الهتون، وخروب التين والزيتون، حيث خندق الجنّة تدنو لأهل النار مجانية، وتشرق بشاطئ الأنهار إشراق الأوهار زهر مبانيه...[3]، كلّ هذا ينبئ بالمكانة العمرانية التي تحتلها تلمسان بين المدن إذ تزهو بالمباني الفاخرة، كما أنّها مركز مهم لدى الحكام، بالإضافة إلى منظرها الطبيعي الخلاب المتميّز بما احتوته من البساتين والبحار وغير ذلك من المشاهد .

---

[1]–قال الدكتور ناصر الدين سعيدوني، يعتبر كتاب البستان المصدر الأساسي للتعرف على الحياة الثقافية والعلمية وما يتصل بها من عمران وعوائد ومعاملات بالمغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة لفترة طويلة تمتد من القرن السادس إلى غاية القرن ال قرن الحادي عشر للهجرة، ينظر إلى من التراث التاريخي ص 302، وقد قام الأستاذ بروفنصال بترجمته إلى اللغة الفرنسية، وحققه محمد بن أبي شنب ووضع له فهارس وتعليقات وطبع بالجزائر 1908، ثمّ أعاد نشره في طبعة مصورة عبد الرحمن طال ضمن منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986.

[2]– عبد المنعم...، أعلام...، المرجع السابق، ص 367.

[3]المعسكري، فتح الإله، ص 108.

سادسا: الجانب الفنّي والعمراني بمنطقة تلمسان

في مُستهلّ الحديث يُمكن لنا أن نُشير أنّ تلمسان ونواحيها تمتاز بفنون أصيلة سواء تعلّق الأمر بالموسيقى أو بالشّعر أو بالفروسية أو بالفنون التشكيلية الأخرى المختلفة، ولاشكّ أنّ الموسيقى الشعبية كانت ولاتزال من أبرز ما يميّز المنطقة لعلاقتها العضوية بتاريخها وهويّتها، وهي تعتبر من المقوّمات الأساسية للهوّية المغاربية التي تميّزها عن كامل البلدان العربية المشرقية وتربطها ارتباطا وثيقا بالأندلس الذي استمدّت منه التراث الفني العريق.

1. النشاط الفني و الموسيقي:

1.1 فــن الحــوزي:

لا يمكن الحديث عن الفنون الموسيقية في تلمسان دون أن يتبادر إلى أذهاننا فن الحوزي الأصيل الذي يطبع مدينة تلمسان ونواحيها من مُدن المنطقة.

الحوزي في اللغة: من " الحوز" : الحاء والواو والزاي أصل واحد وهو الجمع والتجمع، يُقال لكل مجتمع وناحية حوز وحوزة، وحمى فلان الحوزة والناحية[1].

ونفس المعنى نجده عند " ابن مريم " حينما ذكر هدفه من تأليف مؤلّفه البستان، أشار إلى كلمة الحوز بمعنى الموضع والجهة وخارج المدينة، قال إنّ يقصد جمع أولياء تلمسان والفقهاء الأحياء منهم والأموات، وجمع من كان بها وحوزها وعمالتها[2].

ويذهب الأستاذ عبد الحميد حاجيات إلى أنّ " الحوزي" في الاصطلاح الفنانين والأدباء بتلمسان هو الشّعر المنظوم باللغة العامية حسب أوزان خاصة تخالف أوزان الموشح والزجل[3].

---

[1]- أحمد فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص 117.

[2]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 3

[3]- محمد مرابط، **الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**، تق وتح وتع: عبد الحميد حاجيات، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982، ص 09.

فالحوزي هو نوع من الطّرب الكلاسيكي العربي الموروث عن الحضارة الأندلسية التّليذة، وهو محصور بصفة عامة في بلدان المغرب العربي التي لجأ إليها الفارون من الأندلس بعد سقوطها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، فهو فنّ متميّز يُعتقد حسب المتخصصون في الموسيقى التراثية أنّ وبعد نقله إلى بلدان المغرب العربي استقرّ بها واتّخذ له أسماء عديدة يمكن ردّها كلّها إلى اسم العيطة الذي يحمل كل المصطلحات التي صارت تطلق على هذا الفن بحسب البلدان[1]، بل بحسب المناطق التي تتناوله كفنّ أصيل، فهو في المغرب الأقصى الآلة وفي تلمسان وما جاورها الغرناطي أو الحوزي ومثله في منطقة سلا و وجدة المغربيتين. أمّا في الجزائر العاصمة وماجورها كالبليدة وشرشال فهو الصنعة، وامّا في الشرق الجزائري ولاسيما في قسنطينة ومحيطها عنابة وسكيكدة وجيجل فهو المالوف، كما يعرف بنفس الاسم في كلّ من تونس وليبيا اللتين يعرف بهما ازدهارا متواصلا[2].

وقد أثبتت الدّراسات أنّ هذا الفن المكوّن من الشّعر الشعبي والموسيقى يعتبر في حدّ ذاته وثيقة رسمية وأصلية للبح التاريخي والذي يتميز بجماليات وقيّم فريدة وهو ينتسب إلى فترة العهد الأندلسي والذي أتى به نازحون من تلك البلاد بعد مأساة سنة 1492م التي انتهت بسقوط بني الأحمر ومعها الأندلس ليمتد حتى الوجود العثماني في تلمسان منتصف القرن السادس عشر، حيث أنّها لم تكتفي فقط باحتضان هذا الفن الأصيل الموروث بل اتّخذت له على مرّ الأيام مدرسة متميّزة لها طابعها وروّدها وأتباعهم من الأجيال المتلاحقة، وممّا يُسجل لهم التاريخ خلال هذه المرحلة المنداسي، ابن تريكي، ابن مسايب، وابن سهلة...الخ.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الحوزي في مدينة تلمسان ونواحيها كلمة لها وزنها تطلق على الغناء المتجذر بعروقه في هذه المدينة، فهو عنصر تاريخي وفنّي يربط المدينة بماضيها، أمّا عن التاريخ فهو فن الحياة في المدينة، فعند مجيء العثمانيين في المنطقة تحوّلت المدينة إلى ثكنة للدّفاع، وقبل هذا كانت تلمسان تظهر من بعيد عاصمته وسط المغرب الأوسط[3]، فقوة حضورها الدّائم في تاريخ الجزائر رفع من وعيها، وعدل من شخصيتها الجزائرية.

---

[1]- محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص ص 407-409..

[2]- نفسه ص 410.

[3] - Benali El Hassar Tlemcen, cite des grands maitres de musique arabe – andalous, préface de Mohamed Agha Bouayed édition dalimen,p 58.

ومن زاوية أخرى دخل الشعراء والموسيقيون الذين سوف يأتي الحديث عنهم أثناء المرحلة العثمانية دائرة الحرب الكلامية، والإشاعات، ممّا جعل البايات العثمانيين يعملون على اسكاتهم والفضاء عليهم أو حتى نفيهم[1]، لأنّ نظرتهم إلى المجتمع لم تكن محايدة، فعاش الشعراء هذه المرحلة بمزيد من البؤس وخيبة الأمل العميقة، وذاقوا من ويلات المحن ونقص الأموال والحرمان، من حرية الفكر وثمرة الاستقلال، وبمجيء العثمانيين إلى المنطقة كما أسلفنا الذكر هاجر الكثير منهم إلى المغرب وتونس...الخ[2].

وبناءا على ذلك تبقى دراسة الحوزي إسهاما علميا في الاهتمام بالتراث الشعبي الجزائري، وهو إسهام لايعدّ في حقيقة الأمر سوى انطلاقة لخدمة هذا التراث الذي انفردت به تلمسان بجودته وعلوّ إلهامه، ومايزا لقي حاجة إلى مزيد من اهتمام الدّارسين والفنانين تحقيقا وبحثا، ليتجلى في الأذهان مظهرا من مظاهر العبقرية الجزائرية التي أبدعت هذا الفن شعرا ولحنا دون أن تهمل الثقافة العربية في أصولها ومنابعها.

2.1 أعلام الفن الحوزي:

– سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني: ت 1088هـ/ 1677م

أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي الأصل، التلمساني الدار/ من مواليد بَلدة منداس [3]بغليزان، انتقل إلى تلمسان ونشأ بها، وكام ذلك في النصف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة الموافق للقرن السابع عشر الميلادي، وتلقى تعليمه بمدارسها، واطلع على علوم عصره اللغوية والأدبية والفقهية، برع في الشعر وكتب قصائد كثيرة باللغة العربية الفُصحى، وباللهجة العامية حتى أُشتهر بها[4]، عُرف بعدائه للعثمانيين وثار ضدّهم وهجاهم بشعره، الشيء الذي جلب عليه نقمهم، ممّا اضطره إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى، والاستقرار به، واتّصل بحكام الدولة العلوية

---

[1]– نهال بن أحمد، **الخصائص الفنية للهجة تلمسان من خلال الأشعار الشعبية – لأحمد بن التريكي وأبي مدين بن سهلة – أنموذجا–** ، أطروحة دكتوراه العلوم في علم اللهجات، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان، 2018-2019،ص 48

[2]– عبدلي وهيبة، **الشعر الشعبي بمنطقة تلمسان**، رسالة لنيل شهادة الماجستر، جامعة أبي بكر بلقايد ، الجزائر، 2006- 2007، ص 105.

[3]– مدينة منداس، التي تقع اليوم جنوب شرقي غليزان، وهي مقر للدائرة التابعة للولاية.

[4]– ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي...، المرجع السابق، ص 397.

ومناصرتهم لهم ضدّ العدو المشترك من العثمانيين في الجزائر[1]، عاش نحت رعاية المولى إسماعيل، وقرّبه إليه، وكان شاعره المعتمد، فقد كان معلمه في صغره، في عهد حكم المولى الرشيد العلوي[2].

اشتهر المنداسي، وأصبح من أكبر شعراء المغرب الأقصى والجزائر، خاصّة في مجال تميزه، في مجال الشعر الملحون، ويُعتبر من مؤسسي مدرسة الفن الحوزي التلمساني، ومن أشهر قصائده (قصيدة العقيقة أو العقيقة)[3]، وقعت له خصومات في بلاط المولى إسماعيل العلوي، في آخر أيّامه، بعد ذلك غادر إلى تافيلات وتوفي بسجلماسة ودُفن بها، أمّا عن تاريخ وفاته فاختلفت المصادر في تحديدها، وأرجعت بعضها إلى آخر قصيدة كتبها ومنها كان حيّا سنة 1088هـ/1677م[4].

- **أحمد بن التريكي:**

هو أحمد بن التريكي تصغير تركي، التلمساني الدار والنشأة، كان يقطن بدرب المليانى، بحارة باب الجياد، كما يُصرّح من قصيدته: **" طَـال اعْـذَابـي وطَـال نَكْدي"**:

سَاكَنْ بَـابْ الجْيَادْ حُومَة دَرْبْ المـلْيَانِـي

أمّا أصله، فأخبرنا عنه في قوله من قصيدته " طال نَكْدِي"

أَنـايَا مَنْ اتْـسَال فَالأَصْـلَ اتْـلَمْسَانِي[5]

---

[1]- أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...، المصدر السابق، ص 55.

[2]- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا...، ج7، المصدرال سابق، ص21

[3]- محمد أبو راس الناصر المعسكري، الدُرة الأنيقة في شرح العقيقة، تح و تق: أحمدأمين دلاّئي، مركز البحوث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثّقافيّة، الجزائر، 2007.

[4]- نفسه، ص 35.

[5]- ديوان بن التريكي، جمع وتحقيق عبد الحق زريوح، نشر ابن خلدون، تلمسان، د.ت، د.ت، ص 39.

وجدير بالذكر أنّه كان من حملة القرآن العظيم، وقصائده مروية في القطر الجزائري وبفاس، وكان عاشقا رقيق القلب، ذا أدب ونسب[1] ولقبه "**ابن زنقلي**"[2]، لأنّ أباه كان موصوفا بالخشونة والشدّة والعنف[3] وثمة تخريج آخر لهذا اللقب مَفاده أنّ كلمة **"زنقيل"** معناها "غني"، وعلى هذا يكون ابن "الزنقلي هو ابن غني".

كان مولده حسب بعض المصادر والمراجع في أواسط القرن الحادي عشر، أمّا وفاته فكانت في أوائل القرن الثاني عشر هجري أي خلال الوجود العثماني في الجزائر عامة وفي تلمسان على وجه الخصوص، نحن لا نُرجّح هذا التاريخ للوفاة، ذلك أنّ آخر قصيدة نظمها ممّا توافر لدينا من شعره، كانت 1168هـ من قوله في قصيدة " قلبي بالحب"

فِي عَامَ الثَمَانِيَةِ رَسْمِي بَعْدَ السَّتِينْ والمْيَا بَعْدَ أَلْفِ عَامْ

ولابد من الإشارة أنّ سبب شاعريته في نظم الحوزي حسب المصادر أنّ أخا له كان وكيلا بضريح أحد الأولياء بتلمسان الذي يرجع تاريخه للفترة العثمانية، فذهب لزيارته فوجده قائما حول الضريح، ووجد هناك نِسوة خرجن لزيارة الولي بأفخر الثياب، فهام من حسنهن ولجمالهن، وجعل يُخاطب أخاه بالشعر وهو قائم يقول:

فِقْ يَا نَايَمْ وَاسْتَيْقِظْ مِنَ المَنَامْ وَاسْغَى لَحْدِيثِي يَا خَايْ وَافَهْمُوا [4].

فبدايته الشعرية، إذ كانت غزلية جَنَتْ عليه فيما بعد ممّا جعل العثمانين في تلمسان ينفونه من قطر الجزائر سنة ثلاث وثمانين ألف، قد هبّ إلى المغرب الأقصى وآوى إلى جبل يني زناتن، قبيلة من قبائل المغرب، قريبة من وجدة، فمكث هناك أياما نظم هناك قصائد كثيرة يصف فيها حال بعده عن أهله وتلمسان ...لا يخلوا سامعها من بكاء لما احتوت عليه من عجائب الأوصاف ومقامات الهموم[5] والحزن والمحن منها قصيدة ...يَقول في طالعها:

---

[1]- أبو علي الغوثي، **كشف القناع عن آلات السماع**، مطبوعة جوردان، 1904، ص 75.

[2]- محمد بخوشة، **كتاب الحب والمحبوب**، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1939،ص 34.

[3]- مجلة جمعية الجغرافيا والآثار لوهران، مطبعة ابن خلدون، تلمسان 1980، ص22.

[4]- أبو علي الغوثي، كشف القناع، ص 75.

[5]- المرجع نفسه، ص 80.

طَالْ نحْبي وَدْمُوعِي كُلْ يـومْ زَرَّابْ وَالفْرَاقْ كْوَاني كَيَّة بْلاَ سْبَبْ

مَنْ سُمُومَّو سَيَّبْ لِي في الدْلِيلْ مْشْهَابْ مَا وَجَدْتْ لَضرِي حُكْمَهْ ولاَطْبَبْ

شَابْ رَاسِي يَارَبْ مَنْ فْرَاقْ الأَحْبَابْ بِهُمْ اجْمَعْ شَمْلِي أيَا المُرْتَقَبْ.

– ابن أبي مدين بن سهلة :

فهو أبو مدين بن محمد بن سهلة[1]، شاعر تلمساني ، ولد في نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، أين عايش الوجود العثماني في تلمسان، وهي المرحلة التي اشتهر فيها شعراء غزليون تغنّى بشعرهم أهل الطرب، منهم محمد بن مسايب، وابن إسماعيل، وأحمد ابن التريكي، وسعيد عبد الله المنداسي، وابن غنابزة، وكلهم عاشوا في تلمسان وتوغلوا بها، فقد تغنوا بجمال الجنس اللطيف، ومدحوا تلمسان وصلاحها والنبي صب الله عليه وسلم[2].

وُلد بتلمسان، وقيل في درب من دروبها وهو درب " بني جملة " الذي يذكره في قصيدته " **يا ضو أعياني**" بقوله:

يَا كَحْلَ النَّجْلَة طِرْ فِي اللاَ مْرَان تَعْلاَ لأَهْلِ بْنِي جَمْلَة يَحَفْظَكْ مُوْلانا الرّحمن

مَـــنْ دَرْبْ الغَفْـلَا والحسُـودْ واجمِيعْ الرُّقْـبان[3]

منذ طفولته اشتغل أبو مدين نسَّاجا فجمع بين الشعر والنساجة، ينظم الشعر الشعبي، وينشده الرواة الذين ازدحموا عليه لسماع أشعاره وفي الوقت ذاته يَعمل بيديه ما يعينه على التبلغ بلقمة العيش، شأنه في ذلك كشأن باقي الشعراء الرسمين أو الشعبيون على السواء في العهود المتأخرة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ أبي مدين بن سهلة كان يمثّل الصورة الحية والخالدة لأيامه، والفنان الملهم الذي استوعب كل المنابع الثرية، وصاغ لنا منها أشعاره وقصائده، فحفظت الأجيال اسمه، وربما نسيت عصره، إلاّ أنّه كان يصوّر لنا جانبا

---

[1]– محمد مرابط، **الجواهر الحسان في نُظم أولياء تلمسان**، تق وتح: عبد الحميد حاجيات، ش. و. ن. ت، الجزائر، د.ط 1982، ص 389.

[2]– نهال بن أحمد، المرجع السّابق، ص 52.

[3]– شعيب مقنونيف، **ديوان أبي مدين بن سهلة**، ط1، دار الغرب للنّشر والتوزيع، 2002، ص 75.

عامرا من جوانب النفس الإنسانية ومن هنا بدأت تعشقه النفوس وتعلقت به القلوب. وبعد أن داع صيته وزادت شهرته وشهرة قصائده جلب إليه انتقاد الحكام، فأمر بنفيه إلى وهران، وقيل إلى مدينة وجدة بالمغرب الأقصى لمدّة سنة كاملة. فعاوده هو الأخير الحنين والشوق إلى مسقط رأسه وأحبّته، فجاءت قريحته بقصيدة " يَاضَوْ اعْيَانِي" التي تعد من أطول قصائده، ولما عفا عنه الباي عاد إلى تلمسان واستقر به المقام بناحية "فدّان السبع" وهي من أحواز المدينة مواصلا نظم شعر الغزل ومتفننا في وصف الحبيب، فكان بحق واحدا من شعراء المدرسة الحضرية التلمسانية[1].

- **محمد بن عبد الله بن مسايب: : (ت 1190هـ/1768):**

هو أبو عبد الله الحاج محمد بن أحمد ابن مسايب التلمساني، الذي ينحدر من أسرة أندلسية، بعد وفودهم إلى حاضرة تلمسان، أين استقرّ بهم المقام بحي باب زير في تلمسان. حيث لم نعثر عن دلائل كافية عن حياته، علّها تنيط النقاب وتكشف لنا مولده ونشأته. فما وجدناه لا يخلوا على أنّه من مشاهر شعراء الحوزي في زمانه عاش في القرن الثامن عشر حيث ولد بتلمسان وعاش فيها، وتعود أصوله إلى جور أندلسيّة، يمتاز شعره بالجزالة وقوّة اللفظ وحسن المعنى وصدق العاطفة، خاصّة فيما يتعلّق بشعره العاطفي، توفي ودفن بمسقط رأسه سنة 1768م.

كان للموقع الاستراتيجي لتلمسان باعتبارها مُلتقى الصحراء بالتل وواجهتها البحرية، لتكون دوما مرسى السفن الأندلسيّة، وممرّ التجار والملوك والأمراء، ومحط الرحال والترحال ومَقصد العلماء والرجال، فكانت منذ القديم غاية العلماء وقبلة الصالحين، يكاد العلم ينبع من أضرحة علمائها ومقامات أوليائها ومزارات صلحائها الذين تستضيء مدينة تلمسان ونواحيها بأنوارهم ومآثرهم وعبق عرفانهم وعبير حكمهم.

2. المرافق الحضاريّة والاجتماعيّة بمنطقة تلمسان

تُعتبر مدينة تلمسان ونواحيها من بين الحواضر والمدن الجزائرية التي تزخر بنسيج عُمراني فريد من نوعه، يعود إلى فترت تاريخية عديدة ومختلفة، ممّا أكسبها ذلك نموذجا حيّا للنسيج العمراني فيها.

[1]- نهال بن أحمد، المرجع نفسه، ص 53.

1.2 الأضرحـــة:

تُعتبر الأضرحة من المواضيع الهامّة في العمارة الإسلامية والعثمانية التي عرفت فيها انتشارا واسعا، وتلمسان شأنها شأن باقي الحواضر العثمانية في الجزائر، فهي إمّا أضرحة لعلماء أجلاء أو أضرحة لحكام، تميّزت بالثراء والتنوع المعماري والفني. ويطلق عليها عدّة تسميات المدفن[1]، القبر[2]، التربة[3]، الجدث[4]، البيت[5]، الكدية[6]...الخ

– تعريف الضريح:

لغة: مأخود لغويا من ضَرَحَ الشيء (بفتحتين) : قطعه وشقه، وضرح الرّجل دفعه ونحاه، وضرح القبر: حفره ، وضرح الثوب: ألقاه ، وضرح الشيء (بفتح الضاد وفتحها وسُكون الراء) جمع اضراح: التباعد والوحشه، والمضطرح (بضم الميم وسكون الضاد): المرمى في ناحية ، والضريح يُقصد به أيضا شق في وسط القبر، وقيل القبر كله، وقيل هو قبر بلا لحد، وسمى ضريحا لأنّه يشقّ في الأرض شقا، أو لأنّه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسطه.

---

[1]– المدفن هو مكان دفن الإنسان والدفن هو " الستر والمواراة دفنه يدفنه دفنا، صمّ يقال دفن سره أي كتمه والدفينة الشيء تدفنه، لمزيد من التفاصيل ينظر إلى: ابن منظور، لسان العرب...، ج17، المصدر السابق، ص 11-12.

[2]– القبر هو مدفن الإنسان والجمع قبور يقبره دفنه وأقبره وجعل له قبرا. ينظر لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيده المرسي أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ت 458هـ/1065م، **المُخصَّص**، ج6، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق بولاق، ط1، 1312هـ، ص 131.

[3]– التربة، تعني المقبرة وترب الميا أي صار ترابا، ينظر إلى أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير، ج1، (د.ت)، ص 35

[4]– الجدث، هو القبر والجمع أجداث، وفي الحديث نبؤوهم أجداثهم أي نزلهم قبورهم، وقد قالوا: جدف الفاء بدل الثاء لأنهم قد أجمعوا في أجداث ولم يقولوا أجداف، للمزيد ينظر إلى: ابن سيده، المخصص، المصدر السابق، ص 132.

[5]– هو القبر أراه أراه على التشبيه، المصدر نفسه، ص 118-119.

[6]– الكدية، ومنه أنّ فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم، خرجن لعزاء بعض جيرانها فلما انصرفت قال لها رسول الله صبى الله عليه وسلم،: " لعلك بلغت معهم الكدى " أراد المقابر وذلك لأن مقابرهم كانت مواضع صلبة وهي جمع كدية. ينظر إلى ابن منظور...،ج2، المصدر السابق، ص 80- 81.

اصطلاحا: الشق في وسط القبر والضرح : حفر القبر للميت ، وضرح الضريح للميت بضرحه ضرحا حفر له ضريحا، أمّا إذا كان الشّق في جانب القبر فيسمى لحد وقد سُمي بالضريح لأنّه يشق في الأرض شقا ، وقد يُسمى القبر كله ضريحًا ،كما يسمى القبر بلا لحد ضريحا.

– نماذج عن أضرحة منطقة تلمسان:

ضريح الشيخ قندوز بتيانت (ت 1208هـ/1800م):

يعتبر الشيخ قندوز من أبرز الشخصيات التي أثرت في تعزيز الفكر لمنطقة تيانت قديما، أما عن حياته فينسب أصل سيدي قندوز الى قرية أوالد زاي أو المعروفة بقرية القنادز، والتي تقع بين تيانت وجبالة على بعد 6 كلم، وكان فقيها وحفظ القرآن مند صغره وتعلم أصول الدين، وبعد وفاة والده قرر الرحيل الى قرية تيانت القديمة رفقة أخيه البشير الأصغر منه سنا.

عمل الشيخ قندوز على تعليم الناس في قرية تيانت لدى لقي ترحيب كبير من طرف سكان هذه القرية، وأعجب الباي محمد الكبير بأفكاره وأخالقه الرفيعة، فأمر ببناء مسجد في هذه القرية وتنصيب الشيخ قندوز إماما لهذا المسجد، توفي الولي الصالح موالي قندوز سنة (1208 هـ/ 1800م)، وبأمر من باي بايلك الغرب محمد الكبير الذي كان صديق الشيخ قندوز تم بناء ضريح سيدي قندوز تخليدا لذكراه وتكريما له على ما قدّمه من علم في قرية تيانت[1].

– الدراسة الوصفية والتحليلية:

الوصف الخارجي: يقع ضريح سيدي قندوز بقرية تيانت القديمة على بعد 1.1 كلم من مقر بلدية تيانت، يقابل الضريح من جهة الشمال قصبة تيانت (انظر الصورة 1 ،و الخريطة 1)، ومن الجنوب هضبة قليلة الارتفاع كثيفة الأشجار، ومن الشرق مقبرة قرية تيانت، ومن الغرب بساتين سكان القرية، يتموضع الضريح في هضبة يبلغ ارتفاعها 188م عن سطح البحر، يتمّ الوصول اليه بواسطة سلالم (18 درجة) وممر مستطيل (طوله 5م وعرضه 10.1م) به

[1] Renet basset, Nedrouma, et les Traras, Ernest le roux éditeur, paris, p p 42-44.

الأدراج توصلنا بالمدخل الرئيسي للضريح، أحيط الضريح بسياج من جوانبه الأربعة ويقع وسط بستان صغير (انظر الصورة 2)تعلوه 5 قباب بارزة[1].

الوصف الداخلي : يتم الدخول الى الضريح بواسطة باب معقود بعقد منكسر، سمكه 82.0م ويأخذ شكل مستطيل من الداخل طوله 86.1م وعرضه 18.1م يتوسط جدار المدخل الذي يبلغ طوله 10.8م وارتفاعه 40.3م، يضم أربع فتحات للتهوية و دعامتين مصمتتين ، على يمين المدخل يوجد الجدار الغربي لقاعة الضريح يحتوي على كوة و دعامتين مصمتتين في الجدار، يبلغ طوله 10.8م و ارتفاعه 40.3م، بمقابل المدخل نجد الجدار الجنوبي للضريح الذي يضم ثالثة كواة و دعامتين مصمتتين و أربع فتحات للتهوية اثنان على اليمين و اثنان على اليسار، نجد على يسار المدخل الجدار الشرقي للضريح يضم ستة فتحات للتهوية فتحتان على يمين الجدار وفتحتان في الوسط وفتحتان على يسار الجدار و دعامتين مصمتتين، يبلغ طوله 10.8م و ارتفاعه 40.3م.

موضع اللحد داخل الضريح	المظهر الخارجيّ العام للضّريح

[1] زيارة ميدانيّة إلى الضّريح، بتاريخ، 07-12-2022. على السّاعة 10:30 صباحًا.

الخريطة تمثّل–موقع الضريح وقرية تيانت القديمة بالنسبة لبلدية تيانت.

(Google earth)

–بتصرف–

ضريح لالة الرؤيا: تُشير أغلب الكتابات أنّ مسجد الرّؤيا هو من المساجد التي بناها العثمانيون في تلمسان، إذ يُسمّيه البعض بـ: " لالة رقية"، يقع ضريح لالة الرؤيا في مدينة تلمسان في شارع الموحدين، في الحي الذي كان يُعرف بـ" حارة الرماة، جمع رام وهو صانع الرمي والنبال أو السهام للقوس، حيث كانت توجد بهذه الحارة حرفة صناعة الرمي، إلاّ أنّ الحرفة قد انعدمت تماما، وهذا الضريح الذي يتوسط المسجد المعروف باسمها لايزال موجودا إلى يومنا

هذا[1]، حيث من الراجح أنّ هذا المسجد والضريح شيّد في أواخر القرن الثامن عشر، في هذا الصدد يذكر بن روستان قائلا: " بنيان هذا المسجد سانة (كذا) ستة في القرن الثالث عشر أ في سنة 1792م" .[2]

كما يُروى أنّ لالة رؤيا هي امرأة صالحة، حيث تذكر الرّوايات أنّ هذه المرأة كانت تعيش منذ حوالي ثلاثة أو أربعة قرون، ويُحكى أنّها كانت موهوبة بقوة فوق الطبيعة، إذ أنّها كانت تفسر الأحلام، وتتنبأ، وتشفى كل أنواع الأمراض التي لها علاقة بالصداع، وبقى الناس يزورون ضريح هذه المرأة الصالحة طامعين في بركاتها، بحيث أصبح مزارا من قبل الناس[3].

2.2 الحمامات :

عرفت تلمسان ونواحيها العديد من المظاهر والرّقي والتّقدّم في شتى مَناحي الحياة، حيث أثّرت بدورها على حركات البناء والتشييد والعُمران، وتنوّعت تلك المنشآت المعمارية من عسكرية تكفل الدّفاع والتّصدّي لهجمات الأعداء، إلى عمائر دينية كما سبق الحديث عنها في العناصر السابقة كالمساجد والزوايا والمدارس والكتاتيب القرآنية وغيرها، هذا بالإضافة إلى العمائر التي اختصّت بتقديم الرعاية الاجتماعية كالبيمارستان والحمّام.

---

[1] ليست هناك معلومات متوفرّة عن تاريخ بناء هذا الضريح والجامع الصغير، هناك فقط وصف معماري مخاصر أورده وليام وجورج مارسي بالإضافة إلى هذه النقيشة فيما يخص الأحباس المخصّصة له، للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى :

Georges Marcai, op.cit,p327.

– بن روستان، المصدر السابق، ص 129.

[2] نفسه، ص 87.

[3] ليلى مرابط، نظرة عن المعالم الأثرية...، المرجع السابق، ص 99.

وعلى ضوء ما تقدّم يمكن الإشارة إلى بعض الأضرحة التي انتشرت في تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني، نذكر على سبيل المثال لا الحصر ضريح سيدي ورياش ثمّ سيدي الطاهر التلمساني، وسيدي بوسعيد شريف الحسنانيين والذي يُكنى عند صاحب البستان بهذا الإسم، إلاّ أنّ تسميّته الأصلية هي بوزيتونة، وكذلك ضريح أبي عبد الله محمد ابن الحسن علي بن توزينت، وهو أحد أولياء المشهورين في تلمسان، حيث كان قبرة ولازال مقصود للزيارة على طريق العباد يقول في هذا السياق بن روستنان"...**هذا قبر الأستاذ والمقرئ المجود ....أبي عبد محمد ابن أبي الحسن علي بن توزينت قدّس الله مضجعه، توفي رحمه الله في وسط جمادي الأولى سنة تسع وتسعين وألف (18مارس 1688م)"**. للزيد من التفاصيل ينظر إلى ين روستان، المصدر السايق، ص 119.

في مُقابل ذلك يُمثّل هذا الأخير واحدًا من المنجزات العمارة الإسلامية المدنيّة التي أخذت جانبا وافرا من اهتمامات الباحثين، حيث لم يقتصر هذا الاهتمام على المساجد والأمور الدينيّة فقط، بل تعدّى إلى بناء الحمامات لخدمة العامّة فمثّلت نَمطًا معماريًا مميّزًا.

– تعريفه:

لغة: الحمّام بتشديد الميم العين الحارة يُستشفى بها الأعلاء والمرضى، وحممت الماء بفاحتين أي سخنته، والحميم هو الماء الحار[1]، ومن قوله تعالى وسقوا ماء حميما"[2]. والحمام مشددا واحد الحمّامات وما يُغتسل فيه، واستحمّ الرجل أي اغتسل بتالماء الحميم، ثمّ اتّسعت دائرة اللفظ حتى استعمل للإستحمام[3].

اصطلاحا: الحمّام هو المبنى الذي يستحمّ فيه، باعتباره منشأة معمارية تَقوم بدور كبير إلى جانب ما قدّمه من خدمات اجتماعية من حفاظ على مستوى النظافة عند العامة، حيث أكّد الإسلام في مواضع عديدة من القرآن الكريم وحثّ عليها الرسول صل الله عليه وسلم فضلا عن كونها مُنتدى الأخلاء والأصدقاء[4].

– نماذج عن حمامات منطقة تلمسان:

حمام الصباغين[5]:يَقع حمّام الصباعين بالحيّ الشمالي من مدينة تلمسان، حيث شارع خلدون وشارع معسكر في زقاق ضيق، حيث يذكر الدكتور رشيد بورويبية[6] أنّه ورغم إصلاحه (الحمام) وإعادة بنائه وترميمه من لدن أصحابه

---

[1]– أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، المصدر السّابق، ص 601.

[2]– سورة محمّد الآية 15.

[3]– عاصم محمد رزق، **مُعجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلاميّة**، ط1، مكتبة مديولي للنشر، 2000، ص84.

[4]– عادل زيادة، **من فنون العمارة الإسلاميّة حمّامات السوق ودورها الحضاريّ (دراسة أثريّة لحمّامات العصران المملوكي والعثماني)**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009، ص75.

[5]– يَرجع أنّ التسمية جاءت من موقعه وسط دكاكين أو حي خاص بالصباغة والصباغين كما تذكره أغلب الروايات

[6]– بورويبية رشيد، **تلمسان**، سلسلة فن وثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، 1971، ص 36.

فإنّ مظهره وشكله لم يتغير بعد، فَصُورة أعمدته القصيرة والقديمة وتيجانها وانحراف أقواسه وانكساره العقود، مع سعة قبّته كل هذه الأشكال تشهد على قدم هذه البناية.

في الوقت الذي كان سيدي أحمد الحسن[1] يذهب فيه للاستحمام والراحة، كان الحمام قد بُني من عدّة قرون خلت كما أنّ التلمسانيين يروون حكايات وأساطير كثيرة تتعلق بالوالي الصالح وبالحمام، ومن جملة ذلك مل يُروى عن امرأة عثرت على عقد في الحمام من القطع الذهبية، فأخذت العقد إلى منزلها وخبأته في صندوق خاص عندئذ أخذ الحمام يَبرد شيئا فشيئا ولم يُحم رغم محاولات صاحبه الذي جعل يحشو الموقد بحطب كثير.

وذات يوم وقد وهن العزم به استسلم للنوم فرأى ثعبانا أفاده أسباب المصيبة، فأفاق من سباته وتوجّه رأسا إلى المرأة كما أرشده الثعبان وطلب منها أن ترد ما أخذت ، وعندما أقبلت علة فتح الصندوق لم تجد العقد مكانه بل رأيا ثعبانا، فأخذه الرجل وذهب به إلى الحمام وألقاه داخله كسابق الأمر، ولم يكن هذا الثعبان الذي تحوّل إلى عقد غير الرجل الصالح سيدي بلحسن نفسه، وهكذا صار الحمام من جديد يَعجّ بالنّاس وغدقت منافعه بفضل حماية الوالي الصالح[2].

وهناك الكثير من حمامات المدينة تحت رعاية الرجال الصالحين نذكر من بينهم حمام المدارس الذي يَرعاه سيدي اليدون والذي دُفن في نفس الحي[3].

وعلى الرغم من أنّ حمام الصباغين عرف تجديدات كثيرة إلاّ أنهّ مازال مُحافظا بسمات ضخامته المألوفة، المتمثلة في عراقة الأعمدة وتيجانها وانحناء أقواسها وهندسة أنصاف الأقبية المغطية للزوايا ورحابة القبة [4] هذه القاعة ذات القبة المركزية المحمولة على أعمدة والمحيطة بأروقة تلتقي بتنوعات في الأشكال بعدد كبير من الحمامات لحمام الصباغين في كل من المغرب والمشرق. حيث انتقل استعمال حمام البخار وعمارته بدوره من العالم الإسلامي إلى المناطق المجاورة له

---

[1]- دهنينة عطا الله، **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي**، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 364.

[2]- بورويبية رشيد، تلمسان، المرجع السابق، ص 36

[3]- المرجع نفسه، ص 36

[4]- Marcais p 41

في العالم المسيحي، فقد علم أنّ هناك حمامات كثيرة الشبيه به وذلك كل من برشلونة بمنطقة كاتالونيا وحتى بفرنسا[1]. وهذه المعطيات تكشف عن التأثير الذي مارسته الحضارة الإسلامية على الحياة المدنية في العصور الوسطى والحديثة على أوروبا الجنوبية. أمّا جورج مارسي فيذكر لنا وصفا معماريا لحمام الصباغين قائلا: أنّ أكمل الحمامات جميعا هو حمام الصباغين في تلمسان، رغم ما طرأ عليه من تغييرات فيمكن الاطلاع على الأوضاع التي اقتبسها الحمام الإسلامي من الحمامات الرومانية.

حمام سيدي بومدين: بُني حمام سيدي بومدين بالقرب من المسجد، لأنّ وجود هذا الأخير يتطلّب وجود الحمام، بل يُعتبر الحمام مُلحقة ضرورية للمسجد كمكان للنّظافة والطّهارة، وهكذا كانت المراكز تحتوي على حمامات. إذ ارتبط اسم هذا الحمام المسماه بهذا الاسم نسبة إلى شعيب بن الحسن المدعو أبي مدين شعيب بن الحسن المدعو أبي مدين التلمساني[2] وهو من مشاهير الصوفية الأندلسيين الذين تجمهر حوله الأتباع والأنصار.يقع حمام سيدي بومدين في لحي الشمالي من المدينة على حتفة طريق ضيّق، مازال الحمام يحتفظ بمعالمه التّاريخيّة رغم التشويهات والإضافات التي لم تؤثّر كثيرا على نمطه وشكله المعماري، ولهذا مازال سكان المدينة يقصدونه. يحتوي الحمام على ست قاعات باستثناء رواق المدخل، قاعة خلع الثياب، القاعة الباردة، القاعة الحارة، القاعة الدافئة، بيت العرائس

الحمام البالي: يُشكّل هذا الحمام من بين أرقى المَرافق و المنشآت المدنيّة في حاضرة تلمسان عُمومًا، وفي مدينة ندرومة خُصوصًا، وذلك راجعٌ لأهميّته الوظيفيّة والاستراتيجية التي يتميز بها هذا الحمام داخل الفضاء الحضري للمدينة، ممّا أكسبه ذلك أهميّة في النّسيج العُمراني للمدينة، فهو يقع على مَقربة من المسجد الكبير[3]، حيث يفرق بينهما درب يزيد، كما يُمكن الولوج إليه عبر منفدين الأوّل عبر درب ضيّق تُسمى بـ: " درب الحمام البالي" أمّا المنفد الثاني فهو عبر ساحة المغرب الكبير، إلى جانب رواق عن طريق المدرسة بساحة العطارين[4].

---

[1]- سليمة عربية موساوي، الحمامات الجزائريّة في العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العثماني- دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر، 1990- 1991، ص 70.

[2]- ولد شعيب بن الحسن الأندلسي المكنى بأبي مدين في حدود سنة 520هـ

[3] زيّارة ميدانية إلى الحمام بتاريخ 10- 03-2022، على الساعة 14:30.

[4] عز الدين ميدون، **ندرومة مدينة الفنّ والتّاريخ**، سلسلة إصدارات الجمعيّة الموجديّة، ندرمة، الجزائر، 2014، ص 33.

يَعود تأسيس هذا الحمام إلى العهد المرابطي، وذلك حسب ابن زرع[1] مابين 1095م وَ 1147م[2]، أمّا عن تسميّته، فقد أطلقها السّكان حتى يتمكّنوا من التمييز بينه وبين الحمامات التي بُنيت بعده في المدينة[3].

في شكله العام فإنّ الحمام يتألّف من : مدخل رئيسي يفضي إلى قاعة أولى تُسمّى السّقيفة أو قاعة الاستقبال والرّاحة، وهذه الأخيرة تفضي إلى قاعة مُربّعة الشّكل تُسمى القاعة الباردة، وهي بِدورها تؤدّي إلى قاعة مُستطيلة الشّكل تُسمى السخونة، وهي مُخصّصة للغسل[4]، لتنتهي في قسمها الجنوبي بقاعة صغيرة مُربّعة الشّكل في الزّاوية تُسمى جابيّة الماء البارد، أمّا السّاخنة منه فتقع في الزّاويّة اليُسرى[5]. وعلى ضوء ماتقدّم فقدحدث للحمام كغيره من المنشآت والمرافق العمرانية إلى الترميم، سيما العهد العُثماني، وهذا يظهر من خلال المادة التي استعملت في تغطيّة جُدرانه من الخارج والدّاخل. ومن جهة أخرى لايزال الحمام يَعمل بالطّريقة التقليديّة لتسخين الماء، إذ يقع فُرن الحمام أسفل الغرفة، يتمّ النزول إليه بدرج يتكوّن منم 13 درجة[6].

3.2 الفنادق:

الظاهر أنّ مدينة تلمسان ونواحيها توّفرت على عدد من الفنادق، لأهميّة المدينة التّجارية والاقتصاديّة وموقعها الاستراتيجي، إذ عرفت هذه الفنادق بأسماء الأماكن الموجودة بها والسلع التي تحتفظ بها، أو الجماعات التي اعتادت

---

[1] ابن أبي زرع الحسن علي بن عبد الله، **الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة تلمسان**، تح، كارل نوزنبرع، دار الطّباعة والنشر، المدرسية، مدسنة أ؟بو سالة، (د.ت)، ص 266.

محمد رابح فيسة، **المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة – دراسة تاريخيّة أثريّة** – رسالة ماجستر، جامعة الجزائر، 2004- 2005، ص 101.

[2] محمد بن زغادي، تأثير التنمية الحضرية على المعالم الأثريّة: مدينة ندرومة نموذجا، 2015، ص 66.

[3] عز الدين ميدون، ندرومة...، المرجع السّابق، ص 37.

[4] فطوم موقاري، ليليا شنتوح، **الموروث العُمراني المُرابطي بالجزائر**، **مجلّة التعمير والبناء**، مج02، ع 10، الجوائر، جوان 2019، صر21.

[5] مصطفى مروان، **دراسة للمعالم الأثريّة في مدينة ندرومة العثيقة**، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2004- 2005، ص ص 86- 87.

[6] زيارة ميدانيّة للحمام، بتاريخ 10- 03-2022، على الساعة 14:30.

النزول فيها، واشمل في مجملها على بيوت وغرف للإيجار كان يقصدها التّجار الأتراك وغيرهم لإنزال بضائعهم وحفظها، ممّا ساهمت في الحياة الاقتصادية للمدينة ونواحيها، إذ يُخبرنا في هذا الصدد "الحسن الوزان" في مؤلفه :" ... **وفيها فنادق على النمط الإفريقي، منهما اثنان لمقام جنوة والبندقية**"[1] ، وتذكر الواليش في ذات السيّاق بقولها"...لإضافة إلى فنادق المركز التي كانت ذات أهميّة نتيجة موقعها، نجد فنادق بالأحياء ونُشير هنا إلى فنادق كانت تقع بحي الحضر بمدينة تلمسان حيث كان الحي يضمّ فندقين واحد للتجار المغاربة وتجار المدن الأخرى وآخر لحيوانات الركوب"[2] وتضيف قائلة "كما نجد بالقرب من هذه الفنادق عددا من المحلاّت التّجارية، ونُشير هنا إلى باب وهران بمدينة تلمسان، حيث كان هذا الباب يستقبل القوافل القادمة من وهران ومن الجنوب"[3].

ولم تنفرد مدينة تلمسان وحدها على هذه المؤسسة الحضارية، بل توزّعت عبر نواحي مختلفة من تلمسان، مثل هو الحال بالنسبة لمدينة ندرومة، حيث كانت فنادق هذه المدينة العريقة تُلبي هي أيضا الرغبات الاقتصادية سواء المحلية أو الجهوية[4]. وفيما يلي عرض نماذج لأهم الفنادق في تلمسان ونواحيها:

– فندق العالية:

يقع فندق العالية بالقرب من مسجد ابن البناء حيث أرجح أن يكون هذا الفندق هو نفسه الذي ذكر من طرف ابن مريم عند ترجمته لسيدي محمد ابن الغليظ المديوني باسم فندق المجاري حيث يقول: "**كان يؤم في مسجد سيدي ابن البناء في رحبة الزرع عند فندق المجاري**"[5].

فبالإضافة إلى فندق العالية، هناك أيضا فندق" واندوري "، إذ أشارت إليه ليلى مرابط بقولها: "...**كما ورد أيضا في وقفية مسجد المشور " فندق واندوري"** في السطر الثاني عشر في العبارات التالية:" ...**من التربيعة** /

---

[1] الحسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص 20.

[2] الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 153.

[3] نفسه، ص 153.

[4] نفسه، ص 153.

[5] ابن مريم، المصدر السابق، ص 275.

المتحملة على فندق واندوري"، غير أنّنا لم نستطع تحديد موقع الفندق لعدم إعطاء ولا إشارة حول المكان الذي كان يوجد به، بينما يذكر بروسلار حول هذا الفندق أنّه لم له موجود، وأنّه لم يترك ولا ذكرى في أذهان سكان تلمسان[1]. وفي إشارة لتفاصيل هذا الفندق للأب "بارجيس" يقول فيه: **"تقع ساحة المشور بعد متاهة من الشوارع الضيقة، يقابله المنزل الذي سأقيم فيه هو مبنى هجين، أي نصفه مغربي ونصف أوروبي. فناء مرصوف بألواح رخامية ومحاط برواق كان مظللًا بتعريشة تتدلى منها عنب قرمزي جاهز للقطف، وخلف المنزل حديقة مزروعة بأشجار الفاكهة ومزيّنة بنافورة. في التبعيات الأخرى للمبنى رأى المرء بئرًا ونافورة وحوضًا،**

في بلد حرقته حرارة الشمس مثل إفريقيا، بدت لنا هذه المزايا باهظة الثمن؛لكن في وقت وصولنا،كنا بحاجة إلى شيء آخر غير النضارة والمياه الوفيرة: فوق كل شيء كنا بحاجة إلى بعض الأثاث،ولم نجد حتى سريرًا. عندما حل الليل، اضطررت إلى البحث عن نزل في منطقة المشوار يسكنها السكان الأوروبيون"[2].

وفي مواضع أخرى يستطرد الأب "بارجيس" في وصفه لفنادق أخرى امتلكتها تلمسان ونواحيها قائلا: "**امتلكت تلمسان فندقين أو النزل للجنوة الذين يأتون للنزول كل عام في مرسى الكبير أو في هنين، ويذهبون من هناك، إلى تلمسان للتّجارة هناك مع تجار تلك المدينة. هذا الفندق، بهِ وهو عبارة عن مبنى مربع كبير، به فناء داخلي غرف تستقبل الضوء من الفناء، بها السجّاد الرقيق جدًا ، مصنوع من، جلد الغنم الممتد على الأرض بمثابة أسرة للمسافرين العرب ، الذي اعتاد السفر في سرج خشبي والنوم على الوعر ، يجد مثل هذه الأريكة مبهجة ؛ لكن بالنسبة لنا نحن الأوروبيين ، الذين اعتدنا على العيش في النعيم ، يبدو وكأنّه غير مريح وغير محتمل، ولكن في ذلك الوقت كان ذلك وبفضل الحاجة الملحة التي شعرت بها للراحة[3].**

سابعا: صورة تلمسان و نواحيها من خلال الرحالة المغاربة

---

[1] ليلى مرابط، **نظرة عن المعالم الأثرية بمدينة تلمسان الواردة في الكتابات الوقفية، مجلّة الدّراسات الأثرية**، المجلد16، العدد 1، الجزائر، 2018، ص 110- 111.

[2] L'abbé J.J.L. barges, , pp 87

[3] IBID : , pp 87,88.

احتلت منطقة تلمسان أهميّة مميزة باعتبارها كانت منطقة عُبور واستراحة للرّحالة المغاربة بِشكل خاص، فإنّها كانت حَاضرة في عَديد المدوّنات والكتابات على غِرار كتاب إفريقيا "لمارمول كربخال"[1]، ودراسة التي تركها المؤرخ مولاي بلحميسي في كتابه:" الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني"، وأطروحة الأستاذ فاتح بلعميري حول " الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحلة". حتى وإن لم يتناول تلمسان بشكل مباشر فإنّ دراسته أشارت إلى واقع تلمسان خلال هذه الفترة.

حَظيت تلمسان بنصيب وافر في مصنفات الرّحالة كما أسلفنا الذّكر ممّا يشكل مادة تاريخية ثمينة، تُمّكن الباحثين من تسليط الأضواء على أوضاع هذه المدينة العريقة وتقلبات أحوالها عبر العصور التي زارها فيها هؤلاء الرحالة.

ومن أبرز الرّحالة الذين وفدوا إلى تلمسان وحلوا بها، سواء مرورا عليها في رحلاتهم الحجازية أو جاؤوا إليها رغبة في طلب العلم ولقاء شيوخها نذكر الرحالة:

1. رحلة الحسن الوزان[2]:

فقبل أن يلج في الكلام عن تلمسان ووصفها وتعريفها كمدينة أولا، حيث بدأ في ذكر الإطار الطبيعي والتاريخي للمدينة قائلا: "**يَحدّ مملكة تلمسان واد ونهر ملوية غربا، الواد الكبير (الصمام) وصحراء نوميديا جنوبا، في**

---

[1] مؤرّخ وعسكري إسباني، وَلد في جوان عام 1520م، بمدينة غرناطة، من عائلة متوسطة، تزامن وجوده في شمال إفريقيا مع التغلغل الإسباني، إذ شارك في حملة شارلكان على تونس عام 1535م، ومن هنا بدأت وظيفته الرحلية، والتي امتدّت لمدّة إثنين وعشرون سنة، أين كتب بين دفتي عام (1573م- 1599م) وصفا عامّا لأفريقيا بعنوان " إفريقيا". للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى:

- Jean Louis (V), Dictionnaire Des Personnages Historiques, Edition De Fallois Fischer Taschebruch Verlag G M B H p p.841- 848.

[2] هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي، ينتسب إلى قبيلة زيّات الزنّاتية، التي تقع أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربيّة، ولد في غرناطة، وإن اختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته فمنهم من يجعلها في سنة 1495م، والبعض الآخر يجعلها في سنة 1500م، سافرت أسرته من غرناطة إلى فاس، وتَلقى العلم هُناك بمدارس المدينة وجوامعها، وخاصّة جامع القرويين، يُعرف عليه أنّ كثير الترحال في المغرب الأقصى وخارجهمنذ حداثة سنّه، ساعد الحسن الوزّان اتقانه لعديد اللغات الإطالية واللاتينيّة والاسبانيّة على ترجمة رحلاته في إفريقيا، بعنوان " وصف إفريقيا" توفي عام 1538م. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى : أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، موسوكو، القاهرة ، ص 450.

الشمال الغربي لمدينة تلمسان توجد مرتفع ترارة (جبال فلاوسن)[1] ،وكانت هذه المملكة تحمل في القديم اسم قيصرية، عندما كانت خاضعة لسيطرة الرومان" .

حيث يُشير أنَ قُربها من صحراء نوميديا هو السبب الذي جعل المملكة تتضرر من تعسّفات الأعراب ثم تحدث عن طبوغرافية ومناخ هذه المدينة قائلا: "يكون معظم مملكة تلمسان أقاليم جافة قاحلة لا سيما في جزئها الجنوبي لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصبتها والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازات حقا إنه توجد غربا عدة جبال قرب الشاطئ[2].

ثم ذهب بعد ذلك وذكر عدّة مدن منها ندرومة[3]، التي قال فيها: **" أسّس هذه المدينة الرومان قديما عندما كانوا يحكمون المنطقة وبنوها على بقعة واسعة في سهل بعيدة بنحو ميلين من الجبل واثني عشر ميلا من البحر المتوسط، ويمر قربها نهر قليل الأهمية"** ، وقال أيضا:" **إنها عاصمة صغيرة شبه مستقلة في المجال الحرفي تابعة تجاريا لتلمسان"**[4].

ذكر أيضا مدينة تبحريت قال فيها:" **مدينة صغيرة بناها الأفارق علي ساحل البحر المتوسط في رأس صخرة بعيدة بنحو اثني عشر ميلا عن ندرومة، ويقربها جبال عالية وعرة لكنها كثيرة السكان، وأهلها نساجون وحرفيون ومنتجون"**[5].

---

[1] الواليش فتيحة، المرجع السّابق، ص 40.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 07.

[3]- الواليش فتيحة، الحياة الحضرية المرجع السّابق، ص 51.

[4] - محمد المهدي الحجيوي، حياة الوزان الفاسي وآثاره، المطبعة الإقتصاديّة، المغرب، 1935، ص20.

[5]- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 14.

ورد كذلك في كتابه مدينة هنين وفيها قال: " **هنين مدينة قديمة بناها الأفارقة، وهي أنيقة صينة للغاية، لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منهما من جهة..،وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان...**"[1]

وذكر أيضا أرشكول قائلا:" **أرشكول مدينة قديمة بناها الأفارقة على صخرة يحيط بها البحر من كل جانب كانت مدينة في غاية العمران والحضارة**". [2]

ليصل إلى تلمسان بعنوان كبير "**تلمسان المدينة الكبرى** " **قائلا فيها مدينة كبيرة، وهي عاصمة المملكة لم يذكر تاريخ مؤسسها، وخصوصا بعد طرد جنود المنصور بني عامر من المنطقة، كما ذكر كذلك تضرر تلمسان من جراء الحصار المضروب عليها من طرف أبي يعقوب يوسف،** [3]ثاني ملوك بني مرين الذي بني مدينة أخرى شرق مدينة تلمسان تسمى المنصورة، إلى أن قال: "...**وجميع الصنائع والتجارات بتلمسان موزعة علي مختلف الساحات والأزقة، وتوجد بتلمسان مساجد عتيقة جميلة ، بها أئمة وخطباء وخمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، وبها كذلك عدة حمامات متفاوتة ...وفيها فنادق على النمط الافريقي**"

وفي المدينة عدّة سقايات لكن العيون توجد خارج المدينة، وفي خارجها ممتلكات هائلة فيها دور جميلة للغاية ينعم بها سكانها في الصيف.

وعن منعة المدينة وحصانتها فيبدوا أنها كانت على قدر من ذلك حيث يقول: "**والأسوار في غاية الارتفاع والقوة فتحت فيها خمسة أبواب واسعة جدا مصاريعها مصفحة بالحديد وقد أقيمت في جوفها حجيرات يقيم فيها موظفون وحرَاس ومكاسون والقصر الملكي الواقع جنوب المدينة محاط بأسوار مرتفعة إلى حد كبير على شكل قلعة**"[4]، دلّت هذه الأبواب والأسوار على اهتمام أهلها بحمايتها من أي خطر ينتابها والملاحظ أنّ الوزان لم

---

[1]- الحسن الوزان، المصدر السّابق، ج2، ص 15.

[2]- نفسه، ص16.

[3]- نفسه، ص 19.

[4]- نفسه، ص 20.

يذكر لنا أسماء هذه الأبواب ولا حتى عن مواقيت فتحها وإغلاقها. ويوجد بها قُضاة وعدد كبير من العدول يتدخلون في الدعاوي وكثير من الأساتذة والطلبة في مختلف المواد سواء في الشريعة أو العلوم الطبيعية وتتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة[1].

ومن خلال هذا يبدوا أنّ مُعظم حواضر المملكة من حيث العمران هي من تشييد الأفارقة أمّا عن المنشآت الأخرى فيورد لنا أبو علي بن محمد الوزان بوصف عن تلمسان أظهر من خلالها تمايزاً وانفراداً على أقرانه في الزمان والمكان حينما كان ماراً عليها متوجهاً للأستانة بأمر سلطاني، وفي إطار مهمّة دبلوماسيّة على ما يظهر ليرز في هذا الصدد وهو يسوق خبرها مخصصا المؤسسات العلمية وعمارتها وحماماتها حيّزاً معتبرا من حديثه عمّا نُسجت عليه في هذا الضرب التاريخي بقوله: "**توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة بها أئمة وخطباء وخمس مدارس حسنة جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس وبها عدة حمامات متفاوتة... وفيها فنادق على النمط الإفريقي**"[2].

ويُضيف عن الحياة العلمية والفكرية في تلمسان، ماذكره عن إرادات المؤسسات الثقافية ومصادرها، ماكان في انطباعاته المفصلة عنها، وتراجعها في أيّام تواجده فيها، والذي أدرجه في خبرها، قيما لا يخالفه فيه أحد، عندما قال في ذلك: "**...كان لهذه المملكة مردودا يبلغ ثلاثمائة ألف وحتى أربعمائة ألف دينار طوال العديد من السنين عندما كانت وهران تابعة لهم، لكن نحو نصف هذا المبلغ كان يُتفق على الأعراب وحراس المملكة، والباقي لأجور الجند والقادة وكبار موظفي الحاشية...**"[3] إضافة إلى مصالحها ووظائفها سواء المهمّة منها أو الأقل أهمية.

---

[1]- محمد بن عدي، معمر لعايب، تلمسان من خلال كتابات الرّحالة المغاربة – الحسن الوزان و أبو القاسم الزياني أنموذجا-، مجلة رفوف، المجلد 11، العدد 01، جامعة أدرار، الجزائر، جانفي 2023، ص 453.

[2] – محمد بن عدي، معمر لعايب، تلمسان من خلال الرّحالة الغارية...، المرجع السّابق، 453

[3]- الحسن الوزان، ج2، المصدر السّابق، ص 23.

كما وذهب بعدها يَصف فيما يتعلق بمراتب رجال القلم وتموقعهم المميز داخل البلاط السلطاني، عندما اقتنصوا الدرجة الثانيّة في السلم الإداري بعد الملك نفسه، فقال: "...**والشخصية الثانية هو كبير الكتّاب الذي يحرر الرسائل والأجوبة باسم الملك...**"[1].

فالوزان لم يكن غافلاً عن ثقافة المجتمع التلمساني في لباسه، لما أضاء بالكتابة ما سار عليه طلبة العلم في معتقداتهم وميولاتهم الاجتماعية والثقافية معطيا بذلك صورة حقيقية عن هذا الجانب تَلخَّصَ في خاصية رحلته ضمن الرحلات الإثنوغرافية، المرتكزة على المشاهد المباشرة في قوله: "... **ويلبس الطلبة ثياباً مناسبة لوضعيتهم، فالجبلي يلبس لباس أهل الجبل، والأعرابي لباس الأعراب، أمّا الأساتذة والقضاة والأئمة وغيرهم من الموظفين فلباسهم أحسن**"[2].

ليضيف بشكل وجيز في حديثه عن الولي الصالح أبي مدين شعيب الغوث (ت594هـ/1193م)، دفين العباد عن هيبته ومهابته، عن وقاره ورفعته، وماحظي به هذا الرجل الصالح من قبل سكان المدينة ونواحيها بقوله عنه: "... **وبها دفين ولي كبير، ذو صيت شهير، يوجد ضريحه ف مسجد يصل الزائر إليه بعد نزول سلم من عدة درجات، وبعظم أهل تلمسان والبلاد المجاورة لها هذا الولي كثيرا، ويستغيثون به ويتصدقون عنه كثيرا لوجه الله، ويسمى سيدي بومدين وهناك أيضا مدرسة جميلة جدّا...**"[3].

إنّ الحسن الوزان وفي عدّة صفحات من رحلته قدم لنا لوحة فيها وصف دقيق وصحيح بعيد عن التكلف وما يمكن ملاحظته في الوصف غياب التواريخ فهو لم يقدم أي تاريخ لأي حادثة رغم أنه كان كثير الاهتمام بتاريخ هذه المنطقة الذي استعرضه في بداية حديثة عن هذه المملكة.

---

[1] – محمد بن عدي، معمر لعايب، تلمسان من خلال كتابات...، المرجع السابق، ص 454.

[2] – الحسن الوزان ، ح2، المصدر السّابق، ص 21.

[3] –نفسه، ص24.

2. رحلة أبو القاسم الزيّاني:

أنهي أبو القاسم الزياني[1] كتابه "**الترجمانة الكبرى**" في 20 جوان 1818 وعَنْوَنَهَا بعنوان طويل جدّا وهو" **الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار العالم برا وبحرا وما تخللها من الأمصار والمدن والقرى والقفاز والبحر والجبال والأنهار والعيون والمعادن والآبار وغير ذلك من عجائب خواص الحيوانات وما يزيد ذلك من تفسير والآثار ونوازل الفقه ولغة العرب وشواهد الأشعار**".

وهي تجمع رحلاته الثلاثة خارج المغرب الأقصى، رحلته إلى البقاع المقدسة 1755-1757م ، والرحلة الثانية إلى أسطمبول 1785، والثالثة إلى الحجاز 1791، كما أسلفنا الذكر (الشيخ، 2000، صفحة 235) ، وهذه الأخيرة التي هي محور اهتمامنا بما تحمله من أخبار عن مدينة تلمسان يقول في هذا " **ولما دخلت مدينة تلمسان ، التي لا يعرفني بها إنسان، خال الكيس من النقير والقطمير**" لأن الزياني أقام فيها ما يقارب السنة ونصف السنة، مشتغلا بالمطالعة والتقييد والتأليف واطلع هناك على غرائب كتب التاريخ التي تعد اليوم في حكم المفقود، قائلا في هذا الصدد: " **وأقمت بها سنة ونصفها شربت زلالها واستنشقت عرفها** "[2]. في هذه الأثناء وصف أبو القاسم الزياني شيخا تلمسانيّا لمحه، عندما قدم تلمسان ودخل جامعها الكبير، وحضر مجلس هذا الشيخ الذي أبدى على حسب الزياني يتغنى بمظاهره وغير مراع لحالته العلميّة بقوله"..**وكان يمر بي رجل بهي المنظر، نظيف الثياب صقيل المغفر، يلحضني شرزا، ويميل عني كبرا، يطرق البادي ولا يسلم، ويبخل عن التّكلم ويرى أنّه من الطبقة العليا ...أحسبته من جهابذة**

---

[1]-هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد بن علي بن إبراهيم الزيّاني، ينتسب إلى قبيلة زيّان الصنهاجية القاطنة بنواحي فاس، ولد بهذه الأخيرة عام (1167هـ/1734م)، أين تلقّى تعليمه بها حيث درس الفقه الحديث، التفسير، المنطق، فهو وزير ومؤرخ الدّولة العلويّة وسفيرها وكاتبها ، آمازغي الأصل، كان مُحبّا للترحال فانتقل إلى الحجاز ثمّ إيطاليا، ثمّ رجع إلى المغرب، ليُعيّن بالقصر، ثم اشتغل بالإمامة في عهد المولى إسماعيل، توفي في (17نوفمبر 1833م)، ودُفن في داخل الزاويّة السلطانيّة، من مؤلفاته: التُرجمان المعرب في دول المشرق والمغرب، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف، بُغية الناظر والسامع والهيكل الجامع لما في التّواريخ الجوامع....الخ. للمزيد من التفاصيل يُنظر إلى : أبو القاسم الزياني، **جَمهرة التيجان وفهرسة الياقوت والؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تق وَ تحق: عبد المجيد خيّالي منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003، ص 12.

[2] -أبو القاسم الزياني، التُرجمانة الكبرى...، المرجع السّابق، ص ص 142-148.

الأعلام ...فقصد الكرسي يميس ويتبختر، وصعد على أدراجه ينتشر، فدنوت منه شغفا بعادتي...فلم أجد في سفرته ثمرا منه التقط، ولا في روضته زهرا بقطافه أغتبط"[1].

ولمّا كان الزّياني منصرفًا لتتبع هذه الشخصية، فقد اعتنى بالبحث عنه وحاول الوقوف على مَنصبه وعُلو شأنه، فأضاف في ناحية أخرى من قوله عنه"...**ولما سألت عن حاله ومنصبه، المغتر بجماله، قيل لي أنّه قاضي المواريث من محلى الخبائث، فحينئذ قطعت نظري عن الأنس...**،" وقصدت قرية أبي مدين بالعباد ...وقلت مخاطبا لهذا المتكبر الذي هو بقسم الترائك يفتخر:

يــا مـــن تكبّر فـوق ماينـاسبـــه وظنّ أنّ خِدمته الشَّميس والـقَمَر

وَتَاه عجبًا وظنّ عجبا وظنّ ببشاشته وازور مِن قــوَّة تَخاله الحجـــر[2]

لقد ضمّ كتاب الرّحلة ضمن موضوعاته الأخرى عروضا مهمة عن بعض المناظرات والمباحثات التي كانت بينه وبين علماء وفقهاء وطلبة تلمسان الذين التقى بهم، ذاكرا فيه: " **ولمّا انتقلت من تلمسان ونزلت بجوار أبي مدين بالعباد، واخترت العزلة عن العباد، انهال علي طلبة البلاد من ذلك المصر، وفقهاء ذلك العصر ..وقصدونا للأنس والمذاكرة، والمسامرة والمحاضرة و، واتحفونا بما عندهم من كتب الأخبار ... فأتحفني الفقيه الأديب السميذع الأريب خطيب مسجد أبي مدين بالعباد بتاريخ الإمام المؤرخ أحمد بن يحي البلاذري في ستة أسفار...**" [3]إلى أن قال: " **وطالعت بها تاريخ سليمان بن إسحاق المطماطي، وتاريخ هاني بن يصدور القوصي وتاريخ كهلان بن أبي لؤي الأوربي وتاريخ العقباني في دولة بني زيان**"[4] .

ليضيف كلامه عن أهل تلمسان ويؤكّد أنّهم كانوا محُبين للعلم والعلماء خاصة عندما وظّف كلمة " انهال " وتعني الكثرة أي أنّ طلبة تلمسان أقبلوا إليه بكثرة ، ينهلون من علمه ، ومعرفته ، كيف لا وتلمسان من أهم الحواضر العلمية

---

[1]- أبو القاسم الزياني، التُرجمانة الكبرى...، المرجع السّابق، ص ص 142.

[2]- المصدر نفسه، ص 140.

[3] - مُولاي بالحَميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربة، المرجع السّابق، ص 22.

[4]- محمد بن عدي، معمر لعايب، تلمسان من خلال كتابات...، المرجع السّابق، ص459.

في بلاد المغرب الإسلامي ككل، حيث أخبرنا الزياني بما كان بتلمسان آنذاك من كتب نادرة مثل :كتب ابن مرزوق وأبي حمو موسى الزياني، التي وجد فيها الرّحالة ضالته لاسيما وأنه أقام بتلمسان سنة ونصف، نزل بجوار أبي مدين بالعباد[1].وخصّص الزياني لتاريخ تلمسان صفحات غطّت الحديث عن بقية المدن الجزائرية، ويظهر من سرده للحوادث أنّه اعتمد على ابن خلدون بصفة خاصة و عرضها عرضا محكما، مما جعل الأب **"BARGES"**ينقل هذا الفصل كاملا إلى الفرنسية[2].

يُشير الزياني التقائه بعلماء تلمسان وفقهائها وبخطيب مسجد أبي مدين بالعباد قال عن هذا الالتقاء : (... وأتحفونا بما عندهم من كتب الأخبار ، وتواريخ من كان ببلدهم من الأحبار ، فأتحفني الفقيه الأديب خطيب مسجد أبي مدين بالعباد ، بتاريخ الإمام المؤرخ أحمد بن يحي البلاذري في ستة أسفار[3] ، ووجد الزياني بتلمسان الكثير من الكتب التاريخية النادرة منها : تاريخ سليمان بن إسحاق المطماطي كما سبق الحديث عنه ، تاريخ هاني بن يصدور القوصي، تاريخ كهلان بن أبي لؤي الأوروبي في أنساب البربر وأيامهم في الجاهلية والإسلام، بالإضافة إلى كتب العقباني وابن مرزوق وكذلك كتاب واسطة السلوك للسلطان أبي حمو موسى الزياني[4] ، ولا شك أن طلبة العلم التلمسانيين وغيرهم قد استفادوا من وجود الزياني في تلمسان فأخذوا عنه مختلف العلوم لأن الزياني قد تفنن في الكثير من العلوم من فقه وتفسير وأدب بالإضافة إلى التاريخ والسير والتراجم والرحلة .

يَجدر بنا أن نقول بأنّه كانت للزياني نيّة الاستقرار في تلمسان إلاّ أنّه عدل عنها بقوله «**ثم بعد إقامتنا بها سنة ونصفها، خرجنا منها إلى مدينة الجزائر فرارا من الوباء الذي حل بها وكان عاما في العمائر التي بينها وبين الجزائر، فما زلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم**" [5]، وبعد تاريخ حافل وافته المنية في نوفمبر[6]1833 .

---

[1]- أبو القاسم الزياني، التُرجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، المصدر السّابق، ص ص 142-147).

[2]- بالحميسي، المرجع السّابق، ص 36.

[3]- أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، المصدر السّابق، ص 144.

[4]- بالحَميسي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربة، المرجع السّابق، 36.

[5]- نفسه، ص168.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التّاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، تراجم مؤرّخين ورحّالة جُغرافيين، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، 1999، ص 477.

إنّ انطباعات الرّحالة الزياني تُعطينا صورة واضحة عن حالة تلمسان في العهد العثماني، خُصوصا الحياة الثقافية بها.

3. رحلة أبي سالم العياشي:

سمح الإتّصال بين علماء الجزائر بعامة وأهل تلمسان بخاصة سواء عن طريق الربط الدبوماسي أو تبادل الرسائل الديوانية، أو عن طريق الرحلات العلمية ، والحج إلى بقاع المقدسة بالحجاز ، بفتح الباب للتلاقح والتبادل الفكري، وتدعيم الصّلة الثقافية بين علماء تلمسان ونظرائهم من المغرب ممّا أكدته ورصدتهم أعينهم من خلال مُدوّناتهم، أين أشار إلى ذلك أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي(ت 1084هـ- 1679م) في رحلته، حيث قال"...وهو الشهاب المقري فأخده (يقصد الفقه المالكي) عن عمّه إمام الفتوى بتلمسان ... أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري، وهو أخده عن العلامة أبي عبد الله محمد التنسي، وهو أخده عن أبيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني"[1]

لتكن بذلك أقباس فيما حازه الرّحالة عن تلمسان من النّاحية الفكرية والعلمية للمدينة ونواحيها، ولو كان أطال النفس والحديث فيما ذكره لأفدنا، وأفاد التاريخ العلمي والفكري لهذه الحاضرة الذي كان المقصد العلمي إليها أقواها وأشملها.

هذا، إضافة إلى رحلة ابن عابد الفاسي(ت1088- 1682) في كتابه رحلة بن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت أين ذكر تلمسان ونواحيها حينما تحدّث عن علم القراءات وفنونه من القيروان إلى تلمسان، علما أنّ الأخير لم يتناول بإسهاب عن هذا العلم ما يجعلنا نُفيد ونستفيد به في هذا الباب، غير أنّه ذكر بقوله" **وكانت هذه السنة تسع وتسعين في القرن العاشر وأنا ذاك ابن خمس أو ست وعشرين في العمر، وانا في المدرسة أتردد مع قراءة كل يوم مقرايين إلى أربعة مقاري كل يوم حتى ختمت ختمة على المشايخ المذكورين، وهي آخر ختمة كتبها من**

[1]- أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، ماء الموائد والمعروف ب: **الرحلة العياشية إلى الديار النورانية 1661- 1662م**، ج2، نح، وتق، سعيد الفاضلي، دار السويدي للنشر والتوزيع، المملكة العربية المتحدة، 2006، ص 266.

رأسي غيبا على حرف نافع، والغالب رواية ورش لأنّها أوّل ما يستفتح قراءة بلادنا من تلمسان إلى فاس ونواحيها بقراءة ورش لنافع" [1]

الشهير أبو سالم العياشي في رحلته المسماة رحلة العياشي " الحجية الصغرى تعداد المنازل الحجازية"[2]، وكذلك الرحالة أحمد بن محمد الهيشتوكي الذي زار تلمسان وأخد العلم من شيوخها[3].

4. رحلة المكناسي:

كانت رحلة ابن عثمان المكناسي (1199هـ/1799م)، إلى تلمسان المحطّة الأخيرة للحواضر الجزائرية التي قصدها هذا الرّحالة ، حيث رصد لنا من خلال هذه الرحلة مُشاهدات عن أحوال تلمسان ونواحيها، الذي وصلها من الجزائر بعد اجتيازه الطريق مدّة اثني عشرة يوما يذكر في خلال هذا الحديث" ...**ثمّ سافرنا منها فوصلنا تلمسان على اثني عشر يوما**" غير أنّه لم يستقر بها وبقي مقيما بنواحيها أين قال "**وخيّمنا بظاهرها فتقضينا ضروریاتنا ولوازم السفر...**" بالرغم من أن المدينة كانت قد تعافت من الوباء الذي فتك بها أهلها " **وقد وجدنا بهذه المدينة وأعمالها الطاعون ومات به خلق كثير** "[4].

يَذكر لنا الرّحالة المكناسي عن هذه الحاضرة البهيّة في الفترة التي زارها (1192هـ/1784م)، أنّها مازالت تحتفظ بجاذبيتها التي كانت عليه في العصر الوسيط، فالمدينة ونواحيها كانت كثيرة المياه والبساتين، وبها مُختلف الجنان والمستغلات، غير أن المكناسي أورد لنا أنّ بعض نواحيها أصابها الخراب دون أن يذكر أسمائها[5] حيث يقول في هذا الصدد:" ...**إلا أنّ الخراب استولى على كثير من أطرافها ...وزادها عمل الجور والظلم ...فقد أخبرني بعض**

---

[1]- أبو يعقوب يوسف بن عابد بن محمد الحسني الفاسي المغربي، **رحلة بن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت**، تح ونشر وتق وتع: إبراهيم السّامرائي و عبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي ، بيروث، 1993، ص 60.

[2]- أبو سالم العياشي، **رحلة العياشي الحجية الصُغرى**، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص 63.

[3] - الزركلي، الأعلام...مصدر سايق، ص 240.

[4]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب...، المصدر السّابق، ص 331.

[5]- بن عربة محمد، **حواضر الجزائر خلال العهد العثماني من خلال مشاهدات الرحالة المغربي" محمد بن عبد الوهاب المكناسي"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية**، مج3، ع02، جويلية 2022، الجزائر، ص 140.

أصحابها كان يتردد ٍليها في قضاء أغراضنا، أنّه رأى أهل البلد يشترون الأشياء من العطارين...بالزرع من قلّة الدراهم بأيدي الناس، ومن قلّة حياء حاكم البلد وكثرة حرصه وإذاية العامّة، إنّ كل ما يمر به حجاج بيت الله يقبض منهم شيئا معينا على أمتعتهم وحوائجهم..." [1]وهذا ما يؤكّد سوء المعاملة من طرف البايات في تلمسان، أين رصد المكناسي من خلال ما شاهده ورآه عن سيرة أحد حكّام تلمسان الأتراك، يُظهر مدى إساءتهم لسكان تلمسان وعامتهم[2] وجاء في طليعتهم العلماء.

كما كانت تلمسان مقصدًا للرحلات الصوفية للتبرّك بأوليائها والأضرحة المتواجدة بها، وهو ما نجده عند هذا الرحالة فيما يلي " **منهم على الخصوص ضريح أبي مدين الغوث وزرنا الولي الصالح المستصرخ به في جميع الأقطار القطب أبي مدين الغوث[3] نفعنا الله ببركاته، وتربة الشيخ البركة القودة الصالح سيدي محمد السنوسي[4]**

---

[1]– محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب ...، المصدر السابق، ص 331.

[2]– م تجدر الإشارة هنا، أنّه لم تكن وحدها معاملة حكام تلمسان السبب الرئيسيّ على ما يبدو في الحالة المزرية التي عرفتها المدينة في هذه الفترة، إذ تشير مصادر محلية لأسباب أخرى طبيعية أكثر تأثيرً على غرار القحط والمجاعة حتى أكل أهل تلمسان حلم الميتة والدم، على قول عبد القادر الوهراني مؤرخ بايات وهران، كما وحدث في أيّام حكم محمد بن عثمان الباي المشهور بحبه للعلم والعلماء وتقريبهم إليه، اهتمام ولو ظرفيا كان لم يكن ليتجسد على أرض الواقع ويغرس مغرسا دائما، في ظل الطاعون والزلزال اللذان لم يحدث مثلهما قط أيام حكم هذا الباي، لتفاصل أكثر ينظر: أبو عبد الله مسلم بن عبد القادر الوهراني الحميدي الزايري (ت 1249هـ/ 1833م)، (1974م)، **أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر أو تاريخ بايات وهران المتأخر**، تح: بونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص 164 ـ 165.

[3]– أبي مدين شعيب، هو الشيخ والفقيه وعالم المغرب الأوسط ومتصوفها أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي ترجم له ابن قنفد القسنطيني وذكر بأنّه : "كان زاهدا في الدنيا عارفا بالله، خاض بحارا من الأحوال، ونال من المعارف الربانية الأمال"طلب العلم بفاس وتتلمذ على يد الشيخ الأكبر " أبو حسين ابن حرزهم"، ثم الشيخ " أبو يعزى"، ارتحل مشرقا ومغربا ، واستقر ببجاية، وبها ذاع صيته، وكثر طلبته، ووشى به البعض عند السلطان الموحدي " يعقوب المنصور" فاستدعاه " لمراكش، وبعث إليه ليأتي عنده، فارتحل وفي الطريق مرض ووافته المنية " بالعباد " وكان هذا سنة 594هـ/ 1198م، وقد بنى في مكان وفاته من قبل سلاطين بنو زيان ضريح ومسجد ومدرسة، لتفاصيل أكثر عن سيرته، ينظر، أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح – تع، عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979، ص ص 22- 32.

[4]– محمد بن يوسف بن يعقوب السنوسي، هو الإمام العالم محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، يُكنى بأبي عبد الله ، وشهرته بالسنوسي نسبة إلى قبيلة " بني سنوس " بتلمسان، رجّح الباحثين والمؤرخين بأنّ مولده كان في سنة 832هـ/1428م، أخذ العلم في صغره عن

نفعنا الله به"[1] وهذا دليل على عُلُوّ قدر علماء تلمسان وماخلّفوه من أصداء جعلت أغلب الرحّالة تلهج بذكر أسمائهم والنّهل من معينهم الصافي والتّبرك بهم وهم أموات.

في مُقابل ذلك، وبعد خروج الرّحالة المكناسي من تلمسان عاد إليها بعد أيّام، وهذا بعدما وصله رسول من السلطان المغربي يستدعيه ويأمره بالعودة إلى الجزائر في مهمّة ديبلوماسية إنسانية متعلقة بتسليم وإيصال أسرى جزائريين كانوا لدى الملك الاسباني، وهذا الأخير سلّمهم لسلطان المغرب هديّة وإكرام له[2]. أين استغل الفرصة هذه المرّة لزيارة بعض المؤسسات الدينية بتلمسان والبداية كانت بضريح الامام أبي مدين شعيب وكانت هذه الزيارة الثانية لقبره التي نسج فيها على منوال الأولى بالمقصد والتبرك، ثمّ قصد ضريح محمد بن يوسف بن يعقوب السنوسي وعمم الزيارة على من لا يعرف من الزّهاد والأولياء والذين ازدحم بهم عُبّاد تلمسان، وقد ذكر المكناسي أنّه في الزيارة الأولى تطلّع لزيارة قبري أولا الإمام[3]، غير أنّه انشغل عنهما، وعند عودته في الثانية عوم على ذلك غير أنه لم يهتدي إلى قبرهما، فأرسل إلى قاضي تلمسان يطلب منه معرفة مكانهما فأرسل معه دليلا ووصل إليهما ووقف على قبرهما، حيث كان المكناسي معجبا ومتأثرا بسيرة هذين العالمين وقد أورد في مؤلّفه هذا قبسا من أخبارهما ممّا كان قد اطلع عليه من كتب السير

والده، ومجموعة من كبر علماء تلمسان وغيرهم، أحاط السنوسي ونبغ في الكثير من العلوم والفنون، اشتغل بالتدريس وتتلمذ على يده الكثير من العلماء على غرار ' ابن صعد التلمساني" ، وأحمد بن الحاج البيدري " وغيرهم، خلّف الكثير من المؤلفات والتي دلّت على تميّزه وعلو كعبه منها المحققة ومنها المخطوطة ومنها المفقودة، نورد منها التالي " السنوسية الكبرى في العقائد وشرحها.، توفي سنة 895هـ/ 1490م لتفاصيل أكثر عن حياته وآثاره، ينظر، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**،تح، نحند حجي، ط2، دار المغرب، الرباط، المغرب 1977، ص ص 121-122. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطرز الديباج، تق، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابس، ليبيا، ص ص 563- 572.

[1]- محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب...، المصدر السّابق، ص 331.

[2]- بن عربة محمد، المرجع السابق، ص 141.

[3]- ابني الإمام، هما ابني الإمام الأخوان العالمان أبي عبد زيد عبد الرحمان وهو الأكبر، وأبي موسى عيسى ، أجمعت مصادر وتراجم المغرب الإسلامي على أنّه لم يكن في زمنهما أعظم درجة ولا أعلى منهما علما، نشأ بمدينة برشك بمستغانم، وحلا إلى تونس لطاب العلم، ثمّ عاد واستقرّ في الجزائر لنشر العلم، ثمّ اتصلا بالسلطان الزياني أبي حمو موسى الأول، الذي قرّبهما وأكرمهما وبنى لهمت مدرسة قعد فيها للتدريس، حيث تخرّج على يدهما كبار علماء المغرب الإسلامي، توفي أكبرهما عبد الرحمان سنة 741هـ، أمّا أخوه عيسى فتوفي سنة 749هـ، ينظر لحي ابن خلدون، المصدر السّابق ص ص 71- 72.

والتراجم الذي أرخوا لهم ولعلّ من بين هؤلاء "المقرّي التلمساني في "كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب " وكان بقاؤه في تلمسان يومين خرص فيها على زيارة الصالحين والتبرّك بهم وبآثارهم[1]، ثم خرج نحو المغرب الأقصى عبر وجدة والتي دخلها صبيحة عيد الفطر المبارك من تلك السنة.

5. رحلة عيسى ين محمد اليحيوي الراسي البطوئي[2]:

كانت رحلة عيسى البطوئي إلى تلمسان حدثا رئيسيا في حياته الشخصيّة ومرحلة إيجابيّة في مجال تكوينه العلمي، بفضل احتكاكاته بالعديد من رجال العلم بحاضرة الغرب الجزائري وباعتبار النتيجة الموفقة التي عاد بها إلى تيزي عدنيت بعد غياب استغرق عدّة سنوات، وحتى نؤسس ونُحدّد تاريخ التحاقه بتلمسان لابأس أن نشير ونستعين بالبيانات الواردة في مؤلّفه من اتّصاله بالشخين سعيد المقري المتوفى 1010هـ/1600م، ومحمد عاشور بن علي الجاديري التلمساني المتوفى عام 1014هـ/1604م. يتبيّن لنا بالقياس إلى التاريخين المذكورين أنّ دخول البطوئي إلى تلمسان لم يتأخر كثيرا عن مغادرته لمدينة فاس، ويؤكّد هذا ماحكاه عن مناسبة جمعت بينه وبين صديقين أحمد بن ونيس الحلافي بجبال تراة الغرب الجزائري بنواحي مدينة ندرومة، التي كان قد دخلها قبل ذلك واجتمع فيها بالشيخ أبي زيّان بن أحمد المعروف بالجرائي. حيث لا تذكر المصادر الأسباب التي أجبرت عيسى البطوئي إلى مغادرة تلمسان في اتجاه ترارة، ربما كان بحثا عمّا من

---

[1]– محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب...المصدر السابق، ص ص 333-335.

[2]– هو الشيخ والعالم الرحالة والفقيه الجامع، يُكنى بأبو عبد الله البطوئي، رجح الباحثين أنّ مولده كان قبل 1046هـ/1636م، حيث أشار المؤرخ المغربي الحسن الفجيجي بقوله: إننا مقتنعون من أن عيسى من مواليد قبيلة بني سعيد في حود الثمانينات من القرن 10هـ/16م، بناءا على ما استنبطناه من خطواته الدّراسية الأولى، ينتمي عيسى البطوئي إلى بيت علم مغربي الأصل، يُعرف بـ: بيت البطوئي في منطقة في الريف المغربي من مدشر تيزي عدنيت من قرية " بَطْوِيَة" خلافا لما جاء في كتب المعاجم والسير أنّ نسبته تعود إلى منطقة بطيوة بأوزيو الجزائرية أو بتلمسان في دشرة بطيوة بنواحي ندرومة، خلّف الكثير من المؤلفات والتي دلّ على تميّزه كيف لا وهو الذي لقب بشيخ الفقهاء الرحلة بِبَطْوِيَة في القرن 11هـ/17م نورد منها التالي: مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح، الذي خصصه لرحلته إلى تلمسان، توفي بمدشر تيزي عدنيت ببني بوسعيد بعد سنة 1046هـ/1636م، لتفاصيل أكثر عن حياته وآثاره، ينظر محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، المغرب (د. ت)، ص 454. حسن الفكيكي، **من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر الهجري عيسى بن محمد الراسي البطوئي، مجلة دعوة الحق**، العدد250، منشسورات وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد، الرباط، المغرب (د.ت) ص 300.

شأنه أن يُساعد على تجاوز ظروف العيش قريبا من الحاضرة العلمية المبتغاة لديه، إذ أنّه أخبرنا باتحاقه بصفته " مُشارطا" بقرية حجاجة[1].

ولا مناص من القول لدى عيسى البطوئي التأريخ لأهم الأحداث التي مرّ بها، حيث سجّل لنا تاريخ مراسلة تبودلت بين رفيقه أحمد بن ونيس الحلافي والأستاذ سعيد المقري يلتمس فيها الأول من مفتي الدّيار التلمسانية بطريقة غير مباشرة الاستجابة لرغبة التّتلمذ عليه، فكانت فرحة الرفيقين عظيمة حين أجاب المقري بما يُطمئن الحلاني، وذلك بتاريخ 15 ربيع الأول عام 1008هـ/ 1598م.

وبالطبع فإنّ موافقة سعيد المقري كانت تعني عيسى البطوئي أيضا ، فنراه يول في هذا الموقف " **فلمّا بلغني جوابه فرحت به فرحا شديدا**" وبذلك غادر حجاجة برفقة صديقه أحمد الحلافي في اتجاه تلمسان، لتكون هذه الزيارة الثانية بالنسبة إليه، حيث ستختلف عن الأولى بطول مقامها وبنتائجها الحميدة المترتبة عن تعدّد شيوخه[2] .

تألفت قائمة البطوئي بتلمسان من تسعة عشر شيخا من مختلف الكفاءات، وهو عدد يتناسب مع المدة الطويلة التي قضاها بالمدينة، نقدر أنّها تراوحت بين 1008هـ، وهو تاريخ التحاق الثاني بتلمسان الذي كان فيه أستاذه الأكبر محمد بن مريم التلمساني، كما سجّل لنا عيسى البطوئي ارتساماته المتنوعة عن شيوخه، دلّت كلّها على تقدير واحترام كبيرين لمكانتهم الاجتماعية وكراسيهم العلمية من أولئك[3]:

---

[1]- البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي، **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح**، دراسة وتح : الفكيكي حسن ، منشورات طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000،ص 42.

[2]- حسن الفكيكي، من أعلام الريف الشرقي...، المرجع السّابق، ص 6.

[3]- البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي، مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح، المصدر السابق، ص ص 45- 46.

شيخان أدركهما في آخر عمرهما أول دخوله إلى تلمسان مكتفيا بالقول إنّه تبرك بالجلوس معهما. الاول محمد أبركان الذي قال عنه إنّه بلغ القطبانية[1]، وهي أعلى مراتب التربية الصوفية والثاني هو السيّد عامر، أحد رفقاء ابن مريم في الأخذ عن محمد بن داود العطافي[2].

كما ذكر لنا آخران قال فيهما" ...**علاوة على منزلتهما العلمية أنّهما اختصا بمكاشفات صدقت عليه، حسبما دلّت عليه تجربته معهما. فهذا محمد عاشور الجاديري[3] نهاه عن طلب ماكان راغبا فيه من أحمد المنصور الذهبي بواسطته، مظهرا له نّ طلبه مندرج في مرتبة الرعونات البشرية**".أمّا الثاني" فهو الشيخ أحمد الولهاصي الذي ردّه عن إقدامه للتزوج بإمرأة معلومة كان قد أقبل لاستشارته في شأنها[4].

وتألفت باقي قائمة عيسى البطوئي من علماء تلمسانيين اشتهروا بباعهم في التدريس، ولم يتوان لإخبارنا عن مختلف المواد التي قرأها عليهم، ففي هذا المضمار اتّصل بسعيد المقري مند البداية التي حلّ فيها بتلمسان، ويقول عنه : " **حضرت عنده عقيدة السنوسي الكبرى إلى ختمها**". ولنفس الغاية حضر مجالس الشيخ محمد الغنوشي، ربما بعد وفاة المقري عام 1010هـ/1600م ولازم مجلسه لمدّة غير يسيرة كما لاحظ هو نفسه، قال عنه: " **كنا نختم عنه مختصر خليل والرسالة الألفية كل شتوة مع مداومة عقائد السنوسي، يجلس للإقراء من الصباح إلى الزوال**". وممّن نال تقدير البطوئي الشيخ محمد المستيري، حيث قال عنه: " **أنّه كان ورعا وزاهد متفننا في عدد من العلوم، حضر جملة**

---

[1]- وهي مرتبة من مراتب المتصوفة الثلاث، تأتي بعد مرتبة العارفين ومرتبة الأفراد، ومرتبة القطب هي مرتبة غيب الغيب التي لاتذكر ولا يعرفها إلاّ صاحبها وهو القطب الجامع لأنّ له المرتبتين السابقتين، وممّا أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لانهاية له وأن يعلمه جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات. ينظر إلى: حمدي أيمن، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص 86.

[2]- حسن الفكيكي، من أعلام الريف الشرقي...، المرجع السّابق، ص 6.

[3]- السلكسيني الجاديري التلمساني (ت1014هـ/1605م)، أحد شويخ وعلماء تلمسان الذين ينتمون للبيت الجادري ، وهو محمد عاشور بن علي بن يحي السلكسيني الجاديري التلمساني، توفي بعد اثنين وأربعين سنة بعد وفاة والده أبو الحسن علي بن يحي السلكسيني الجادري التلمساني (ت 972هـ/1565م)، لتفاصيل أكثر عن حياته ينظر ابن مريم المديوني التلمساني، البستان...، المصدر السّابق، ص 234.

[4]- البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي، مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح، المصدر السابق، ص 46.

من دروسه بمسجد تلمسان إلى أن أصيب بمرض أقعده..." وشهد بالكفاءة العلمية والولاية في الأمور الدينية لشيخه المفتي محمد البطحي، أحد تلاميذ ابن مريم التلمساني، حيث قرأ عليه الألفية والعقائد[1].

هناك مجموعة أخرى من شيوخ البطوئي اكتفى باستعراض أسمائهم والتذكير ببعض الصفات الدّالة على الإطراء والتقدير، فمن بينهم مسعود النابلي التلمساني الذي كان في نظره "كثيرا التواضع والمزاح مع الأصحاب ، وشيخه عبد الله بن عبد ال رحمان اليعقوبي صاحب ندرومة وابنه محمد، ثمّ السيد إبراهيم التافلتي وابنه صالح وأبو شامة ومحمد بن يحي المطغريان. وعن غيرهم من العلماء الذي أسهب في تعريفهم والترجمة لهم البطوئي في رحلته سوف يأتي الحديث عنهم في عناصر هذه الدّراسة غير أنّ اللحظة الحاسمة المؤثرة في حياة عيسى البطوئي هي التي انتهت بحصوله على الإجازة[2].

كما وأورد لنا البطوئي جانبا من العلاقات القائمة العضوية العلمية، كانت قد نشأت بين مدشري عدنيت ببطوية والحناية[3] بتلمسان، ممّا كان له الأثر على تبني مسجد بني سعيد للإتجاه الصوفي التلمساني الذي جسّده ابن مريم ومثله عيسى البطوئي بالريف الشرقي[4]، وتوضح الفقرة المقتبسة من مطلب الفوز والفلاح هذا التواصل بين المركزين بجلاء حين قال البطوئي:" **قد من الله علينا بملاقات (كذا) الشيخ الإمام الصوفي الهمام فتمتعت النفس من مشاهدات ومن جميل لقائه تزودت منه ماينفعني الله به دنيا وأخرى من جليل علومه وأحواله**". وما يحملنا على تأكيد هذا وعلى استمراره هو وجود فقرة أخرى أدرجت ضمن مراسلة جوابية بعث بها محمد الصغير يُخبر فيها صديقه عيسى

---

[1]- البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي، المصدر السابق، ص 47.

[2]- الإجازة هي طلب طالب العلم من أستاذه، وشيخه أن يجيزه بمسموعياته ومروياته، التي حصل عليها من شيوخ آخرين، وأن يأذن له بالنقل عنه، فالطالب مجازٌ له، والأستاذ الشيخ مُجيزٌ، ولا تمنح الإجازة إلاّ لماهر في صنعته، أو متقن لمعارفه، وينبغي للمجيز أو من أنابه أن يكتب الإجازة، أو يصدق على صحّتها، أو يلتفظ بها أمام شهود، كما تعتبر الإجازة النظام الأساسي للرحلة في البحث عن المعرفة التي وضعت في وقت مبكر عن طريق طلاب علم الحديث، ومازالت الإجازة سارية المفعول عند العلماء حتى اليوم . لتفاصيل أكثر عن مفهومها وأقطابها ينظر إلى أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق هارون عبد السلام، ج1، دار الفكر للطباعة والتوزيع، بيروت، 1979، ص 494.

[3]- الحناية هي إحدى نواحي مدينة تلمسان نحو الشمال من المدينة المذكورة ولانزال هذه المنطقة تعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا لتفاصيل أكبر، ينظر:

[4]- حسن الفكيكي، من أعلام الريف الشرقي...، المرجع السّابق، ص6.

البطوئي بقوله: " **مقام الأخ سدي عيسى...وكما ذكرتم في شأن مناقب السيد الوالد فإننا إن شاء الله مشتغل بها، تصلكم إن شاء الله، وسلم لنا على سيدي أحمد بن إبراهيم (الراسي) وعلى سيدي إسماعيل وعلى كافة إخواننا الطلبة"**[1].

ويُعبّر صاحب الرحلة الحبيبة [2]عن مدى إعجابه بمدينة تلمسان بقوله: ومشاهدة تلك البلدة التي شاع فضلها في سائر البدان حتى قال فيها من قال:

بـلد الجدار [3]ما أمر نواهـا كلف الفؤاد بحبها وهواها

يـا عاذلي في حبها كن عاذلي يكفيك عنها ماؤها وهواها

وأثناء زيارة صاحب الرحلة لحاضرة تلمسان احتفى بخيرة علمائها وأعيانها، وتجاذب أطراف الحديث معهم وتسامر معهم مسامرات علمية ومجاملات أخلاقيّة[4].

---

[1]- البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي، مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح،المصدر السابق، ص 52.

[2]- أحمد بن سكيرج الفاسي ت 1363هـ/1944م، فقيه وقاضي وشاعر ومؤرخ ومتصوف مغربي، تقلّد مناصب مختلفة أهما نظارة الأحباس والقضاء، بمدينة وجدة والرباط والجديدة وسلطات، ألّف أكثر من مائتي تأليف غالبها في الطريقة التيجاية، وفي الشعرالعديد من القصائد في مدح النبي ، تناهز إحداها العشرين ألف بيت، من مؤلفاته كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب، ينظر، الزركلي، الأعلام، ج1، ص 190.

[3]- تلقب تلمسان ببلد الجدار وهذا نسبة إلى سور (سور متقن الوثاقة) حسب ابن الوزان، وتدعى تلمسان أيضا مدينة السور لكونها محاطة بأسوار كبيرة وطويلة قليلا ما نجد مثلها في العالم الإسلامي، حتى أنّ ياقوت الحموي نقل في معجم البلدان عن جدارها حيث قال: '...ويزعم بعضهم أنه (تلمسان) البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في القرآن الكريم"...في قوله تعالى في سورة الكهف: (وأمّا الجدار...) الآية 82، ينظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السّابق، ص 227، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، المصدر السّابق، ص 424.

[4]- بن عمر حمدادو، **بعض أعيان وآثار تلمسان من خلال كتاب " الرحلة الحبيبية الوهرانية " لأحمد بن سكيرج الفاسي**، **مجلة إنسانيات**، العدد 50، 2010، ص 46.

خاتمة:

إنّ ما أوردناه فيما تقدّم والذي لم يكفي في حال من الأحوال لبناء صورة وافيّة عن الواقع السيّاسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني، ونظرًا لذلك ومن خلال المعلومات القليلة والشّحيحة التي بين أيدينا، حيث قُمنا بعرضها، وتحليلها، وتمحيصها، وإعمال الرأي فيها، والتي تمثلت في بعض الدّراسات والنّصوص، وكذا الوثائق الأرشيفية بخاصة، وَقفنا على ما يمكن أن نوجّه به هذا المسعى إلى مجموعة من الاستنتاجات، ذات الدّلائل الأصيلة والقرائن التّاريخيّة الهامّة .

أوّل ما يمكن الإقرار بهِ أنّ تلمسان تمتلك تاريخًا عميقًا وإرثًا حضاريًّا مُتنوّعًا بتنوع المراحل التي مرّت بها هذه الحاضرة الأزلية الضاربة في عُمق التّاريخ، فقد استقرّ بها الإنسان منذ فجر التاريخ، وتناوبت عليها شعوب وأمم . فموقعها الجُغرافيّ جعل منها، منطقة استقطاب وتهافت من كل الدّول والقوى التي وصلت بلاد المغرب، فقد ساعدها هذا الموقع على لعب الدور الأساسي في التّأثير الدّوري للدّول التي سكنت أو حكمت المنطقة بما فيها العثمانيين.

أنّ الوثائق الأرشيفية لها أهمية كبيرة في الدّراسات التّاريخية في الفترة العثمانية، وخاصة الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ماتعلّق بالجانب الوثائقي والمنهجي، فلا يمكن للدّارس الاستغناء عنها، لأنها تقدّم لنا معلومات، ومعطيات دقيقة هامّة ومفصّلة، غير أنّنا لم نعتر إلا قلّة قليلة منها، فمن خلال اطّلاعنا على هذه النّماذج المتعلقة بتلمسان أمكننا أن نتوصل إلى مجموعة من الحقائق، وإن وجدت فهي قليلة مُقارنة بأهميّة وقيمة هذه الحاضرة.

كانت منطقة تلمسان منذ قدوم الإخوة بربروس مدينة ذات موقع استراتيجي، فقد عرفت هذه الأخيرة تذبذبا واضطرابا في وضعها السيّاسي والإداري والعسكري، نتيجة لعوامل فرضتها هذه المرحلة، فقد كانت محور الصّراع بين أطراف مُختلفة متّلها العثمانيون والاسبان والسّعديون على حد سواء، إذ ملكت هذه المنطقة مكانة محوريّة في الرؤية العثمانيّة خلال تلك الفترة.

كما لاحظنا من خلال المعطيات المتحصّل عليها إلى إنّ الأحداث التي مسّت المدينة ونواحيها منذ النّصف الأوّل من القرن السادس عشر، من اضطرابات سياسية وعسكرية إدّى إلى التّأثير بشكل سلبي على واقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها.

علاوةً على ذلك نَقلت لنا مُختلف المصادر والنّصوص التّاريخية التي أوردناها، عن مظاهر الحياة الاجتماعية من احتفالات وعادات وتقاليد وظواهر تميّز به المجتمع التلمساني عن بقية المجتمعات الأخرى في إيّالة الجزائر إبّان العهد العثماني، كما أوضحت وبيّنت لنا بعض النشاطات الاقتصادية من عملة وصناعات وأسواق.

من ناحية أخرى، أبانت لنا هذه الدّراسة الأوضاع الدّيمغرافية في مدينة تلمسان ونواحيها على عهد العثمانيين، إذ أنّه يتشابهُ في الكثير من خصائصه بالوضع في كلّ الإيّالة الجزائريّة، من حيث نمط المعيشة والخصائص الإجتماعيّة والتنوّع العرقي والدّيني.

ساهمت العوامل الطبيعيّة والبشريّة في تدهور الأوضاع الاقتصاديّة، حيث شهدت تلمسان أزمات صحيّة ومعيشيّة سيّئة خاصّة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، كنتيجة لظهور الأمراض والأوبئة بها.

من جانب آخر، عرفت منطقة تلمسان تنوّعا في الأسواق، ونشاطا تجاريّا إبّان العهد العثماني، وذلك نظير موقعها المتميّز، ووجود شبكة الطرق والمسالك النقل البريّة، إذ سهّلت بذلك على القوافل التّجارية التنقل الداخلي والخارجي.

في ذات الصدد، أبانت هذه الدّراسة معاناة أعلام الفكر في منطقة تلمسان إبّان العهد العثماني، وهو ما جاءت به الكتابات التاريخيّة، ونقلته مختلف المصادر نتيجة للتّجاوزات، التي بلغت درجة النّفي والإبعاد والسّجن أحيانا، ما جعل الهجرة الملاذ الوحيد للكثرين منهم، فرارا من سلطة العثمانيين وسياستهم إتجاه العلماء.

عرف الوضع الصحّي في تلمسان ونواحيها على غرار بقية الحواضر الأخرى للإيّالة تراجع كبيرا، نتيجة انتشار الأوبئة والمجاعات، أثّر ذلك سلبا على تراجع الأنشطة الاقتصاديّة والتركيبة الاجتماعية، حيث عجزت السلطة العثمانية عن التصدّي لهذه الأوبئة.

كان للموقع الاستراتيجي لتلمسان باعتبارها مُلتقى الصحراء بالتل وواجهتها البحرية، لتكون دوما مرسى السفن الأندلسيّة، وممرّ التجار والملوك والأمراء، ومحط الرحال والترحال ومَقصد العلماء والرجال، فكانت منذ القديم غاية العلماء وقبلة الصالحين، يكاد العلم ينبع من أضرحة علمائها ومقامات أوليائها ومزارات صلحائها الذين تستضيء مدينة تلمسان ونواحيها بأنوارهم ومآثرهم وعبق عرفانهم وعبير حكمهم.

ساهم النّشاط التجاري المتنامي في منطقة تلمسان وموقعها الجغرافي المتميّز بمفترق الطّرق المؤديّة من جهة نحو أوربا وإفريقيا، ومن جهة أخرى نحو المغرب العربي، في أن جعل مدينة تلمسان ونواحيها تحتوي على فنادق عديدة موجودة على مستوى المدينة، يقيم بها أساسا التجار وممثلي الشّركات الأجنبيّة التي كانت تبحث عن أسواق لمشاريعها الإستثمارية على مستوى منطقة تلمسان، والذين كانوا يتحكمون في المبادلات التجاريّة من تصدير واستراد على ضفتي البحر المتوسط.

ارتبط الجانب العمراني وتعمير تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، بالظّروف الاقتصاديّة وخاصة التّجاريّة وكذا الأحداث السياسيّة والعسكريّة التي عاشتها، ومثلما كانت للحركة العلمية قائمة رغم الظروف الصحيّة، فإن الحركة التجارية والقوافل ظلت متواصلة نظرًا لوقوع تلمسان في مفترق الطرق التجاريةالبرية والبحرية، فتلمسان حلقة عبور من المشرق إلى المغرب، لإيصال منتوجاتهم وموادهم إلى المناطق المختلفة. فأسواق مدينة تلمسان ونواحيها وموانئها كانت كثيرة ومتنوّعة، جلبت إليها كبار التّجار من مختلف المناطق والحواضر والجهات فقد نشطت تلمسان وتحوّلت إلى قاعدة تجاريّة على غاية من الأهمية.

كما سجّلت لنا مجموعة من النّصوص مجموعة من العائلات التّلمسانيّة، اشتهرت بالعلم والتأليف والتّدريس، وبالزّهد والتّصوّف، كعائلة المقرّي، ...فكانوا مراجع علميّة وثقافيّة للتلمسانيين وغيرهم، فشكّلوا بذلك بيوتات علميّة، بما حوته بيوتهم من مُصنّفات نَفيسة، وبما وعته صُدورهم من مَعارف وعلوم.

ساهم العديد من أعلام الفقه التلمسانيّين خلال الفترة المدروسة، مُساهمة فعّالة في ميادين النّوازل الفقهيّة وشروحاتها، والتّحقيقات الأصيلة لمختلف الكتب الفقهيّة، فضلاً عن مكانتهم داخل المجتمع التلمساني خلال فترة الدّراسة، وهذا من خلال مساهمتهم في حل الكثير من القضايا التي ترد إليهم في إطار معاملات الحياة اليومية، مثل ابن مريم والشهاب المقري وغيرهم، .رغم المِناخ العلميّ والفكريّ غير المساعد لها زمن الأتراك العثمانيّين، وإن كانت درجات صيتهم وشّهرتهم الفقهية لا تُضاهي ما حصلته بيوتات العلم التلمسانيّة خلال عهد بني زيّان.

تَجدر الإشارة أيضا، إلى العنصر الأندلسي الوافد إلى تلمسان ونواحيها، أين ساهموا في إثراء الحياة العلمية والاقتصادية وحتى الاجتماعية، من خلال الأدوار الفعّالة في هذه الميادين آنفة الذكر، أين أنعشوا بنشاطاتهم الحرف والصناعات التي انتشرت في قرى وأرياف الحاضرة، فكوّنوا بذلك فئة اجتماعيّة ميّزتها على مختلف المدن الأخرى.

كشفت الآثار العُمرانيّة العسكريّة والاجتماعيّة والدينيّة والثقافيّة لتلمسان ونواحيها على المكانة الحضاريّة التي بلغتها هذه المدينة عبر تاريخها منذ الفترة الرومانيّة إلى الزيانيّة وبعد الترميمات التي شهدتها المدينة خلال العهد العثماني، من أمثال الفنادق والحمامات والأضرحة والتي تُمثّل إحدى الرموز الحضاريّة التي تُبرز الطّابع العُمراني والوجه الآخر للمجتمع التّلمساني في هذه الفترة، من خلال صُورِ التلاقي والتّواصل بينهم. إذ اشتهرت تلمسان ونواحيها بزواياها وأضرحة علمائها ومقامات أوليائها، حيث أفادتنا بها عديد النّصوص التّاريخيّة، وأثبتت الإحصائيّات أنّ عددها كان كبيرًا، فاقت ثلاثين زاويّة في العهد العثماني.

أكّدت المصادر عن التّنظيم المُحكم لمؤسّسات الوقف في تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، حيث عرفت هذه المدينة تطوّرًا وتنظيمًا كبيرًا، إذ كان يخضع لضوابط إداريّة مُحكمة، ونتيجة لذلك حدث تجاوبًا معها بين مُختلف فئات وتشكيلات المُجتمع التلمساني.

كشفت المصادر والنصوص التّاريخيّة الخاصّة بالمؤسّسات التّعليمية في تلمسان ونواحيها خلال العهد العُثماني، على تنوّعها وكثرتها بِكلّ مظاهرها المختلفة، من مساجد، ومكتبات، وزوايا، وغيرها من المراكز الثقافيّة الأخرى، إلاّ أنّها ظلّت حَبيسةَ الطُّرق التقليديّة، كنتيجة لعدم الإهتمام بها من قبل السلطة الحاكمة، فضلاً عن الأوضاع السيّاسيّة والعسكرية التي عرفتها هذه الحاضرة خلال هذه الفترة.

أخذت الحركة الصّوفية تتغلغل وتترسّخ بتعاليمها وسط عامّة النّاس بفضل أدوار المتصوّفة، الذين تمكّنوا من إقناع النّاس بأفكارهم وسلوكاتهم التي تقوم على التّقشف والعبادة والصبر والتّواضع، فقد رأينا من خلال هذه الدّراسة احتكاك هؤلاء المتصوّفة بأطياف المجتمع، ومتحسسين لشواغلهم وأوضاعهم السيّاسيّة والاجتماعيّة، وهذا بالنّظر إلى مواقفهم في مُختلف الأحداث التي وقعت في تلمسان. وهذا ومن دون شك فإن هذا التيّار الصوفي أثر كثير في الحركة العلمية والثقافية في تلمسان ونواحيها في العهد العثماني، لكن استمرار الغلو في هذا التيّار جعله يميل ويخرج عن صوابه، وجادته وهدفه، فحل الجهلة والانتهازيين وشيوخ الدّجل والدّروشة، وفقد التّصوّف والمتصوّفة مكانتهم في المجتمع التلمساني في هذه الفترة، أين ساهمت فانتكاسي الحركة العلمية في هذه الحاضرة.

أبانت لنا هذه الدّراسة صورة المجتمع التلمساني بإيجابيّاته وسلبيّاته، وبعض عاداته وتقاليده، وأسلوب حياة النّاس، فضلا عن لهجاته في تلك الحقبة، مع إشارة إلى نماذج من طبوعه الموسيقية، التي تفنن بها وتميّز من خلالها المجتمع التلمساني إبّان العهد العثماني، على غرار فنّ الحوزي الأصيل الذي يطبع مدينة تلمسان ونواحيها.

تُعتبر الرّحلة من أهمّ المصادر التي تُقدّم لنا صورة واضحة لرحالة القرن السادس والثامن عشر، من خلال المشاهد التي حاولوا تصويرها، التي فتحت باب التلاقح الفكري وتدعيم الصلة الثقافية بين العلماء تلمسان وونظرائهم في المشرق والمغرب. كما حوت هاته الكتابات بين دفتيها طائفة هامة من المعلومات التاريخية وبعض النبذ الشعرية والأدبية، وذكر لأهم العروض عن بعض المناظرات والمباحثات التي كانت بينها وبين علماء القطر الجزائري عمومًا وعلماء تلمسان خصوصا، وتُعدّ مصادر الرّحلة وثيقة تاريخية هامة، تُصوّر مجتمع التلمساني خلال القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر، وتعطي التصور العام الذي كان عليه رحالة تلك الفترة. ولذا لا يمكننا الاستغناء عنهما فهما بذلك جزء من ذاكرتنا التاريخية.

– وفي الختام، أملنا أن تكون هذه الدّراسة قد فتحت آفاقا واسعة للبحث في تاريخ تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني، الذي في اعتقادي لم ينل حظه من العناية كغيره من المواضيع بالرغم من الجهود الجهيدة من الأساتذة والباحثين الأفاضل.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ملاحق

الملحق رقم 01:

تمثّل لنا الوثيقة عقد أمانة تتعلق بالسيّد مختار بن مزيان نجل الإمام الحافظ السي أحمد ابن الحاج زويحة الذي يُسلم للقاضي أمانة لابن عمه الشاب السي محمد ولد المرحوم السي العربي[1].

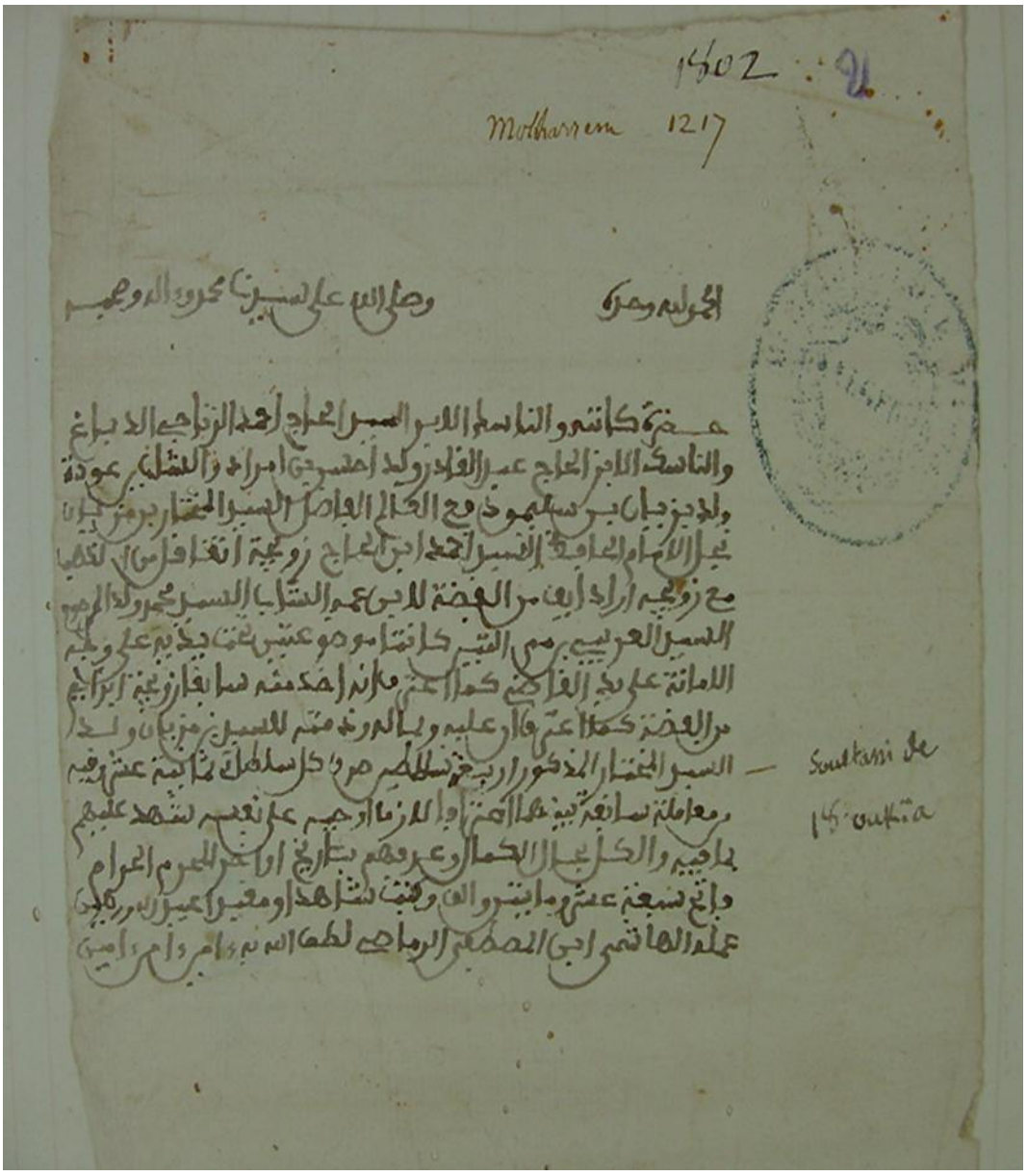

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، وثيقة 02.

الملحق رقم 02:

ثمّ العثور على هذه الوثيقة بخزانة علي الحاج بن علي، المقيم بقرية الطوافرية، وقام بتصويرها الأستاذ حسن جيلالي بن فرج، الذي أفادني بها، عصر يوم الخميس 16مارس 2017م، تمثّل هذه الوثيقة التي تقع في 53سطرا، المكتوبة بالخط المغربي، رسالة من الرسائل الدبلوماسية البالغة الأهميّة، تكشف لنا المواقف الصّريحة الحاسمة التي أبداها المولى سليمان تجاه كل من عبد القادر بن الشريف وشيخه مولاي العربي الدرقاوي، وتضمّ الوثيقة في حقيقة الأمر ثلاث رسائل كُتبت تباعا نظرًا لتسارع الأحداث.

الرسالة الأولى: أوضح فيها المولى إسماعيل موقفه من انتفاضة درقاوة وشرح فيها أسباب إرساله للشيخ الدرقاوي لوهران والقايد عيّاد لتلمسان

والرسالة الثانيّة: كتبها بعد أن وردت عليه بيعة عبد القادر بن الشريف، أكّد للباي رفضه للبيعة وثباته على موقفه الداعم لسياسة الحكام العثمانيين بالجزائر ضدّ المنتفضين

الرسالة الثالثة: كتبها بعد تتالي الهزائم على عبد القادر بن الشّريف [1].

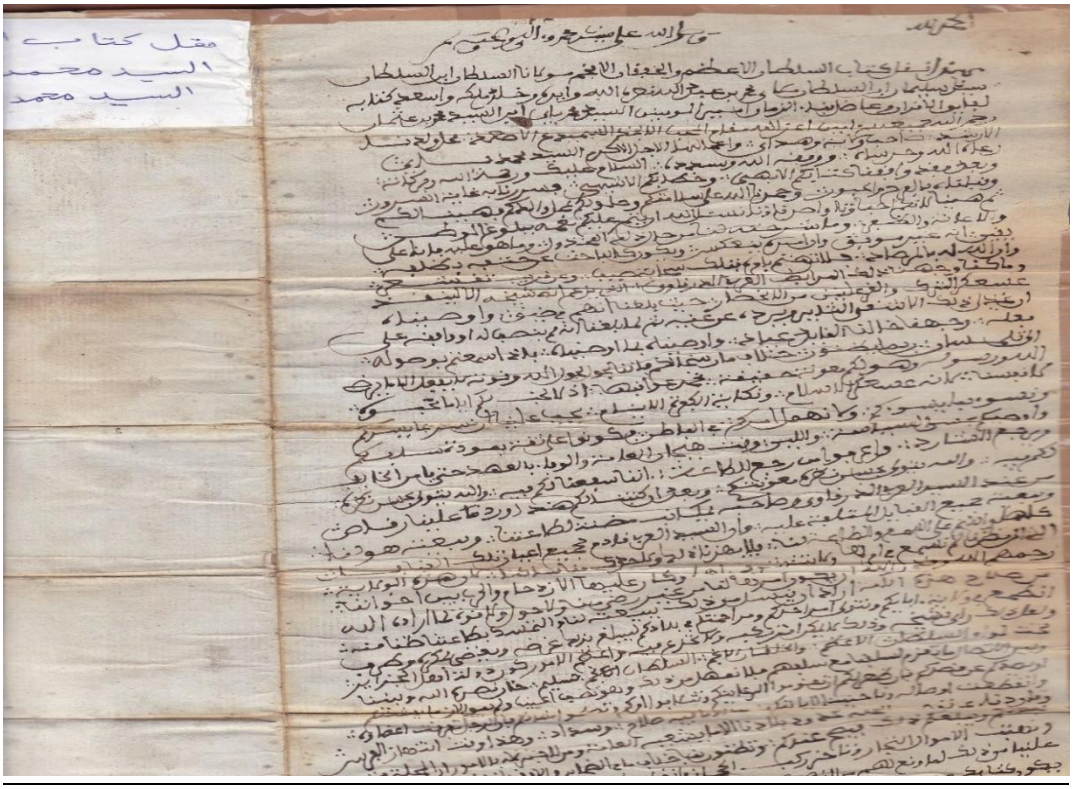

[1] – هذه الوثيقة موجودة بخزانة علي الحاج بن علي، المقيم بقرية الطوافرية، وقام بتصويرها الأستاذ حسن جيلالي بن فرج، الذي أفادني بها.

الملحق رقم 03:

تابع للملحق الثاني[1]

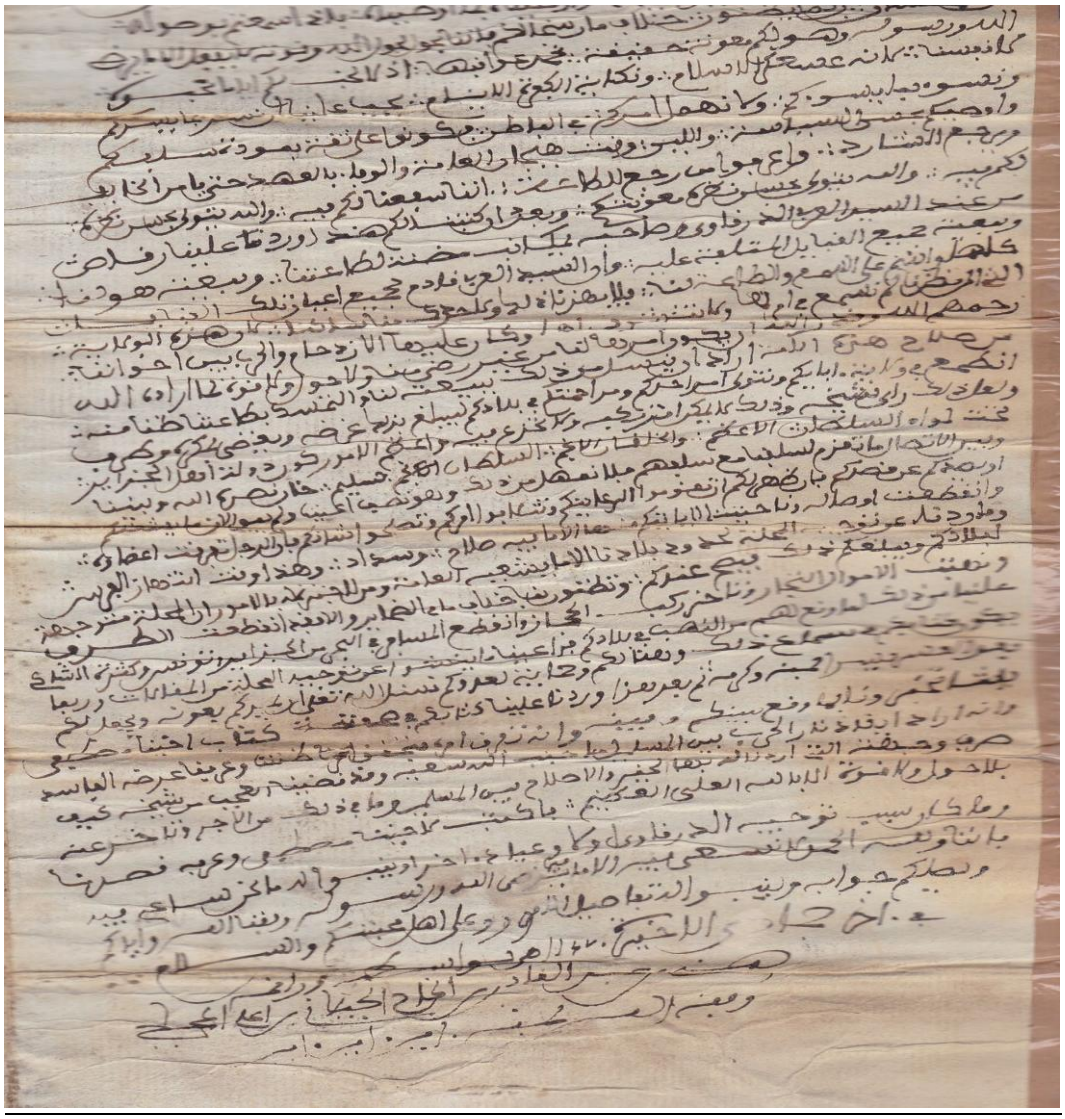

[1] نفسه، ص 20.

الملحق رقم: 04

يتعلق هذا الملحق بالدفتر المحفوظ في الأرشيف الوطني التونسي تحت رقم 2144 الذي يضمّ هدايا واحسانات ماليّة ومادية قدّمها بايات تونس للجزائريين من مختلف المدت والقبائل، وقد كانت لتلمسان ونواحيها نصيب من هذه الاحسانات، استفادت منها شرائح مختلفة[1]

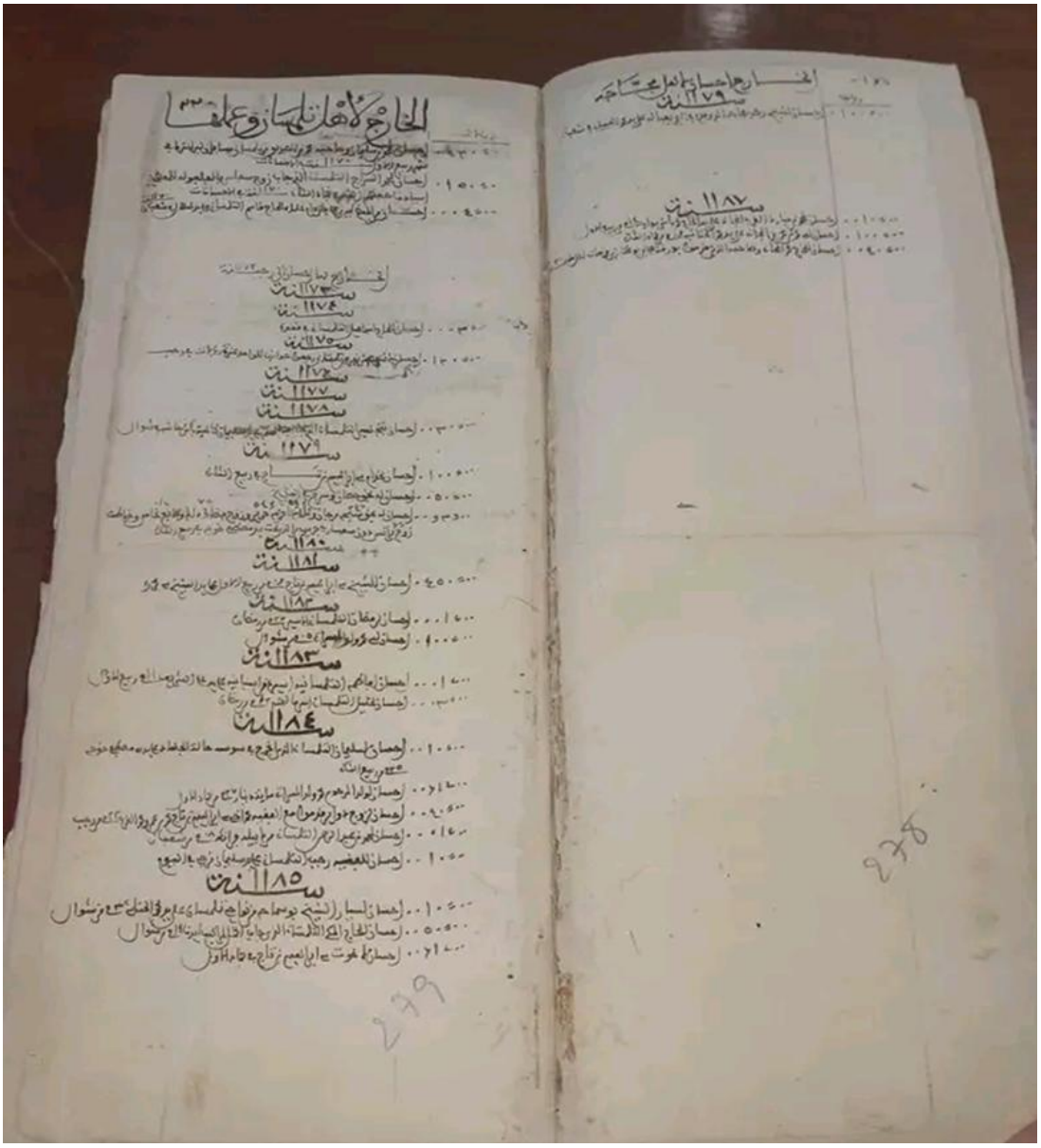

[1] – الأرشيف الوطني التونسي، الدفاتر الإدارية والجبائيّة، 2144.

الملحق رقم05:

تشير الوثيقة إلى عقد شراء للمدعو سيدي قدور دار من البائع المدعو الطاهر بن عيسى [1]

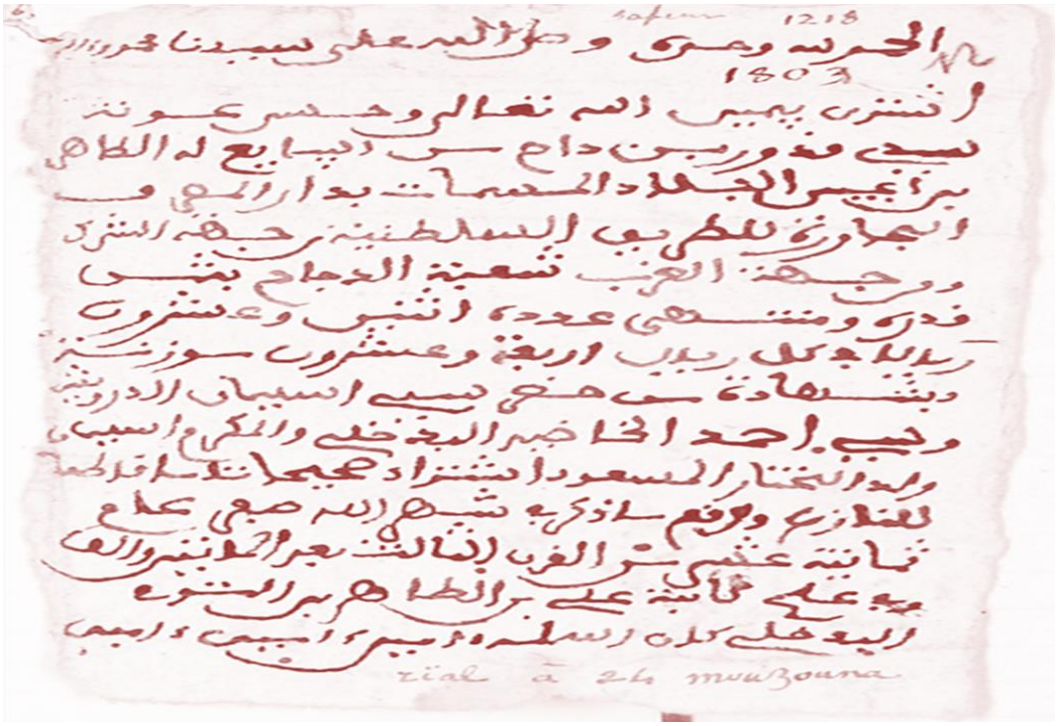

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

اشترى بيمين الله تعالى وحسن عونه سيدي قدور بن دام من البائع له الطاهر بن عيسى البلاد المسماة بدار المصرف المجاورة للطريق السلطنية من جهة الشرق، ومن جهة الغرب شعبة الدجاج بثمن قدره ومنتهى عدده: اثنين وعشرون ريالا؛ في كلّ ريال أربعة وعشرون موزونة، بشهادة من حضر سي اسليمان الدرويش وسي أحمد الخاضير البدخلي والمكرم اسليمان ولد المختار المسعود اشتراء صحيحا تاما قاطعا للمنازع، ووقع ما ذكر في شهر الله صفر عام ثمانية عشر من القرن الثالث بعد المائتين وألف(1218)، وبه علم كاتبه علي بن الطاهر بن المتوع البدخلي كاف الله له...آمين آمين آمين.

Rial à24 mouzouna

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، وثيقة 12.

الملحق رقم 06:

تقسيم تركة المرحوم الحاج محمد بن العطار على ورثته

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

بعد وفاة المرحوم بكرم الله الحيّ القيّوم الحاج محمد بن العطار، ووفاة ولده الحبيب بعده، وترك الولد أمّه فاطمة بنت الحاج قاسم وإخوته لأمّه محمد وفاطمة و... الفقيه أبي عبد القادر بن العطار، وقد خلف عن الولد ما خلفه أبوه؛ وهو: ثمانية وثلاثون درهما من الدار الكائنة في العباد، ثمّ خمسة عشر درهما غير ... من روض العطار في العباد، ثمّ سبعة دراهم ونصف غير سبع من روض...بفدان السبع...ثمّ الثمن وعشرة ونصف من روض العطار في الوريط...بعد تقويم ما ذكر تقويم عدل وسداد، وعلى الهالك دين لزوجه المذكورة مائة ريال من باقي صداقها، ولزوجة علي بن الحاج قاسم مائة ريال أدّاها على الهالك، وعليه دين أيضا انجر له من متروك أبيه مائة ريال وريالتان، وعليه أيضا من أخيه خمسة وعشرون ريالا؛ استظهر علي بن الحاج قاسم برسم بخط عدلي قاضي الزكاة...وطابعه مضمنه أنّ الزوجة المذكورة أخذت جميع متروك الهالك للأماكن المذكورة في دينها ولم يكن مستوفي الشروط المشترطة...وطال بين أبي عبد القادر بن العطار المذكور مع علي بن الحاج قاسم وزوجه المذكور من الكلام والعجاج والترافع إلى مجالس الحكام المرة بعد المرة...إلى أن قاضي الوقت العلامة أبو محمد الحاج محمد بن الحاج الواقع طابعه أعلاه نادهما للصلح الذي سمّاه الله خيرا ووعد لفاعله توابا وأجرا...لذلك وصية بأن أعطى أبي عبد القادر المذكور للمرأة المذكورة خمسين ريالا وقبضتها معاينة والأماكن المذكورة يأخذ أبي عبد القادر نصفها ملكا، والنصف الآخر يأخذه على مع زوجه ملكا. بهذا وقع بينهما...صلحا صحيحا تاما لازما قاطعا للنزاع...بحيث لم يبق لواحد منهم قبل الآخر حقّ من الحقوق ولا دعوى ولا مطلب بوجه ولا حال، وذلك بحضرة أبو القاضي المذكور والعلامة أبي محمد بن سعد وأبي البشير بن مزيان...شهد عليهم...بتاريخ أواسط شوال من عام سبعة وعشرين ومائتين وألف(1227)، وكتب عبد ربه (داخل الرسم):عبد القادر بن علي وفقه الله آمين[1]

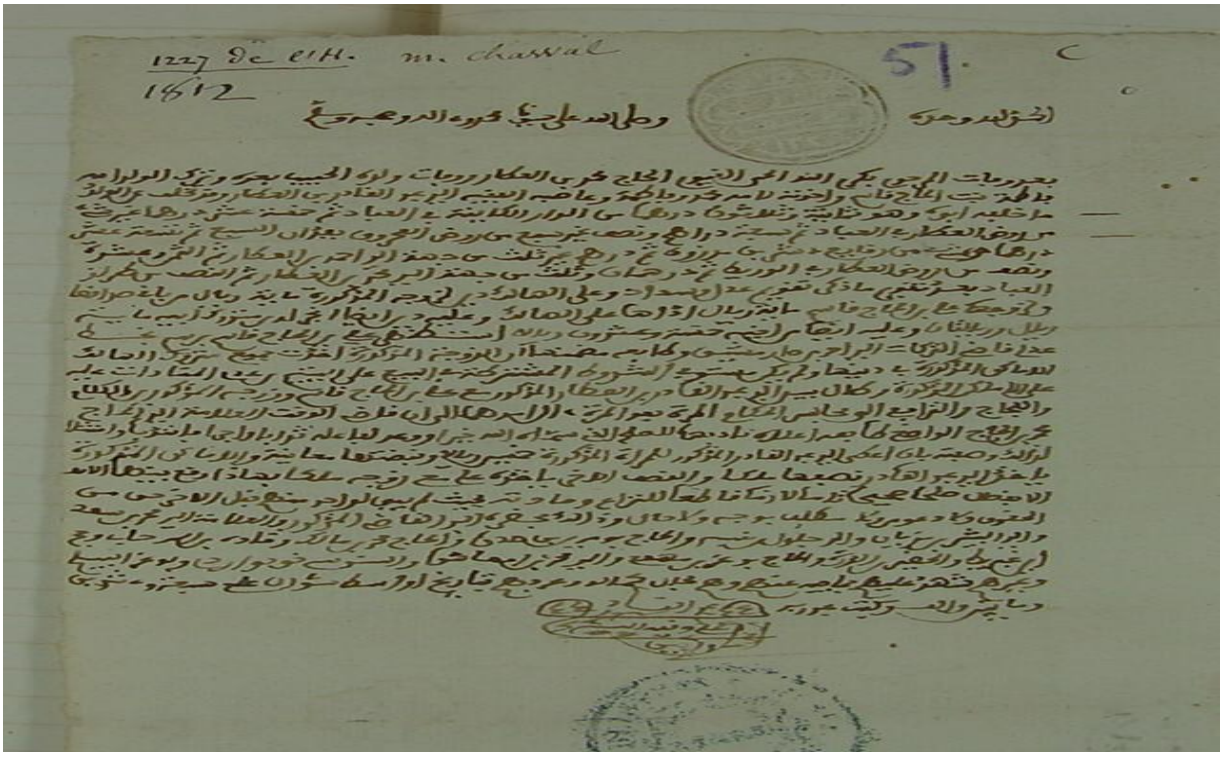

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، لوحة 51.

الملحق رقم 07:

" الحمد لله صلى الله وسلّم على رسول الله

اشهد الطالب الأجل السيد أحمد بن الفقيه المرحوم السيد المختار بن المرحوم السيد مزيان؛ اشهاد استحفاه واكتتام أنه غير ملتزم ما يفعله مع أخيه السيد محمد الصغير من الصلح أو السماح أو التأخير إلى وقت غير هذا بل جميع ما يفعله معه؛ فإنّما يفعله لاستنقاذ حقّه وظهوره بعد خفاية، ومهما زال عنه مانعه من القيام؛ فهو على حقّه وكذا وارثه من بعده شهد عليه به وهو بأكمله في عاشر جمادى الأولى من عام ثمانية وعشرين ومائتين وألف(1228). كاتبه عبد الله محمد بن سنة بن محمد بن الحاج وفقه الله آمين[1]

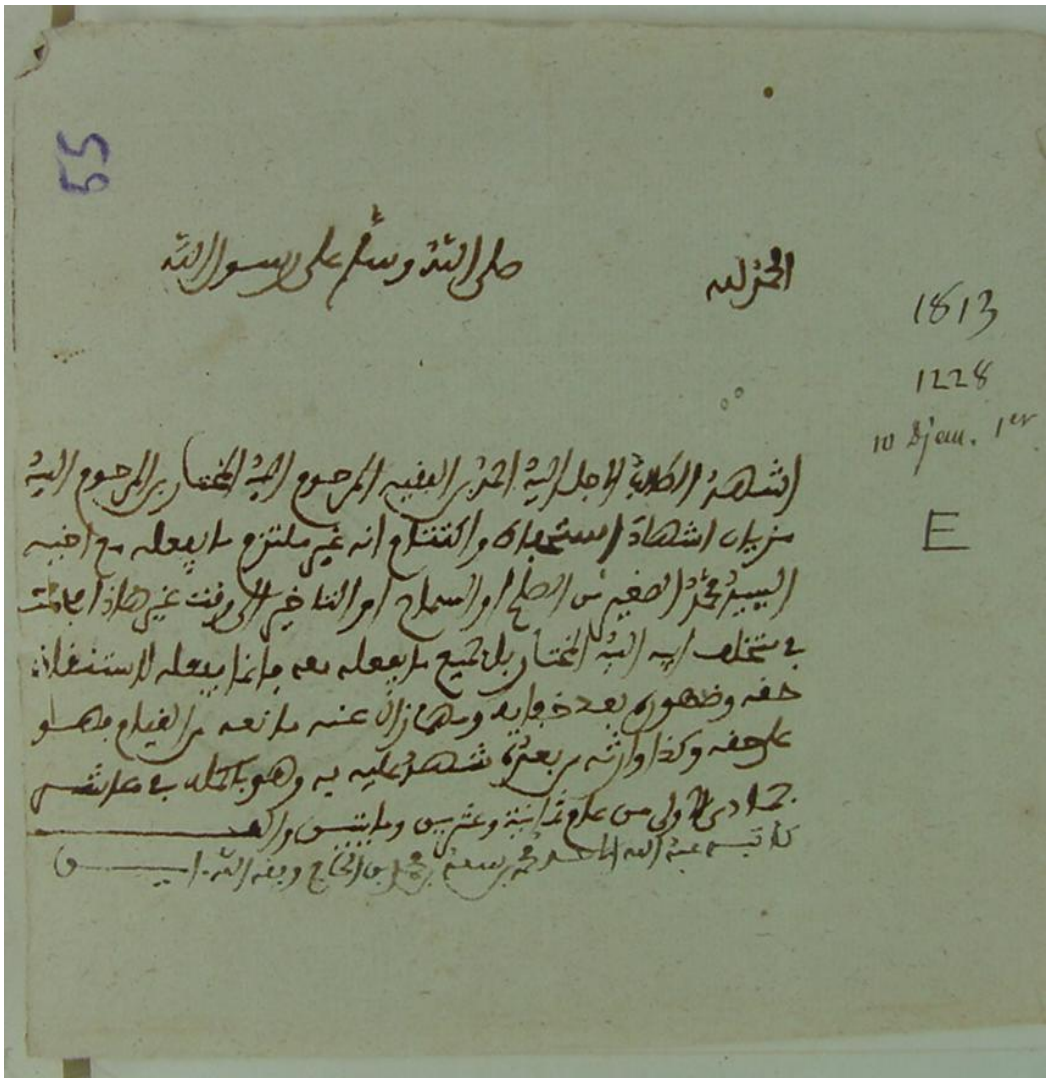

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 55.

الملحق رقم 08:

تكشف لنا هذه الوثيقة ممتلكات السيّد مزيان، وتقسيم تركاته على ورثته

" الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى ءاله وصحبه

لما وقعت المفاصلة في متروك العلامة السيد محمد بن البركة السيد مزيان، كان من جملة ما ثبت ملكه له رحمه الله؛ النصف كاملا في غرس العباس...الذي أخذه السيد محمد المذكور بالشراء الصحيح، وعليه حكم بخط الفقيد المرحوم بكرم الله، السيد ابراهيم الصدمي، وبعد المحاكمة لدى كاتبه صحّ عنه الحكم المذكور، وحكم بصحته حكما تاما منبرما أبرمه وأمضاه وصوغه وارتضاه وأوجب العمل بمقتضاه وأدخله في جملة الأملاك التي قسمها بين الورثة وأمضى ذلك كما هو في رسم المفاصلة بتاريخها: أول رمضان من عام سبعة عشر ومائتين وألف، وطلب من كاتبه إفراد هذا الرسم عن المفاصلة للتوثّق به لمن أخذ ذلك؛ فأجاب لذلك بتاريخ أواخر ربيع النبوي من عام أربعة وعشرين ومائتين وألف(1224).

وكتب بيده الفانية عبيد ربه وأذل عبيده (داخل الرسم) محمد بن الحاج بن سعيد اليبدري وفقه الله آمين[1]

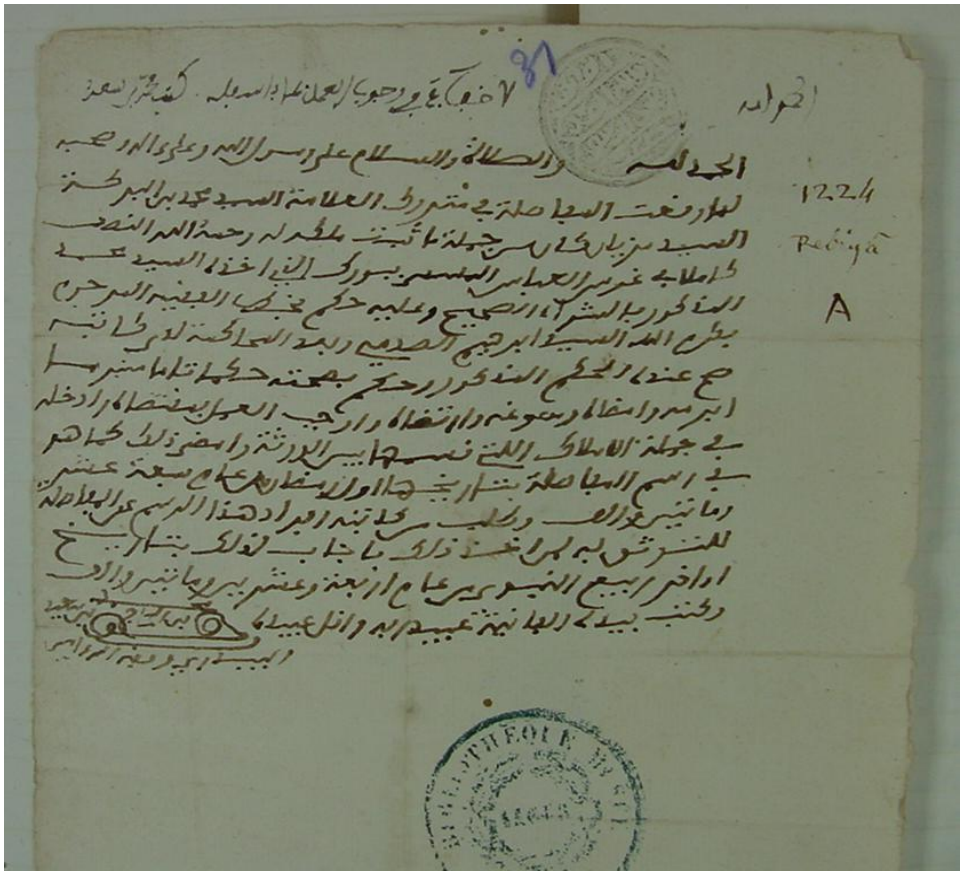

[1] - مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 31.

الملحق رقم 09:

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلّم

عن إذن قاضي الترايك السيد أبي الحاج محمد بن الحاج الواضع طابعه أعلاه؛ إلى العالمين الأفضلين: أبي البشير وأبي...أبي الحاج السلام عليكما والرحمة والبركة تتفاصل مع بن أخيكما أبي أحمد، تأخذوا ما في المفاصلة التي بيده، ويريح كلّ واحد من الورثة الآخر من النزاع والمفاصلة التي بأيديكما فيها الغلط...والحاصل تجمع الورثة وتعطوا كل ذي حقّ حقه، والله يكافيكم ويبقي عليكم الستر بتاريخ أواسط جمادى الأولى من عام ستّة وعشرين ومائتين وألف(1226). وكتب عبد ربه (داخل الرسم):عبد القادر بن علي وفقه الله آمين[1].

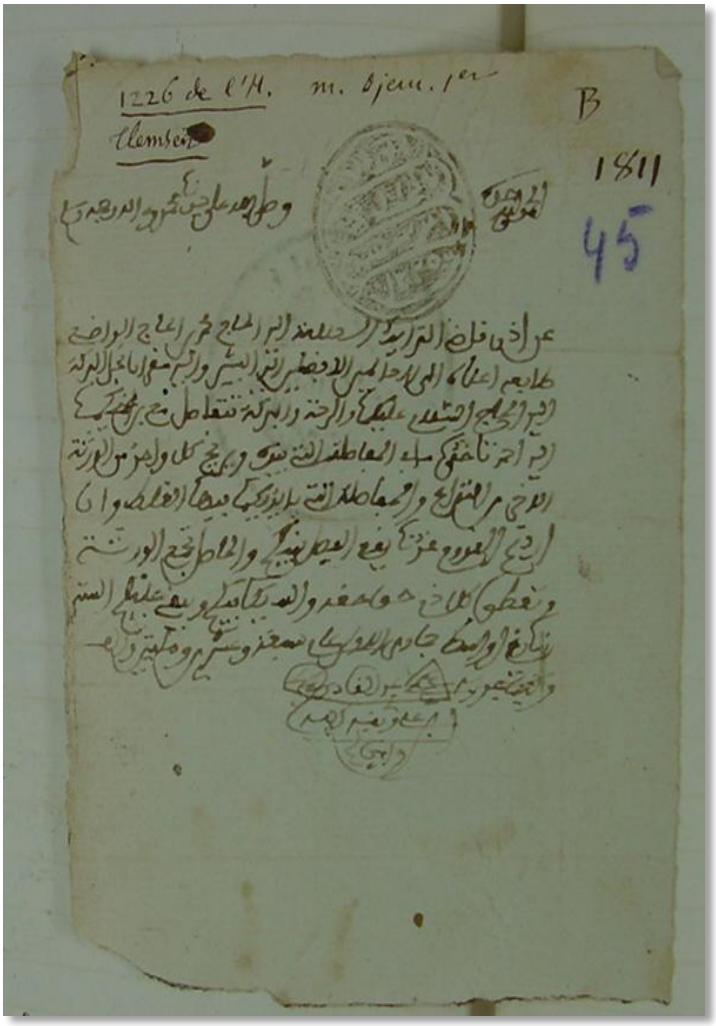

[1] مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 45.

الملحق رقم 10:

تمثّل الوثيقة إلى قضية –سرقة– تحاكم الفريقان، السّيد عبد القادر بن السيد محمد الأدغم الذي ناب عن نفسه وعن السيد الجيلاني بن هيبة الذي اتّهم المدعو محمد بن عبد الله بسرقة كميات –صيعان– من القمح بالمكان الموجود في جبل تاقمة –تقع حاليا بعين فزة– مستغلا غيابه عن المكان، وكان ذلك أمام القاضي محمد بن علي بن محمد الهاشمي وجماعة من أهل العلم مثل السّيد العربي بن عيسى و السّيد الهاشمي ولكن المتهم "أنكر في ذلك إنكارا كليا ثم بعد الإنكار الكلي زعم أنّ السيد محمد بن عيسى هو الذي دل أناسا على القمح المذكور. [1]

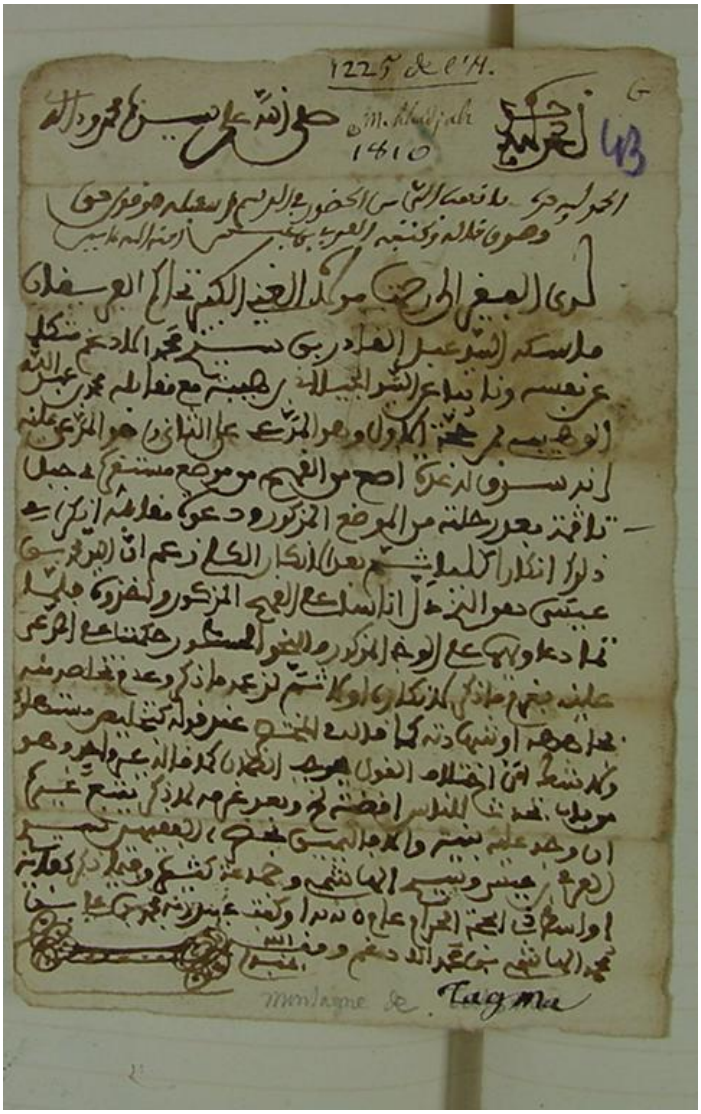

[1] - مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 43.

الملحق رقم 11:

تُشير الوثيقة إلى تدخّل جماعة من أهل تلمسان وبني ورنيد أمام القاضي الشيخ محمد المزاري لعقد صلح بين المدعو قدور والمدعو محمد ولد محمد الذي ناب عن إخوته في اتّهام الطرف الأول بسرقة كمية من الزرع، وكان مضمون الصلح أن يدفع قدور ثلاثة تلاليس –وحدة وزن الحبوب– من الشعير، تليس يأخذه محمد وإخوته وتليسان للجامع – ربما للصدقة– مع إسقاط المطالبة ببقية الزرع، فرضي قدور بذلك "وإسقاط المخاصمة إسقاطا كليّا[1]

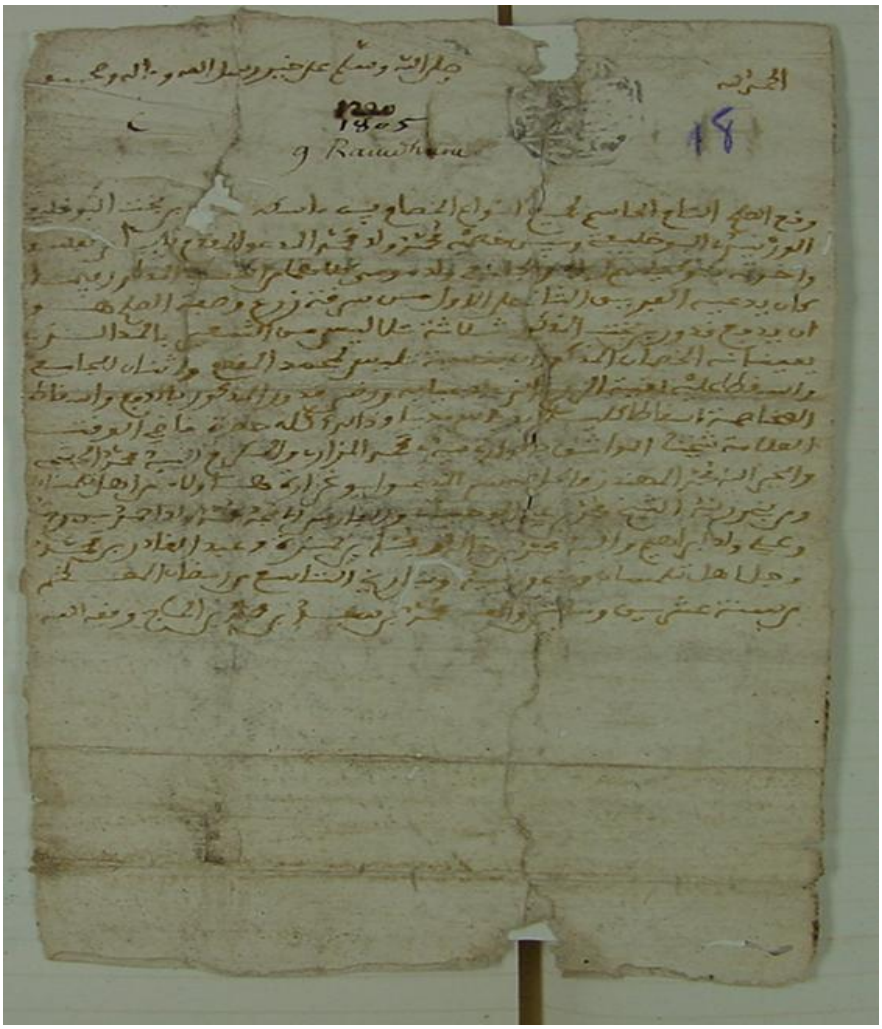

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة18.

الملحق رقم12:

تمثل الوثيقة عقد عملية البيع بين امرأة ورجل، حيث باعت السيدة خديجة بنت سيدي محمد نصف بستان يطلق عليه بن عبد الرحيم بثمن قدره ثلاثة عشرة دورو[1]

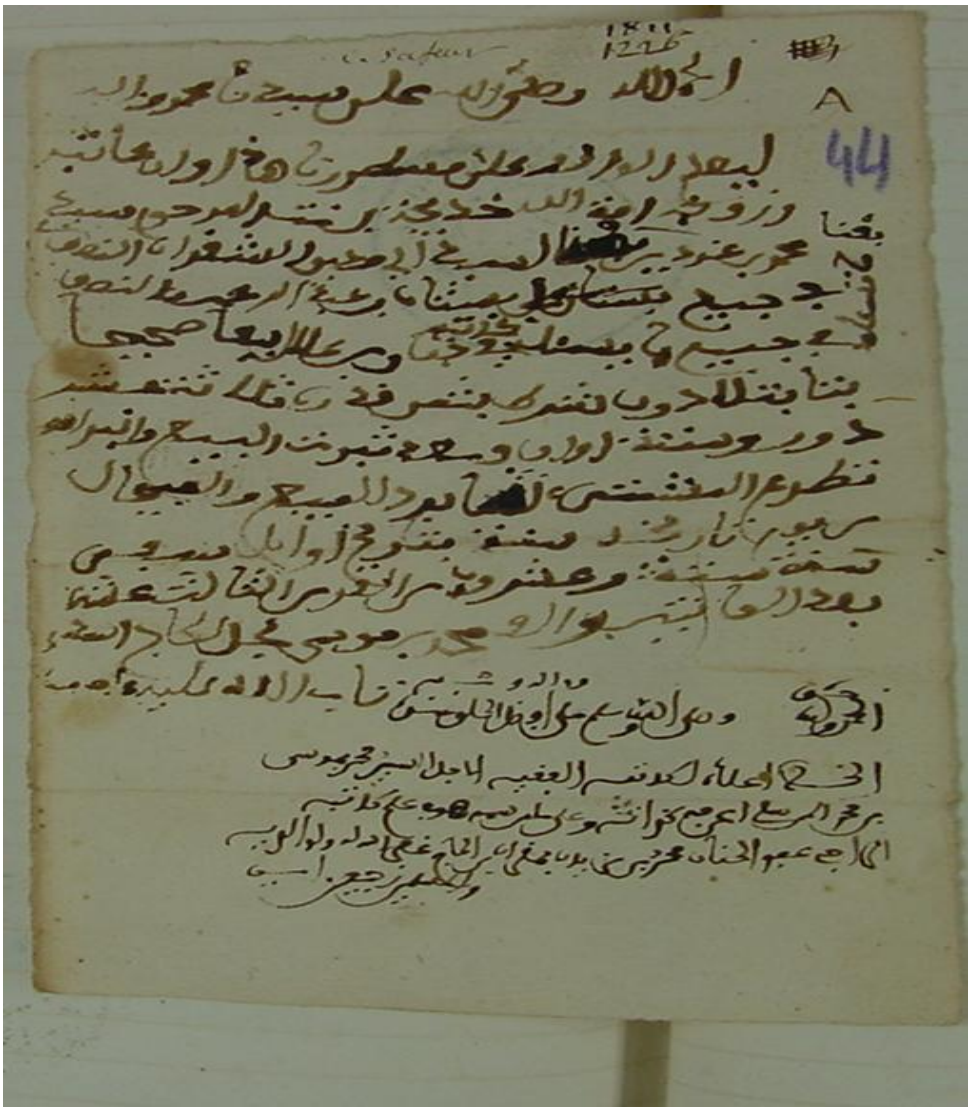

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة44.

الملحق رقم 13:

أمر من القاضي الحاج محمد بن الحاج لأولاد أولاد البركة السيد محمد بن عيسى بالحضور أمامه وإحضار ممتلكات المرحوم السيد محمد بن مختار بن مزيان وقد حددتها الرسالة في "كربيلة ويطغان وكابوس ومكحلة والصرج (هكذا) والجبيرة [1]

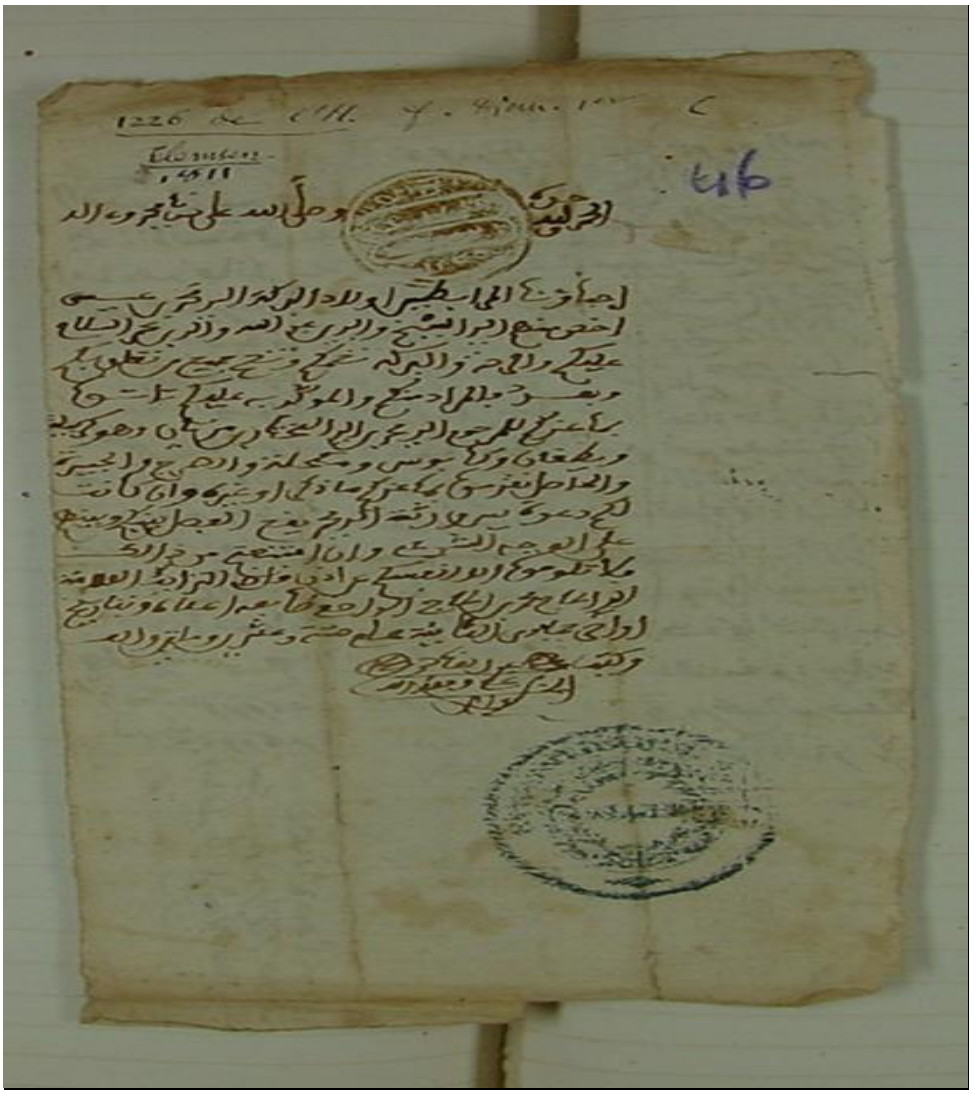

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة46.

الملحق قم 14:

تشير الرسالة إلى قضية مفادها ادعاء السيد عبد السلام الصحراوي الذي ناب عن الطالب محمد الكراري أن موكله وضع لدى السيد محمد بن مزيان المتوفى أمانة تشمل أموالا ورؤوسا من الماشية وذلك منذ سنين مضت، وأظهر أمام أعضاء المجلس عقدا لتأكيد دعواه [1]

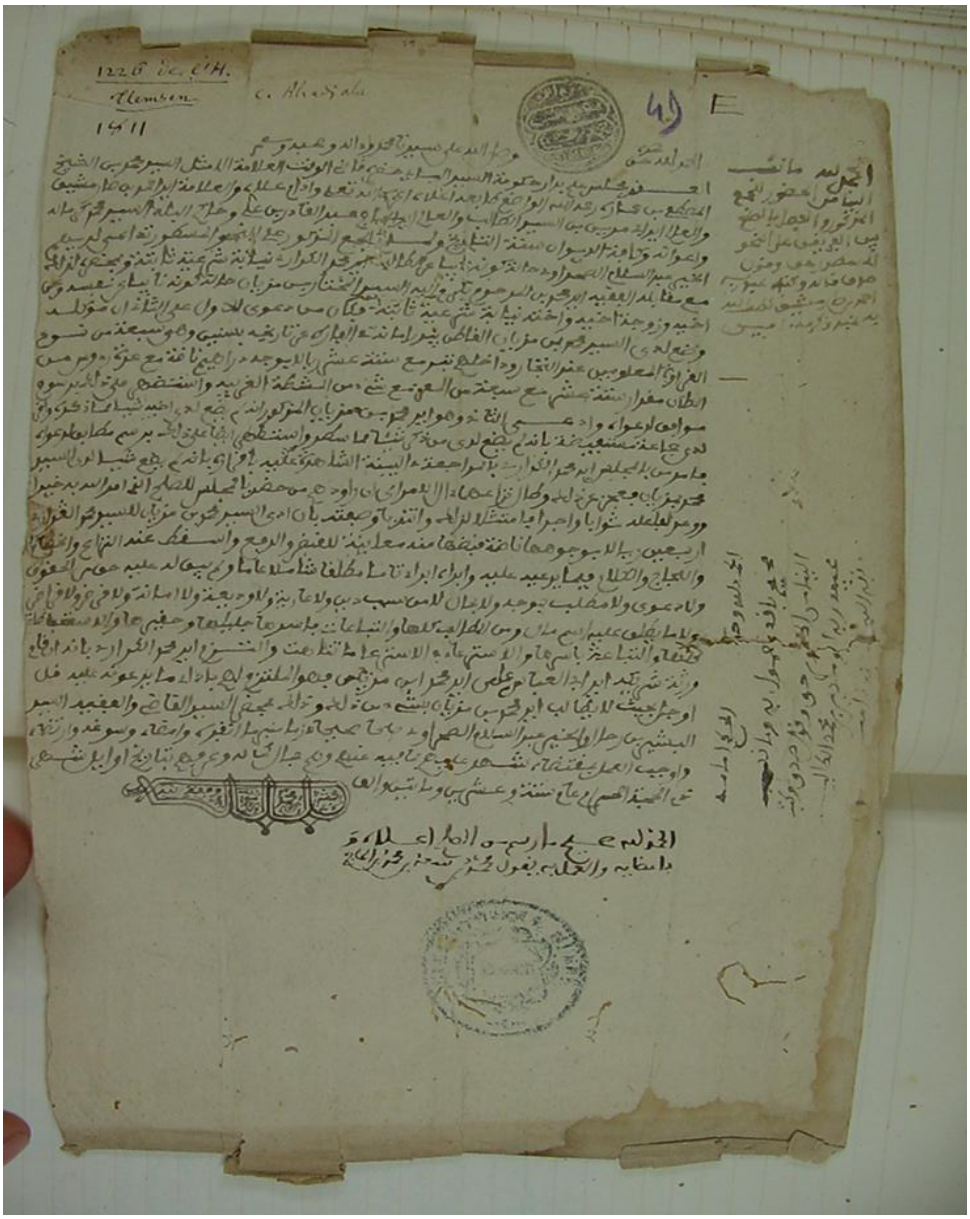

[1] - مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة49.

الملحق رقم: 15

عقد مسجل بيد القاضي السيد محمد بن الحاج مؤرخ بتاريخ أواخر ربيع الثاني 1228/ أبريل 1813م يبطل فيه عقدين كتبهما القاضي عبد القادر بن علي لابني المتوفى السيد المختار بن مزيان[1]

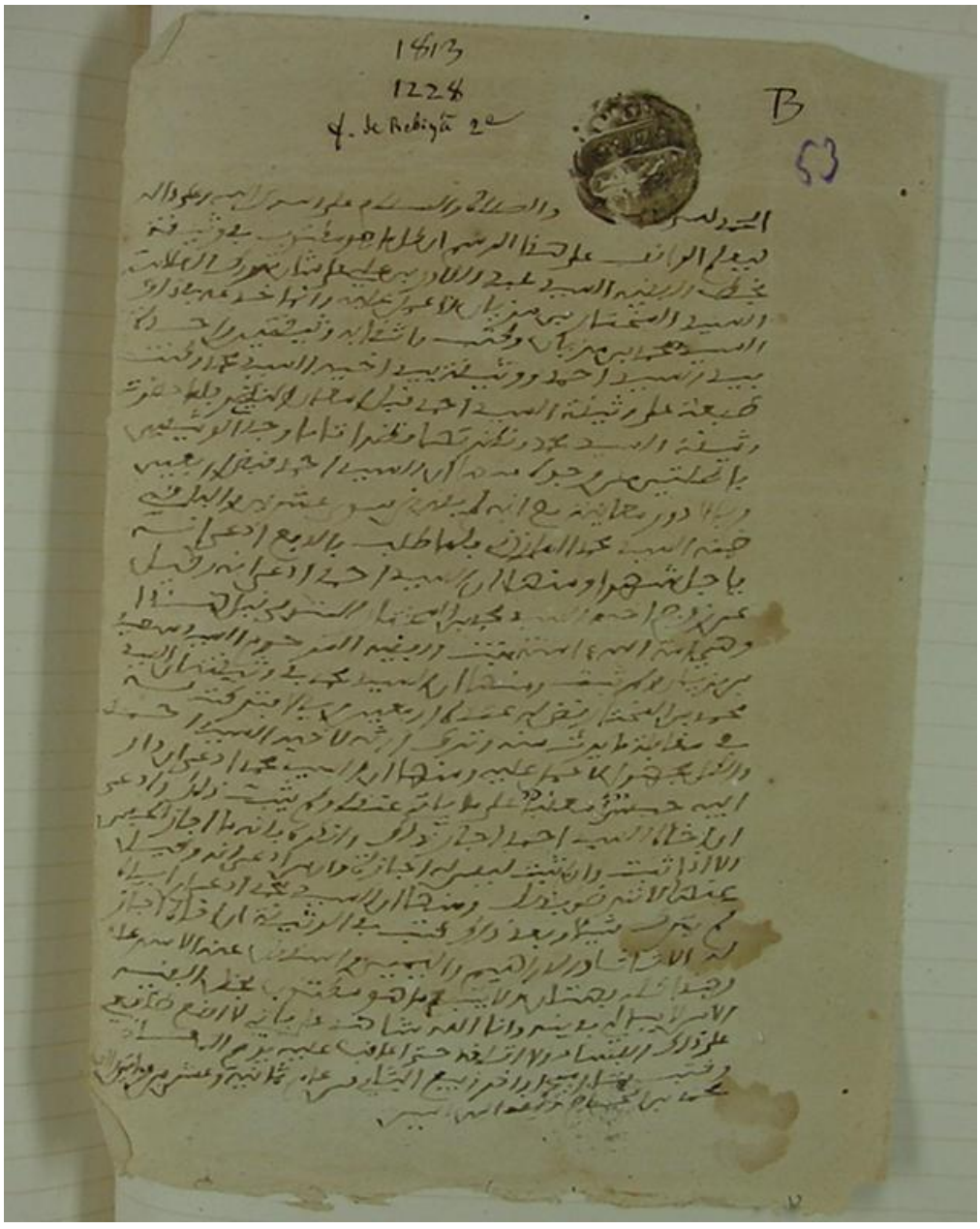

[1]- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة53.

الملحق رقم: 16

عملية البيع بين امرأة ورجل، حيث باعت السيدة خديجة بنت سيدي محمد نصف بستان يطلق عليه بن عبد الرحيم بثمن قدره ثلاثة عشرة دورو[1]

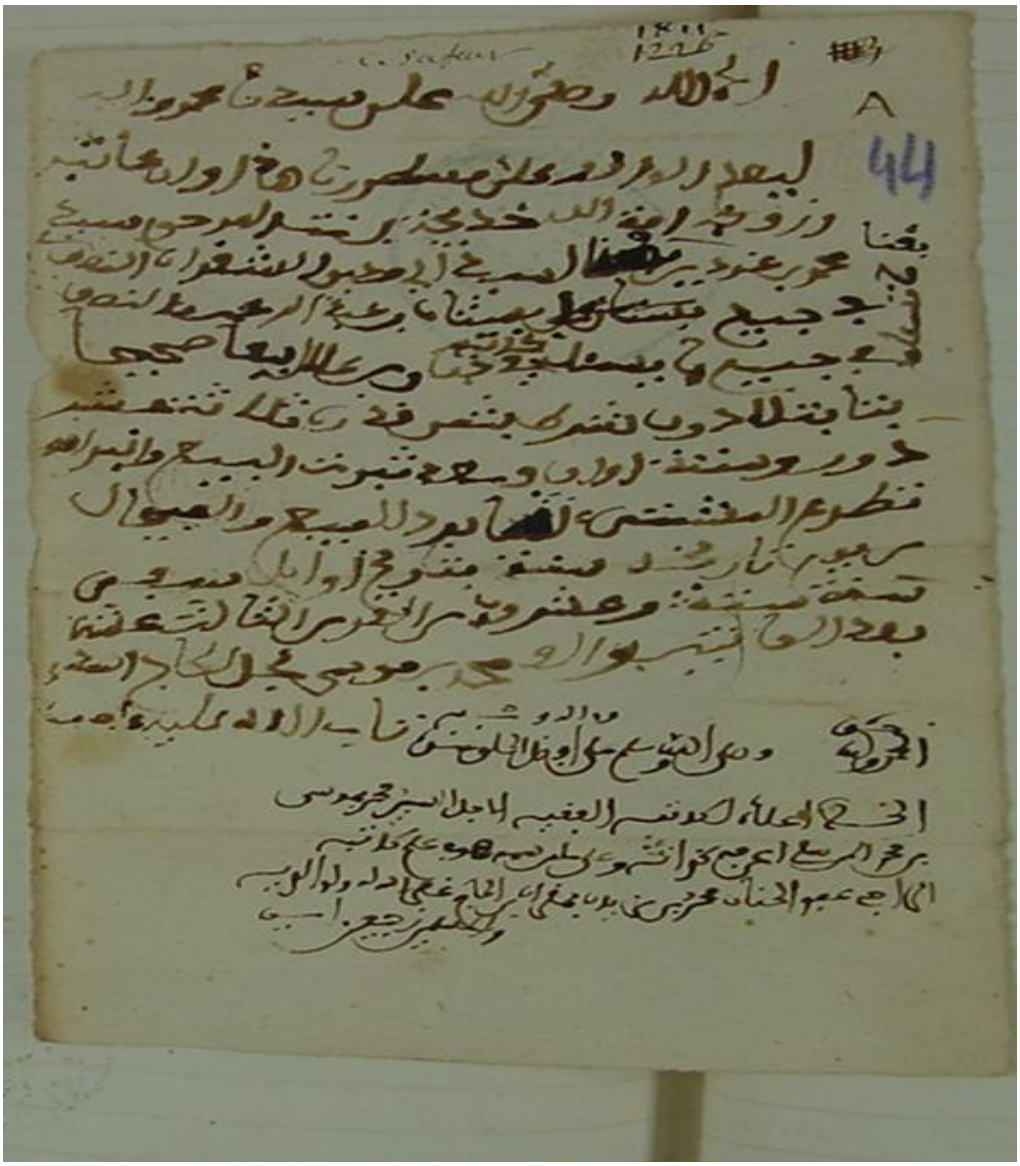

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 44.

الملحق رقم 17:

تمثّل الوثيقة إلى شهود جماعة من العلماء أهل الثقة بملكية الطالب محمد بن عبد الرحمن بن السيد الحاج اليبدري لبغل ذكر أتى به أبو مدين الزهراوي النسب[1]

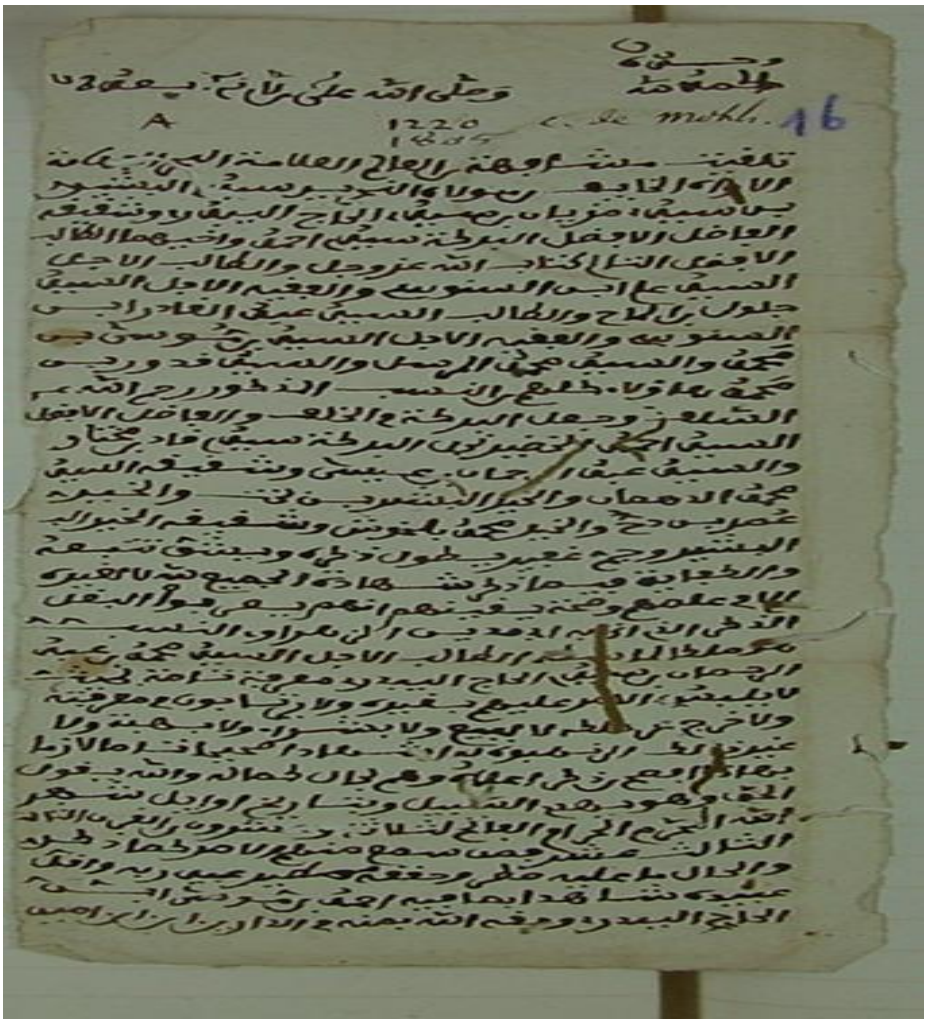

[1] - مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة16.

الملحق رقم: 18

تُشير الرسالة إلى الاعتراف بدين مثاله: حضر السيد بن الحسين بن سيدي الشيخ أمام القاضي واعترف على نفسه أن عليه وبماله وذمته لماسك العقد العلامة الأكمل ابن المختار بن مزيان مبلغا ماليا قدره خمسة وثلاثون ريالا قيمة الريال الواحد ست أواق، وقد ترتب هذا المبلغ عن قرض "سلف"، على أن يرجعه عندما يطالبه به "يؤديها له على الحلول متى شاء لا يبرئه من ذلك"[1]

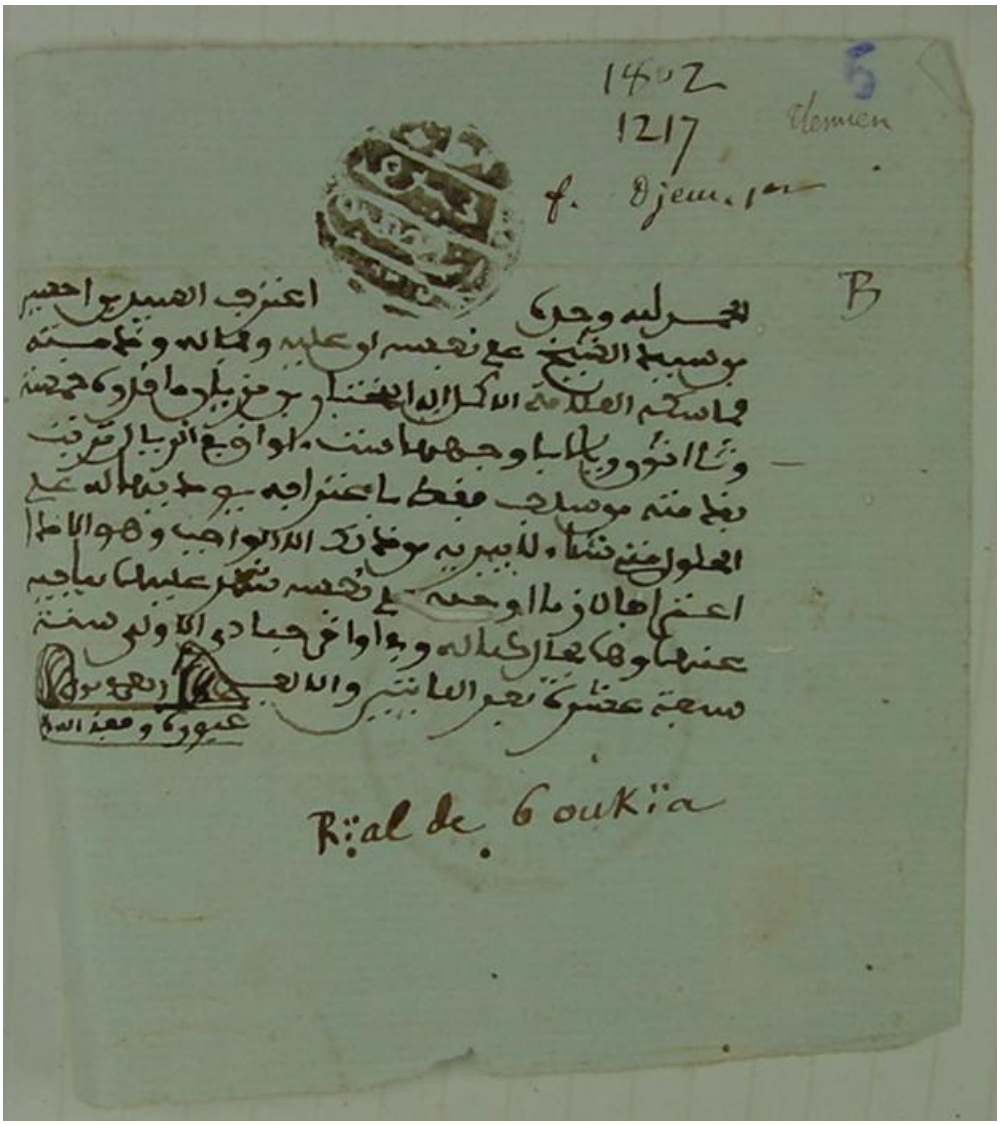

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 05.

الملحق رقم: 19

تمثّل هذه الورقة نماذج عن قضايا نزاعات وخصومات ومحاكمة عرفها المجتمع التلمساني خلال العهد العثماني، حيث تذكر لنا الرسالة الخلاف الذي نشب بين إخوة وهم رمضان وعلي والحاج و المدعوة عائشة زوجة أبيهم المتوفى المرحوم موسى ولد الأعرج، أما سبب الخلاف فكان مطالبة الزوجة بصداقها وحقها في الميراث [1]

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 03.

الملحق رقم: 20

تمثّل الرسالة إلى قضيّة الاعترافات بالدّيون في أنّ السيد مختار بن مزيان– كان قد أقرض السيد محمد بن العالم الأجل السيد سعيد نجل الولي الصالح السيد أحمد بن الحاج، وكانت قيمة المبلغ مائة ريال مخزنية قيمة الريال الواحد ست أواق، وقد ترتب القرض عن "سلف إحسان منه إليه وتوسعة[1]

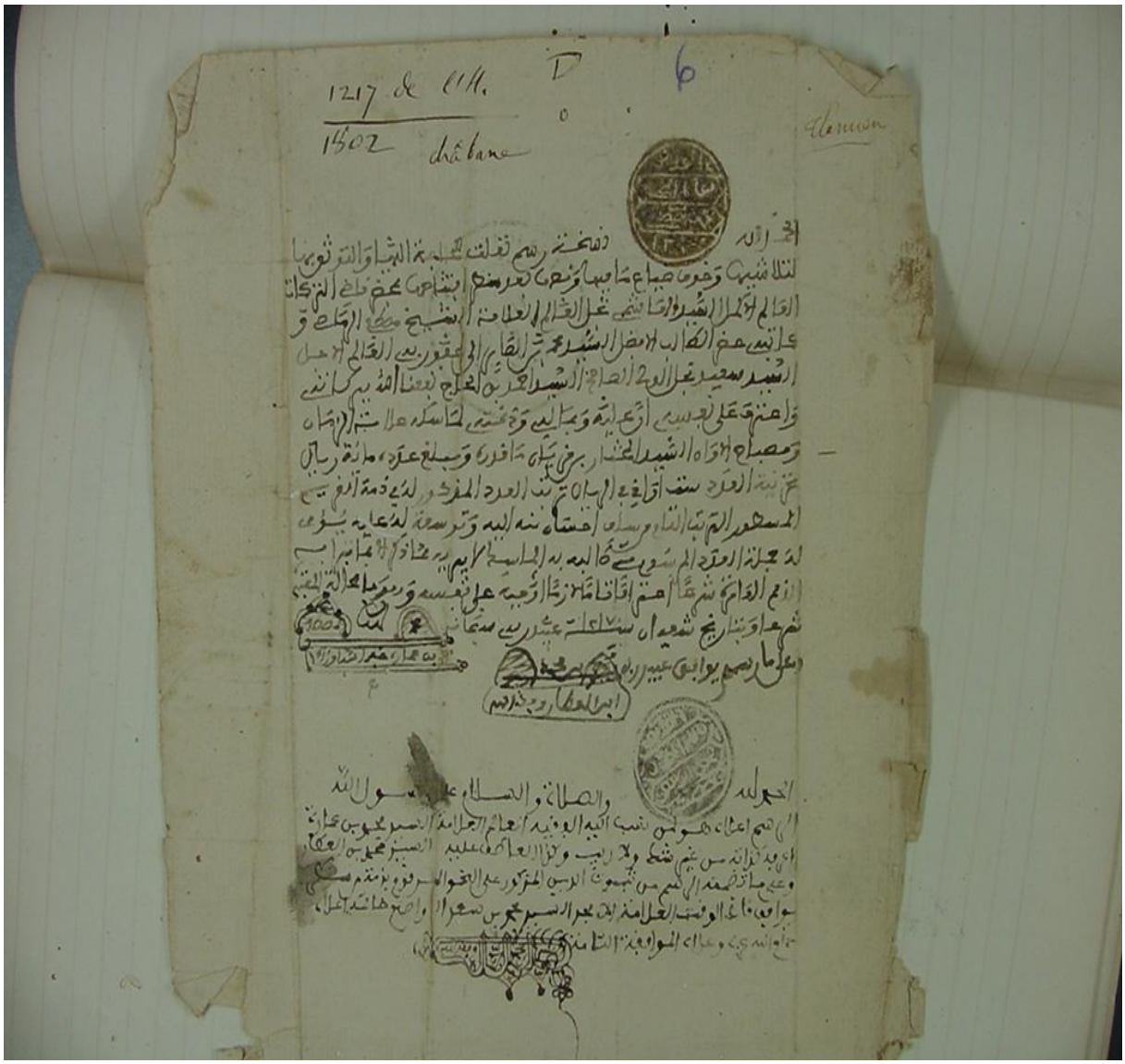

[1] – مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر، ورقة 06.

الملحق رقم 21:

تمثّل الوثيقة الإبلاغ عن ادّعاء حكومة فاس بتبعية منطقة فلاوسن بلواء تلمسان لها ، ومنع جنودها رجال بكلربكي الجزائر من تحصيل مستحقات الولاية من مواردها، والأمر بالعمل وفق ما اعتيد عليه منذ القدم، ومنع رجال حاكم فاس من التدخّل في شؤونها: لقد ورد في هذا الحكم أنّ حاكم فاس مولاي أحمد أرسل جمعا من جنوده إلى فلاوسن لضبط مواردها ومنع جنود ولاية الجزائر من تحصيل تلك المستحقات...وأمر الحكم بضبط موارد الوطن المذكور والتصرّف فيها من قبل رجال ترسلهم ولاية الجزائر، وبالتالي الحيلولة دون تدخل حاكم فاس فيه والتعرّض له...[1]

[1] – ف. م. د 52/ص227/حكم 592: في 13محرم 992هـ/26 يناير1584

الملحق رقم 22:

تمثّل الوثيقة الإبلاغ عن إلحاق الهزيمة بحركة عباس في ولاية الجزائر، واعتزام شريف فاس على الإغارة على منطقة تلمسان، واستفسار الديوان الهمايوني عن سبب عصيان شريف فاس بعد ما كان على الطاعة الكاملة والانقياد للدولة، والأمر بردع القوات الإسبانية عند توجّهها إلى تونس: يتضمّن هذا الحكم عددا من المسائل تخصّ ولاية الجزائر في سنة 1581م ومنها: –تلك الحملات العسكرية ضدّ أحد شيوخ العشائر وهو شيخ عشيرة بني عباس...– وكذا مسألة استهداف شريف فاس منطقة تلمسان.– والمسألة الأخرى التي توقف عندها الحكم هو: اعتزام قبودان اسبانيا شنّ حملة على تونس؛ وعليه طلب الديوان من بكلربكي الجزائر التنسيق مع بكلربكي تونس لردع هذه الحملة.[1]

[1] – ف. م. د 22/ص217/حكم 418: في 14 ربيع الآخر 981هـ/13 أوت1573م

الملحق رقم : 23

تُشير الوثيقة إلى اتّهام أمراء سنجق تلمسان بممارسة الظلم والتعدّي على الأهالي واستحداثهم البدع واغتصاب أموالهم، الأمر بقيام بكلربكي بمهامه التي عين من أجلها وتحميله المسؤولية في حالة تهاونه في منع تجاوزات الأمراء ضدّ الأهالي، وإرسال قاضي مع المباشر إلى تلمسان برفقة عدد من الحراس للتحقيق فيما نسب إلى أمير سنجق تلمسان والتثبّت ممّن أخذ نقود الأهالي قسرا هل هو أمير سنجق؟ أم القاضي؟ أم المباشرون؟..[1].

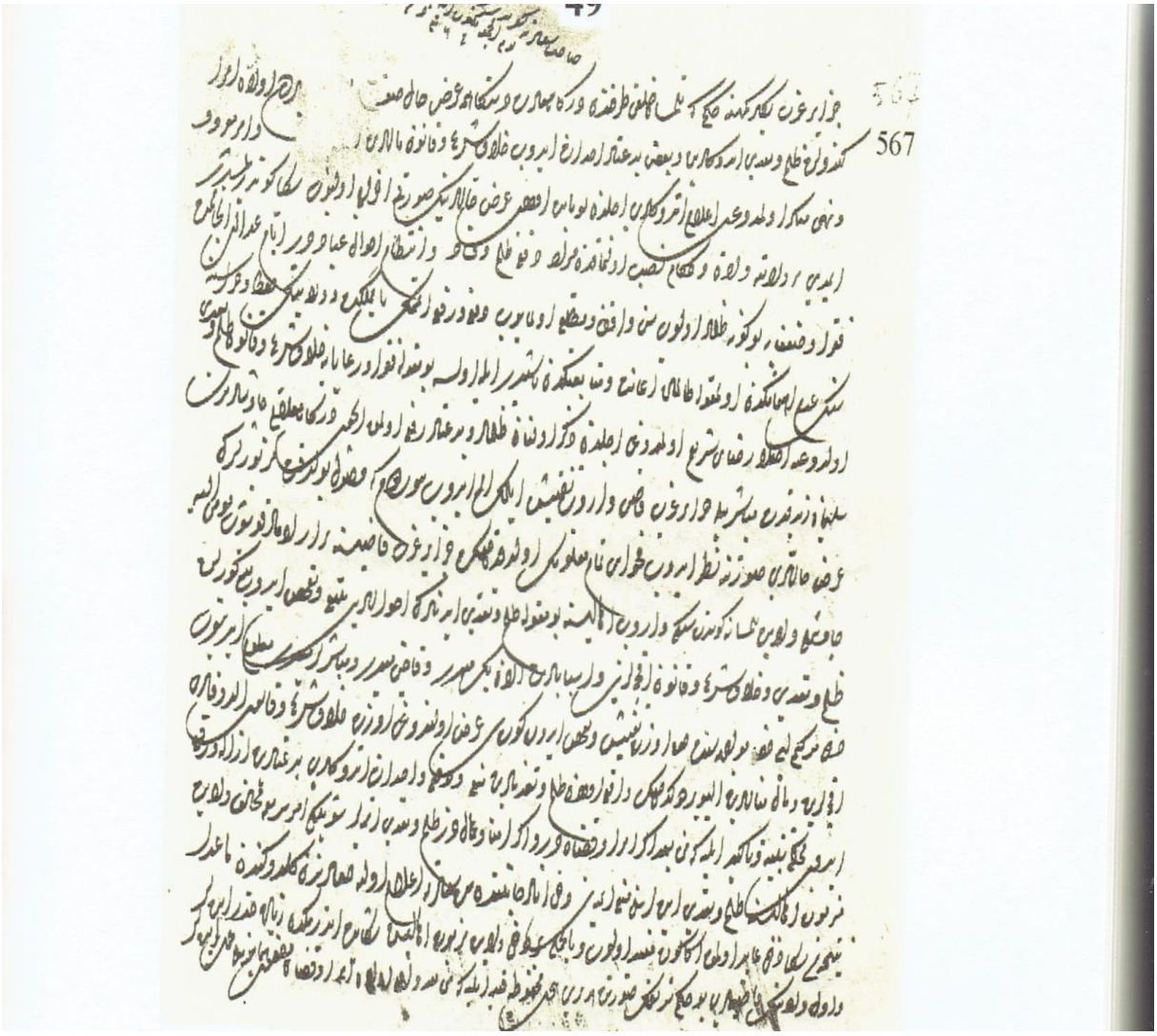

[1] – ف. م. د. رقم 02، حكم 567، في 26ذي القعدة982هـ/9مارس1575م

الملحق رقم: 24

حكم إلى برمقور مصطفى القائد السّابق لتلمسان في الجزائر .

[1]

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

سجلة دفتري رقم 12 سجيلة 549 حكم رقم 1038

بتاريخ 979 / 10 / 29

أعطى إلى الباويش جنفال زاره مصطفى في 29 شوال

حكم إلى برمقور مصطفى القائد السابق لتلمسان في الجزائر .

بناء على استدعائك لعواطفي العلية الكرباتية ، تقدم ارسل حكم (خاص) ونظرا لأهمية تجهيز وتبليغ القرارات الرئاسية في مهلة (بروتوكول) ذلك القانونات التي احترمها معك على كل وجه ، فقد أمرت :

أن تسرع بالوصول إلى الولايات للإشراف على عملياته والقيام واختيارهم من بين كفرة جزيرة (الفقد) التابعة للقائد أيلي الذين سيلتحقون قاموا بالعصيان وتحريض ومساعدة الذين قاتلوا على الأغارة وإشاعة الفساد .

وبعد التشاور مع مصطفى داغر – أمير (بايلية) عليك بالتحري من أولئك بالطريقة المناسبة لالقاء القبض على أهل الفساد والمتهمين وجميع على البلاد بغرض من ثم القاء القبض لحفظ ومراقبة تلك الجزائب كما ينبغي الأمر وعليك بالملاءمة من كيفية تأمين ذلك وإرسال عائلة إلى سيدة سعادتنا بمجرد الذين وضعوا على الجنايات من أهل الفساد ، مع ذكر الجرائم التي ارتكبوها .

تحريرا : محمد داود التميمي

الجناس – تنبيه تطلق على التهمة التي تزيد فيها على مائة الدانية

DZJAN/2011/03/044

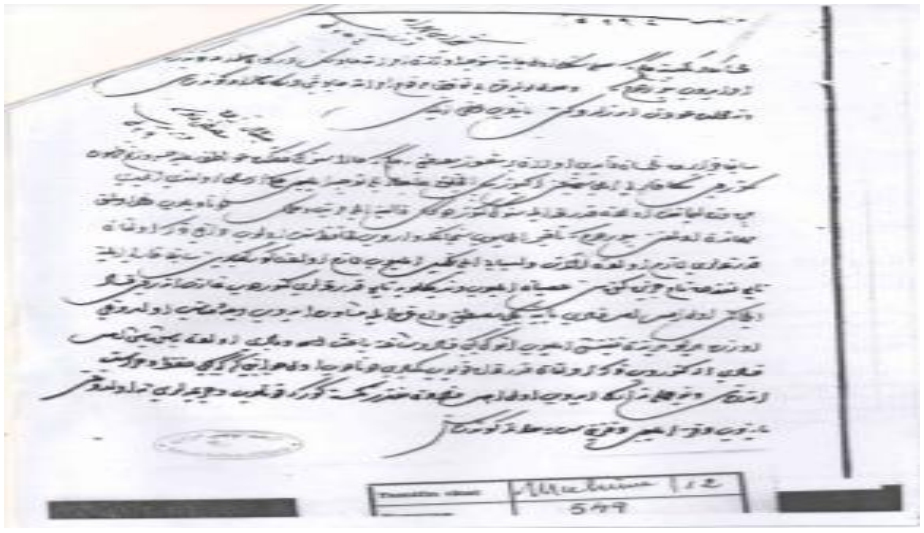

[1] – معمة دفتري، رقم 12، حكم 1038، بتاريخ 979/10/29.

الملحق رقم: 25

حكم إلى أمير أمراء جزائر الغرب، تكوّن هذا الحكم من بُندين، يدور مضمون البند الثاني في هذه الرّسالة حول وضعية منطقة تلمسان الواقعة بجزائر الغرب، والرّسالة هذه موجّهة إلى أعيان وأشراف هذه المدينة، وتأذيب الخونة الذين وقفوا في صف الاسبان ومعاقبتهم[1]

دفتر : مهم 58
عدد : 58
تاريخ : 993

البند الاول

حكم الى امير امراء جزائر الغرب

البند الثاني

[1] – دفتر مهم، عدد 58، تاريخ 993.

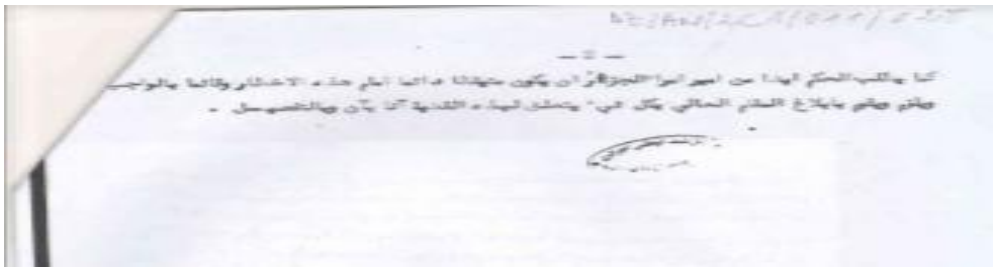

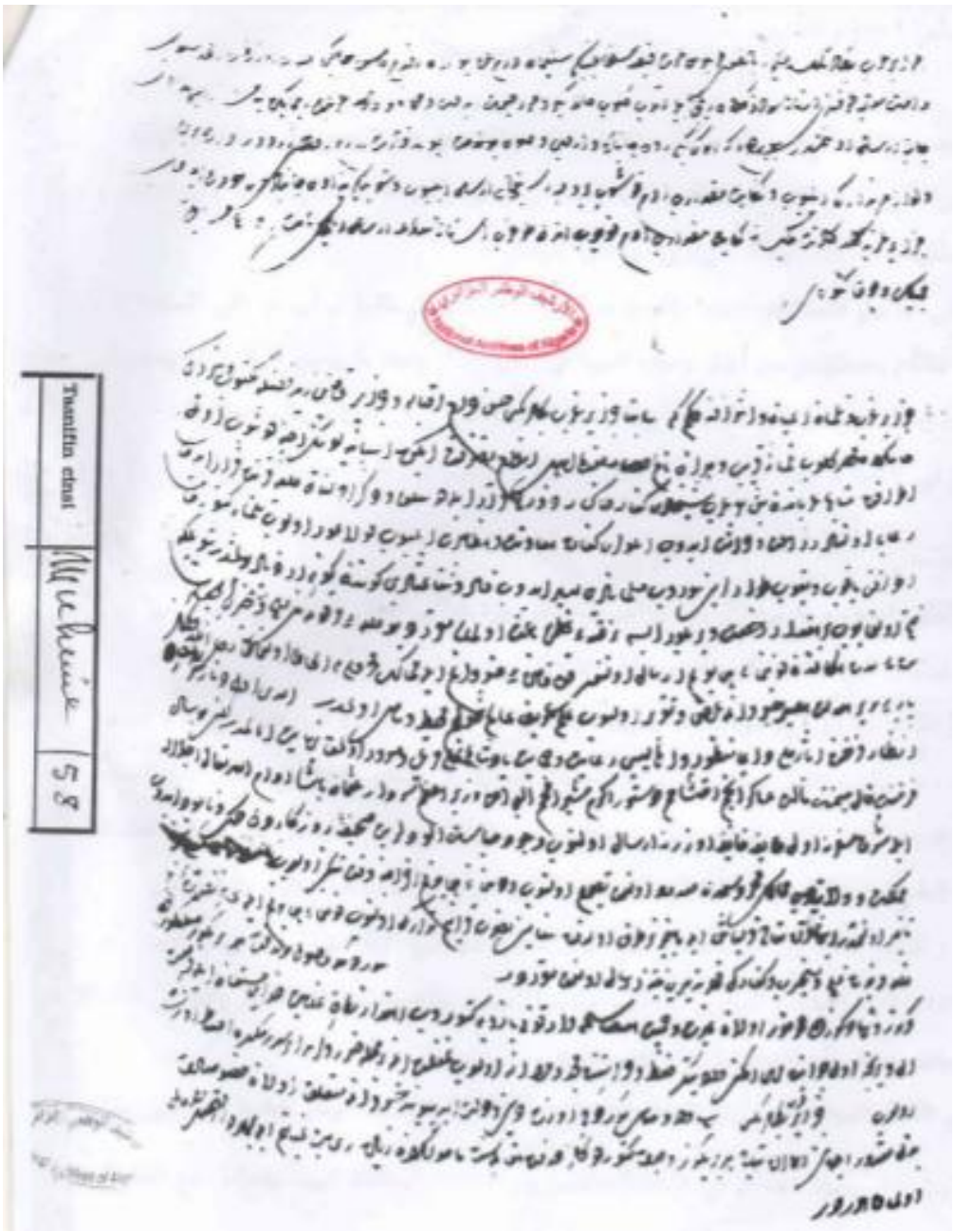

الملحق رقم: 26

أسواق نواحي تلمسان في العهد العثماني[1]

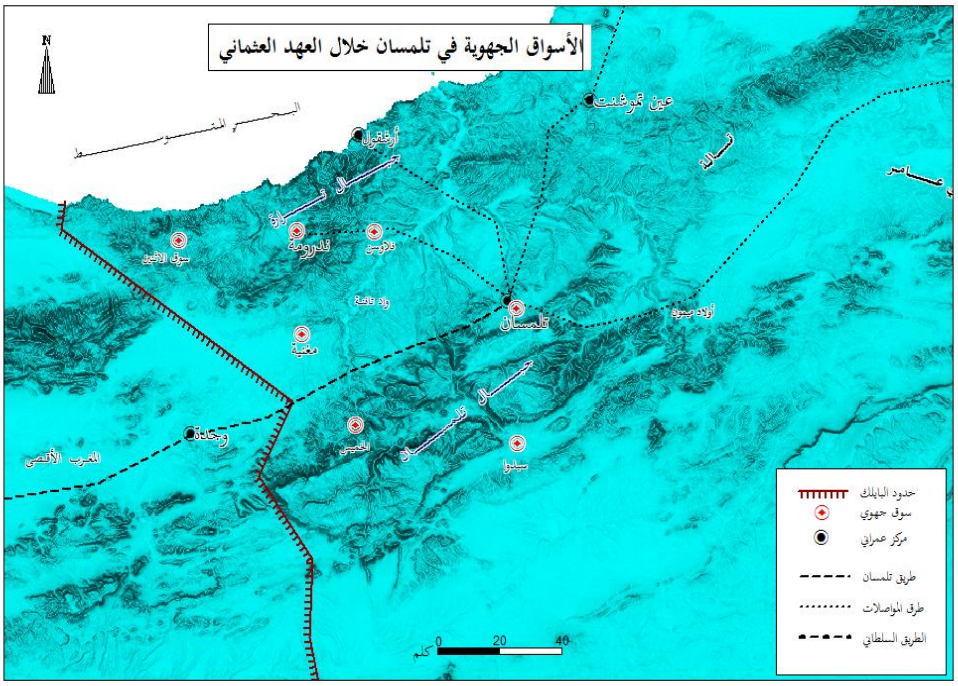

[1] – من إنجاز الطالب الباحث بمساعدة وتوجيه الأستاذ رابح بن سعادة، مُتخصص في علم الجغرافيا.

الملحق رقم: 27

طرق المواصلات في بايك الغرب وتلمسان [1]

[1]– من إنجاز الطالب الباحث بمساعدة وتوجيه الأستاذ رابح بن سعادة، مُتخصص في علم الجغرافيا.

الملحق رقم: 28

تلمسان وتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني[1]

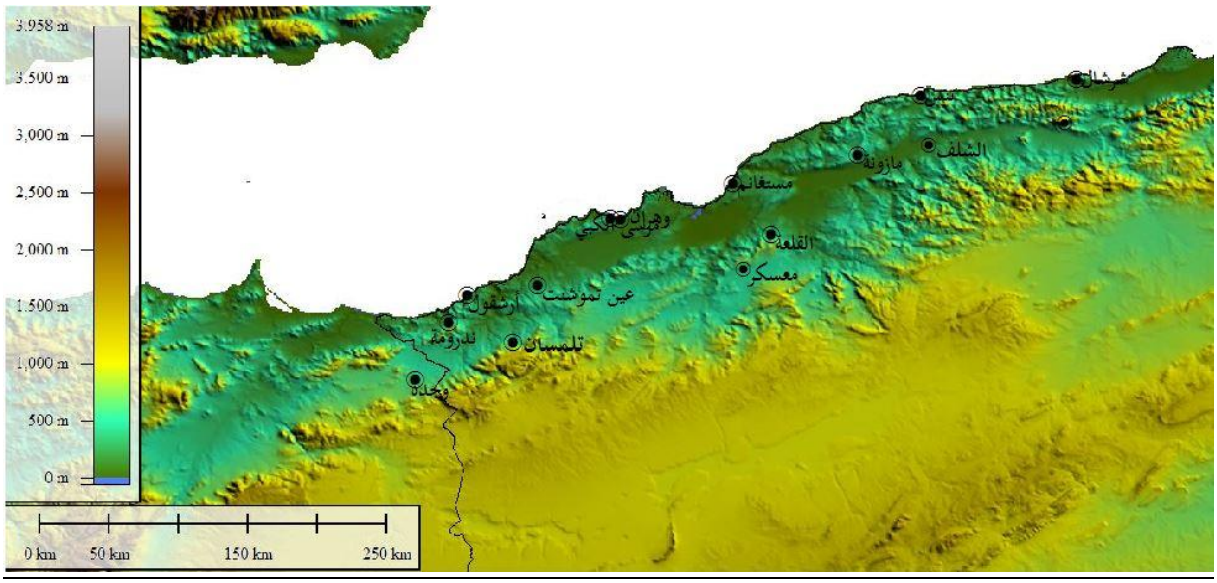

[1] – من إنجاز الطالب الباحث بمساعدة وتوجيه الأستاذ رابح بن سعادة، مُتخصص في علم الجغرافيا.

الملحق رقم: 29

أسواق مدينة تلسان في العهد العثماني[1]

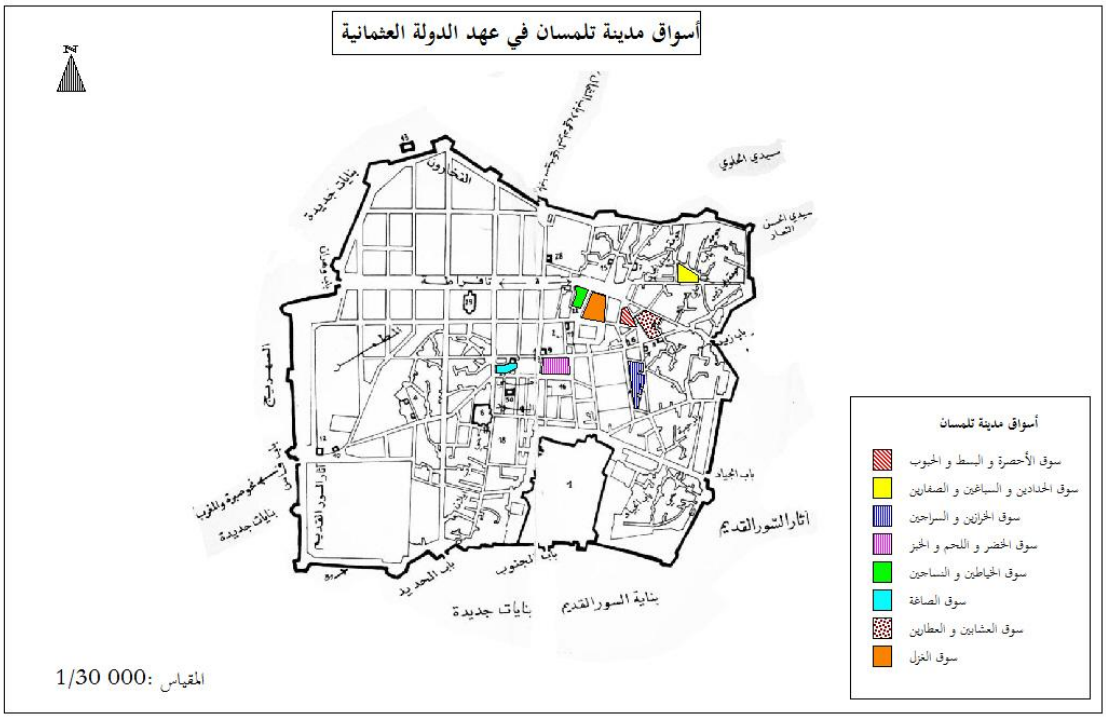

[1] – من إنجاز الطالب الباحث بمساعدة وتوجيه الأستاذ رابح بن سعادة، مُتخصص في علم الجغرافيا.

الملحق رقم 30

مدينة هنين

1

[1] – من إنجاز الباحث وعدسة الأستاذ فتحي بريرج.

الملحق رقم 31:

الحمام البالي بمدينة ندرومة[1]

[1] – من إنجاز الطالب الباحث.

قائمة
قائمة

المصادر و المراجع
المصادر و المراجع

القرآن الكريم

- سورة الأنفال، الآية 27.
- سورة البقرة، الآية 184، 282
- سورة الحج، الآية 78.
- سورة الروم، الآية 22، 50.
- سورة الكهف، الآية 16.
- سورة النساء، الآيّة 04، 11، 58، 59
- سورة النور، الآية 36.
- سورة محمّد الآية 15.
- سورة مريم، الآية 48.

أولا: المصادر العربية والمراجع باللغة العربية

1/ الأرشيف

2/1 الأرشيف الوطني الجزائري

2/1/1 وثائق مهمة دفتري

- ف. م. د، رقم 52/ عدد227/تاريخ:992.
- ف. م. د، / عدد80/تاريخ:993.
- ف. م. د، رقم 23/ص102/حكم 208: في 22 رجب 981هـ/17 أكتوبر1573م.
- ف. م. د، رقم /ص116/حكم 567: في 26 ذي القعدة 982هـ/9 مارس 1575م.
- ف. م. د، رقم رقم 12/صحيفة549/حكم رقم 1038/تاريخ: 29 شوال 979هـ.

3/1/1 سجلات البايلك

- س. ب. ف. س 155.ع 23.

- س، ب، ف 29، ع: 23، رقم الوثيقة .148

3/1/2 سجلات المحاكم الشرعية

- س، م، ش، ع: 140، وثيقة 85 - 86.

- س، م، ش، ع: 18. و105-106.

- س، م، ش، ع: 52، رقم الوثيقة 138.

- س، م، ش، ع:59، و. 106.

2/2 **الأرشيف الوطني التونسي:**

- الدفاتر الإدارية والجبائية، دفتر رقم 2144.

3/ المخطوطات:

1/3 مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية

- ابن زرفة أبو محمّد مصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمن، الرحلة القمريّة في السيرة المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة، الجزائر، الجزء الأول، تحت رقم 3322.

- الصباغ محمد بن علي القلعي، بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، مخطوط م. و. ج تحت رقم 1707.

- مجموعة 2316، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر.

- مجموعة 3205، (قسم المخطوطات)، المكتبة الوطنية بالجزائر.

2/3 مخطوطات المكتبة الوطنية الفرنسية:

- الجازولي محمد بن سليمان الصائم التلمساني، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين، في الكلام على قصيدة حزب الله العارفين، ج2، نسخة المكتبة الوطنية بباريس، قسم الشرقيات، رقم (2460)، بروكلمان 02/ 1009.

- الزجاي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن محمد فتحا، مخطوط، إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر في أوائل القرن الثالث عشر، المكتبة الوطنية بباريس، يحمل رقم: R.D.9307، 1867.

3/3 مخطوطات مغربية

- الحوات أبو الربيع سليمان، مخطوط البذور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية، مكتبة الطالب بالرّباط، رمز MS ARAB، الورقة رقم 100.

- المشرفي أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيئ الظن الكنسوس، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ك 2276.

4/ المصادر المطبوعة

1) محمد بن رقية التلمساني: الزهرة النَّائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تع، خير الدين سعيدي، أوراق ثقافيّة للنّشر والتّوزيع، ط1 الجزائر، 2007.
2) ابن أبي دينار القيروان، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1967.
3) ابن أبي زرع الفاسي، "الأنيس المرطب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرّباط، 1972.
4) ابن الأبَّار أبو عبد الله بن أبي بكر القُضَاعِي، الحُلَّة السَّيَرَاء، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة. 1984.
5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، (د.ت).
6) ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 1421هـ-2001م.
7) ابن الأحمر، تاريخ الدّولة الزّيانيّة بتلمسَان، تق وَتح وَتع: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدّينية للنّشر والتّوزيع، ط1، بور سعيد، 2001.
8) ابن العوام محمد، الفلاحة، ج1، دط، دن، مدريد، 1802.
9) ابن المفتي حسين بت رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، در وَتح: فارس كعوان، بيت الحكمة، 2008.

10) ابن بصال، كتاب الفلاحة، تر: خوسي مياس بيكروس ومحمد عزيمات، د ط، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1955.

11) ابن حزم أبو محمد علي ابن أحمد ابن سعيد الأندلسي (ت456هـ/1048م)، جمهرة أنساب العرب، تح: محمد هارون عبد السلام، دار المعارف، القاهرة، 1982.

12) ابن حمادوش عبد الرزاق، رحلة بن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تق وتح وتع: ابو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.

13) ابن حوقل النصيبي أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

14) ابن خالد أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء. 1955.

15) ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، مج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000.

16) ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم: الاسكندراني محمد، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 2001.

17) ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، ج7 ، دار الفكر، بيروت، 2000.

18) ابن خلدون يحي، بُغيّة الروّاد في ذكر الملوك من بَني عبد الواد، تق وتح و تع: عبد الحميد حاجيات، ج2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2001.

19) ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بين عبد الواد، تح و تق: بوزيان الدراجي، ج2، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

20) ابن روستان سي حمو، تُحفة الاعتبار فيما وجد من الآثار بمدينة الجدار، جامع الكتابات الأثرية التلمسانية، تق وتح: عمارة علاوة و كعوان فارس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر. 2021.

21) ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مِكناس، تح، علي عمر، ج4، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1429هـ/2008.

22) ابن سحنون أحمد بن محمد بن علي الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح. المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

23) ابن سحنون الرّاشدي أحمد بن محمد بن علي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

24) ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وَ تق: المهدي البوعبدلي، منشورات الأصلي، سلسلة التراث، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973.

25) ابن سيده المرسي أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، المخصَّص ، ج6، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحميّة، القاهرة، 1312هـ.

26) ابن عبد الجليل أبو عبد الله محمّد التّنسي، تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

27) ابن عبد الحكيم عتبة بن عتبة الجيلاني، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، تحقيق الجيلاني بن فرح حسين، الجزاءر، (د.ت).

28) ابن عبد القادر أبو عبد الله مسلم الوهراني، أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنّوادر أو تاريخ بايات وهران المتأخر، تح: رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.

29) ابن عبد الله أبو الحسن العسكري، كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه، ج1، مطبعة الظاهر، القاهرة، 1998.

30) ابن عبد الله محمد التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

31) ابن عبد الوهاب محمد المكناسي، رحلة المكناسي إحراز المعلى والرقيب في حجّ بيت الله الحرام وزيارة بيت القُدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785، تق وتح: محمد بوكبوط، دار السويدي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2003.

32) ابن عثمان حمدان خوجة، المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 2005.

33) ابن عذارى المراكشي، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان وليفي بروفنسال، ج2، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.

34) ابن عسكر الحسني محمد الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: نحند حجي، ط2، دار المغرب، الرباط، 1977.

35) ابن كثير أبو الفداء عماد الدّين، "البداية والنهاية"، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج15، دار هجر للطّباعة والنشر، القاهرة، 1977.

36) ابن محمد أحمد المدغري العلوي، الأنوار الحسنيّة في نسبة من سجلماسة من الأشراف المحمدية، تح: عبد الكريم الفيلالي، مطبعة فضالة، منشورات وزارة الأنباء، ط1، المحمدية، 1966.

37) ابن محمد الحسني أبو يعقوب يوسف بن عابد الفاسي المغربي، رحلة بن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت، نح ونشر وتق وتع: إبراهيم السّامرائي وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

38) ابن محمد العياشي أبو سالم عبد الله، ماء الموائد والمعروف ب: الرحلة العياشية إلى الديار النورانية 1661- 1663م، ج2، تح وتق: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة ، 2006.

39) ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، دراسة وتح: سلوى الزهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،2008 .

40) ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، البُستان في ذِكر الأولياء والعُلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المبطعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

41) ابن منظور أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج6، دار صادر، 1، بيروت، لبنان، 2009.

42) ابن ميمون محمّد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحميّة، تقديم وتحقيق، مُحمَّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

43) ابن هطال أحمد التلمساني، رحلة محمَّد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الجزائري الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمَّد بن عبد الكريم، عالم الكتب، 1969.

44) ابن يحي أبو العباس أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج1، وزارة الشؤون الإسلامية لمملكة المغربية، المغرب، 1981.

45) ابن يوسف محمَّد الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تق، وَ تع: المهدي البوعبدلي، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، ط2، الجزائر، 2007.

46) أبو حفص عمر الصقلي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990.

47) أبو راس النّاصر محمد بن أحمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تق وَ تح: محمد غالم، ج1، منشورات CRASC، الجزائر، (د ت).

48) أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج2، تح وَتق: محمَّد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، CRASC ، الجزائر، (د ت).

49) أبو راس محمد الناصر الجزائري، فتح الإله ومنته في التّحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتيّة والعلميّة"، تح و تع: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982.

50) أبو سالم العياشي، رحلة العياشي الحجية الصُغرى، تحقيق عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.

51) أبي الفداء محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، د ط، بيروت، 1830.

52) أبي عبيد البكري، المسالك والممالك، ج 2، دار الغرب الإسلامي، د.ط، د.م، 1992.

53) أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، د ط، بغداد، دس.

54) الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 1، مكتبة الثقافة الدينية، د ط، القاهرة، 1422هـ/2002م.

55) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 2، تح: روبيناشي والأخرون، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة، 1422 هـ/ 2002 م.

56) الإفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار القرن الحادي، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، مطبعة بردين، أنجي، 1988.

57) البابانى إسماعيل بن محمد أمين بن أمير سليم البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج2، تصحيح: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمر الدين والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت).

58) البطوئي عيسى بن محمد اليحيوي الراسي، مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفوز والصلاح، دراسة وتحقيق الفكيكي حسن، منشورات طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000.

59) التنسي، تاريخ ملوك تلمسان، تح: محمود بو عياد، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائر، د ط، 1985.

60) الجبرتي بن الحسن عبد الرحمان أبو زيد، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار المسمى بـ: تاريخ الجبرتي، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحيم عبد الرحيم، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1977.

61) الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكيّة، ط2، الرباط،1991.

62) الجيلاني أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج4، تحقيق حجي محمد وآخرون، مكتبة الطالب، الرباط، 1986.

63) الحزنائي علي، جنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحق: عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

64) الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح احسان عباس، مطابع هيدرلبرغ، بيروت، 1984.

65) الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مُختار الصّحاح، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان، 2001.

66) الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ج1، مطبعة حكومة الكويت، 1960.

67) الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

68) الزهري أبو بكر، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د ط، الجيزة، بورسعيد، د ت.

69) الزياني أبو القاسم، التُرجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1991.

70) الزياني أبو القاسم، جَمهرة التيجان وفهرسة الياقوت والؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، تق وَتح: عبد المجيد خيّالي، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003.

71) الزياني أبو القاسم، الروضة السليمانية في ملوك الدولة الاسماعلية ومن تقدمها من الدولة الإسلامية، مكتبة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، (د ت).

72) السخاوي محمد بن عبد الرحمان، التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج1، تح: نجوى مصطفى ولبيبة إبراهيم مصطفى، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، مصر، 2002.

73) السّهروردي شهاب الدين أبي حفص عمر، عوارف المعارف، ضبطه وصحّحه محمد عبد العزيز الخالدي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

74) الشريف الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق محمد حاج صادق، باريس، 1993.

75) الشهرستاني بن أبي بكر أبو الفتح محمد، "الملل والنحل"، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود، ج1، دار المعارف، ط3، بيروت، 1993.

76) الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1695- 1705)، تحقيق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.

77) الصفدي صلاح الدين، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيق السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1987.

78) الضعيف محمد بن عبد السلام، تاريخ الضعيف، الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى آخر عهد مولاي سليمان، تحقيق وتقديم أحمد العماري، ط1، دار المأثورات، الرباط، 1986.

79) العبدري أبي عبد الله محمد، رحلة العبدري، ، تحقيق: علي إبراهيم كردي، تقديم: شاكر الفحّام، ط2 دار سعد الدين للطّباعة والنّشر و التوزيع، دمشق، 2005.

80) العبدري محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوعلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر،2007 .

81) الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح وتع: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط2، لبنان، 1979.

82) الفكّون عبد الكيريم، منشور الهداية في كشف خال من ادّعى العلم والولاية، تق وتح وتعك أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1987.

83) القاشاني كمال الدين عبد الرزاق، من صوفية القرن الثامن الهجري: إصلاحات الصوفية، تحقيق وتعليق محمد كمال إبراهيم جعفر، مركز تحقيق التراث، الهيئة العامة للكتاب، 1981.

84) القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المؤسسّة المصريّة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1913.

85) القيرواني الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: محمد زينهم محمد غرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1414هـ - 1994م.

86) الكتاني بن هاشم عبد الكبير، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، ج1، منشورات مطبعة النّجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

87) المزاري بن عودة الآغا، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، الجزاء، دار الغرب الإسلامي، (د ت ن).

88) المقري أبي العباس أحمد، رحلة المقري إلى المشرق والمغرب، تحقيق محمّد بن معمر، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

89) ابن عبد الله التلمساني، زهرة الأخبار في تعريف أنساب آل البيت المختار، المطبعة الجديدة- ومكتبتها، ط1، فاس، 1349هـ.

90) المقري أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

91) المقريزي، جني الأزهار من الروض المعطار، تح: محمد زينهم، دار الثقافية، القاهرة، 2006.

92) الهوجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1980.

93) الوزان أبو علي الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج 2، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، 1983.

94) أبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليَحصُبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تح: عبد السلام محمد أمين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.

95) بابا أحمد التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابس. 1989.

96) بربروس خير الدين، مذكرّات خير الدين بربروس، تر: محمد درّاج، شركة الأصالة للنّشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

97) دي طوريس دييغو، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، المغرب، 1989.

98) فون مالستان هاينريش، ثلاث سنوات في غربي شمال افريقيا، تر: أبو العيد دودو، ج1، دار الامة، الجزائر، 2008.

99) مارمول كاربخال، إفرقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة ، الرباط، 1989.

100) مقديش محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزاوري ومحمد محفوظ، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.

101) مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية، تح: عبد الرحيم بن حادة، دار تيمنل، مراكش، 1994.

102) مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص وتع: نور الدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعالبية، د ط، 1934.

103) مؤلّف مجهول، مفاخر البربر، در وتح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطّباعة والنشر، ط1، الرباط، المغرب، 2005.

104) هابنسترايت ج.أو، رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)، تر، وتق، وتع: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، (د ت ن)

105) ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البُلدان، مج5، دار صادر، بيروت، 1977.

5/ الكتب:

106) إبراهيم عبد الله عبد الرزاق والجمل شوقي، دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1997.

107) أبو الأجفان محمد بن الهادي، الإمام أبو عبد الله محمد المقري التلمساني، الدار العربية للكتاب، 1988.

108) أبو جعفر أحمد بن الزّبير، صلة الصلة، المطبعة الاقتصاديّة، الرباط، 1938.

109) أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ط1، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، موسوكو، 1957.

110) الابراهيمي محمد البشير، آثار الامام محمد البشير الابراهيمي، ج3، جمع وتقديم أحمد طالب الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997.

111) البزّاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992.

112) البشر الفاسي محمد، قبيلة بن زروال، مظاهر حياتها الثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، الرباط، 1962.

113) البكري أبي عُبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلاميّة، القاهرة، (د.ت).

114) التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، ج8، أكاديمية المملكة المغربية، 1988.

115) التر عزيز سامح، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1989.

116) التميمي عبد الجليل، تراجيديا طرد المورسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها، منشورات الدراسات والترجمة الموريسكية، 2011.

117) الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1994.

118) الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج 2، دار المعارف، بيروت، 1983.

119) الحجيوي محمد المهدي، حياة الوزان الفاسي وآثاره، المطبعة الاقتصادية، المغرب، 1935.

120) الحساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأوضاع الاجتماعية، ج3، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

121) الحسني القاسمي عبد المنعم، أعلام التصوّف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005.

122) الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906.

123) الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها، أعيانها، ج 1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع بالترجمة، د ط، الجزائر، 2007.

124) الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجيّة للشرق الجزائري، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

125) الزوكة محمد خميس، جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 1998.

126) السوسي محمد المختار، سوس العالمة، مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب الأقصى، 1380هـ/1960م.

127) السيد محمود، تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 2000.

128) الشايف عكاشة، الحضارة العربية الإسلامية بين التطور والتخلف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

129) الشّباني الإدريسي أحمد، مصابيح البشريّة في أبناء خير البريّة، مكتبة دار الأمان، ط1، الرباط، 1987.

130) الشهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، وهران، 2007.

131) الطمار محمد، تلمسان عبر العصور، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

132) الطيبي أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج2، الدار العربية للكتاب، 1997.

133) العسلي بسام، الجزائر والحملات الصليبية، دار النفائس، ط3، بيروت، 1986.

134) العشماوي أبو العباس بن محمد المكي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر، مطبعة حجرية، (د.م)، (د.ت).

135) العطري عبد الرحيم، بركة الأولياء بحث في المقدس الضرائحي، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2014.

136) الغاشي مصطفى، الرحلة المغربية والشرق العثماني، محاولة في بناء صورة، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2005.

137) الغريسي المختاري الطيب بن المختار، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، المطبعة الخلدونية، ط1، تلمسان، (د.ت).

138) الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج6، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993.

139) الغوثي أبو علي، كشف القناع عن آلات السماع، مطبعة جوردان، الجزائر، 1904.

140) القاسمي عبد المنعم الحسني، أعلام التصوّف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالميّة الأولى (دراسة احصائيّة تحليليّة)، دار الخليل القاسمي، ط1، الجزائر، 2005.

141) القشاعي فلة موساوي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518- 1871، منشورات بن سنان، الجزائر، (د ت ن).

142) القطب سمير عبد الرزاق، أنساب العرب، منشورات دار مكتبة الحياة، ط1، بيروت، 1968.

143) الكعاك عثمان، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 إلى القرن 19م، معهد الدراسات العربية، بغداد، 1958.

144) الكلاباذي أبو بكر محمد، التعريف لمذهب أهل التصوّف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

145) المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

146) المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791) – سيرته، حروبه، لأعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده-، م. و. ك، الجزائر، 1986.

147) المسايب أبو عبد الله الحاج محمد بن أحمد التلمساني، دوانه، إعداد وتق: السحنوني الحفناوي أمقران وسيفاوي أسماء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

148) المغازي أماني بنت جعفر بن صالح، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، دار القاهرة، ط1، مصر، 2007.

149) المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792- 1822، تر: محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2006.

150) الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1924.

151) الحسني الشريف كمال دحومان، أشراف الجزائر ودورهم الحضاري في المجتمع، تق: المختار محمد حسن العمرو، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

152) اليعقوبي ابن واضح، كتاب البلدان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2002.

153) أمين أحمد، حياتي، موفم للنّشر، (د.ط)، (د.ت).

154) بارود محمد بسام، مجموعة رسائل مولاي العربي الدرقاوي الحسني، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1999.

155) بازينة عبد الله سالم، انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2010.

156) بالحميسي مولاي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

157) باموك شوكت، التاريخ المالي للدولة العثمانية، تعر: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2005.

158) بحاز إبراهيم بكبر، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر من طرف جمعية التراث الجزائر، 1993.

159) بختاوي قاسمي، الاعتداءات الاسبانية على الجزائر قبيل التدخل العثماني، ضمن كتاب: الجزائر وتوازنات القوى البحرية غرب المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي، –دراسة تاريخية– النشر الجامعي الجديد، 2017.

160) بخوشة محمد، كتاب الحب والمحبوب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1939.

161) بدري يوسف علي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، دار الأصالة، ط1، الجزائر، 2010.

162) بركات أنيسة، محاضرات ودراسات تاريخيّة وأدبيّة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

163) برويبة رشيد، وهران فن وثقافة، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 1983.

164) بريبنان اندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

165) بن آشنهو عبد الحميد، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، د ط، الجزائر، د س ن.

166) بن التريكي، ديوان بن التريكي، جمع وتحقيق عبد الحق زريوح، نشر ابن خلدون، تلمسان، د.ت.

167) بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، ج1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

168) بن زغادي محمد، تأثير التنمية الحضرية على المعالم الأثريّة: مدينة ندرومة نموذجا. الجزائر، 2015.

169) بن سنوسي كمال، الطرب الغرناطي بمدينة تلمسان الشيخ العربي بن صاري أنموذجا، موفم لنشر والتوزيع، تلمسان. (د ت)

170) بن عجيبة أحمد بن أحمد الحسني، كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم، المطبعة الجمالية بحارة الروم، مصر، 1913.

171) بن منصور عبد الرحيم، عين الحوث مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان، نشر ابن خلدون، تلمسان، 2011.

172) بن منصور عبد الوهاب، المنتخب النفيس في شعر ابن خميس، مطبعة ابن خلدون، الرباط، د.ت.

173) بهلول إبراهيم، فن الرقص الشعبي في الجزائر، ترج: أسماء سفاوي، ج1، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).

174) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

175) بورويبة رشيد، الدولة الحمادية، تاريخَها وحَضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

176) بورويبية رشيد، تلمسان، سلسلة فن وثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، 1971.

177) بوعزيز يحي، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2003.

178) بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، وهران، الجزائر، 2002.

179) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، ط2، بنغازي، 1988.

180) بولغيث محمد الصديق، المجاعات والأوبئة وانعكاساتها على الوضع الديموغرافي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، مجلة عصور جديدة، مج11، ع 01، الجزائر، مارس 2021.

181) بيات فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية " ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، المجلد 8، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 2019.

182) جعفري أحمد أبّا الصّافي، اللهجة التواتية الجزائرية، معجمها، بلاغتها، أمثالها، حكمها، وعيون أشعارها، منشورات الحضارة، الجزائر، 2018.

183) جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ت).

184) جوليان شارل اندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، (تونس- الجزائر – المغرب الأقصى)، من البدء إلى الفتح الإسلامي، ج 2، تع :محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط4، الدار التّونسية للنّشر، 1983.

185) حبيب حاج محمد، أسماء الأماكن الأمازيغية بتلمسان: -جمع ودراسة طبونيمية –، دار كنوز للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، 2012.

186) حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب (د. ت).

187) حجي محمد، الزّاوية الدلائية ودورها الدّيني والعلمي والسيّاسي المطبعة الوطنيّة، الرباط، المغرب، 1964.

188) حرز الله محمد العربي، تلمسان مهد حضارة وواحة وثقافة، دار السّبيل للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر،2011.

189) حركات إبراهيم، المغرب عرب التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1984.

190) حساني مختار، موسوعة تاريخ والثقافة المدن الجزائريّة، ج4، دار الحكمة، الجزائر،2007.

191) حسن محمد نبيلة، في تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار الألمعية الجامعية، الجزائر، 2013.

192) حمدي أيمن، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000.

193) خفاجي محمد عبد المنعم، وعلي صبح علي، الأزهر في ألف عام، ج1، المكتبة الأزهريّة للتراث، القاهرة، 2012.

194) داهش محمد علي، الدولة العثمانية والمغرب، إشكالية الصراع والتحالف، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2011.

195) دراج محمد، الدّخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512- 1543)، تص: ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2012.

196) دهنينة عطا الله، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

197) دودو أبو العبيد، الجزائر في عيون الرحّالين الألمان(1830-1855) ، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، الجزائر. سنة1975.

198) ديستان ادموند، بن حاجي سراج، بني سنوس في النصف الأول من القرن العشرون، تق وَتع: محمد حمداوي، موفم للنشر، 2001.

199) راشد أحمد إسماعيل، تاريخ الأقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر (ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، بيروت، 2004.

200) رريب الله حاج أحمد، شلف الأسفل إبّان العصر الوسيط المتأخّر والعصر الحديث، بنو زروال بين المغربين الأقصى والأوسط أنموذج القبيلة المرابطيّة، دار بن حمدة للطباعة والنشر، الطبعة 2، الجزائر، 2002.

201) رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16- 17م، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1981.

202) روكز يوسف، افريقيا السوداء سياسة وحضارة، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتوزيع، ط 1 ، لبنان. 1986.

203) زاهر رياض، الممالك الاسلامية في غرب افريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1967.

204) زيادة عادل، من فنون العمارة الإسلاميّة حمّامات السوق ودورها الحضاريّ (دراسة أثريّة لحمّامات العصران المملوكي والعثماني)، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009.

205) سابق السيّد، فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984.

206) سالم عبد العزيز، في تاريخ وحضارة في الأندلس، مؤسس الشباب الجامعة الإسكندرية، 1998.

207) سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

208) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 - 1830، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998.

209) سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج2، قرطبة لنشر والتوزيع، الجزائر. (د ت)

210) سعد الله فوزي، يهود الجزائر، هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط2، الجزائر، 2004.

211) سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندَلس: عهد يُوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنشر، ط1، بيروت، 1985.

212) سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

213) سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، في الثلثين الأول والثاني من قرن14م، منشورات ثالة، ط2، الجزائر، 2011.

214) سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

215) سعيدوني ناصر الدين، الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني، ج1، البصائر، الجزائر، 1481هـ.

216) سعيدوني ناصر الدين: الوقف ومكانته في الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة بالجزائر أواخر العهد العثماني أوائل الاحتلال الفرنسي، في دراسات تاريخية والملكية والوقف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

217) سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2013.

218) سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2001.

219) سعيدوني ناصر الدين، من التراث التّاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرّخين ورحّالة جُغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

220) سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائريّة _ دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.

221) شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التّعريف بحاضر تلمسان عاصمة دولة بني زيّان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2011.

222) شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 1832- 1837، تر وتق: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، 2007.

223) شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظلّ الاحتلال الروماني، ج1، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995.

224) شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والغرابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، الجزائر، (د.ت).

225) صادق محمد الحاج، مليانة ووليّها سيّدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1964.

226) صاري الجيلالي، أضواء على أحد موانئ دولة بني زيّان، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدّراسات التاريخية، الجزائر 1986.

227) طريح عبد العزيز، الجغرافيا المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ إفريقيا ومناخ العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، السعودية، 2000.

228) طيان شريفة، نحاسيات تلمسان في العهد العثماني (القرنان 12-13هـ/ 18-19)، من خلال مجموعة المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

229) – عبّاد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013.

230) عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني: حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1982.

231) عبد الحميد حاجيات، تاريخ المغرب الأوسط السيّاسي في عهد المرابطين، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، الجزائر، المؤسّسة الوطنية للكتاب، 1984.

232) عبد الحميد حاجيات، مُحاضرة تطوّر مدينة ندرومة في عهد بني زيّان، الجمعية الموحدية، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، (د.ت).

233) عبد العزيز محمد، الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي، ج1، تط: وزارة الأوقاف والشؤون الفنية، المغرب، 1996.

234) عبده محمد، الأعمال الكاملة، تح وَ تق محمد عمارة، ج2، دار الشروق، ط1، بيروت، 1993.

235) عقاب محمد الطيب، الاواني الفخارية الإسلامية – دراسة تاريخية فنية مقارنة-، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

236) عمروه عمار ، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 الجزائر خاصة، ج 2، دار المعرفة، الجزائر، 2006.

237) غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 -1830 (مقاربة اجتماعية – اقتصادية)، منشورات ANEP، د س ط.

238) فارس محمَّد خير الدين، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1929.

239) فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين، (814 ق.م – 1962م) دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

240) فركوس صالح، تاريخ الجزائر _ من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال _ المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة، 2005.

241) فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني للسّواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

242) فلنزي لوسات، المغرب العربي قبل الاحتلال (1790 - 1830)، تع: حمادي الساحلي، سراس للنشر، تونس، 1994.

243) فوزي صلاح أشرف، شيوخ الأزهر، ج1، الشركة العربية للنّشر والتوزيع، القاهرة، 1977.

244) فيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، دت.

245) فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

246) فيلالي عبد السلام، الجزائر الدولة والمجتمع، ج1، دار الوسام العربي، الجزائر، 2013.

247) قيداري قويدر، أولاد نهار والولي الصالح والشيخ الناصح سيدي يحي بن صفية: سيرة تراجم وتراث مقاربات تاريخية وانثروبولوجية وفنية، دار الأفق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.

248) قيداري قويدر، بستان الأزهار في سيرة سيدي يحي بن صفية ومسيرة أولاد نهار دراسة تاريخية وأنثروبولوجية، ط1، دار الغرب الجزائري للنّشر الجزائري، وهران، الجزائر، 2009.

249) كارديك لوي، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، تع: عبد الجليل التيمي، منشورات المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1983.

250) لعرج عبد العزيز محمود، مدينة المنصورة المرينيّة بتلمسان، دار زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2006.

251) لعرج عبد العزيز، الزليج في العمارة الإسلامية في العصر التركي: دراسة تاريخية فنية، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

252) لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

253) مارسي جورج، مُدن الفن الشهير تلمسان، تر. سعيد دحماني، دار النشر البليدة، الجزائر، 2004.

254) ماكيقيدي كولين، أطلس تاريخ افريقيا، تر: مختار السويفي، مراجعة: محمد العزب موسى، الهيئة المصرية للكتاب، 1987 م.

255) مرابط محمد، الجواهر الحسان في نُظم أولياء تلمسان، تق وتح: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1974.

256) مرتاض عبد المالك، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

257) مرتاض محمد، من أعلام تلمسان، مقاربات تاريخية وفنيّة، دار الغرب للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، 2004.

258) مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، د.ط، دار الثقافة، مطبعة الغريب، بيروت، (د.ت)

259) مرمول محمد صالح، السياسة الداخليّة للخلافة الفاطميّة في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983.

260) مروش منور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني: العملة، الأسعار والمداخيل، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

261) مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

262) مقنونيف شعيب، ديوان أبي مدين بن سهلة، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2002.

263) ميدون عز الدين، ندرومة مدينة الفنّ والتّاريخ، ط1، سلسلة إصدارات الجمعيّة الموجديّة، ندرومة، الجزائر، 2014.

264) ناجي نعمان، المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي، دار نعمان للثقافة، بيروت، 1990.

265) نادية مصطفى، التاريخ والعلاقات الدولية، ج1، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2015.

266) نجمي عبد الله، التصوّف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة ق16-17م، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدر البيضاء، المغرب، 2000.

267) نمير عقيل لطف الله، تاريخ الجزائر الحديث، دمشق، 2008.

268) هلال حامد عبد الغفار، اللّهجات العربية القديمة، نشأة وتطوّرا، مكتبة وهبة، ط 2، القاهرة، 1993.

269) ونيش فريد، المجوهرات والحلي بالجزائر، وزارة الاعلام، الجزائر، 1982.ياسين إبراهيم، سلطة المغرب في غرب الجزائر: دراسة تاريخيّة 1830-1832، مطابع الرباط نت، المغرب، 2015.

5/ المجلات والدوريات

270) أبلالي أسماء، التحرشات الاسبانية على السواحل الجزائرية خلال القرن 16، مجلّة روافد للبحوث والدراسات، ع 2، غرداية، 2017.

271) التميمي عبد الجليل، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول، المجلّة التاريخية المغربيّة، العدد 6، تونس، جويلية 1967.

272) الزرهوني الطاهر، ندرومة بين الماضي والحاضر، مجلة الثقافة، العدد 99، الجزائر،1987.

273) العماري أحمد، خلفيات الحدود الجيوسياسية للأتراك والفرنسيين اتجاه وحدة المغرب الكبير، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 4، فاس 1986، ص 167.

274) العمري يحياوي، الأوبئة في العهد العثماني في تلمسان من خلال شواهد القبور – دراسة لبعض النماذج-، مجلة الساورة للدّراسات الإنسانيّة والاجتماعية، مج 07، ع 02، ديسمبر 2021.

275) العيد فارس، الأوضاع الاقتصادية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد 5، 2017.

276) الفكيكي حسن، من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر الهجري عيسى بن محمد الراسي البطوئي، مجلة دعوة الحق، ع 250، منشسورات وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد، الرباط، (د.ت).

277) بزاوية مختار ولوسرة محمد، مكانة الزاوية ودورها الرائد في الحفاظ على الهوية الوطنية، مجلة البحوث والدراسات، مج19، ع02، جامعة الوادي، 2022.

278) بلبروات بن عتو، أضواء حول مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مج 01، ع 01، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2009.

279) بلبروات بن عتو، الإصلاح الثقافي للباي محمد بمدينة معسكر، حولية المؤرخ، العدد ¾، 2005.

280) بلعرج عبد الرحمن، الحياة الثقافيّة في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة كان التّاريخية، ع 36، جوان 2017.

281) بلغراد محمد، تلمسان، مجلّة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975.

282) بن حيدة يوسف، الشيخ أحمد بن يوسف المليانى ودوره في تدعيم الحكم العثماني بالجزائر خلال القرن 16م، مجلة المعارف للبحوث والدّراسات التّاريخيّة، ع18، سبتمبر 2018.

283) بن سيفي عز الدين، تاريخ منطقة أولاد ميمون من خلال بعض المصادر الفرنسية أنموذجا، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، ع28، أفريل 2016.

284) بن عدي محمد، الحياة الاجتماعية بتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني، مجلة الدّراسات التّاريخية، مج 23، ع02، جامعة الجزائر، أكتوبر 2022.

285) بن عدي محمد، معمر لعايب، تلمسان من خلال الرّحالة الغاربة – الحسن الوزان وأبو القاسم الزّياني أنموذجا، مجلة رفوف، مج11، ع 01، جامعة أدرار، الجزائر، جانفي 2023.

286) بن عدي محمد، الاقتصاد والمجتمع في تلمسان العهد العثماني لا، (10هـ- 13هـ/16- 19م)، – دراسة نماذج في الوثائق الأرشيفيّة، مجلّة ريماك، المجلد05، العدد 02، مارس 2023.

287) بن عربة محمد، حواضر الجزائر خلال العهد العثماني من خلال مشاهدات الرحالة المغربي "محمد بن عبد الوهاب المكناسي"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، مج 3، ع 02، جويلية 2022، الجزائر.

288) بن فرج حسين جيلالي، موقف المولى سليمان العلوي من انتفاظة درقاوة على ضوء رسالته لباي وهران محمد المقلش، مجلة عصور، المجلد 17، العدد 01، سبتمبر 2018.

289) بن لرنب منصور، المؤسسات السياسية والإدارية الجزائرية في العهد العثماني، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، مج02، ع01، جوان 1994.

290) بن معمّر محمّد، مركز تلمسان الثقافي من أجادير الإدريسيّة إلى تاجرارت المرابطيّة، مجلّة حوليّة المؤرخ، العدد 3-4، المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنيّة في ثورة أوّل نوفمبر، الجزائر، 2005.

291) بن موسى محمد سليم حاج سعد، أمصادر المياه ووسائل الري وأماكن التخزين في المغرب الأوسط ما بيت القرنين الثاني والسادس الهجريين الثامن والثاني عشر الميلاديين (2-6هـ/ 8-12م)، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، 2019.

292) بوبكر هشام، جوانب من الحياة الديمغرافية والاجتماعيّة للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانيّة، مجلة آفاق للعلوم، ع07، مارس 2017.

293) بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط، -دراسة نموذجية مدرسة أولاد الإمام بتلمسان-، مجلة دراسات إسلاميّة، المجلد 13، العدد 1، الجزائر، 2018.

294) بورويبة رشيد، جولة عرب مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 26. نوفمبر 1975.

295) بوشنافي محمد، أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي ومواقفه من بعض قضايا عصره من خلال مؤلفاته المخطوطة، المجلد 07، العدد 01، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، الجزائر، جوان 2021.

296) بوشنافي محمد، دور السلطة القضائية في تنظيم واستغلال الأوقاف بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال وثائق المحاكم الشرعيّة (1520 - 1830)، مجلّة المواقف، مج، 12، ع 01، الجزائر، جوان 2017.

297) بوشنافي محمد، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر (10-13هـ/16-19م) مجلة عصور الجديدة، العدد 2، 2011.

298) بوطارن مبارك، مدينة تلمسان عوامل نشأتها ومراحل تطوّرها، مجلّة المبرز، العدد 10، تصدرها المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، 1998.

299) بوعزيز يحي، المراحل والأدوار التّاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانيّة، مجلّة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975.

300) بوعزيز يحي، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19 و20م، مجلة الثقافة، العدد 63، 1989.

301) بومدين محمد، اجتهادات علماء تلمسان النّوازليين في صنعة التّحقيق والتّصنيف الفقهيّة وشرحها والتّعليق عليها مابين 962هـ/1554م:1085هـ/1674م، مجلة الدراسات التاريخيّة، مج21، ع 01، جوان 2020.

302) بومدين محمد، الإسهامات العلميّة والفكرية لنخبة البيوتات الأندلسية العالمة في تلمسان العثمانية (962هـ/1554م – 1280هـ/1808م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج7، ع 02، جوان 2020.

303) بومدين محمد، الدّور الاجتماعي لبيوت تلمسان في وقف ممتلكات شركاتها الاقتصاديّة على المؤسسات العلميّة خلال العهد العثماني، مجلة الأكاديميّة للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج15، ع 02.

304) بومدين محمد، الدّور العلمي لبيوتات قبائل تلمسان على عهد العثمانيين، مجلّة العلوم الإنسانيّة، مج، 11، ع02، جامعة وهران، الجزائر، 2022.

305) بومدين محمد، روّاد الطريقة البوشيخية في تلمسان خلال العهد الثماني، مجلة تاريخ المغرب العربي، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، المجلد 08، العدد 01، جوان 2018.

306) بومدين محمد، من مظاهر النشاط الديني والاجتماعي لمؤسسات القضاء بتلمسان على عهد العثمانيين من خلال النصوص الشرعية والوثائق الأرشيفية –دراسة تاريخية اثنولوجية–، مجلة أنثروبولوجية الأديان، مج 19، ع 02، جوان 2023.

307) بومدين محمد، مؤسسات الإفتاء الرسمية وغير الرسمية وأعلامها في تلمسان خلال العهد العثماني، المجلة المغاربية للدّراسات التاريخية والاجتماعية، مج 14، ع02، سيدي بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2022.

308) حمدادو بن عمر، أدبيّات الأوبئة والأمراض ببلاد المغارب من خلال كتب الرّحالة والأجانب، مجلة آفاق فكريّة، مج 09، ع 02، الجزائر، 2011.

309) حمدادو بن عمر، بعض أعيان وآثار تلمسان من خلال كتاب " الرحلة الحبيبية الوهرانية " لأحمد بن سكيرج الفاسي، مجلة إنسانيات، العدد 50، 2010.

310) دادة محمد، التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني: خصائصه وموضوعاته، مجلة عصور جديدة، العدد 3-4، الجزائر، 2011 - 2012.

311) دالي أحمد شكيب ورمعون حسان، النّشاط الديني للعائلات التلمسانيّة بمدينة تلمسان، قراءة في التّموقع الاجتماعي، مجلة سوسيولوجيا، مج04، ع02، الجزائر، ديسمبر2020.

312) دياب بومدين، أضواء على النشاط التجاري في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 2، 2020.

313) رقاد سعدية، المتدينون والسلطة في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني (1772-1830م)، مجلة رفوف، مج، 11، ع02، أدرار، جويلية 2023.

314) زكرياء خلف الله، التجارة الداخلية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1563-1830)، مجلة عصور، المجلد 21، العدد 2، 2022.

315) سعيدوني ناصر الدين، الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الأوراس قبل وأثناء الاحتلال، الأصالة، عدد 60 - 61، 1978.

316) سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر – تونس – طرابلس الغرب) من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 31، 2010.

317) سعيدوني ناصر الدين، موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري، المجلة التاريخية المغاربية، ع 57- 58، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، جويلية 1990.

318) سيدهم فاطمة الزهراء، موارد ايالة الجزائر المالية في مطلع القرن 19، مجلة كان التاريخية، ع 13، 2011.

319) شاكي عبد العزيز، ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين، مجلّة الحكمة للدّراسات التاريخية، المجلد 1، العدد 1، 2013.

320) شدري معمر رشيدة، التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلّة المعارف، مج 16، ع 02، ديسمبر 2021.

321) شلابي رفيق وبوغفالة ودان، الحرف و الصناعات في مدينة تلمسان و ضواحيها خلال العهد العثماني (1555 - 1830)، مجلة دراسات و أبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد 13، العدد1، جانفي 2021.

322) شلابي رفيق وشرقي عامر، الاقمشة الجزائرية الوافدة للايالة التونسية خلال العهد العثماني، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد 6، العدد 1، 2021.

323) شلابي رفيق، ودان بوغفالة، الحرف و الصناعات في مدينة تلمسان و ضواحيها خلال العهد العثماني (1555 - 1830)، مجلّة دراسات وأبحاث، المجلد 13، العدد1، 2021، ص833.

324) صحراوي عبد القادر، ثورة الطريقة الدرقاوية في الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 15-16، مارس 2017.

325) صرهودة يوسفي، سياسة السلطة والمجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في إيّالة الجزائر خلال القرن 18-19م، المجلّة التاريخية الجزائريّة، مج 06، ع01، 2022.

326) عبد الحميد حاجيّات، تلمسان كمركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الدّراسات التّاريخيّة، العدد 10، جامعة الجزائر، 1997.

327) عبد الكامل عطية، الروابط التجارية بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية والرحالة الأوربيين بين القرنين 19- 15 م، دورية كان التاريخية، العدد الثالث والعشرون، 2013.

328) عبيد مصطفى، القضاء بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور جديدة، ع 11 - 12، فبراير، 2013- 2014.

329) عطار محمد، المنشآت الأثرية بمدينة تلمسان، مجلة البحر الأبيض المتوسط، المجلد 06، جامعة تلمسان، العدد 01، 2017.

330) عليوان اسعيد، أوقاف الجزائر خلال العهد العثماني ومساهمتها الاجتماعية والثقافيّة، مجلّة الأحياء، مج09، ع01، كليّة العلوم الإسلاميةّ، جامعة باتنة، 01، ديسمبر، 2007.

331) غربي الغالي، أوضاع مدينة تلمسان وأحوازها في الخمسينات من القرن التاسع عشر من خلال كتاب ، مجلة دراسات في العلوم الإنسانيّة والإجتماعية ، العدد 17، المجلد 11، الجزائر ، جوان2011.

332) فاضل لخضر، ألتافا الرومانية (أولاد ميمون) في نهاية التاريخ القديم، مجلة منبر التراث الاثري، مج1، ع1، جامعة وهران، سبتمبر 2012.

333) فاضل لخضر، أولاد ميمون من فجر التاريخ إلى نهاية العهد الروماني، مجلة العلوم الانسانية، ع 12، جامعة وهران، جوان 2005.

334) فكاير عبد القادر، العملات الإسبانية المتداولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة العصور الجديدة، ع 5، 2012.

335) قدّاش محفوظ، الجزائر في العهد التركي، الأصالة، عدد 52، 1977.

336) قندوز ماحي، إتمام الوطر فيمن عرف في القرن الثالث عشر، (تاريخ رجال تلمسان ووهران في القرن الثالث عشر)، مجلة الآداب، ع 14، نوفمبر، 2008.

337) قويسم محمد، الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف في منطقة تلمسان خلال العهد الزياني ، مجلة الحوار المتوسطي، ع 15، 2017، الجزائر.

338) قيداري قويدر، تجليات التراث الشعبي من خلال وعمة" موسم" الأولى سيدي يحي بن صفية في منطقة أولاد نهار بتلمسان –مراسلة تاريخية وفنية/ مجلة الثقافة الشعبية، العدد 50، جوان 2020.

339) قيداري قويدر، تجليات التراث الشعبي من خلال وعمدة "موسم" الأولى سيدي يحي بن صفية في منطقة أولاد نهار بتلمسان –مراسلة تاريخية وفنية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 50، جوان 2020.

340) مرابط ليلى، نظرة عن المعالم الأثرية بمدينة تلمسان الواردة في الكتابات الوقفية، مجلّة الدّراسات الأثرية، مج 16، ع 1، الجزائر، 2018.

341) مشرفي جميلة وبوغفالة ودان، الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثمان (1519-1830)، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية، المجلد8، العدد1، جوان 2017.

342) موسم عبد الحفيظ، واقع الأوقاف بين المالكية والحنفية في الجزائر خلال أواخر العهد العثماني (1700- 1830)، مجلة دراسات تاريخية، مج 13، ع 01، السنة الثالثة، جامعة الجلفة، جانفي 2021.

343) موسم عبد الحفيظ، واقع القضاء بين المالكية والأحناف في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة المحترف، مج09، ع01، جامعة سعيدة، الجزائر، 2022.

344) موقاري فطوم، ليليا شنتوح، الموروث العُمراني المرابطي بالجزائر، مجلّة التعمير والبناء، مج 02، ع 10، الجوائر، جوان 2019، صر21.

345) هجيرة غراف، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، المجلد 7، العدد 02، تلمسان، جويلية 2020.

346) وصفي عبد العزيز، فقه النوازل عند فقهاء المالكية المغاربة (أهميّته وخصائصه مميّزاته)، مج 04، ع04، مجلّة الشهاب، جامعة الوادي، الجزائر، ديسمبر2018.

347) يحياوي جمال، آثار الهجرة الاندلسية على تلمسان، مجلة الوعي، العدد المزدوج 4، أفريل – ماي، 2011.

348) غرايسة عمار، الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية: ورجلان أنموذجا، حوليات تاريخ وجغرافيا، العدد 5، المركز الجامعي الوادي، 2011.

6/ الأطروحات والرسائل الجامعية

349) القنوني سكينة، الاقمشة والاغطية بالايالة التونسية خلال القرنيين 18 و19م، رسالة ماجيستر، جامعة تونس، 2005 – 2006.

350) الواليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر، 1993- 1994.

351) بلوط عمر، المؤسسات التجارية والحرفية بمدينة قسنطينة في الفترة العثمانية دراسة أثرية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2004 – 2005.

352) بن أحمد نهال، الخصائص الفنية للهجة تلمسان من خلال الأشعار الشعبية – لأحمد بن التريكي وأبي مدين بن سهلة – أنمودجا- ، أطروحة دكتوراه العلوم في علم اللهجات، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2018 -2019.

353) بن بله خيرة، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلاميّة، جامعة الجزائر. 2008/2007.

354) بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/ 16م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2009-2010.

355) بن صحراوي كمال، أوضاع اريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2012-2013.

356) بن صحراوي كمال، أوضاع الريف في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2013 - 2014.

357) بن عميرة محمد، الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، أطروحة الدكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، 2004هـ-2005م.

358) بن عيسى عبد الكريم، الملامح المسرحية في احتفالية ايراد بمنطقة بني سنوس، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2002.

359) بن يلس حكيم، مراكز التصوف والمتصوفة في الجزائر العثمانية خلال القرنين (السادس والثامن عشر) – دراسة فنية تحليلية-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2020-2021.

360) بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (مقاربة اجتماعية)، رسالة ماجيستر، جامعة أحمد بن بلة، وهران،2014-2015.

361) بوشعور حاج محمد وائل، اشكال الزخرفة في المصنوعات النسيجية في تلمسان بين التراث والمعاصر، رسالة ماجيستر، تلمسان،2007 - 2008.

362) بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني (10-13هـ/16-19م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلوم الآثار، وهران، 2007-2008.

363) بوعزيز جهيد، الصراعات الداخلية و أثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1771- 1837)، رسالة ماجيستر، 2011-2012.

364) بوغديري كمال، الطرق الوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذج – دراسة أنثروبولوجيا بمنطقة بسكرة -، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دبّاغين، سطيف 02، 2014 - 2015.

365) حرفوش عمر، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني "الإدارة المركزيّة أنموذجا"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008 - 2009.

366) حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 1427هـ / 2006م.

367) دالي أحمد شكيب، التصنيف الاجتماعي، زحزحة وإعادة التصنيف لكبريات العائلات في مدن الغرب الجزائري – " تلمسان" و "ندرومة" من نهاية الفترة الاستعماريّة إلى يومنا هذا نموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران2، 2019-2020.

368) دباب بومدين، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18، دراسة سيّاسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التّاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2018.

369) دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر (1792- 1865)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، 2007-2008.

370) دحماني توفيق، النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني (1779 - 1830)، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، 2003 - 2004.

371) دغموش كاملية، السّلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري (1792 - 1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، 2019 - 2020.

372) دياب بومدين، بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18 دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2016 – 2017.

373) رحوي حسين، العلاقة بين النسيج العمراني والفضاء الاجتماعي، الثقافي في المدينة العربية الإسلامية. مدينة تلمسان العتيقة نموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بقايد تلمسان، 2001.

374) رزقي فهيمة، سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سيرتا – قسنطينة، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011.

375) سباب خيرة، المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي(7-10هـ/1613م)، أطروحة الدكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014م.

376) صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانيّة خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 - 1830م)، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2011 – 2012

377) طالي معمر سميرة، القوى المحليّة في بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني (1206هـ/1246هـ/1792م/- 1831)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009 - 2010.

378) طوبال نجوى، طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700 - 1830)، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2004 – 2005.

379) طيان شريفة، الفنون التطبيقية الجزائرية خلال العهد العثماني: دراسة أثرية فنية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007-2008.

380) عبدلي وهيبة، الشعر الشعبي بمنطقة تلمسان، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2006 - 2007.

381) عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون و السلطة العثمانية في الجزائر (1519- 1830) دار السلطان انموذجا، رسالة ماجيستر، جامعة وهران، 2013- 2014.

382) علوش وسيلة، الثورة المائية في ريف المغرب الأوسط، خريطتها، منشأتها، استغلالها من في1-6هـ، مذكرة الماجستير، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2012 - 2013.

383) عمريوي فهيمة، الجيش الإنكشاري بمدينة الجزائر خلال القرن 12هـ/18م، دراسة اجتماعية – اقتصاديّة من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009.

384) فريدة قدور، مساهمة الحلي التقليدية في التنمية بمنطقة تلمسان، رسالة ماجيستر، جامعة تلمسان، 2011 - 2012.

385) فيسة محمد رابح، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة – دراسة تاريخيّة أثريّة - رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004- 2005.

386) قرود أمحمد، الدور الثقافي لعلماء الجزائر بالمشرق العربي في القرن 11هـ/17م، من خلال ثلاثة نماذج، أحمد المقّري، عيسى الثعالبي، يحي الشاوي النائلي، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2009-2010.

387) قيداري قويدر، كعبة الطائفين وبهجة العاكفين في الكلام على قصيدة حزب العارفين لمحمد بن سليمان الصائم التلمساني الملقب بالجزولي (ق17م) – دراسة وتحقيق–، ج1، أطروحة دكتوراه في الأدب الشعبي، جامعة تلمسان، 2012– 2013.

388) لبلق أسماء، التحولات الثقافية والرمزية لمراسيم الزواج في الأسرة التلمسانية، رسالة ماجيستر في علم الاجتماع الثقافي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، 2015.

389) لعربي إسمهان، الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني (1719–1792)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014–2015.

390) محرز امين، الجزائر في عهد الآغوات (1659–1671)، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر، 2007–2008.

391) مشرفي جميلة، الأسواق في بايلك الغرب خلال عهد الدايات 1671 – 1830، أطروحة دكتوراه، جامعة معسكر،2017– 2018.

392) مصطفى مروان، دراسة للمعالم الأثريّة في مدينة ندرومة العثيقة، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2004 – 2005.

393) معاشي جميلة، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في بداية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007 – 2008.

394) منصورية قدور، ندرومة دراسة تاريخيّة وحضاريّة بين القرنين السّابع والعاشر الهجريّة (633 هـ–962/1236هـ–1554م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2011 – 2012.

395) مهتاري المولودة زرقة فائزة، أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري، دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2005 – 2006.

396) ميسوم ميلود، مدرسة مازونة " دراسة تاريخية فنية"، مذكرة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2003.

397) نجراوي فاطمة الزهراء، الدراسة الإيتيمولوجية لأسماء الأماكن المأهولة – مقاربة لغوية تطزرية (منطقة تلمسان أنموذجا)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2017–2018.

7/ أعمال الملتقيات:

398) قاسي محمد عبد الرحمان، القوافل التجارية بين حاضرة تلمسان واقليم توات وممالك السودان الغربي، الملتقى الوطني الأول، جامعة أدرار، الجزائر. 15 أفريل 2009.

8/ الموسوعات والقواميس والمعاجم:

399) ابن فارس أحمد أبو الحسن، معجم مقاييس اللغة، تحقيق هارون عبد السلام، ج1، دار الفكر للطباعة والتوزيع، بيروت، 1979.

400) ابن يعقوب محمد، القاموس المحيط، راجعه أنس الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، مصر، 2008.

401) البركتي المجددي محمد عميم الإحسان، التعريفات الفقهية: معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من علماء الدين رحمهم الله تعالى، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002.

402) المنجد في الأعلام، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكيّة)، ط1، بيروت، 1969.

403) حسين مؤنس، المساجد، عام المعرفة، المجلس العلمي للثقافة والفنون والأدب، الكويت، جانفي 1981.

404) حلاّق حسّان والصبّاغ عبّاس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبيّة والمملوكيّة والعثمانيّة ذات الأصول العربيّة والفارسيّة والتركيّة، المصطلحات الاداريّة والعسكريّة والسيّاسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعائلية، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1990.

405) رزق محمد عاصم، مُعجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلاميّة، ط1، مكتبة مديولي للنشر، 2000.

406) كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، ج3، مؤسسة الرسالة، ط1، 1993.

9/ المواقع الالكترونية:

407) محمد جفيق، أجمل ثماني عادات رمضانية، موقع مدونات الجزيرة 17 oct 2021 blogs algeria .17.45.23.

ثانيا/ المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

1/ المصادر

1) Bargès L'abbé J.J.L., Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom souvenirs d'un voyage, challamel ainé, Paris, 1859.

2) Breteuil Arsene, Algérie française histoire moeur, coutumes ,industrie، tome l, Paris ,1856.

3) D'estry Stephen, Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, mame et cie, Tours, France ,1845 – 1846.

1) De Grammont (H,D), Histoire d'Alger sous la Domination Turque (1515-1830), Paris, Ernest le Roux, Editeur, 1887.

4) De la Primaudaie F. Elie, Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête Française, ch,lahure et cie, Paris, 1861.

5) De paradis (V), Tunis et Alger au XVIII siécle, Paris, sindbad, 1983.

6) De Tassy Laugier, Histoire du royaume l'Alger, Editions loysel, Paris, 1992.

7) Desfontaines L.P, Fragment d'un voyage dans les regences de Tunisie et Alger fait de 1783 à 1786, dureau de la male, Paris, 1838.

8) Esterhazy Walsin, De la Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Librairie de Charles Gosselin, Paris, 1840.

9) Gouillon Charles, Annuaire général de l'Algérie, imprimerie Pézé et cie, Alger, 1880.

10) Haedo F. de Diego,Topographie et histoire Générale d'Alger, tr :M.M de Monnereu et A. berbrugger, paris, Im : valladolid, 1870.

11) Haedo F.D, Histoire des Rois d'Alger, Tr, H.D. De Grammont, Imprimeur Libraire Éditeur, Alger,1881.

12) Jacquot Félix, Expédition de Général Cavaignac dans le Sahara algérien, Ed, Gide et j.baudry libraires, Paris, 1849.

13) Lombay g de, En Algérie Oran_ Tlemcen, Ernest Leroux, Paris, 1893.

14) Peyssonnel et Desfontaines, Fragmens d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, T2, fait de 1983 à 1786, publies par M dureau de la malle, Paris, 1838.

15) Rinn Louis, Marabouts et Khouan, étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan Imprimeur Libraire éditeur, Alger, 1884.

16) Rousseau Alphonse. Chronique de la régence d'Alger, traduction d'un Manuscrit arabe intitulé « El Zohra – El Nayera – Ibn Muhamed al tlemsani , Imprimerie du gouvernement, Alger,1841.

17) Rozet .M, Voyage dans la régence d'Alger, T1 & T3, arthus bertrand, Paris, 1833.

18) Shaw Tomas, Voyage dans la régence d'Alger, ou description, géographie, physique, Phi logique, etc. de cet état, traduit de l'Anglais par J McCarthy, chez Marlin, éditeur, Paris, 1830.

2/ الكتب

19) Ahmed Amine Dellai, parole graves et paroles légers chants bédouins de l'Oriane, Anthologie, ENAG édition, Alger, 2003.

20) Anonyme, L'Algérie histoire société et culture, Alger, Casbah editions, 2000.

21) Auteur inconnu, Dictionnaire des communes de l'Algérie, Pierre Fontana Imprimeur-Editeur, Alger, 1903.

22) Basset Renet, Nedrouma, et les Traras, Ernest le roux éditeur, Paris, 1901.

23) Benachanhou Abdelatif, l'état Algérien en 1830, Ses institutions sous l'émir Abdelkader, E. N. A. G, Alger, 2009.

24) Benali El Hassar Tlemcen, cite des grands maitres de musique arabe – andalous, préface de Mohamed Agha Bouayed, édition dalimen, 2002.

25) BENMANSSOUR A.H.E., Alger XVI-XVII, Lé Siècle, journal de J.B Gramaye évêque, dAfrique, éd. Du Cerf, Paris, 1998.

26) Bourouira Rachid, l'art religieux musulman en Algérie, Alger, S.N.E.D, 1973.

27) Boyer Paul, l'evolution de l'Algérie médiane, Adrien Majonneuve, Paris, 1960.

28) Cocq Andre, Histoire de Tlemcen ville Francaise, edition internationale, Tanger, 1940.

29) Davity P, Description général de l'Afrique, Paris, 1960.

30) Destaing Edmond, fêtes et coutumes saisonnières chez les Beni snous, T 50, Alger ,1906.

31) Emerit Marcel, l'Algérie à l'époque d'abd-kader , éditions larose, Paris, 1951.

32) Feredj Mohamed Seghir, Histoire de Tizi-Ouzou et de sa région des origines a 1954, 2eme édition, Hamouda, Alger, 2002.

33) Granguillaume Gilbert, Nédroma : l'évolution d'une médina, Editions Brill, Leyde - pays - bas, 1976.

34) Jean Louis (V), Dictionnaire Des Personnages Historiques, Edition De Fallois Fischer Taschebruch Verlag G M B H, Paris, 1995.

35) Le Commandant de Pimoden, Oran Tlemcen Sud- Oranais (1899-1900), 3 édition ,Paris, 1902.

36) Marcais Georges, Tlemcen (Les Villes d'art célèbres), Librairie Reynouard, H. Laurens, Paris, 1950.

37) Marcais William, le dialecte arabe parle à Tlemcen Grammaire textes et glossaire, Ernest leRoux, Paris, 1902.

38) Marcillet-Jaubert Jean, Les inscriptions d'Altava. Aix-en-Provence, Éditions Ophrys, 1968.

39) Normane Danial, Islam in Europe and empire , university press Edinburgh , Germany, 1960.

40) Pallary Paul, instructions pour les recherches préhistoriques dans le nord ouest de l'Afrique, Éd : place de la Régence, Alger, 1909.

41) Saidouni Nacereddine, L'algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830), Dar al gharb Al Islami, Beyrouth, 2001.

42) Serres J, la politique turque en Afrique du nord sous la monarchie de juillet, geuthner, Paris, 1925.

43) Tinthoin Robert, L'oranie , sa géographie, Son histoire, Ses centres vitaux. Ed : Robert , Oran, 1952.

44) Turin Yvonne, Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, Ecoles médecines, religion, 1830- 1880, Paris, 1971.

45) Valenci Lucette, le Maghreb avant la prise d'Alger, Flammarion, Paris, 1969.

46) Valensi Lucette, Juifs et musulmans en an Algérie – Vlle-XXe siècle, édition Tallandier, Paris, France, 2016.

47) Varlet Jules, les céréales d'Algérie, Giral imprimeur, Alger, 1900.

48) William Marcais, le dialecte arabe parle à Tlemcen Grammaire textes et glossaire, Ernest leRoux, Paris, 1902.

49) William Marcais, Textes arabes de Tanger Transcription, traduction annotée glossaire, Tome quatrième, Ernest leRoux, Paris, 1911.

50) Boyer Pierre، l'évolution de l'Algérie (ancienne département d'Alger de 1830-1956), Adrien Maisonneuve, Alger-Paris,1960.

3/ المقالات:

51) Abderahmne khalifa, Honaine a travers ses mouvement, catalogue national sur honaine passe et present,(univ oran, fevrrier 1985).

52) Bloch Saac, les israélites d'oran de 1792 a 1818, revue des études juives, tome 13, paris, 1886.

53) Bodin (M), Note et question sur sidi Ahmed ben Yousef, R.A, N 66, 1925, OPU, 1986.

54) Boyer P. le problème Kouloughli dans la régence d'Alger, in ROM Nº spécial, Aix, 1970.

55) Canal Joseph,"monographie de l'arrondissement de Tlemcen, bulletin de la Société de géographie et d'archéologie d'Oran, 1888 .

56) Charles .B, Les Inscriptions Arabes De Tlemcen,..Tombeau De Louli Sidi Boudjema, R.A, Année, 1859.

57) Darmon, origine et constitution de la communauté israélite de tlemcen, R A, V. 14, Paris, 1870.

58) Devoulx (A), la première Révolte des janissaires Alger, R .A, n°15, Alger, 1871.

59) Devoulx (A), Les édifices religieux de l'ancien régence d'Alger, R.A, 1870.

60) Devoulx, notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger, R.A, N° 5, 1861.

61) Emérit Marcel, les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle, Annales Economies, sociétés civilisations, N1, 1966, Année 1966.

62) Emerit Marcel, voyage la condamné Alger 1731, R.A, N°98, Alger, 1954.

63) Gorguos. M, Notice sur le Bey d'Oran, Mohammed El Kebir, in R.A, N 1, Alger, 1856_ 1857.

64) Haedo Diego, Topographie et histoire générale d'Alger, Tra : A. Berbugger et D' Monnereau, R.A, 1870.

65) Janier Emile, les industries indigènes de la région de traras, R.A, 1944.

66) Mac Carthy, Alegria Romana, R.A : journal des travaux de la société historique algérienne, 1856-1962.

67) Piesse et J. Canal, Les villes de l'Algérie Tlemcen, (Extrait de la Revue de l'Afrique française) Librairie Africaine Et Coloniale A. Barbier, Paris, 1889.

68) Robin (N), Not sur yahia Agha, R.A, N°18, Alger, 1874.

69) Robin (N), Note Sur L'organisation Miliaire et Administrative des Turcs, R.A, N 17, Alger, 1873.

70) Vaysette Eugène, Histoire des derniers Beys de Constantine, R.A, N 03, Alger, 1858.

71) Vayssettes (E), Ahmed bey EL-Mamlouk, R.A, N°7, Alger, 1863.

72) Watbled (E), Expédition de Duc de beau.fort Contre Djidjeli 1664, R.A, n°17, Alger, 1873.

73) Watbled (E), pachas –pachas-Deys, R.A, N°17, Alger ,1873.

4/ الأطروحات والرسائل الجامعية

74) Nomier .A, les fondations pieuses a Alger au XVIII siècle (une étude comparative de waqf), thèse de doctorat de l'université d'Aix_ Marseille1, T1, juin 2002.

5/ المواقع الالكترونية:

75) http://andalus.dbzworld.org/t1304-topic (22/12/2014 - 11:44).

6/ المراجع باللغة الإنجليزية:

76) Absence of copula and notion of simplicity, A study of normal speech, baby talk, foreigner talk and pidius, Ferguison, 1971.

قائمة

الفهارس

أولا: فهرس الآيات القُرآنيّة الكريمة برواية ورش عن نافع:

سورة البقرة، الآية، 184، 152.
سورة الحج، الآية 15، 251.
سورة البقرة، الآية، 282، 168.
سورة الروم الآية 22، 166.
سورة الروم، الآية 50، 187.
سورة الكهف، الآية 16، 253 .
سورة الكهف، الآية 82، 339.
سورة النساء، الآية 11، 166 55
سورة النساء، الآية 58، 167 .
سورة النساء، الآية 59، 169 .
سورة النور، الآية 36، 246 .
سورة مريم، الآية 48، 253 .
سورة محمّد، الآية 15، 299.
سورة الأنفال، الآية 27، 167 .

ثانيا: فهرس أسماء الأعلام:

أب عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي77 .
أبا زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الامام266 .
إبراهيم التّازي304 .
إبراهيم بن أحمد الشريف339 .
ابن أفغول39 .
ابن خلدون ,10, 11, 15, 16, 18, 19, 108, 109, 110, 111, 114, 131, 150, 164, 173, 176, 194, 256, 266, 287, 299, 324, 330, 342.
ابن خميس176 .
ابن عابد الفاسي326 .
ابن عثمان المكناسي 327.
ابن مريم ,ي، 39، 53، 125، 173، 251، 257، 274، 275، 284، 296، 306، 333، 334، 335، 336، 337..، 338، 343، 348، 341.

أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشادلي303 .
أبو الحسن علي بن هارون المطغري338 .
أبو الخيرات مصطفى بن عبد الله بن المؤمن الرماصي345 .
أبو العباس أحمد اللمطي السجلماسي345 .
أبو العباس أحمد بن زاغو التلمساني110 .
أبو العباس أحمد بن عثمان بن ثابت التلمساني الأزهري108 .
أبو القاسم الزياني ,ط، 86، 102، 314، 322، 323.
أبو خليل إبراهيم بن خليل التلمساني61 .
أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن موسى الوَجْديجي التُجيجي التلمساني313 .
أبو عبد الله محمد بن أبي مدين الفخار311 .
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الوقّاد التلمساني59 .
أبو عبد الله محمد بن الشيخ المناوي البيدري التلمساني62 .

أبو عبد الله محمد بن سعد312 ,110 .
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جيلالي التلمساني الوزاني57 .
أبو عبد الله محمد بن عبد الله المجاوي311 ,278 .
أبو عبد الله محمد بن موسى الوجديجي التوجيني التلمساني313 .
أبو عبد الله محمد سيدي العبدلي88 .
أبو علي الحسن التلمساني278 .
أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي338 .
أبو محمد الحاج محمد بن الحاج55 .
أبو مدين شعيب249 .
أبي الحسن علي بن محمد بن علي البهلول267 .
أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد أدفال59 .
أبي المهاجر دينار6 .
أبي حمو موسى330 ,325 ,28 .
أبي سالم العياشي325 .
أبي عبد القادر بن العطار55 .
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني326 .
أبي قرة اليفرني6 .
أبي مدين بن سهلة289 ,288 ,281.
أبي مدين شعيب الغوث321 .
أحمد المقري ,ي، 58، 60، 130، 267، 326، 336، 338.
أحمد بن التريكي287 .
أحمد بن القاضي338 ,337 ,336 ,120 ,20 .
أحمد بن عبد الله المجاوي311 .
أحمد بن عثمان التلمساني340 .
أحمد بن محمد المقري التلمساني338 .
أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الجليل بن يمداس40 .
أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي268 ,107 .
أحمد بن ملوكة الندرومي التلمساني341 .
أحمد بن هطال التلمساني97 ,44 ,39 .
أحمد بن ونيس الحلافي332 ,331 .

أحمد بن يوسف الملياني304 ,301 ,43 ,42 ,41 ,40 ,39 .
أحمد رزوق البرنوسي الفاسي301 .
إدريس الأوّل6 .
إسحاق337 ,325 ,324 ,270 ,250 ,164 ,39 .
الأب برجيس ,ل، 271.
الباي محمد الكبير346 ,312 ,310 ,268 ,263 ,147 ,124 ,71 ,39 .
الباي محمَّد بن عثمان الكبير39 .
الحاج" عبد السّلام العشعاشي135 .
الحاج أبو عبد الله الدوادي العربي63 ,57 .
الحاج أحمد الشريف الزهار242 ,183 ,104 ,39 .
الحاج عمر العشعاشي135 .
الحسن الوزان ,201 ,159 ,158 ,152 ,143 ,139 ,131 ,130 ,126 ,102 ,82 ,79 ,27 ,26 ,14 ,
322 ,321 ,320 ,319 ,318 ,317 ,295 ,255 ,249 ,248 ,226 ,220 ,219.
الزقاي الجد278 .
السعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني106 , 286.
السلكسيني الجاديري التلمساني333 ,50 .
الشيخ أبا عثمان سعيد المقّري58 .
الشيخ أبو عبد الرحمن بن موسى الفجيجي259 .
الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعد التلمساني110 .
الشيخ أبو علي محمد بن مزيان57 .
الشيخ أحمد بن ملوكة التلمساني105 .
الشيخ العالم ابن للّو التلمساني108 .
الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة302 ,259 .
الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي259 .
الشيخ عبد الله الشريف الوزاني261.
الشيخ قندوز263 .
الشيخ محمد ابن الصايم الجازولي88 .
الشيخ موسى بن علي اللاتي107 .
العالم عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي250 .
العالم محمد بن أحمد العقباني التلمساني135 .

الفقيه ابن يعقوب العبّادي التلمساني108 .
الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي248 .
المختار بن أبي عبد الله محمد ابن مرزوق التلمساني308 .
أمحمد بن عبد الر حمن بن محمد بن أبي زيان القنادسي345 .
امحمّد بن عبد الوهاب المكناسي86 .
بن وهبة الوجديجي337 .
ايزابيلا37 ,36 .
حدّو بن محمد المناوي342 .
حسن ابن خير الدين29 ,35 .
خير الدّين43 ,32 ,31 .
جيروميني فيانيللي36 .
سليمان بن إسحاق المطماطي325 ,324 ,270 ,250 .
سليمان بن عبد الله256 ,114 ,7 .
سي حمو بن روستان308 ,277 .
سيدي أبي مدين249 ,71 .
سيدي الشيخ يحي بن صفية258 .
سيدي بلقاسم بن موسى التّلمساني المدعو " بن صابر304 .
سيقا26 .
شهاب الدّين أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقّري التلمساني57 .
صحيح البخاري59 .
عبد الرحمن الثعالبي304 .
عبد الرحمن المغراوي المدعو ابن جلال62 .
عبد الرحمن بن عبد الله اليعقوبي342 .
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن اليعقوبي الندرومي107 .
عبد القادر الجيلالي340 ,261 ,113 .
عبد القادر بن محمّد بن سليمان بن أبي سماحة البكري302 .
عبد الكريم الفكون87 .
عبد المؤمن ابن علي19 .
عبد المؤمن بن علي12 ,10 ,9 .
عبد الهادي القاضي57 .

عبد الوهاب بن محمد الزقاق التجيبي338 .
عروج ,أ، 28، 29، 32، 42، 43، 19، 20، 21، 22، 65، 105، 118، 341.
عيسى ين محمد اليحيوي الراسي البطوئي331 .
مارمول كربخال248 ,201 ,197 ,191 ,27 ,14.
مازونة345 ,301 ,244 ,214 ,213 ,211 ,165 ,118 ,104 ,85 ,39 ,38 ,24 .
محمد ابن الغليظ المديوني296 .
محمد ابن عيسى304 .
محمد ابن مسايب257 .
محمد أبو عبد الله موسى الزقاي "الحفيد'.
محمد البطحي334 ,
محمد الزقاي ,ح، 277، 309.
محمد المستيري334 .
محمد بن أحمد التلمساني ابن الوقاد60 .
محمد بن الكبير عثمان43.
محمّد بن شاعة39 .
محمد بن عبد الرحمن اليبدري310 .
محمد بن عبد الرحمن بن جلال الوعزاني التلمساني62 .
محمد بن عبد الكريم المجاوي التلمساني60 .
محمد بن عبد الله المنور التلمساني344 .
محمد بن عبد الله بن مسايب290 .
محمد بن علي القلعي الصباغ39 .
محمد بن محمد البطيوي347 .
محمد بن محمد بن علي بن العربي بن حمو بن عبد الله بن منصور257.
محمد بن يوسف الزيّاني89 .
محمد بن يوسف بن يعقوب السنوسي330 ,329 .
محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي337.
محمد عبده30.
محمد بن عبد الجبار المسعدي الفجيجي التلمساني253 .
كهلان بن أبي لُؤي الأوربي270 .
لالة صفية التواتية التلمسانية302 .

لالة مغنيّة3 .
لورينثو دي باديا36.
مصطفى الدلاصي المصري التلمساني53 .
موسى بن علي اللاتي التلمساني268 .
موسى عيسى330 ,266 .
مولاي الشريف83 ,21 .
يغمراسن بن زيان بن ثابت12 .
يوسف بن تاشفين248 ,18 ,17 ,10 ,9 .

فهرس المدن والأماكن:

أرشغول179 ,177 ,175 .
أرشكول319 ,139 ,15 .
رشقون220 ,213 .
اسطنبول233 ,81 ,40 ,30 ,31 .
أغادير164 ,125 ,18 ,8 ,7 .
أفكان176 .
أقادير ,أ، 4، 7.
الأتراك ,أ، هـ، 12، 29، 31، 32، 19، 22، 40، 41، 46، 51، 52، 63، 65، 71، 82، 86، 87، 88، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 101، 107، 102، 108، 115، 118، 119، 122، 153، 180، 181، 212، 249، 260، 270، 295، 314، 328، 341.
الإسبانية ,236 ,235 ,220 ,138 ,137 ,134 ,133 ,78 ,72 ,38 ,20 ,42 ,37 ,36 ,33 ,32 ,28 , 281, 283, 315.
الأغواط97 ,83 ,37 .
الأندلس ,207 ,203 ,200 ,175 ,140 ,139 ,138 ,136 ,133 ,47 ,19 ,36 ,35 ,30 ,17 ,9 ,8 , 281, 284, 311, 330, 339.
ألبانيا29 .
البليدة22 ,5 .
ألتافة21 .
الجزائر ,د، ح، ط، ك، ل، م، ن، 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 15، 17، 18، 21، 25، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 38، 39، 40، 42، 43، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 26،

27، 28، 29، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 38، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 49، 50، 51،
,54, 58, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 74, 75, 76, 78, 79, 80, 81, 53
82, 83, 84, 85, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 97, 98, 99, 101, 103, 104,
105, 107, 108, 109, 110, 111, 104, 105, 108, 115, 117, 118, 119, 120, 121,
123, 125, 127, 128, 129, 130, 131, 135, 136, 137, 139, 141, 142, 143, 144,
145, 146, 147, 148, 149, 150, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160,
161, 163, 165, 167, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 181, 182, 183,
184, 186, 188, 193, 194, 196, 198, 199, 200, 202, 203, 204, 205, 209, 211,
212, 213, 214, 216, 217, 218, 222, 223, 224, 228, 229, 231, 233, 234, 235,
236, 237, 239, 240, 242, 243, 244, 243, 244, 245, 247, 250, 252, 254, 256,
257, 258, 259, 262, 267, 268, 269, 270, 271, 274, 275, 276, 277, 278, 281,
282, 284, 285, 286, 287, 288, 292, 294, 296, 298, 299, 301, 302, 304, 307,
308, 312, 313, 314, 315, 317, 320, 324, 325, 326, 327, 328, 329, 330, 336,
340 ,348 ,343 ,340 ,337.

الجنينة89 ,35 ,23 .

الحناية335 ,273 ,188 ,53 .

الدّلائيّة ,ح، 84.

الزيريون8 .

السّعديين29 ,21 ,20 .

السودان227 ,226 ,225 ,224 ,223 ,222 ,221 ,219 ,218 ,217 ,203 ,199 ,82 .

السوس الأقصى59 .

الصحراء ,221 ,220 ,219 ,218 ,217 ,213 ,209 ,177 ,120 ,83 ,82 ,38 ,36 ,24 ,22 ,9 ,2 ,
342 ,343 ,306 ,302 ,301 ,290 ,226 ,224 ,222.

العباد ,321 ,312 ,310 ,277 ,265 ,255 ,254 ,250 ,249 ,247 ,134 ,112 ,84 ,71 ,70 ,55 ,
323.

العثمانيين ,74 ,73 ,72 ,66 ,53 ,50 ,49 ,46 ,40 ,24 ,22 ,43 ,39 ,33 ,31 ,29 ,28 ,21 ,20 ,
75, 77, 78, 80, 81, 83, 84, 86, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 98, 100, 102,
103, 104, 105, 106, 107, 108, 110, 111, 102, 105, 115, 118, 119, 122, 124,
128, 129, 131, 135, 139, 140, 162, 163, 180, 184, 212, 234, 247, 249, 252,

257, 261, 267, 268, 269, 270, 276, 285, 286, 307, 314, 315, 316, 346, 340, 341.
العزايل25 .
العين الكبيرة312 ,310 .
الغزوات282 ,220 ,213 ,140 ,139 ,138 ,13.
الغسول130.
القاهرة ,244 ,226 ,224 ,220 ,177 ,176 ,164 ,150 ,136 ,119 ,114 ,73 ,26 ,13 ,8 ,4 , 245, 292, 318, 333, 338, 339, 340, 341, 345
القسطنطينية29 ,28 ,19 .
القصبة255 ,237 ,35 ,23.
الكيفان273 ,123.
المدية21 .
المرسى الكبير213 ,210 ,85 .
المشور ,333 ,332 ,331 ,312 ,296 ,271 ,247 ,210 ,127 ,125 ,122 ,111 ,99 ,91 ,35 ,30 , 335.
المغرب ,الأقصى أ، ح، 1، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 16، 17، 18، 19، 20، 26، 30، 33، 34، 35، 36، 37، 40، 41، 42، 24، 26، 27، 36، 39، 40، 57، 59، 62، 71، 72، 73، 74، 76، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 87، 91، 94، 95، 97، 98، 100، 103، 108، 110، 111، 108، 109 ,171 ,170 ,152 ,151 ,146 ,135 ,134 ,130 ,127 ,122 ,114 ,112, 174, 176, 177, 178, 179, 180, 186, 188, 194, 199, 200, 209, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 222, 223, 224, 225, 226, 228, 229, 230, 244, 245, 251, 254, 255, 259, 261, 267, 268, 277, 280, 284, 285, 286, 288, 293, 294, 301, 303, 307, 316, 318, 322, 323, 324, 326, 329, 330, 331, 332, 333, 335, 337, 338, 342 ,340 ,348 ,346.
المنصورة347 ,319 ,46 ,4.
المرسى الكبير40 ,39.
الوردانية26 .
أوزيدان269 .
الوريط187 ,161 ,144 ,55 .
اسطنبول28 .

ايطاليا322 ,220 ,29 ,28 .
إمارة –كوكو21 .
باب الجياد305 ,287 ,252 ,134 ,88 .
باب زير290 ,136 .
بجاية314 ,301 ,249 ,200 ,120 ,92 ,27 ,21 ,20 ,40 ,9 .
بحي الحضر295 .
بسبعة شيوخ4 .
بشرشال21 .
بقرية تيانت264 .
بلاد زواوة21 .
بلنسة283 ,138 .
بلنسية282 ,281 ,138 .
بني سنوس329 ,312 ,260 ,244 ,200 ,144 ,134 ,132 ,121 ,102 ,107 ,66 ,25 ,24 .
بُومَاريَا2 ,1 ,
بيدر342 ,312 ,57 .
تارودانت61 ,59 .
تافنة215 ,178 ,176 ,139 ,84 ,24 ,22 ,21 ,14 .
تبحريت319 ,
ترارة307 ,306 ,121 ,83 ,4 ,
تركيا63 ,29 .
تلمسان ,أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، أ، 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 19، 20، 21، 39، 43، 47، 48، 49، 50 ,52 ,51, 54, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 65, 66, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 79, 80, 81, 83, 84, 85, 86, 87, 89, 90, 92, 95, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 102, 103, 104, 105, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 117, 118, 121, 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 169, 171, 169, 171, 172, 174, 175, 176, 177, 178, 179,

180, 181, 182, 184, 185, 186, 187, 188, 190, 191, 193, 194, 195, 196, 197,
198, 199, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214,
215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 227, 228, 229, 230, 231,
232, 234, 235, 236, 247, 243, 244, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 254,
255, 256, 258, 259, 262, 264, 265, 266, 267, 268, 269, 270, 271, 272, 273,
274, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 288, 289,
290, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 297, 298, 300, 301, 302, 303, 305, 306,
307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 317, 318, 319, 320, 321,
322, 323, 324, 325, 326, 327, 328, 329, 331, 332, 333, 334, 335, 336, 338,
340, 341, 342, 343, 346, 347, 348, 340, 341, 342, 343.

تنس222, 109, 22 .

تونس, 230, 228, 219, 217, 214, 194, 171, 146, 140, 71, 68, 29, 27, 26, 24, 19, 9 ,
231, 284, 302, 317, 330.

تيهرت197, 16 .

جامع القرويين339, 58 .

جنوة295, 141, 122, 33 .

جيبساريا26 ,

سبدو 302, 262, 258, 219, 212, 191, 132, 131, 130, 76, 65, 24.

حارة الرماة265 .

حجار22, 21 .

دلس120, 22 .

رأس الماء41 .

زناتة164, 131, 114, 110, 109, 108, 25, 16, 11, 10, 7 .

سجلماسة345, 219, 218, 83, 82, 81, 60 , 59.

سلا284, 228 .

عين الحوث275, 273, 257, 188, 102, 258, 257, 256, 255, 252, 113, 102, 66 .

عين تموشنت136, 29 .

عين فزة134 .

عين يسر21 .

غرناطة317, 281, 159, 138, 137, 133, 112, 35 .

غليزان342 ,301 ,286 ,106 ,96 .
غليزان،286 ,106 ,96 .
فاس ,95 ,93 ,90 ,84 ,80 ,79 ,78 ,77 ,76 ,74 ,73 ,62 ,61 ,60 ,59 ,58 ,57 ,34 ,23 ,7 ,6 ,
97, 98, 107, 108, 110, 112, 113, 158, 177, 208, 213, 215, 217, 229, 236, 248,
249, 255, 261, 310, 311, 312, 317, 320, 322, 326, 331, 337, 338, 339, 343,
346.
فدان السبع55.
فرطاسة97 ,96 ,94 .
فلاوسن ,، 13، 16، 81، 107، 112، 137، 282، 318.
قرية مقّرة58 .
قسنطينة284 ,235 ,217 ,213 ,199 ,198 ,181 ,176 ,153 ,119 ,109 ,54 ,53 ,37 ,32 .
قلعة البنيون120 .
قلعة بني راشد301 ,206 ,198 ,185 ,118 ,39 ,42 ,39.
كدلس21 .
مدينة الصويرة217 .
مدينة المسيلة58 ,
مدينة تنس38 .
مدينة جيجل32 ,22 .
مدينة مستغانم85 ,39 .
مصر.345 ,341 ,340 ,339 ,314 ,299 ,272 ,244 ,150 ,114 ,77 ,73 ,58 ,17 .
معسكر ,أ، م، 23، 24، 39، 70، 85، 94، 95، 96، 97، 104، 110، 118، 124، 187، 188، 193،
212، 213، 214، 292، 301، 316، 345.
مغنية215 ,212 ,211 ,192 ,191 ,2 .
مكناس304 ,79 ,60 ,59.
مليانة43 ,
موريتانيا214 ,27 ,26 ,23 .
ندرومة ,116 ,113 ,102 ,103 ,102 ,83 ,66 ,65 ,57 ,21 ,20 ,19 ,18 ,17 ,16 ,15 ,14 ,13 ,
122, 124, 134, 137, 138, 139, 151, 185, 187, 191, 197, 200, 211, 223, 236,
247, 281, 282, 294, 295, 296, 304, 312, 318, 319, 331, 334.
هنين319 ,315 ,297 ,221 ,220 ,213 ,197 ,138 ,137 ,130 ,37 ,28 ,27 ,26 ,25 ,10 ,

وجدة335 ,330 ,289 ,288 ,284 ,217 ,215 ,211 ,174 ,131 ,111 ,102 ,95 ,82 ,73 ,21 ,
ولهاصة343 ,269 ,244 ,132 ,130 ,111 ,102 ,66 ,65 ,
وهران ,ي، 10، 12، 18، 23، 29، 38، 39، 40، 42، 43، 24، 25، 37، 38، 39، 40، 43، 45، 46،
47، 49، 66، 75، 89، 94، 96، 97، 98، 101، 103، 104، 109، 115، 122، 124، 126،
129، 137، 144، 146، 149، 158، 171، 181، 189، 202، 207، 213، 216، 217، 221،
.228، 231، 242، 338251 ,328 ,321 ,312 ,301 ,296 ,289 ,282 ,260 ,254

فهرس القبائل:

أنكاد177 ,175 ,174 ,91 .
أولاد العبدي130 .
أولاد رياح132 ,130 .
أولاد رياش130 ,65 .
أولاد طلحة343 ,175 .
أولاد ميمون214 ,134 ,132 ,102 ,65 ,24 ,23 ,22 ,21 ,2 .
أولاد نهار260 ,259 ,160 ,131 ,51 ,25 .
بنو يفرن110 ,109 ,4 .
بني بوسعيد130.
بني توجين131 ,110 .
بني صميّل102.
بني عبد الواد11 .
بني مَرين20 .
بني هديل25 .
بني ورنيد278 ,244 ,132 ,131 ,130 .
بني وعزان244 ,130 .
بني يزناسن174 ,32.
بني يفرن109 ,17 ,9.

قبيلة الأعشاش215 .
"قبيلة النجاجرة131.
قبيلة اليعقوبي132.
قبيلة أولاد سيدي دحُّو136.

قبيلة بني مستار132 .
قبيلة ملّيتة164.
قبيلة هوّارة40.
مغراوة112 ,109 ,110 ,108 ,16 ,8 ,6 .
مغيلة110.
وأولاد حراش175.
أولاد منصور175.
بني زردال110 .
بني زيدار25 .
بني عشير25 .
بني عصاب110.
بني ورنيد167 ,130 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

اهداء

شكر و عرفان

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ- م

الفصل التمهيدي: تلمسان و نواحيها – قراءة في المجالين الجغرافي و التّاريخي قبل القرن 16 م

أولا: المجال الجغرافي لمنطقة تلمسان 15

1. أصل التسمية (تلمسان و نواحيها):..... 15

1. 1 تلمسان:..... 15

2.1 ندرومة:..... 17

3.1 أولاد ميمون:.. 17

4.1 بني سنوس:.. 18

5.1 مدينة هنين:..... 18

2. الإطار الجغرافي للمنطقة..... 19

1.2 مدينة تلمسان: 19

2.2 ندرومة :..... 20

3.2 أولاد ميمون:..... 21

4.2 بني سنوس:... 22

5.2 هنيـن:..... 22

ثانيا: التطّور التاريخي لمدينة تلمسان ونواحيها 23

1. مدينة تلمسان: **23**
1.1 قبل العهد الإسلامي: 23
2.1 خلال العهد الإسلامي :..... 24
2. أهم المحطات التّاريخيّة لمدينة ندرومة حتى ق 7هـ/13م: **29**
1.2 عهد الأدارسة (3هـ-4هـ/ 9-م-10م): 30
2.2 العهد الفاطمي والحمادي: (ق 4هـ- 8هـ/9م- 14م): 30
3.2 العهد المرابطي (ما بين ق 5هـ/11م): 31
4.2 العهد الموحدي (6هـ/12م):..... 32
5.2 ندرومة تحت حكم بني زيّان إلى السّيطرة العثمانيّة: 33
3. الدّور التاريخي لمنطقة أولاد ميمون: **34**
4. أصل بني سنوس وموقعها التّاريخي: **36**
5. التطوّر التّاريخي لمدينة هُنين:... ..... **38**

الفصل الأول: الوضع السيّاسي والإداري بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني

أولا: إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1518م.....42
1. ظروف إلحاق الجزائر بالدّولة العثمانيّة:..... **42**
2. التنظيم السياسي والإداري بالجزائر:..... **44**
1.2 دار السلطان: 46
2.2 بايليك التيطري: 46
3.2 بايليك الشرق: 47
4.2 بايليك الغرب:..... 47
3. نظام الحكم :..... **48**
1.3 عهد البايلربايات 923- 966هـ/1519-1587م: 49

2.3 عهد البشوات 966-1070هـ/1587-1659م: 50
3.3 فترة الأغوات1070هـ-1082هـ/ 1659-1671م: 53
4.3 فترة الدايات1082هـ- 1671- 1830م: 54
ثانيا: الإطار الجغرافي والتّاريخي لبايلك الغرب الجزائري 57
1. الإطار الجغرافي:..... **57**
1.1-التضاريس:... 57
2.1 المناخ:..... 57
2. الإطار التاريخي:..... **59**
ثالثا: الاستراتيجية العثمانيّة في التّنظيم الإداري لبايلك الغرب.....61
1. مركز البايلك: **61**
1.1 الباي:..... 62
2.1ديوان البايلك:..... 63
2. الإدارة في الأرياف:..... **67**
رابعا: إلحاق تلمسان بالحكم العثماني.....68
1. حملة عرّوج على تلمسان ونهاية الحكم الزياني: **71**
2. دور أحمد بن يوسف الملياني وتلامذته في توطيد الحكم العثماني في الجزائر..... **72**
3.مدينة تلمسان في ظلّ الصراع العثماني الاسباني:..... 76
4. الوجود العثماني والأطماع السّعديّة بمنطقة تلمسان **79**
5. حملة صالح رايس واحتلال فاس 1554م: **84**
6. التّدخل العلويّ بمنطقة تلمسان:... ..... **88**
خامسا: المؤسّسات الإداريّة بمنطقة تلمسان.....90
1.التنظيم الإداري:.... ..... **90**

1.1 الإدارة المركزية: 91
2.1 الإدارة المحليّة: 91
2. المؤسّسة القضائيّة: 92
1.2 التنظيمات الإدارية الخاصّة بمؤسسة القضاء: 92
2.2 التراتيب الإدارية لمؤسسة القضاء بمنطقة تلمسان: 93
3.2 مؤسسة الجماعة: 95
4.2 القاضي الشرعي: 96
5.2 المحكمة الشرعية: 97
6.2 المجلس العلمي: 99
7.2 نماذج عن علماء تولو القضاء والإفتاء في منطقة تلمسان وخارجها: 100
3. المؤسسة العسكرية في تلمسان ونواحيها – فئة الإنكشارية أنموذجا: 104
4. التنظيم الإداري لمؤسّسة الأوقاف بمنطقة تلمسان: 107
سادسا: الثورات والتّمردات التي شهدتها منطقة تلمسان 111
1. ثورات سكان مدينة تلمسان ضدّ العثمانيين: 112
2.ثورة الكراغلة: 117
3.الثورة الدرقاوية: 119
1.3 التعريف بابن الشريف الدرقاوي: 119
2.3 الأسباب: 120
3.3 الأحداث و الوقائع: 121
4.3 تأييد الشيخ العربي لحركة التمرّد وبيعة درقاوة وأهل تلمسان للسلطان: 123
سابعا: موقف العلماء التّلمسانيين من السّلطة العثمانيّة 128
1. نماذج لعلماء تلمسان عارضوا العثمانيين: 129

2. نماذج عن علماء أيّدوا وقدّموا النُّصح للعُثمانيين:..... **133**

الفصل الثاني: الحياة الإجتماعيّة بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني

أولا: مكوّنات المجتمع التلمساني في العهد العثماني..... **137**

1.البربر:..... **137**

2.العرب: **141**

3.الأتراك العثمانيون: **143**

4. الحضر والسّكان المحليين:..... **145**

5. الأندلسيين: **147**

6. الكراغلة:..... **154**

7. اليهود:..... **158**

8.النّصارى: **163**

9.رعيّة نواحي تلمسان:..... **163**

ثانيا: التعداد السّكاني والفئات الإجتماعيّة حسب بعض الكتابات الفرنسيّة..... **168**

ثالثا: مظاهر الحياة الاجتماعية في بمنطقة تلمسان **172**

1. ممارسة الشعائر والاحتفالات الدينيّة:... ..... **172**

1.1عند المسلمين:..... 172

2.1 عند أهل الذمّة: 179

2. الاحتفالات الاجتماعية:..... **179**

1.2 الزواج :..... 180

2.2 العقيقة:..... 183

رابعا: اللّهجات التلمسانيّة:..... **184**

1. اللهجة:..... **184**

خامسا: الوضع الصحيّ بمنطقة تلمسـان 188

1. الوضع الصّحي:..... **188**

1.1الأمراض والأوبئة:.....188

2.1المجاعات:..... 193

3.1طرق الوقاية والعلاج: 194

سادسا: النّوازل ودورها في الحياة الاجتماعيّة بمنطقة تلمسان 196

1. التركات وعقود البيع والشّراء داخل المجتمع التلمساني: **199**

2. المظاهر السلبيّة داخل المجتمع التلمساني: **202**

1.2 السرقة :..... 202

2.2 الخصومات والخلافات: 204

الفصل الثالث: الحياة الإقتصاديّة بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني

أولا: الفلاحة 206

1. مقوّمات الزّراعة: **206**

1.1 المطر:..... 207

2.1 الثلوج:..... 209

3.1 الأنهار والأودية: 210

4.1المياه الجوفية (الآبار والعيون) 214

2. نوعية الأراضي الزراعية: **216**

1.2 الأراضي تابعة للملاّك: 216

2.2 أراضي البايلك (أراضي الدولة): 217

2.2 الأراضي المشاعة(أراضي العرش): 218

4.2 أراضي الوقف:..... 219

5.2 أراضي الموات: 220
3. أهم المحاصيل الزراعية: **220**
1.3 الحبوب:..... 220
2.3 البقول والخضار: 222
3.3 المزروعات التجارية: 222
4.3 الأشجار المثمرة: 223
4. وسائل الانتاج الفلاحي: **224**
1.4المحراث الخشبي:..... 224
2.4 المنجل:..... 225
3.4السماد:..... 225
4.4 السدود:..... 225
5.4نظام الري:..... 225
5. الثروة الحيوانية: **226**
6. العوامل المؤثرة في النشاط الفلاحي:..... **228**
ثانيا: الصناعة..... **229**
.1 أنواع الصناعات:..... **230**
1.1 الصناعات الحرفية: 230
2.1الصناعات المعدنية: 236
3.1 الصناعات التحويلية:..... 239
4.1الصناعات العسكرية: 240
2. مميزات الصناعة **241**
3. معيقات الصناعة:..... **242**

ثالثا: التجارة..... 243
1. التجارة الداخلية:..... **243**
1.1 الأسواق:..... 243
2.1 الطرق والمسالك:..... 247
2. التّجارة الخارجية:..... **250**
1.2 مع الدول المجاورة:..... 250
2.2 مع الدول الاوربية: 254
3. الصادرات والواردات:..... **255**
1.3 بلاد السودان: 255
2.3 المغرب الأقصى: 261
3.3 تونس:..... 263
4.3 مع الدول الأوروبية: 264
رابعا: العملة 265
1. العملة المحلية:..... **266**
1.1 العملة الحسابية: 266
2.1 العملة الفعلية: توجد أنواع مختلفة للعملة الفعلية منها:..... 266
3.1 العملة الأجنبية:..... 268
خامسا: المكاييل والاوزان والمقاييس..... 269
1. المكاييل: **269**
1.1 الصاع:..... 269
2.1 القفيز:..... 270
3.1 المزورة:..... 270

4.1 القلة:..... 270
5.1 المطر:..... 270
2. الاوزان:..... 270
1.2 الرطل:..... 270
2.2 القنطار:..... 271
3. المقاييس:..... **271**
1.3 الذراع العثماني:..... 271
2.3 الذراع العربي..... 271
سادسا: النظام الضرائبي (الجبائي)..... **271**
1. ضرائب سكان الريف:..... **272**
1.1 ضرائب الملكيات الخاصة:..... 272
2.1ضرائب و عوائد أراضي البايلك: 274
3.1 ضرائب الاراضي المشاعة:..... 274
4.1 ضرائب إضافية (العوائد)..... 276
2. ضرائب سكان المدن:..... **277**
1.2 الدنوش و العوائد :. 277
2.2 عائدات بيت المال: 277
3.2 عوائد سكان المدن:. 278
4.2 الرسوم المفروضة على اليهود و النصارى:..... 278
5.2 رسوم النفايات المهنية و الدكاكين التجارية: 278
6.2 الفوائد عن التعامل التجاري:..... 278
3. المصادرات:..... **279**

4. غنائم الجهاد البحري: **279**
5. الاتاوات و الهدايا: 279

الفصل الرّابع: الحياة الدّينيّة والثقافيّة بمنطقة تلمسان خلال العهد العثماني

أولا: المؤسّسات الدّينيّة والثقافية لمدينة تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني: 281
1. الكتّاب: **282**
2. المساجد: **283**
1.2 مفهوم المسجد: 283
2.2 نماذج عن مساجد تلمسان ونواحيها: 284
3. الزاويا: **290**
1.3 تعريف الزوايا: 290
2.3 نماذج لبعض الزوايا في تلمسان في العهد العثماني: 291
4. المكتبات: **298**
1.4 نماذج عن المكتبات بمنطقة تلمسان: 299
5. الأوقاف والحبوس: **303**
1.5 مفهوم الوقف: 304
2.5 أهمية الأوقاف بمنطقة تلمسان: 304
ثانيا: نظام التّعليم بمنطقة تلمسان 306
1. الطّور الإبتدائي: **307**
2. مرحلة الإجازة: **308**
ثالثا: البيوتات العلمية في تلمسان إبّان العهد العثماني 310
1. بيت المرازقة: **311**
2. بيت الزقاي: **312**

3. بيت التُوجيني (1554م- 1603م):..... **315**

رابعا: التصوّف والطرق الصوفية بالمنطقة..... **319**

1.مفهوم التصوّف: **319**

2. نشاط لأهم الطرق الصوفية في تلمسان ونواحيها:..... **322**

1.2 الطّريقة الشاذليّة:..... 322

2.2 الطريقة اليوسفية: 323

3.2 الطريقة الشيخية أو البوشيخية: 324

4.2 الطريقة العيساوية:..... 325

خامسا: تراجم لعلماء منطقة تلمسان في العهد العثماني **326**

1. سعيد بن أحمد المقري: ت 1025هـ/1616م..... **326**

3. أحمد بن محمد المقري التلمساني:986هـ/1578م- 1040هـ/1632م. **328**

4. إبراهيم بن أحمد الشريف (1207- 1285هـ/ 1792- 1868). **329**

5. أحمد بن عثمان التلمساني (ت 1737/1151م)..... **329**

6.أحمد بن ملوكة الندرومي التلمساني: (ق 10هـ/ 16م)..... **330**

7. حدّو بن محمد المناوي: (ت 998هـ/ 1583م) **331**

8. عبد الرحمن بن عبد الله اليعقوبي : (ق 10/ 16م) **331**

9. محمد بن سليمان التلمساني (ابن الصائم) (1014-1066/1605- 1656م)..... **332**

10. محمد بن عبد الله المنور التلمساني (1173هـ/1760م)..... **333**

11. محمد بن عبد الله الزقاي (ق 13هـ/18م): **334**

12. محمد بن محمد البطيوي : (ق 10هـ/16م). **335**

13.محمد بن محمد المديوني (ابن مريم): (ت نحو 1020-هـ/1605م). **336**

سادسا: الجانب الفنّي والعمراني بمنطقة تلمسان **337**

1. النشاط الفني و الموسيقي:..... **337**

1.1 فـن الحــوزي:..... 337

2.1 أعلام الفن الحوزي: 339

2. المرافق الحضاريّة والاجتماعيّة بمنطقة تلمسان..... **343**

1.2 الأضرحــة:..... 344

2.2 الحمامات :.. 348

3.2 الفنادق:..... 352

سابعا: صورة تلمسان و نواحيها من خلال الرحالة المغاربة **354**

1. رحلة الحسن الوزان: **355**

2. رحلة أبو القاسم الزيّاني: **360**

3. رحلة أبي سالم العياشي: **363**

4. رحلة المكناسي: **364**

5. رحلة عيسى ين محمد اليحيوي الراسي البطوئي: **367**

خاتمة: 373

ملاحق: 379

قائمة المصادر والمراجع: 412

قائمة الفهارس.....454

فهرس الموضوعات: 468

ملخص:

عرف تاريخ الجزائر في العهد العثماني اهتمامًا بالغًا من طرف الباحثين، حيث ظهرت عدّة دراسات وبُحوث جادّة، غير أنّ الباحث يجد نفسه أمام العديد من المواضيع التي لاتزال مُهملة أو مغيّبة وتحتاج إلى البحث والدّراسة، ومن ذلك نذكر تاريخ مدينة تلمسان ونواحيها إبّان العهد العثماني، فالدّراسات والكتابات حول هذا الموضوع قليلة أو تكاد تكون مُنعدمة ، لذا يُحاول موضوع بحثنا إماطة اللثام عن تاريخ حاضرة تلمسان في الفترة العثمانيّة وحتى بواديها المتمثلة في نواحيها شأن ندرومة، وبني سنوس، وأولاد ميمون، وهنين ؛ والتي كان لكل منها دورا هاما في تاريخ الجزائر في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحيّة: إيّالة الجزائر، بايلك الغرب، الكراغلة، الأسبان، السعديون، مدينة تلمسان، البادية.

Résumé:

L'histoire de l'Algérie à l'époque ottomane a suscité un grand intérêt de la part des chercheurs, avec la parution de plusieurs études et recherches sérieuses, mais le chercheur se retrouve confronté à de nombreux sujets encore négligés ou absents et qui nécessitent des recherches et des études, et à partir de là nous mentionnons l'histoire de la ville de Tlemcen et de ses environs à l'époque ottomane.

Les écrits sur ce sujet sont peu nombreux voire inexistants, le sujet de notre recherche tente donc de faire découvrir l'histoire de la ville de Tlemcen à l'époque ottomane et même de ses environs telles que Nedroma, Beni Senous, Ouled Mimoun et Honain. Chacun d'eux a joué un rôle important dans l'histoire de l'Algérie à l'époque moderne.

Mots clés : régence d'Algér, beylik de l'Ouest, Kouroghli, Espagnols, Saadiens, ville de Tlemcen, province.

Abstract :

The history of Algeria during the Ottoman era has aroused great interest from researchers, with the publication of serious studies and research, but the researcher finds himself confronted with numerous subjects that are still neglected or absent and which require researches and studies, and from there we mention the history of the city of Tlemcen and its surroundings during the Ottoman era.

The writings on this subject are few or even non-existent, the subject of our research therefore attempts to discover the history of the city of Tlemcen during the Ottoman era and even its surroundings such as Nedroma, Beni Senous, Ouled Mimoun and Honain . Each of them played an important role in the modern history of Algeria .

Keywords: regency of Algiers, West Baylek, Kouroghli, Spaniards, Saadians, city of Tlemcen, province.